محاضر الشيطان

بروتوكولات حكماء صهيون

اسم الكتاب / بروتوكولات حكماء صهيون
إعداد وتقديم /د. الحسيني الحسيني معدّي
رقم الإيداع / 171401 - 2016
الترقيم الدولي / 7 - 055 - 355 - 977 - 978
تصميم الغلاف / محمد زهران
الناشر / مكتبة زهران
بالإشتراك مع / دار الراوي

محاضر الشيطان

بروتوكولات حكماء صهيون

الترجمة العربية الكاملة عن الروسية والإنجليزية

د. الحسيني الحسيني معدّي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمــة

هذا الكتاب هو أخطر كتاب ظهر في العالم، ولا يستطيع أن يقدره حق قدره إلا من يدرس البروتوكولات كلها كلمة كلمة في أناة وتبصر، ويربط بين أجزاء الخطة التي رسمتها، على شرط أن يكون بعيد النظر، فقيهاً بتيارات التاريخ وسنن الاجتماع، وأن يكون ملمّاً بحوادث التاريخ اليهودي والعالمي بعامة لا سيما الحوادث الحاضرة وأصابع اليهود من ورائها، ثم يكون خبيراً بمعرفة الاتجاهات التاريخية والطبائع البشرية، وعندئذ فحسب ستتكشف له مؤامرة يهودية جهنمية تهدف إلى إفساد العالم وانحلاله لإخضاعه كله لمصلحة اليهود ولسيطرتهم دون سائر البشر.

ولو توهمنا أن مجمعاً من أعتى الأبالسة الأشرار قد انعقد ليتبارى أفراده أو طوائفه منفردين أو متعاونين في ابتكار أجرم خطة لتدمير العالم واستعباده، إذن لما تفتق عقل أشد هؤلاء الأبالسة إجراماً وخسة وعنفاً عن مؤامرة شر من هذه المؤامرة التي تمخض عنها المؤتمر الأول لحكماء صهيون سنة 1897، وفيه درس المؤتمرون خطة إجرامية لتمكين اليهود من السيطرة على العالم، وهذه البروتوكولات توضح اطرافاً من هذه الخطة.

هذا الكتاب لينضح بل يفيض بالحقد والاحتكار والنقمة على العالم أجمع، ويكتشف عن فطنة حكماء صهيون إلى ما يمكن أن تنطوي عليه النفس البشرية من خسة وقسوة ولؤم، كما يكشف عن معرفتهم الواسعة

بالطرق التي يستطاع بها استغلال نزعاتها الشريرة العارمة، لمصلحة اليهود وتمكينهم من السيطرة على البشر جميعاً، بل يكشف عن الوسائل الناجحة التي أعدها اليهود للوصل إلى هذه الغاية.

هذا الكتاب يوقف أمامنا النفس البشرية على مسرح الحياة اليومية الأرضية مفضوحة كل معايبها، عارية من كل ملابسها التي نسجتها الإنسانية في تطورها من الوحشية إلى المدنية لتستر بها عوراتها، وتلطفت بها من حدة نزعاتها، وتتسامى بها إلى أفق مهذب.

إن هذه الملابس أو الضوابط كالأديان والشرائع والقوانين والعادات الكريمة قد استطاعت خلال تطورات التاريخ أن تخفي كثيراً من ميول النفس السيئة، وتعطل كثيراً منها ومن آثارها. ولكن حكماء صهيونها قد هتكوا كل هذه الملابس وانكروا كل هذه الضوابط، وفضحوا أمامنا الطبيعة البشرية، حتى ليحس الإنسان، وهو يتأملها في هذا الكتاب بالغثيان، والاشمئزاز والدوار، ويود لو يغمض عينيه، أو يلوي وجهه، أو يفر بنفسه هرباً من النظر إلى بشاعاتها، وبينما هم يبترزون الجوانب الشريرة في الطبيعة البشرية يخبئون النواحي الخيرة منها، أو يهملونها من حسابهم، فيخطئون. وهنا تظهر مواضع الضعف في نظرياتهم وما يرتبون عليها من خطط، فيصدق عليهم ما شنع به شاعرنا أبو نواس على «النَّظَّام» الفيلسوف المتكلم، فقال يوبخه:

فقل لمن يدعي في العلم فلسفة ... حفظت شيئاً، وغابت عنك أشياء

لا تحظر العفو إن كنت امرءاً حرجاً ... فإن حظركه في الدين ازراء

وهم لا يخطئون غالباً إلا مغرضين، وذلك عندما تعميهم اللهفة والحرص الطائش على تحقيق اهدافهم قبل الأوان، أو يفيض في نفوسهم الحقد العريق الذي يمد لهم مدّاً في اليأس من كل خير في الضمير البشري، فيتساهلون

مضطرين في اختيار الأسس والوسائل القوية لهذه الغايات، وندر ما نظروا إلى شيء إلا وعيونهم مكحولة بل مغشاة بالأهواء الجامحة، ولذلك قلما تسلم لهم خطة تامة إلى أمد بعيد.

إن المجال لا يسمح بذكر كل عناصر المؤامرة كما جاءت في البروتوكولات، وحسبنا الإشارة إلى ما يأتي منها:

(أ) لليهود منذ قرون خطة سرية غايتها الاستيلاء على العالم أجمع، لمصلحة اليهود وحدهم، وكان ينقحها حكماؤهم طوراً فطوراً حسب الأحوال، مع وحدة الغاية.

(ب) تتضح هذه الخطة السرية بما أثر عن اليهود من الحقد على الأمم لا سيما المسيحيين، والضغن على الأديان لا سيما المسيحية، كما تتضح بالحرص على السيطرة العالمية.

(ج) يسعى اليهود لهدم الحكومات في كل الأقطار، والاستعاضة عنها بحكومة ملكية استبدادية يهودية، ويهيئون كل الوسائل لهدم الحكومات لاسيما الملكية. ومن هذه الوسائل إغراء الملوك باضطهاد الشعوب، وإغراء الشعوب بالتمرد على الملوك، متوسلين لذلك بنشر مبادئ الحرية والمساواة، ونحوها مع تفسيرها تفسيراً خاصّاً يؤذي الجانبين، وبمحاولة ابقاء كل من قوة الحكومة وقوة الشعب متعاديتين، وإبقاء كل منهما في توجس وخوف دائم من الأخرى، وإفساد الحكام وزعماء الشعوب، ومحاربة كل ذكاء يظهر بين الأمميين (غير اليهود) مع الاستعانة على تحقيق ذلك كله بالنساء والمال والمناصب والمكايد.. وما إلى ذلك من وسائل الفتنة. ويكون مقر الحكومة الإسرائيلية في أورشليم أولاً، ثم

تستقر إلى الأبد في روما عاصمة الإمبراطورية الرومانية قديماً.

(د) إلقاء بذور الخلاف والشغب في كل الدول، عن طريق الجمعيات السرية السياسية والدينية والفنية والرياضية والمحافل الماسونية، والأندية على اختلاف نشاطها، والجمعيات العلنية من كل لون، ونقل الدول من التسامح إلى التطرف السياسي والديني، فالاشتراكية، فالإباحية، فالفوضوية، فاستحالة تطبيق مبادئ المساواة.

هذا كله مع التمسك بإبقاء الأمة اليهودية متماسكة بعيدة عن التأثر بالتعاليم التي تضرها، ولكنها تضر غيرها.

(هـ) يرون أن طرق الحكم الحاضرة في العالم جميعاً فاسدة، والواجب لزيادة إفسادها في تدرج إلى أن يحين الوقت لقيام المملكة اليهودية على العالم لا قبل هذا الوقت ولا بعده. لأن حكم الناس صناعة مقدسة سامية سرية، لا يتقنها في رأيهم إلا نخبة موهوبة ممتازة من اليهود الذين أتقنوا التدرب التقليدي عليها، وكشفت لهم أسرارها التي استنبطها حكماء صهيون من تجارب التاريخ خلال قرون طويلة، وهي تمنح لهم سرّاً، وليست السياسة بأي حال من عمل الشعوب أو العباقرة غير المخلوقين لها بين الأمميين (غير اليهود).

(و) يجب أن يساس الناس كما تساس قطعان البهائم الحقيرة، وكل الأمميين حتى الزعماء الممتازين منهم إنما هم قطع شطرنج في أيدي اليهود تسهل استمالتهم واستعبادهم بالتهديد أو المال أو النساء أو المناصب أو نحوها.

(ز) يجب أن توضع تحت ايدي اليهود لأنهم المحتكرون للذهب وكل وسائل

الطبع والنشر والصحافة والمدارس والجامعات والمسارح وشركات السينما ودورها والعلوم والقوانين والمضاربات وغيرها.

وإن الذهب الذي يحتكره اليهود هو أقوى الأسلحة لإثارة الرأي العام وإفساد الشبان والقضاء على الضمائر والأديان والقوميات ونظام الأسرة، وأغراء الناس بالشهوات والقضاء على الضمائر والاديان والقوميات ونظام الأسرة، وأغراء الناس بالشهوات البهيمية الضارة، واشاعة الرذيلة والانحلال، حتى تستنزف قوى الأميين استنزافاً، فلا تجد مفرّاً من القذف بأنفسها تحت أقدام اليهود.

(ح) وضع اسس الاقتصاد العالمي على أساس الذهب الذي يحتكره اليهود، لا على أساس قوة العمل والإنتاج والثروات الأخرى، مع أحداث الأزمات الاقتصادية العالمية على الدوام كي لا يستريح العالم ابداً، فيضطر إلى الاستعانة باليهود لكشف كروبه، ويرضى صاغراً مغتبطاً بالسلطة اليهودية العالمية.

(ط) الاستعانة بأمريكا والصين واليابان على تأديب أوروبا وإخضاعها.

أما بقية خطوط المؤامرة فتتكفل بتفصيلها البرتوكولات نفسها.

عقد زعماء اليهود ثلاثة وعشرين مؤتمراً منذ سنة 1897 حتى سنة 1951 وكان آخرها هو المؤتمر الذي انعقد في القدس لأول مرة في 14 أغسطس من هذه السنة، ليبحث في الظاهر مسألة الهجرة إلى إسرائيل وحدودها كما ذكرت جريدة الزمان المصرية (1951/7/28)، وكان الغرض من هذه المؤتمرات جميعاً دراسة الخطط التي تؤدي إلى تأسيس مملكة صهيون العالمية.

أما أول مؤتمراتهم فكان في مدينة بال بسويسرة سنة 1897 برياسة زعيمهم «هرتزل»، وقد اجتمع فيه نحو ثلثمائة من أعتى حكماء صهيون كانوا يمثلون خمسين جمعية يهودية، وقد قرروا في المؤتمر خطتهم السرية لاستعباد العالم كله تحت تاج ملك من نسل داود، وكانت قراراتهم فيه سرية محوطة بأشد أنواع الكتمان والتحفظ إلا عن أصحابها بين الناس، اما غيرهم فمحجوبون عنها ولو كانوا من أكابر زعماء اليهود، فضلاً عن فضح أسرارها سرّاً، وإن كان فيما ظهر منها ما يكشف بقوة ووضوح عما لا يزال خافياً.

فقد استطاعت سيدة فرنسية أثناء اجتماعها بزعيم من أكابر رؤسائهم في وكر من أوكارهم الماسونية السرية في فرنسا أن تختلس بعض هذه الوثائق ثم تفر بها، والوثائق المختلسة هي هذه البروتوكولات التي بين أيدينا.

وصلت هذه الوثائق إلى أليكس نيقولا كبير جماعة أعيان روسيا الشرقية في عهد القيصرية، فقدر خطورتها ونياتها الشريرة ضد العالم لا سيما بلاده روسيا، ثم رأى أن يضعها في أيدي أمينة أقدر من يده على الانتفاع بها ونشرها، فدفعها إلى صديقه العالم الروسي الجليل الأستاذ سرجي نيلوس الذي لا شك أنه درسها دراسة دقيقة كافية، وقارن بينها وبين الأحداث السياسية الجارية يومئذ فأدرك خطورتها أتم إدراك واستطاع من جراء هذه المقارنة أن يتنبأ بكثير من الأحداث الخطيرة التي وقعت بعد ذلك بسنوات كما قدرها، والتي كان لها دوي هائل في جميع العالم، كما كان لها أثر في توجيه تاريخه وتطوراته، منها نبوءته بتحطيم القيصرية في روسيا ونشر الشيوعية فيها وحكمها حكماً استبدادياً غاشماً واتخاذها مركزاً لنشر المؤامرات والقلاقل في العالم، ومنها نبوءته بسقوط الخلافة الإسلامية

العثمانية على أيدي اليهود قبل تأسيس إسرائيل.

ومنها نبوءته بعودة اليهود إلى فلسطين وقيام دولة إسرائيل فيها، ومنها نبؤته بسقوط الملكيات في أوروبا وقد زالت الملكيات فعلاً في ألمانيا والنمسا ورومانيا وأسبانيا وإيطاليا. ومنها أثارة حروب عالمية لأول مرة في التاريخ يخسر فيها الغالب والمغلوب معاً ولا يظفر بمغنمها إلا اليهود. وقد نشبت منها حربان، واليهود يهيئون الأحوال الآن لنشوب الثالثة، فنفوذ اليهود في أمريكا لا يعادله نفوذ أقلية، ثم إنهم أهل سلطان في روسيا، وهاتان الدولتان أعظم قوتين عالميتين، واليهود يجرونهما إلى الحرب لتحطيمهما معاً، وإذا تحطمتا ازداد طمع اليهود في حكم العالم كله حكماً مكشوفاً بدل حكمهم إياه حكماً مقنعاً، ومن نبوءته أيضاً نشر الفتن والقلاقل والأزمات الاقتصادية دوليّاً، وبنيان الاقتصاد على أساس الذهب الذي يحتكره اليهود، وغير ذلك من النبوءات كثير.

وأنا لا أتقول على الأستاذ نيلوس في كل ذلك لأضيف إليه فضلاً ليس له، لأنه كله مدون تفصيلاً في المقدمة والتعقيب اللذين كتبهما هو للبروتوكولات، وهما مترجمان في طبعتنا هذه، وجميع ذلك يدل على إحاطة الرجل خبراً بحوادث زمانه، وحسن دراسته للبرتوكولات، وبعد نظره السياسي وفقهه بالاجتماع.

وقع الكتاب في يد نيلوس سنة 1901، وطبع منه نسخاً قليلة لأول مرة بالروسية سنة 1902 فافتضحت نيات اليهود الإجرامية، وجنّ جنونهم خوفاً وفزعاً، ورأوا العالم يتنبه إلى خططهم الشريرة ضد راحته وسعادته، وعمت المذابح ضده في روسيا حتى لقد قتل منهم في إحداها نحو عشرة آلاف، واشتد هلعهم لذلك كله، فقام زعيمهم الكبير الخطير تيودور هرتزل أبو

الصهيونية، وموسى اليهود في العصر الحديث يلطم ويصرخ لهذه الفضيحة، وأصدر عدة نشرات يعلن فيها أنه قد سرقت من «قدس الأقداس» بعض الوثائق السرية التي قصد إخفاؤها على غير أصحابها ولو كانوا من أعاظم اليهود، وأن ذيوعها قبل الأوان يعرض اليهود في العالم لشر النكبات، وهب اليهود في كل مكان يعلنون أن البرتوكولات ليست من عملهم، لكنها مزيفة عليهم، ولكن العالم لم يصدق مزاعم اليهود للاتفاقات الواضحة بين خطة البرتوكولات والأحداث الجارية في العالم يومئذ، وهذه الاتفاقات لا يمكن أن تحدث مصادفة لمصلحة اليهود وحدهم، وهي أدلة بينة أو قرائن اكيدة لا سبيل إلى إنكارها أو الشك فيها، فانصرف الناس عن مزاعم اليهود، وآمنوا إيماناً وثيقاً أن البروتوكولات من عملهم، فانتشرت هي كما انتشر تراجمها إلى مختلف اللهجات الروسية وانتشرت معها المذابح والاضطهادات ضد اليهود في كل أنحاء روسيا حتى لقد قتل منهم في احدى المذابح عشرة آلاف، وحوصروا في أحيائهم كما قدمنا.

واستقبل اليهود في الدفاع عن أنفسهم، وسمعتهم المهتوكة، وجدوا في إخفاء فضيحتهم أو حصرها في أضيق نطاق، فأقبلوا يشترون نسخ الكتاب من الأسواق بأي ثمن، ولكنهم عجزوا، واستعانوا بذهبهم ونسائهم وتهديداتهم ونفوذ هيئاتهم وزعمائهم في سائر الأقطار الأوروبية لا سيما بريطانيا لكي تضغط على روسيا دبلوماسيّاً، لإيقاف المذابح ومصادرة نسخ الكتاب علنيّاً، فتم لهم ذلك بعد جهود جبارة.

ولكن نيلوس أعاد نشر الكتاب مع مقدمة وتعقيب بقلمه سنة 1905، ونفدت هذه الطبعة في سرعة غريبة بوسائل خفية، لأن اليهود جمعوا نسخها

من الأسواق بكل الوسائل واحرقوها، ثم طبع في سنة 1911 فنفدت نسخه على هذا النحو، ولما طبع سنة 1917 صادره البلاشفة الشيوعيون الذين استطاعوا في تلك السنة تدمير القيصرية، والقبض على أزمة الحكم في روسيا، وكان معظمهم من اليهود الصرحاء أو المستورين أو من صنائعهم، ثم اختفت البروتوكولات من روسيا حتى آلان.

وكانت قد وصلت نسخة من الطبعة الروسية سنة 1905 إلى المتحف البريطاني British Museum في لندن ختمت بخاتمه، وسجل عليها تاريخ تسلمها (10 أغسطس سنة 1906) وبقيت النسخة مهملة حتى حدث الانقلاب الشيوعي في روسيا سنة 1917، فوقع اختيار جريدة «المورننغ بوست Morning Post» على مراسلها الأستاذ فكتور مارسدن ليوافيها بأخبار الانقلاب الشيوعي من روسيا، واطلع قبل سفره على عدة كتب روسية كانت من بينها البرتوكولات التي بالمتحف البريطاني، فقرأ النسخة وقدر خطرها، وراى وهو في سنة 1917 نبوءة ناشرها الروسي الأستاذ نيلوس بهذا الانقلاب سنة 1905، أي قبل وقوعه باثنتي عشرة سنة، فعكف المراسل في المتحف على ترجمتها إلى الإنجليزية ثم نشرها، وقد أعيد طبعها مرات بعد ذلك كانت الأخيرة والخامسة منها سنة 1921 (ومنها نسختنا)، ثم لم يجرؤ ناشر في بريطانيا ولا أمريكا على طبعها بعد ذلك كما يقول مؤرخ إنجليزي معاصر هو العلامة دجلاس ريد في كتابه على الحركات السرية المعاصرة، ودون أن نطيل القول في أسباب صمت الناشرين عنها على ما وضحها الأستاذ ريد نتبين أصابع اليهود من وراء كل صمت مريب.

وفي سنة 1919 ترجم الكتاب إلى الألمانية، ونشر في برلين، ثم توقف

طبعه بعد أن جمعت أكثر نسخه، وكان هذا مظهراً من مظاهر نفوذ اليهودية في ألمانيا، قبل انتصارها عليها بعد الحرب العالمية الأولى، كما انتصرت عليها خلالها، إذ كانت ألاعيبها ودسائسها قد امتدت أثناء الحرب من الساسة إلى قادة الجيوش والأساطيل بين الألمان، وكانت سبباً من أكبر أسباب هزيمة ألمانيا في تلك الحرب الضروس، ومن أظهر آيات ذلك انسحاب الأسطول الألماني وهو منتصر ظاهر أمام الأسطول الإنجليزي في معركة جتلاند Jutland Battle وقد استشهد البريطان في مقدمة طبعتهم الخامسة للبرتوكولات على صحة نسبتها إلى اليهود وسعيهم وفق خططها ببيانات هذه المعركة ونتيجتها، وإن كانوا قد بالغوا حين حملوا اليهود كل مسئوليات الحرب العالمية الأولى ومصرع روسيا وهزيمة ألمانيا وما أعقب الحرب من ويلات عاتية، شملت كل بقعة على هذا الكوكب.

ومع محاولات اليهود الجبارة إخفاء أمر البرتوكولات عن العيون انتشرت تراجمها بلغات مختلفة في فرنسا وإيطاليا وبولونيا وأمريكا عقب تلك الحرب، وعم انتشارها وأثرها في تلك البلاد، ولكن سرعان ما كانت تختفي دائماً من مكتباتها بأساليب محيرة حيثما سطعت في الظهور، وإلى جانبه البرتوكولات، فحاول اليهود منعها، فلما عجزوا بشتى أساليبهم عن إقناعها أحرقوا مطبعتها.

ومن المتعذر أن نتتبع رحلة هذا الكتاب العجيب في بلاد العالم بين الظهور والاختفاء. ولكنا نشير إلى بعض وقائعه في بريطانيا لأننا بها أعلم، وبقصد كتابها أوثق، وهي مثل يدل على سواه، وحسبنا هنا أن نصور قطرات مما سالت به أقلام كتابها حول البروتوكولات عقب الحرب العالمية الأولى التي صليت نيرانها معظم أمم العالم كبارها وصغارها، وبددت في

سعيرها كثيراً من كنوز شبابها وأخلاقها وعقائدها وروابطها وأموالها، ولم يخرج منها سالماً غانماً إلا اليهود، حتى رأى أحد كتاب البريطان أن الهتاف الصحيح يومئذ هو «اليهودية فوق الجميع» Jewry ueber Alles لا هتاف الغرور «ألمانيا فوق الجميع» الذي جعلته ألمانيا شعارها أيام ازدهارها عقب انتصارها على فرنسا في الحرب السبعينية (1870) ومناداتها بملك بروسيا إمبراطوراً على ألمانيا في حفل تتويجه بقصر فرساي في قلب فرنسا، ثم ضمنت ألمانيا هذا الشعار نشيدها القومي وجعلته عنواناً له، ولم يزل كذلك حتى تمت هزيمتها في تلك الحرب.

وقد نعى الكاتب البريطاني على أمته يومئذ مقاومتها الخطر الألماني الذي غلبته في تلك الحرب دون الخطر اليهودي الذي أهملته وإن كان أخفى وأكبر، وكذلك وجه نظر أمته يومئذ إلى الصلات القوية بين البروتوكولات الصهيونية وسقوط روسيا في أيدي البلاشفة ومعظمهم من اليهود عقب مصرع القيصرية فيها سنة 1917، وقد أحدث سقوطها يومئذ من الدوي في آذان البشر، ومن الروع في نفوسهم ما يحدثه منظر جبل يخّر في بحر زاخر فيتتابع إرغاؤه وإزباده، وكانت بوادر الفظائع البلشفية اليهودية في روسيا تؤرق أجفان الأمم الحرة توجعاً لشعبها الهائل المسكين الذي كان يتقلى في رمضاء القيصرية، ويتفزز للنجاة منها، فوقع في جحيم الشيوعية اليهودية، ولاح بعد ظهور البروتوكولات إبان تسعر تلك الجحيم بضحاياها إن خططها تطبق في وحشية على ذلك الشعب المسكين، وتمتد ألسنتها سرّاً وجهراً إلى سائر الشعوب الأوروبية، ولا سيما الشعوب التي تتاخم روسيا أو تدانيها في أوروبا الشرقية والوسطى، عن طريق إثارة القلاقل والفتن والاضطرابات والاغتيالات للقضاء على كل قوة وطنية وإنسانية فيها كي

تخر ذليلة مستسلمة تحت اقدام البلشفية اليهودية.

وكذلك تنبه بعض الكتاب الذين قارنوا بين تلك الفظائع البلشفية والبروتوكولات الصهيونية فسموا البرتوكولات «الإنجيل البلشفي» بما لاحظوا بينها من توافق كجيب، كما لاحظ كاتب إنجليزي مناورات اليهود للتشكيك في نسبة الكتاب إليهم، ففند مزاعمهم بحجج كثيرة: منها ذلك التوافق العجيب بين نبوءات البرتوكولات في سنة 1901 وتلك الويلات التي رمى بها اليهود العالم كفتنة البلشفية اليهودية وغيرها من الفتن في روسيا وسائر البلاد الأوروبية، ودعا الكاتب مواطنيه وسائر الأمم المسيحية إلى الحذر من عقابيل هذه الفتنة الماردة الوحشية العمياء التي أثاروها في أوروبا ولا سيما روسيا، ولكن خطر البلشفية اليهودية ودسائسها وعنفها وخداعها وذهبها مكنت لها من الاستقرار في وكرها الجبار.

وقصر نظر بعض الساسة الأوربيين يومئذ فظنوا روسيا بعيدة حتى ليس على بلادهم منها خطر، وفطن غيرهم من الساسة إلى مكمن الخطر ولم يخدعه ذلك البعد، ولكن الشعوب الحرة كانت قد وضعت كل أصابعها في آذانها واستغشت ما بقي من ثيابها، حتى لا تسمع نداء الحرب أو ترى ميداناً لها بعد انتصارها في الحرب العالمية الأولى التي استمرت نحو خمس سنوات حتى استنزفت معظم جهود المحاربين فيها غالبين ومغلوبين.

وهذه ترجمة نبذة لكاتب انجليزي نراها تلخص نظره إلى مجمل هذا الموقف عندما كتبها في أغسطس سنة 1920، قال:

«في مايو سنة 1920 نشرت جريدة «التيمس» مقالاً عن «الخطر اليهودي» سمته «رسالة مقلقة: دعوة للتحقيق». ومنذئذ بدأت جريدة «المورننغ بوست»

بمجموعة من المقالات في 12يوليه تنشر «تحقيقاً» مضنياً جدّاً تحت عنوان «العالم المضطرب: خلف الستار الأحمر». وقد سمى كاتبها البرتوكولات يومئذ «الإنجيل البلشفي» وهي تسمية منه بالغة الجدارة.

واليهود سواء منهم المحافظون Orthodox وغير المحافظين Un orthodox قد جحدوا بالضرورة صحة البرتوكولات ودعوها تزييفاً. غير أن المزيف على فرض تزييفها لابد أن يكون مزيفاً ممتازاً، ولابد أن يكون يهوديّاً، فما من مزيف غير ذلك يحتمل أن يكون قادراً على تزييف النبوءات فيها فحسب، فضلاً عن أن يصورها تصويراً كاملاً أيضاً.

إن الوقائع لسوء حظنا نحن الجوييم Goyem (غير اليهود) يمكن أن تكون أي شيء ما عدا أنها مزيفة.

ولا يمكن أن يعجز أحد، كما يقول كاتب «التيمس»، عن أن يكتشف روسيا السوفيتية في البروتوكولات، كما أنه لا أحد يستطيع أن ينكر أن القوميسيرين السوفييت يكادون يكونون جميعاً من اليهود. ويمضي الكاتب قائلاً: «من يتأتى الاستخفاف بملاحظة النبوءة. وقد أنجز جانب منها، على حين أن جوانب أخرى منها في طريق الإنجاز؟ هل كنا نقاتل طوال هذه السنين الفاجعة لننسف ونستأصل التنظيم السري لسيطرة ألمانيا على العالم لغير هدف إلا لنجد تحته خطراً آخر أعظم لأنه أشد خفاء هل تخلصنا، بتوتير كل عرق في جسم وطننا من «سلام الماني «pax Germaneca لغير شيء إلا لنتورط في «سلام يهودي Pax Judaeice.

إنه ليتحتم على كل بريطاني مخلص أن يظفر بهذا الكتاب ويدرسه في ضوء الأحداث الداخلية والخارجية. وعندئذ سيعلم شيئاً عن ماهية الخطر اليهودي Jewish Peril وسيقرر لنفسه إمكان الثقة باليهود على أية حال في

حكومة هذا الوطن أو أي وطن مسيحي آخر».

ونظراً لأهمية الوثائق التي وردت في هذا الكتاب الخطير(بروتوكولات حكماء صهيون)، والتي تعطي فكرة واضحة عن خلفية الأحداث الغامضة، والقوى المحركة وراء كل حدث عجز الناس عن إيجاد تفسير منطقي له، ولكي تغدوَ هذه المعلومات سهلة التناول، فقد عمدنا إلى تقديم النصوص الكاملة لهذه البروتوكولات إلى القارئ فى كل مكان، لنكشف ونفضح له تلك المخططات و المؤامرات اليهودية للسيطرة على العالم.

د. الحسينى الحسينى معدّى

تمهيد

لم يعرف العالم كتابًا أثار ضجه أكبر من الضجه التي أثارها كتاب (بروتوكولات حكماء صهيون)، ولم تكن الآراء متناقضة في كتاب أكثر مما هي في هذا الكتاب. فقد اختلف الناس في صحتها وأصلها وواضعيها... حتى إن هنري فورد (الجد) صاحب كتاب: (اليهودي العالمي) تهرب عندما سئل من الإجابة الصريحة على صحتها فقال: (إن الكلام الوحيد الذي أحب أن أعلق به على هذه البروتوكولات هو أن هذه البروتوكولات قد تنبأت تمامًا لما يجري اليوم يبلغ عمرها ست عشرة سنة (زمن إجراء المقابله معه)، وقد طابقت بمضمونها كليّاً جميع التغييرات والأوضاع العالمية التي حدثت اليوم.. وما تزال كذلك حتى هذه الساعة).

عقد الزعماء الصهيونيون ثلاثة وعشرين مؤتمرًا منذ سنة 1897، وكان آخرها المؤتمر الذي انعقد في القدس لأول مره في 14 أغسطس 1951 ليبحث في الظاهر مسألة الهجرة إلى إسرائيل ومسألة حدودها وكان الغرض من هذه المؤتمرات جميعًا هو دراسة الخطط التي تؤدي إلى تأسيس مملكة صهيون العالمية والتي تعتبر من أهم أهداف بروتوكولاتهم.

اجتمع في المؤتمر الأخير ثلاثمائة من أعتى حكماء صهيون كانوا يمثلون خمسين جمعية يهودية، وقرروا في خطتهم السرية لاستعباد العالم كله تحت تاج ملك من نسل داود وذلك من خلال:

- القبض على زمام الأمور في العالم.

- إشاعة الفوضى والإباحية بين الشعوب.
- تسليط المذاهب الفاسدة والدعوات المنكرة على عقول أبنائه.
- تقويض كل دعائم الدين والوطنية والخلق القويم.

إن مخططات هؤلاء المجرمون خطيرة وسرية للغاية، ومن المستحيل أن تعطى لأي شخص (طبعًا هذا في الماضي أما اليوم فهي منتشرة) ولكن كيف أصبحت أشهر من نار على علم، ومترجمة لكل اللغات. هل تعمد اليهود نشر هذه البروتوكولات، وأظهروا للناس على أنها سرية، وأنها تسربت لكي يستفيدوا من مبيعاتها أو أنها نوع من أنواع الدعاية لكي يرغبوا الناس باقتنائها، ويرهبوا من يريدون إرهابهم عملًا بالمثل القائل: (خذه بالموت حتى يرضى بالحمى).... توقعات كثيرة يمكن أن تطرأ على ذهن كل شخص منا، ولكن المعروف و المشهور والموثوق منه في كتب التاريخ هو قول متفق عليه، وهو إنه استطاعت سيدة فرنسية أثناء اجتماعها بزعيم من أكابر اليهود في وكر من أوكار الماسونية السرية في فرنسا اختلاس تلك البروتوكولات والفرار بها....

وصلت هذه الوثائق إلى إليكس نيقولا نيفتش كبير جماعة أعيان روسيا الشرقية في عهد القيصرية، والذي دفع بها إلى العالم الروسي سيرجي نيلوس الذي درسها بدقة، وقارن بينها وبين الأحداث السياسية الجارية يومئذ واستطاع من جراء ذلك أن يتنبأ بكثير من الأحداث الخطيره التي وقعت بعد ذلك بسنوات مثل:

1 - التنبؤ بسقوط الخلافة الإسلامية العثمانية على أيدي اليهود قبل تأسيس دولة إسرائيل.

2 - التنبؤ بإثارة حروب عالمية لأول مره في التاريخ يخسر فيها الغالب والمغلوب معًا، ولا يظفر بمغانمها إلا اليهود.

3 - التنبؤ بسقوط الملكيات في أوربا، وقد زالت الملكيات فعلًا في ألمانيا والنمسا ورومانيا وإسبانيا وإيطاليا.

4 - التنبؤ بنشر الفتن والقلاقل والأزمات الأقتصادية دوليّاً، وبنيان الاقتصاد على أساس الذهب الذي يحتكره اليهود.

وغير ذلك من التنبؤات كثيرة وهو ما أكدته الأحداث عبر السنين التي تلت عصر العالم الروسي سيرجي نيلوس مثل سقوط روسيا القيصرية، ونشر الشيوعية فيها وحكمها حكمًا استبداديّاً غاشمًا واتخاذها مركزًا لنشر المؤامرات والقلاقل في العالم.

عندما نشرت هذه البروتوكولات ذعر اليهود ذعرًا شديدًا مما جعل زعيمهم هرتزل يصدر عدة نشرات، صرح فيها أنه قد سرقت من قدس الأقداس بعض الوثائق السرية التي قصد إخفاؤها على غير أهلها حتى ولو كانوا من أعظم أعاظم اليهود، وإن ذيوعها قبل الأوان يعرض اليهود في العالم لشر النكبات.

ما الهدف من هذه البروتوكولات؟؟؟ ستجدون الإجابة من خلال قراءتكم للبروتوكولات ولكن نلخص لكم بعض هذه الأهداف:

- وضع اليهود خطة للسيطرة على العالم يقودها حكماؤهم حسب الأحوال وهذه الخطة منبثقة من حقدهم على الأديان.
- يسعى اليهود لهدم الحكومات وذلك بإغراء الملوك باضطهاد الشعوب، وإغراء الشعوب بالتمرد على الملوك، وذلك بنشر مبادئ الحرية والمساواة ونحوها مع تفسيرها تفسيرًا خاصّاً يستحيل تحقيقه.
- نشر الفوضوية والإباحية عن طريق الجمعيات السرية والدينية والفنية

والرياضية والمحافل الماسونية.

- يؤكد اليهود على إفساد الحكومات الحاضرة في العالم جميعًا إلى أن يحين الوقت لقيام المملكة اليهودية على العالم.
- يجب أن يساس الناس كما تساس البهائم الحقيرة، وأن يكون التعامل مع غيرهم أي مع غير اليهود حتى من الحكام الممتازين كقطع شطرنج في أيدي اليهود حتى يسهل استمالتهم، واستعبادهم بالمال والنساء أو إغرائهم بالمناصب ونحوها.
- كل وسائل الطبع والنشر والصحافة والمدارس والجامعات والمسارح والسينما وفنون الغواية والمضاربات وغيرها يجب أن توضع تحت أيدي اليهود.
- وضع أسس الاقتصاد العالمي على أساس أن الذهب الذي يحتكره اليهود أقوى من قوة العمل والإنتاج والثروات الأخرى.
- إفساد الشبان والقضاء على الضمائر والأديان والقوميات ونظام الأسرة، وإثارة الرأى العام، وإغراء الناس بالشهوات البهيمية الضارة.
- ضرورة إحداث الأزمات الاقتصادية العالمية على الدوام كى لا يرتاح العالم أبدًا، ويرضخ في النهاية للسيطرة اليهودية.

نشأة الصهيونية

الصهيونية حركة غربية سياسية استعمارية نشأت في أوروبا تحت ستار ديني في القرن التاسع عشر استهدفت خلق كيان مفتعل في فلسطين العربية السورية. من شأنه أن يكون قاعدة متقدّمة للسيطرة على المناطق الاستراتيجية في الوطن العربي واستغلالها، ومنع أيّة محاولة وحدوية عربية من شأنها أن تقف في وجه المصالح الغربية.

منذ مطلع القرن السابع عشر حين أخذت الإمبراطورية البريطانية تتطلع إلى تأمين طرق تجارتها مع الهند ومع مستعمراتها في الشرق، وتتطلع إلى التحكّم في عقدة المواصلات العالمية ولدتّ فكرة توطين اليهود في فلسطين، مستغلة واقع الانغلاق الذي تعيشه العناصر اليهودية وتمسّكها بتراثها الديني الأسطوري الذي يتحدّث عن أرض الميعاد وصهيون وهيكل الرّب.

لهذا ولأنّ الدول الأوروبية عموماً وبريطانيا خصوصاً كانت تطمع في استعمار الوطن العربي وتمزيقه واستغلال خيراته، بدأت تظهر في هذه الدول دعوات لإعادة اليهود إلى فلسطين تحت شعار ديني تراثي، ليكونوا حاجزاً بشريّاً يربط آسيا بإفريقيا ويربطهما معاً بالبحر المتوسط فتشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقة. وفي هذا يقول الوزير البريطاني (آيمري) في مذكراته: «نحن نرى من وجهة النظر البريطانية الخالصة، أنّ إقامة شعب يهودي ناجح في فلسطين سيدين بوجوده وفرصته في التطوير إلى السياسة البريطانية. كما

أنّه سبب ثمين لضمان الدفاع عن قناة السّويس من الشمال».

كانت أولى دعوات إعادة اليهود إلى فلسطين، دعوة المحامي الإنكليزي الشهير (هنري فنش) 1621وذلك في مؤلفه (العودة العالمية الكبرى) أو دعوة إلى اليهود. وبعد ذلك بحوالي ثلاثين عاماً عمل (كرومويل) على التقّرب من اليهود بهدف استخدامهم لمشروع استيطان فلسطين. فكان أن سمح بعودتهم إلى الجزر البريطانية سنة 1655بعد أن كانوا قد طردوا منها قبل أكثر من ثلاثة قرون /1290/ لينافس الدول التجارية الأخرى التي تضمّ كل منها جماعة يهودية ثرية لها دور بارز في توسيع التجارة الخارجية لتلك الدول».

خلال حملته على مصر وسورية نيسان 1799 أصدر نابليون بونابرت إعلاناً دعا فيه جميع يهود آسيا وأفريقيا للانضواء تحت لوائه من أجل إعادة تأسيس أورشليم القديمة.

في تلك الفترة وحتى منتصف القرن التاسع عشر ظهر الاهتمام الفرنسي بمشروع توطين اليهود في فلسطين لتوظيفهم لصالح مخطّطاتهم التوسعية الاستعمارية في المشرق العربي. وكان الممثل الرئيسي لهذا المشروع (أرنست لاران) السكرتير الخاص لنابليون الثالث. حيث وضع سنة 1860 كتاباً بعنوان: (المسألة الشرقية وإحياء القومية اليهودية) أبرز فيه المكاسب الاقتصادية التي ستجنيها الدول الأوروبية في حال إعادة اليهود إلى فلسطين، داعياً أوروبا كلّها لانتزاع فلسطين من الإمبراطورية العثمانية ومنحها لليهود.. ويشير المؤرخ الصهيوني «ناحوم سوكولوف» إلى أنّ الحكومة الفرنسية نشرت رسالة بدون توقيع تحت عنوان «رسالة يهودي إلى إخوته» ظهرت مطبوعة في فرنسا وانكلترا تتضّمن خططاً لبعث اليهود كأمّة. وقد تحدّثت هذه الرسالة عن حدود للدولة اليهوديّة المقترحة بعبارات تجارية أكثر منها توراتية».

إثر سيطرة محمد علي باشا على سورية أخذت فكرة توطين اليهود في فلسطين طابعاً عمليّاً متزايدا من قبل بريطانيا. وقد قام اللورد «شافتسبري» السياسي البريطاني الكبير بتقديم مشروعه لاستيطان اليهود في فلسطين تحت الحماية الأوروبية إلى اللورد «بالمرستون» وزير الخارجية البريطانية. وتابع تقديم مشاريعه وطروحاته بهذا الخصوص حتى تمّ تعيين قنصل بريطاني في القدس. ثم كتب عام 1876 دراسة توضح أهمية استيطان فلسطين والدور الذي يمكن أن يلعبه اليهود في التجارة العالمية. مؤكداً على ضرورة تنمية القومية اليهودية واستخدامها كقوّة تحويلية في تلك البلاد القديمة».

ثم أشار اللورد شافتسبري أنّ قومية اليهود موجودة وقد كانت موجودة لمدة /3000/ ثلاثة آلاف عام ولكن الإطار الخارجي وهو الرابطة المتوّجة له ما زالت ناقصة. وأكدّ أنّ الأمّة بحاجة إلى بلاد، الأرض القديمة، والشعب القديم، وهذا ليس تجربة اصطناعية إنّها حقيقة، إنّها التاريخ.

عام 1845 وضع الكولونيل «جورج غاولر» حاكم أستراليا الجنوبية مشروعاً لاستعمار فلسطين مشيراً إلىَ مصالح بريطانيا في الصهيونية حيث يقول: «لقد وضع القدر سوريا ومصر في طريق بريطانيا إلى أهم مناطق تجارتها مع البلدان المستعمرة «الهند والصين والأرخبيل الهندي وأستراليا» وقدّر لبريطانيا أن تمارس نشاطاً كبيراً في تهيئة الظروف الملائمة في هاتين المقاطعتين. ويتعين على بريطانية أن تجدّد سورية بواسطة الشعب الوحيد القادر على تنفيذ هذه الرسالة والذي يمكن استخدام طاقته دوماً وبصورة فعّالة، أعني أبناء هذه الأراضي الحقيقيين، بني إسرائيل».

مع بدايات العقد الخامس من القرن التاسع عشر تحوّلت الدعوة إلى توطين اليهود في فلسطين إلى سياسة رسمية يجري البحث عن وسائل

تنفيذها، كما روجت الصحافة البريطانية في تلك الفترة لهذه الدعوة فظهرت مقالات عديدة في صحيفة «التايمز» وصحيفة «جلوب» تحثُّ على تنفيذ مشروع توطين اليهود في فلسطين ثمّ نشطت في تلك الفترة الإرساليات والجمعيات البريطانية العاملة لتحقيق هذا الغرض فتأسّس في لندن (صندوق اكتشاف فلسطين) بهدف تمويل دراسات وأبحاث عن فلسطين كما قام السير «جين هنري دونانت» مؤسس الصليب الأحمر الدولي بتأسيس (جمعية استعمار فلسطين) ولعب «دونانت» دوراً أساسيّاً في تأسيس وتمويل (جمعية أحباء صهيون) التي نشطت بين يهود أوروبا الشرقية ونظّمت منهم أول هجرة صهيونية إلى فلسطين عام 1881.

عام 1870 تأسّست أيضاً في بريطانيا (جمعية الآثار التوراتية) وكان من أهدافها «البحث عن الآثار والتسلسل الزمني والتاريخ القديم والحديث لبلاد آشور والجزيرة العربية ومصر وفلسطين. وغيرها من المناطق التوراتية كما تراها.

ثم تأسست جمعيات أخرى في فرنسا وألمانيا مثل (المدرسة الفرنسية للدراسات التوراتية والأثرية) التي تأسست في فرنسا 1890. أمّا في ألمانيا فكانت (الجمعية الألمانية للدراسات الشرقية) التي تأسست في سنة 1897 وأيضاً (الجمعية الألمانية للأبحاث الفلسطينية) التي تأسّست في سنة 1877. وغيرها من الجمعيات الأخرى التي كان هدفها بشكل عام بعث التوجه اليهودي نحو فلسطين ودفعهم عمليّاً باتجاه استيطانها.

حتى العقد الثامن من القرن التاسع عشر لم يكن ثمّة تنظيمات يهودية ذات طابع صهيوني والتنظيمات السّابقة على ذلك كانت ذات منشأ ودعم حكومي (فرنسي، بريطاني، ألماني). وغير يهودية في أغلب الأحيان. نظراً

لأنّ اليهود أحجموا عن الاستيطان في فلسطين وامتنعوا عن الهجرة إليها. فقد كان سيرهم نحو اندماجهم في المجتمعات التي يعيشون فيها يخطو خطوات سريعة. والمهاجرون منهم كانوا يفضّلون الولايات المتحدة على الرغم من أنّ فلسطين كانتْ مفتوحة أمامهم، فكانت أمريكا بالنسبة إليهم هي أرض الميعاد. لهذا كانت المذابح المنّظمة والشّاملة ضدّ اليهود ضرورية لقطع الطريق عليهم وتحويل هجرتهم إلى فلسطين. مذابح 1881 في أرجاء الإمبراطورية الرّوسية لدفع اليهود إلى الانخراط في صفوف الصهيونية. وبدأت الجمعيات الصهيونية منذ ذلك التاريخ تتشكّل بين أوساط اليهود في المدن الرّوسية المختلفة وتحديداً بين الفقراء والمعوزين والمضّطرين والمضطهدين الذين يبحثون عن مكانٍ يهاجرون إليه هرباً من معاناتهم وهو ما أشار إليه «تيودور هرتزل» في كتابه المشهور (الدولة اليهودية): «سيذهب أولاً أولئك الذين في حالة يأس ومن ثمّ يتبعهم الفقراء».

على الرغم من هذه المحاولات الصهيونية المكثّفة فقد فضّل هؤلاء اليهود في روسيا وشرق أوروبا الهجرة إلى الولايات المتحدة بدلاً من فلسطين حيث وصل منهم ثلاثة ملايين يهودي إلى الولايات المتحدة. والذين فرضت عليهم الهجرة إلى فلسطين (وقد بلغ عددهم مع بداية الحرب العالمية الأولى /85/خمسة وثمانين ألفاً في فلسطين) هاجروا ثانية إلى الولايات المتحدة تاركين وراءهم كل مزاعم الصهيونية».

وفيما بين عامي 1919–1923 لم يأت إلى فلسطين سوى /35/ ألف يهودي من أصل مليون وأربعمئة ألف يهودي روسي. وبين عامي 1924–1931وصل إلى فلسطين /82/ألف يهودي من بولونيا التي كانت تجتاز أزمة حادّة في تلك الفترة وتطبق على اليهود قيوداً كثيرة. وفي الأساس كانت

الولايات المتحدة وجهةُ هؤلاء إلاّ أنّ تلك الدولة أصدرت في تلك الفترة تشريعات وضعتْ حدّاً لقدوم المزيد من المهاجرين من شرق أوروبا. مما أغلق الباب في وجوههم وأرغمهم على التوجه إلى فلسطين.

لقد شاركتْ الصهيونية مشاركة فعّالة في تدبير المؤامرات ضدّ اليهود لدفعهم إلى الهجرة نحو فلسطين، وخير مثال على ذلك اليهود العرب الذين تمّ تهجيرهم بمؤامرة صهيونية اشترك فيها بعض الحكام العرب، كيهود المغرب والعراق واليمن مع الإشارة إلى أنّ هؤلاء حين كان الخيار متروكاً لهم اختاروا طريقاً غير فلسطين، كما حدث ليهود الجزائر، فقد كان عددهم /130/ ألفاً، هاجر منهم إلى فرنسا /125/ ألفاً ولم يذهب إلى الكيان الصهيوني سوى خمسة آلاف فقط.

في الواقع لم تظهر النزعات الصهيونية العملية بين اليهود أنفسهم إلاّ أواخر القرن التاسع عشر، أي بعد قرنين ونصف من المحاولات الغربية الاستعمارية المستمرة والتي شارك فيها بعض الأثرياء اليهود من ذوي المصلحة في تسييس اليهود وصهينتهم من أمثال (مونتغيوري، وهيرش، وروتشليد) وغيرهم.

من المفيد الإشارة أيضاً إلى أنّ الدول الأوروبية الغربية إضافة لرغبتها في خلق كيان مفتعل في فلسطين يكون اليهود مادته الرئيسية، كانت تسعى لإفراغ أوروبا الغربية من اليهود، وتحديداً يهود الشرق الذين بدأوا يهاجرون من شرق أوروبا إلى غربها.

لقد ساءَ يهود الغرب شبه المندمجين بمجتمعاتهم رؤية هذه الجحافل المهاجرة بلحاها الطويلة وأرديتها الغريبة وعاداتها المتخلفة ولغتها اليديشيَّة

وكان لا بدّ من العمل على وضع حدّ يضمن لهم الاستفادة من هذه الجحافل بعيداً عن أوروبا الغربية. فيهود شرق أوروبا كانوا مؤهلين لتقبل أفكار الدولة اليهودية وأرض الميعاد والأماكن المقدّسة أكثر من الغربيين وكانوا أكثر معاناة منهم أيضاً فاستغلت الدول الغربية هذه الظروف ووجدت في هذه الكتل البشرية جيشاً مؤهلاً ليكونَ قاعدة في الشرق هذا من جهة، ومن جهة ثانية، رأت ضرورة التخلّص من هذه العناصر المتخلفة والفقيرة وإبعادها عن أيّة مشاريع اندماجية، خاصّة وأنّ يهود الغرب قد خطوا خطوات سريعة في طريق الاندماج، وباتت أفكار التخلّي عن القوقعة والانعزال قاب قوسين أو أدنى. فمنذ أوائل القرن الثامن عشر وحتى أوائل القرن التاسع عشر أخذ وضع اليهود في معظم أوروبا الغربية بالتحسّن والاستقرار حيث بدأت كثير من الدول الغربية تصدر التشريعات المختلفة التي أدّت إلى عتق اليهود ومساواتهم بسائر المواطنين، ثم شهدت هذه المرحلة بدايات حركة استنارة بين اليهود كانت تهدف إلى دمجهم في مجتمعاتهم عن طريق تخلّيهم عن رؤيتهم الغيتويَّة الضيّقة.

من الواضح أنّ الحركة الصهيونية جاءتْ كثمرة من ثمار الفكر الاستعماري الغربي وتعبيراً عن حاجة من حاجاته. فقد أرادت الإمبريالية تجمعاً بشريّاً يشكّل حاجزاً وجيشاً تستخدمه في استراتيجيتها تجاه الوطن العربي، وكانت الصهيونية جهازها العملي والموضوعي، وكان اليهود هم الأدوات العاملةلهذا المشروع. وقبل ظهور المفكرين الصهاينة اليهود كانت الصياغات الأساسية لمشروع الاستيطان والتهجير جاهزة تماماً.

فخلال هذا العمل المتواصل من قبل القادة الأوروبيين الغربيين تمكّنوا من استقطاب عددٍ من اليهود الأثرياء المستفيدين من حركة الاستيطان

والتوسع وهؤلاء أخذوا يتبنّون المقولات والممارسات التوسعية الأوروبية وبلورتها في اتجاه برنامج عمل شامل لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، والأصح لإقامة قاعدة متقدّمة للغرب الإمبريالي الاستعماري تمزّق وحدة العرب والإسلام. وهكذا انتقلت الفكرة من التربة الأوروبية غير اليهودية (صهيونية الأغيار) إلى التربة اليهودية. وأخذ هؤلاء المنتفعون من المشروع الصهيوني في تحريك مشاعر اليهود وحثّهم على العمل من أجل العودة إلى فلسطين بالترغيب والترهيب منذ أوائل الثمانينيات من القرن التاسع عشر حيث تأسّست حركة (أحباء صهيون) في روسيا وبولونيا ورومانيا من أجل تمويل تهجير اليهود إلى فلسطين ومساعدة الذين هاجروا منهم على الاستيطان هناك، ثم امتدتّ إلى أوروبا الغربية وخاصة بريطانية.

خلال التحرك الصهيوني الغربي المكثّف للاستفادة من اليهود في تحقيق الأهداف التوسعية والاستغلالية لعب الأثرياء اليهود المستفيدون والمتأثرون بالأفكار الاستعمارية الأوروبية دوراً هامّاً في التحضير لبلورة الحركة الصهيونية، ونقلها من مجرد أفكار وطروحات إلى حركة منظمة سياسية يقودها الأثرياء والحاخامون اليهود، المتشبعون بالأفكار التوسعية والنفعيّة، وهذا ما كان صهاينة الغرب يرغبون به.

كان هناك رواد يهود بحثوا قضية العودة وتحدّثوا عن الدولة اليهودية ودعوا إلى إحياء أرض إسرائيل. وهؤلاء الرّواد كانوا متأثرين بالأفكار الاستعمارية، ومصلحتهم تقتضي العمل على الاستفادة من العناصر اليهودية المنتشرة في أكثر بلدان العالم، وتحديداً يهود شرق أوروبا الذين كانوا في وضع اقتصادي سيئ. حيث كانوا يتعرضون لعمليات الاضطهاد السياسي والتضييق الاقتصادي.

يُعتبر البريطاني اليهودي الثّري (موسى مونتغيوري) أول مَن أبدى اهتماماً ملموساً في فلسطين، حيث زارها سبع مرات في الفترة مابين 1827--1875 قدّم مساعدات مالية، وبنى مدارس وعيادات واستأجر أراضيَ زراعية ليعمل فيها اليهود، وبنى مساكن شعبية سنة 1859 خارج أسوار مدينة القدس. وبحلول سنة 1892 أنشأ أيضاً /8/ ضواحي أخرى.

وأنشأ الأثرياء اليهود الفرنسيون سنة 1860 (الاتحاد اليهودي العالمي) الذي ساهم في مجال الاستعمار الزراعي، حيث أسّس سنة 1870 أوّل مدرسة زراعية يهودية في فلسطين باسم (مكفيه يسرائيل). أي (رجاء إسرائيل). وذلك على مساحة قدرها (2600دونم) تابعة لقرية (يازور). بالقرب من يافا، وقام بتمويل المشروع البارون «روتشليد» والبارون «هيرش».

وكان من أوائل اليهود الذين نادوا بإقامة دولة يهودية في فلسطين الحاخام (يهودا القلعي) 1798-1878، حيث نشر كتاباً دعا فيه اليهود إلى بذل نشاط خاص لإعادتهم إلى فلسطين وإحياء لغتهم المقدّسة. وقد اعتبر عودة اليهود الجماعية بداية الخلاص الذي وعد به جميع الأنبياء، وأشار إلى أنّ المسيح سيظهر بين المهاجرين الرّواد.

وأصدر اليهودي الصهيوني (تشفي هيرش كاليشر) 1795-1874كتاباً بعنوان: «البحث عن صهيون «بالعبرية سنة 1862. أكدّ فيه أنّ الخلاص لا يحتاج إلى مجيء المسيح، ودعا إلى عقد مؤتمر للأثرياء اليهود بهدف تأسيس جمعية لاستيطان أرض إسرائيل، تقوم بعملية تمويل الاستيطان اليهودي لفلسطين. ودعا الفقراء اليهود للمبادرة إلى استيطان فلسطين، وقد ساهم كاليشر في تأسيس جمعية استيطانية يهودية في فرانكفورت وأُخرى في برلين 1864(جمعية استعمار أرض إسرائيل).

كما أصدر اليهودي (موسى هس) سنة 1862 كتاباً باللغة الألمانية أسماه «بعث إسرائيل» دعا فيه إلى قومية يهودية لتحرير القدس وعودة اليهود إلى وطنهم القديم، وإقامة المستوطنات في فلسطين تمهيداً لإقامة الدولة اليهودية في فلسطين تحت الحماية الفرنسية. وفي هذا يقول: «إنّ الأمم المسيحية لن تعارض إطلاقاً إنشاء وطن لليهود في فلسطين، طالما أنّ ذلك يضمن لها التخلص من شعب غريبٍ شاذ يسبب لها المشاكل الكثيرة. إنّ من مصلحة فرنسا أن يستوطن الطريق التجاري المؤدي إلى الهند والصين شعب موالٍ تماماً لمصالحها الاقتصادية والحضارية، وستكون فرنسا صديقتنا المخلصة التي ستعيد لشعبنا مكانته في تاريخ العالم.

ثم صدر كتاب لليهودي الصهيوني (ليوبنسكر) سنة 1882 بعنوان «التحرر الذاتي» دعا فيه إلى إقامة الأدوات التنفيذية المباشرة لبناء الوطن القومي لليهود. مع الإشارة إلى أنّ ليوبنسكر كان في بداية حياته من أنصار الاندماج في المجتمعات الأوروبية. ولكن بعد زيارة قام بها إلى لندن تنكر لفكرة الاندماج تلبية لرغبة البرجوازية اليهودية في دول أوروبا الغربية، وقد انتخب بنسكر سنة 1884 رئيساً لحركة «أحباء صهيون».

ومن بين الرّواد الأوائل أيضاً اليهودي (بيريز سمولينسكين) 1843-1885 الذي كرّس جهده للدعوة إلى بعث القومية اليهودية، فكتب مقالات متعددة تشير إلى ضرورة عودة اليهود إلى وطنهم القديم وحلّ المسألة اليهودية، داعياً إلى بعث القومية اليهودية في أرض الشتات بإقامة منظمة يهودية عالمية وتوسيع قاعدة الثقافية اليهودية للأبناء على أمل الخلاص لليهود. واعتبر بيريز دعوة الاندماج انحرافاً وخيانة للتراث اليهودي، مؤكداً علىأنّه بدون العبرية لا وجود للتوراة وبدون التوراة لا وجود لشعب إسرائيل، ولقد

انضمّ إلى حركة أحباء صهيون.

وظهر أيضاً في هذه المرحلة اليهودي «موشيه ليلينلوم» 1843-1910، الذي دعا إلى هجرة اليهود الروس إلى فلسطين لإقامة المستوطنات فيها تمهيداً لإقامة دولة يهودية. وفي عام 1884. جمع مقالاته وأعاد طباعتها ونشرها في كرّاس دعا فيه إلى بعث الشعب اليهودي في أرض أجداده المقدّسة، وقد انضم إلى حركة أحباء صهيون وأصبح عضواً في لجنتها التنفيذية ونشط في دعم وتطوير مستوطناتها في فلسطين.

كما كان من هؤلاء الرّواد «أليعازر بن يهودا» 1858-1922 وهو يهودي روسي تبنى الحلّ القومي للمسألة اليهودية بإعلانه أنّ اليهود ظلّوا يشكّلون وحدة قومية متكاملة بفضل ديانتهم وعزلتهم، ودعا إلى إنشاء جمعية استيطان يهودية لشراء أرض فلسطين لتوطين اليهود فيها.

نتيجة لهذا النشاط الفعّال الذي مارسه هؤلاء الرّواد اليهود من خلال كتاباتهم الكثيرة وجولاتهم المستمرة التي تستهدف الحثّ على العودة إلى فلسطين والتمسك بالعزلة، وضرورة بعث القومية اليهودية، ظهر عدد من المفكرين اليهود الجدد، رفدوا التّيار الأقدم ونشطوا في إبراز الجوانب النفعية لمشروع العودة والاستيطان، وقد أخذوا على عاتقهم مهمة السعي المستمر لزرع الأفكار الصهيونية في عقول العناصر اليهودية ودفعها إلى الانخراط في الحركة الصهيونية السياسية التي عقدتْ مؤتمرها الأول سنة 1897في مدينة بازل بسويسرا. فكان (آحاد هاعام) 1856-1927من أبرز هؤلاء الجدد، وهو يهودي روسي ومن أهم مفكري الصهيونية الثقافية الروحية، وقد دعا اليهود أن يعودوا إلى طبيعتهم السابقة. وإنجاز هذا الهدف بعودة اليهود مرّة أخرى كشعب عضوي باعتبار أنّهم كانوا كذلك عبر تاريخهم

ويؤكد آحاد هاعام أنّ العقيدة اليهودية هي التي خلقتْ الإطار الفكري والرمزي الذي جعل بوسع اليهود أن يحتفظوا بوحدتهم العضوية وتماسكهم الإثني عبر القرون. ويرى أن اليهودية دين يؤكد أهمية العقل والجماعة، والدين عنده ليس سوى شكل من أشكال التعبير عن الرّوح القومية الأزلية.

وقد اقترح آحاد هاعام إنشاء مركز ثقافي في فلسطين تستطيع الهّوية اليهودية أن تنمو وتستمر من خلاله، وسيصبح هذا المركز بمرور الزّمن مركزاً للأمّة تستطيع روحها أن تظهر فيه، وتتطور من خلاله لتصل إلى أعلى درجات الكمال التي بوسعها الوصول إليها، وستشع من هذا المركز الرّوح القومية اليهودية (العضوية) على أعضاء الأقليات في العالم، فتبعث فيهم حياة جديدة تقوّي وعيهم القومي وتوطّد أواصر الوحدة بينهم».

كما صاغ آحاد هاعام دعوته الصهيونية في مقالته «طريق الحياة» التي استعرض فيها ظروف اليهود في العصر الحديث، واستخلص منها أنّ الموت والاندثار أصبحا يهدّدان الشعب اليهودي بالذوبان التام في المجتمع المعاصر، وبمحاذاة هذا الطريق هناك طريق ثانٍ هو طريق الحياة الذي يضمن لليهود البقاء عبر بناء بيت جديد في أرضهم القديمة تركّز فيه كل الطاقات الرّوحية والمادّية لإعادة بعث هذا الشعب».

أمّا المؤسّس الحقيقي للصهيونية اليهودية السياسية فهو (تيودور هرتزل) 1860-1904، الذي كان منهجه يكمن في توظيف اليهود لحلّ مشاكل الغرب والنظر إلى المسألة اليهودية كمشكلة سياسية دولية (غربية) تجتمع كل الأمم المتحضّرة أي الغربية لمناقشتها وإيجاد حلّ لها، والحلّ هو ببساطة «الخروج» كالخروج من مصر. لكن هذه المرّة سيتم بمراقبة الرأي العام الغربي وبمعاونة صادقة من الحكومات المعنية».

لقد دعا هرتزل إلى هجرة يهودية علنية بمساعدة دولة أوروبية كبرى معتمداً على فقراء اليهود الذين يشكلون قوة عاملة رخيصة، مشجعاً البرجوازية اليهودية على الهجرة، لأنّها ستجد في الوطن الجديد مجالاً لممارسة حرّيتها بعيدة عن منافسة البرجوازية الأوروبية».

ويعتبر كتاب هرتزل «دولة اليهود» الذي صدر سنة 1896 ذا أثرٍ كبير في تشكّل الحركة الصهيونية الحديثة وتطورها وقبل أن ينشر كتابه قام بنشاط فعّال التقى خلاله شخصيات يهودية ثريّة بحث معها مشروع الدولة اليهودية، مثل المليونير الشهير البارون (هيرش) كما التقى مع عدد من القادة البريطانيين الصهيونيين في لندن سنة 1895، منهم (صموئيل منونتامو) الثري اليهودي والنائب في مجلس العموم عن حزب الأحرار، ودوّن إثر لقائه معه بعض الأفكار المتعلّقة بفلسطين الكبرى بدل القديمة. وحاول مراراً الاتصال بالسلطان العثماني لحثّه على منح اليهود فلسطين وفي هذا قال: «إذا منحنا جلالة السلطان العثماني فلسطين يمكننا بالمقابل تنظيم مالية تركيا بأكملها، وسنشكّل هناك جزءاً من متراس أوروبا باتجاه آسيا وقاعدة أمامية للمدنية ضدّ البربرية. وسنظل كدولة محايدة على اتصال مع أوروبا كلّها التي يتعيّن عليها أن تضمن وجودنا».

لقد قاد هرتزل المنظمة الصهيونية باتجاه نوعين رئيسيين من النشاط «بناء المؤسسات الصهيونية المختلفة الضرورية لوضع الأفكار الصهيونية التوسعية موضع الممارسة» و«إجراء الاتصالات مع كبار المسئولين في الإمبراطوريات القائمة بهدف الحصول من إحداها على الدعم الكامل لمشروع استعمار واستيطان فلسطين وإقامة الدولة اليهودية».

نتيجة لهذه الجهود المكثفة التي قام بها هرتزل، تمّ عقد المؤتمر

الصهيوني الأول في مدينة بازل بسويسرا سنة 1897. وقد حدّد المؤتمر هدف الصهيونية الأساسي وهو: «إقامة وطن لليهود في أرض إسرائيل معترفاً به وفقاً للقانون العام وذلك عن طريق إجراءات أولها «تطوير أرض إسرائيل بشكل منظّم بواسطة توطينها باليهود المزارعين والحرفيين والمهنيين». كما قرّر المؤتمر إنشاء المنظمة الصهونية العالمية، وأقرّ لوائحها التنظيمية وانتخب هرتزل رئيساً لها وللجنتها التنفيذية.

لقد انخرط في الحركة الصهيونية تيارات صهيونية متعدّدة، دون أنّ يكون لهذا التعدّد أيّ تأثير على الأهداف الجوهرية المتمثلة بإنشاء الدولة اليهودية، العميلة الموالية للغرب. فكلّها كانت تسعى لحلّ المسألة اليهودية ولو على حساب اليهود أنفسهم، وجميعها كانت استجابة للممارسات الاستعمارية الغربية، وكان التّيار الديني أشدّ التّيارات رغبة في تغليف الأطماع التوسعية بالنّصوص التوراتية والتفسيرات المعطاة لهذه النصوص. وقد عبر عن وجهة نظر التّيار الديني داخل الحركة الصهيونية الحاخام (صموئيل هليل إيزاكس) 1825-1917الذي كتب عن الحدود الصحيحة للأرض المقدّسة، وعن وجود دلائل تبشّرُ بإقتراب رجوع جزئي لليهود إلى الأرض المقدّسة في مستقبل قريب منها: «نشوء الحكم الدستوري -الاهتمام المتزايد بالأرض المقدّسة- ازدياد خطورة المسألة اليهودية -تعاظم الحركة الصهيونية». أمّا أرض الميعاد فيحدّدها بالاعتماد على سفر العدد الإصحاح الرابع والعشرون -الآيات من /1-12/ باعتبار تلك الحدود منحة أعطاها الرّبّ ميراثاً لليهود.

وكانت هناك تيارات واتجاهات تدعو إلى التركيز على فلسطين الكبرى أو فلسطين والبلدان المجاورة. وكان يمثل هذا التّيار (ديفيز تريتش) 1870-1935 الذي عالج هذا الموضوع مع هرتزل، ليُصار إلى تضمين برنامج بازل

عبارة (فلسطين الكبرى، أو فلسطين والبلدان المجاورة لها).

كما ظهرت تيارات أخرى متعددة منها التّيار الإقليمي الذي كان يتزعمّه (إسرائيل زانغويل) 1864-1929 وكانت أهدافه استيطانية استعمارية شأنه شأن كلّ التّيارات الصهيونية.

واعتباراً من المؤتمر الصهيوني الثامن 1907 تبلور نوع من الفكر الهجين الصهيوني يجمع بين التّيارات المختلفة لخدمة المشروع الصهيوني حيث أطلق شعار (الصهيونية المركّبة) الذي أطلقه (حاييم وايزمن) الذي تزعم المنظمة الصهيونية بعد الحرب العالمية الأولى وأقام حلفاً مع بريطانيا لإقامة ما اعتبره (ونستون تشرشل) دولة عازلة من النمط الأوروبي في فلسطين من أجل الحفاظ على الوجود البريطاني في الشرق الأوسط عامة ومنطقة قناة السوّيس خاصّة.

الصهيونية وتوظيف الدين اليهودي

يرد في الكتب والتعاليم الدينية اليهودية إشارات متعدّدة عن «أرض الميعاد وجبل صهيون، والأرض المقدّسة، والمسيح المنتظر الذي سيأتي في آخر الزّمان ويقود شعبه إلى أرضه، ويقيم مملكته ويحكم العالم إلخ».

إنّ كلمة (صهيون) لها وقعها الخاص وإيماءاتها الدينية، فهي تشير إلى جبل صهيون والقدس والأرض المقدّسة ككل، ويشير اليهود أنفسهم باعتبارهم بنت صهيون. كما تستخدم للإشارة إلى اليهود كجماعة دينية. والعودة إلى صهيون فكرة محورية في النسق الديني اليهودي، فالمسيح (المخلّص) سيأتي في آخر الزمان ليقود شعبه اليهود (حصراً) إلى صهيون.. ولكلمة صهيون أيضاً إيحاءات شعرية في الوجدان الديني اليهودي، وقد وردتْ إشارات كثيرة في التوراة إلى هذا الارتباط الذي يطلق عليه عادة (حبّ صهيون). وهو حبٌّ يعبّر عن نفسه خلال الصلاة والتجارب والطقوس الدينية المختلفة.

كما ترد أفكار عن الزرع المقدّس والاختيار والتفوق والعزلة والعدوان والتوجس من الأغيار وغيره مما ورد ذكره في فصل محتوى التعاليم الدينية اليهودية وكان اليهود في مناطقهم المعزولة (الغيتوات) يعيشون في جوّ مشبع بهذه التعاليم الضيّقة، وداخل الأحياء المعزولة هذه. يجدون كلّ أسباب التعلق بهذه التعاليم كالمعابد والمدارس الخاصة الدينية، والمقابر والطقوس والأزياء الخاصّة والشعور المزروع في عقولهم الباطنة بأنّهم الزّرع المقدّس

والشعب المختار وبأنّهم أحفاد إبراهيم وداود ويشوع وسليمان وغيرهم. وقد كان لحاخاماتهم الدور الأكبر في تكريس هذه المفاهيم الميتولوجية وتقوية الشعور بأنّ العزلة ركنٌ من أركان الديانة وبالتالي من أركان الإيمان.

لقد رأى زعماء الصهيونية ضرورة المزاوجة بين (الصهيونية-اليهودية) لخلق حافز ديني روحي يقف خلف النشاطات التي تقوم بها الحركة، ويساهم في دفع حركة الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ثم شعرت بحاجتها إلى توظيف الدّين اليهودي لمواجهة تيار الاندماج الناشط في أوساط يهود أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية الذين كانت ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية تختلف عن ظروف يهود أوروبا الشرقية الذين تعرّضوا لعمليات اضطهاد سياسي وعدم استقرار اجتماعي في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. ولهذا كان لا بدّ من تكريس مقولة «وحدة ونقاء الشعب اليهودي وعدم قابليته للذوبان والاندماج في الشعوب التي يعيش ضمنها، ومقولة أبدية العداء للسّاميّة «باستثمار المآسي التي تعرّض لها اليهود على يد القياصرة والحكام والعمل على إذكائها، بل وافتعالها لدفع اليهود للهجرة إلى فلسطين تنفيذاً للمخطط الاستعماري».

كان واضحاً لقيادة الحركة الصهيونية أنّ استمالة رجال الدّين يسهل على الحركة استخدام العامل الديني كوسيلة للترويج لأسطورة «الأمّة اليهودية» وإزالة الفوارق بين الصهيونية كحركة سياسية واليهودية كدين، وذلك لخلق رأي عام مؤيد لأهداف المشروع الصهيوني في أوساط الجاليات اليهودية في أوروبا وأمريكا تحت شعارات «العودة إلى صهيون وأرض الميعاد، والحقّ التاريخي والديني» في إنشاء «الدولة اليهودية في أرض (إسرائيل) التاريخية». لهذا عمدت القيادة الصهيونية إلى خلق حركة دينية صهيونية أسمتها حركة

(مزراحي) سنة 1902يقودها عدد من الحاخامين في روسيا. برئاسة الحاخام (يعقوب رينز) لغزو الحركات الدينية المعارضة للفكرة الصهيونية، والتسلل إلى صفوفها وصَرّفهَا عن توجهاتها ثمّ إحداث انقلاب داخلي يطوّعها للحركة الصهيونية وأهدافها، وفي نفس الوقت تحت دعوى الخشية من سيطرة التعليم العلماني والمفاهيم القومية العلمانية على الجانب الديني والرّوحي الأمر الذي سيؤدي إلى القضاء على الديانة اليهودية فقد كانت هناك تيارات دينية معارضة للصهيونية ترى بأنّ العودة إلى صهيون هي عودة روحية تتمّ بإرادة إلهّية، وإنّ أي جهدٍ بشريّ يُبذلُ لهذه الغاية هو ضربٌ من الإلحاد والمخالفة للإرادة الإلهية.

لقد طرحت حركة مزراحي الدينية الصهيونية أفكاراً مثل البعث القومي لشعب (إسرائيل)، والالتزام بالتوراة والتعليم الديني والتراث اليهودي» وكان شعار الحركة الأساسي «أرض (إسرائيل) لشعب (إسرائيل) وفق شريعة (إسرائيل)» وكانت المادة البشرية لها من يهود شرق أوروبا.

كان من مهمات حركة مزراحي الدينية «الحثّ على الالتزام بالتوراة وتنفيذ الوصايا، والعودة إلى أرض الآباء، ونشر الكتابات الدينية القومية، وتربية الناشئة بهذه الرّوح، وزرع المقولة الصهيونية التي تؤكدّ إمكانية الدمج بين اليهودية كدين تؤمن به جاليات يهودية من قوميات مختلفة. وبين الصهيونية كعقيدة سياسية. وتفريغ الإنسان من كلّ ما يربطه بوطنه الأصلي وقوميته وتهيئته للهجرة إلى فلسطين بعد تطويقه بأسس العزلة والحصار.

استطاعت هذه الحركة أن تنشئ لها /210/ فروع في روسيا وحدها. وفي عام 1905 عقد المؤتمر الدّولي لحركة (مزراحي) في «بوزني» بهنغارية تمّ فيه وضع البرنامج الداخلي للمنظمة وكانت أهم بنود البرنامج الذي أقرّه المؤتمر:

- إنّ مزراحي منظمّة صهيونية تقوم على برنامج بازل وتعمل لإعادة بعث (شعب إسرائيل). وهي تعتبر أنّ وجود الشعب اليهودي يعتمد على اتباع تعاليم التوراة وعلى إنجاز الوصايا والعودة إلى أرض الآباء.
- ستبقى مزراحي ضمن المنظمة الصهيونية العالمية، وستعمل من خلالها لتحقيق وجهات نظرها ورؤياها الخاصّة، وهي تنشئ منظمتها من أجل إدارة نشاطاتها الثقافية والدينية.
- ستكون وسيلة مزراحي للوصول إلى أهدافها شرح أفكارها في حلقاتها الدينية، وخلق ونشر أدب وطني ديني وتثقيف الشباب بروحيّته.

أنشأت حركة مزراحي عدّة فروع لها في فلسطين وبنت مدرسة «تحكموني» الدينية في يافا والتي أصبحت أهم مؤسسة ثقافية لمزراحي في فلسطين، كما أقامتْ العديد من المؤسسات الدّينية بواسطة فروعها المنتشرة في أكثر دول العالم، واعترفت الصهيونية بإشراف مزراحي على هذه المدارس ومسئوليتها عن تنظيم المدارس الدينية واختيار المدرسين الملائمين لها، وعن وضع مناهجها الخاصّة. وتمّ تأسيس دائرة مركزية للحركة في فلسطين من أجل تكثيف البرنامج العلمي لمزراحي، وخاصّة في مجال التعليم والثقافة وتنسيق ذلك العمل مع الجهود التي تبذلها الحركة في الخارج.

وبعد الحرب العالمية الأولى وصدور وعد بلفور، عاودتْ مزراحي نشاطها وبكثافة في أوروبا حيث شرعتْ في تهجير اليهود إلى فلسطين، كما قامتْ بتأسيس فروع جديدة لها مع حركات شبابية في العديد من الأقطار، وأقامت شبكة من المدارس الدينية في بولندا وليتوانيا ولتفيا. وفي تلك الفترة بدأت مزراحي تلعب دوراً متزايداً في أوساط «اليشوف» اليهودي في فلسطين وفي هياكله التشريعية والتنفيذية.

وتمّ سنة 1922 تنظيم وإنشاء «عمّال مزراحي» في فلسطين، وهو تنظيم عمّال أنشئ بعد أن حملت موجة الهجرة الثالثة مجموعة من شباب مزراحي من بولندا، والذين أنشأوا ما يسمّى بجماعة «توراة هعفورا» أي التوراة والعمل. وقد تطورتْ هذه المجموعة إلى منظّمة «هبوعيل مزراحي» أي عمّال مزراحي حيث افتتحتْ فروعاً لها في يافا والقدس وبتاح تكفا وريشون لتسبون وكان برنامجها على النحو التالي:

- تسعى هبوعيل مزراحي إلى بناء البلد في انسجام مع تعاليم التوراة ومع التقاليد الدينية من خلال العمل.
- تستهدف هبوعيل مزراحي أن ينشأ أعضاؤها على أُسس مادّية وروحية ثابتة من أجل تطوير العاطفة الدينية عند العمال، وتمكينهم من العيش كعمّال متدّينين.

هاتان المنظمتان «مزراحي و هبوعيل مزراحي» اتحدتا أخيراً ونتج عنهما «الحزب الوطني الديني» «همفدال» عام 1956. وقد سعى هذا الحزب ومنذ السنواتِ الأولى لقيام الكيان الصهيوني إلى فرض سيطرته على الحَياة الاجتماعية في الكيان. حيث مارس كل الضغوط من أجل الهيمنة الكاملة على الشؤون الدينية، وطالب باستمرار الإشراف على قضايا «السبت والأعياد الدينية، وربط قضايا الإرث والطلاق باستمرار والزواج والحلال والحرام بالقوانين الدينية». وأيضاً ربط مختلِف جوانب الحياة اليهودية بهذه القوانين، وقد أعطت سيطرة هذا الحزب على المؤسسات التربوية الدينية ونشاطاته الاستيطانية والاقتصادية المتنوعة له قوة ونفوذاً سياسيين جعلا الأحزاب الحاكمة في الكيان تحرص باستمرار على استرضائه وإشراكه في الحكم.

وحزب المفدال هذا، يؤكد باستمرار على ضرورة استناد التشريع

الصهيوني إلى قانون «التوراة» وإلى «التراث اليهودي» ويرى في الحاخام الرئيسي أعلى سلطة في الدولة. وهذا الحزب أفرز العديد من الكتل والحركات الفاشية مثل «غوش أمونيم» وكاخ، وهتحيا» وغيرها. التي تمارس الأعمال العدائية ضدّ السكان العرب وتدافع عن سياسة القبضة الحديدية، وتدعو باستمرار إلى استخدام القوّة في التعامل مع الدول العربية وإلى التمسّك بالأراضي المحتلّة باعتبارها أجزاء مقدّسة من أرض الكيان الصهيوني.

في المؤتمر الثالث لحزب «المفدال» الذي انعقد عام 1968 أي بعد عام واحد على احتلال الضّفة الغربية وقطّاع غزة وسيناء والجولان كانت أبرز المقرّرات السياسية هي: «إنّ الحزب الوطني الديني يُقيّم الإنجازات السياسية والأمنية التي حقّقها الجيل الحالي في أرض (إسرائيل) كبداية على طريق تحقيق الإرادة الإلهية ومن أجل التحرير الكامل للشعب اليهودي في أرض أجداده».

وفي المؤتمر الخامس الذي انعقد في أيار 1978 طالب هذا الحزب حكومة بيغن بتنفيذ مشروع استيطاني واسع الأبعاد في جميع أرجاء أرض الكيان بما في ذلك «الضفة الغربية، والجولان، وقطاع غزّة» كما طالب بتحويل المستوطنات المؤقتة القائمة في الضّفة الغربية والجولان إلى مستوطنات دائمة.

إلى جانب حركة مزراحي الدينية الصهيونية كانت هناك حركة دينية أُخرى أكثر تطرفاً وتشدّداً تدعى «أغودات يسرائيل» التي تأسّست عام 1912 في «كاتوتيز» في سيليسيا العليا، وكان برنامجها «توحيد (شعب إسرائيل) حسب تعاليم التوراة بجميع مظاهر الحياة، الاقتصادية والسياسية والرّوحية».. ثمّ بدأتْ هذه الحركة تتوسع في نشاطها منذ مطلع العشرينيات، حيث انبثق عنها سنة 1922 حركة عمّالية في بولونيا دعيتْ «عمال أغودات

يسرائيل» بهدف الحدّ من ميل العمال اليهود نحو الأفكار العلمية والاشتراكية. وفي عام 1937 برز التحوّل الجذري في مواقف هذه الحركة باتجاه الإنسجام مع أهداف ومبادئ المنظمّة الصهيونية العالمية، فتحولت كليّاً من حركة توراتية مناوئة للصهيونية إلى حركة دينية مؤيدة للصهيونية، ومنسجمة مع أهدافها، وغدتْ حركة عنصرية متزمتة تلعب كغيرها من الحركات الدينية دوراً خطيراً في تربية الناشئة داخل الكيان الصهيوني على روح الكراهية والعنصرية ضد السكان العرب.

عند قيام الكيان الصهيوني عام 1948 تحوّلت حركة «أغودات يسرائيل» والفرع العمالي، إلى حزب سياسي صار يشارك في المجالس البلدية والمحلية ويسعى لفرض الشريعة التوراتية على الحياة العامّة في الكيان الصهيوني، وكانت معركته الأساسية في مجال التعليم، وقد استمرّ هذا الحزب يخوض الانتخابات ضمن الجبهة التوراتية حتى عام 1960 حيث انفصل عنه الفرع العمالي الذي أخذ يشارك في الحكومة الصهيونية.

لقد ظهرت حركات دينية متطرفة كثيرة بعد قيام الكيان الصهيوني، انشقتْ عن الأحزاب الدينية، وهذه الحركات تلقى الدعم الكامل من الحركة الصهيونية نظراً لأنّها تتحرك ضمن إطار أهدافها ومشاريعها العدوانية والتوسعية. فعن حزب «المفدال» انشقّتْ عام 1981 حركة «تامي» أي «تقاليد (إسرائيل)» وقد حصلت هذه الحركة على امتيازات في حكومة بيغن، التي تشكّلتْ بأغلبية بسيطة وبدعم الأحزاب الدينية، وقد احتلّ زعيمها أهرون أبو حصيرة منصب وزير الأديان، كما احتلّ الرّجل الثاني فيها (أهرون أوزان) منصب نائب وزير الاستيعاب.

ثمّ ظهرت حركة جديدة عام 1984 تدعى «شاش» وقف على رأسها

حاخامون منشقّون عن حزب «أغودات يسرائيل» وقد حصلتْ هذه الحركة على أربعة مقاعد في الكنيست أثناء انتخابات 1984. وخلال فترة تشكيل الحكومة الصهيونية حصلت على حقيبة وزارة الداخلية بشخص الحاخام (يتسحاق بيرتش).

وخلال المعركة الانتخابية عام 1984 ظهرت حركة «موراشاه» أي «حرّاس التوراة» من تجّمع حركات دينية منشقة تجمعها صفة التّطرف والتشدّد الديني منها: «حركة متسادا» المنشقة عن حزب المفدال، وحركة «أوروت» التي يقودها (حنان بن بورت).

لقد نجحتْ الصهيونية في توظيف الدين اليهودي لصالح أهدافها ومشاريعها التوسعية والتسلّطية، بعد أن لمستْ تأثير التربية الدينية على عقلية النشء اليهودي. فاستغلتْ التعاليم التوراتية التي تشير إلى صهيون، والأرض المقدّسة، وهيكل الرّب وغيره.. وطرحتْ نفسها كحلٍّ بديل لما يسمّى بالمسألة اليهودية. فرفضت فكرة الاندماج بالشعوب رغم موافقتها على الخروج من قوقعة الغيتو، ورفعتْ فكرة الغيتو الدّولي الكبير في فلسطين العربية الذي يحقّق لها مصالحها الدائمة في استغلال خيرات الوطن العربي ومنع أيّة محاولة وحدوية إسلامية من شأنها الوقوف في وجه أطماعها التوسعية والاستعمارية..

الجذور التوراتية للصهيونية

١- النزعة العدوانية

إنّ روايات الثأر والانتقام والاعتداء والقتل تطغى على كلّ ما يرد في النصوص التوراتية والتلمودية المتداولة حالياً، وهي لاتخلو من الغدر والخيانة والحضّ على الاستعلاء والعدوان والتسّلط والعزلة وضرورة التوجس من الأغيار والتّرفع عنهم، وهو ما اتخذته الصهيونية منهجاً رئيسيّاً وأعادت تشكيله بما يتّفق والواقع الراهن.

هذه الروايات التوراتية تنسب تلك الروح العدوانية إلى «يهوه» الإله المسمى «ربّ الجنود»، فهي تؤكد على مشاركته في كلّ عدوان، فتغدو الحرب حربه والثأر ثأره والانتقام انتقامه حتى على شعبه المقدّس إن تردّد في تنفيذ مخّططاته العدوانية أو استنكر.

نستشّف من هذه الروايات أن ليس هناك سبب منطقي لهذه الروح العدوانية إلاّ الروح العدوانية نفسها ورغبة يهوه أن تعرفه الشعوب والأمم على أنّه القادر القوي المتميز الحامي لشعبه المقدس.

وحسب الرواية التوراتية نجد أنّ الإله اليهودي ومنذ بدء الخليقة ميز بين الإنسان وأخيه الإنسان، فخلق من هذا التمييز ذلك الحقد المشبع بالعدوان والانتقام، فنقرأ أنّه تقبل قربان هابيل ولم يتقبل قربان أخيه قابيل، فاغتاظ الأخير وحقد على أخيه وقتله وكانت النتيجة أن لعنه الإله يهوه إلى الأبد.

ثم جاءت لعنة نوح الناطق باسم يهوه لحفيده كنعان بن حام وبعد ليلة

سكر وتعرٍّ، بداية لطوفان جديد لايزال مستمرّاً، تمثّل في تقسيم العائلة البشرية بين سادة وعبيد، فأرسى هذا التقسيم العداء الأبدي، وولّد لدى اليهود نزعة الاستعلاء والتسّلط والعدوان تجاه الشعوب الأخرى، نظراً لأنّهم نسبوا أنفسهم إلى النّسل المبارك والزرع المقدس.

إنّ ما قام به أسلاف اليهود من أعمال عدوانية تعتبر بطولاتٍ وأمجاداً وعلى كل يهودي أن يلتزم بسلوكية هؤلاء الأسلاف، وأن يكوّن من هذه السلوكية شخصيته المتميزة والمترفّعة والمشبعة بالتوجس والعدوان. ولهذا فإنّ نظام التعليم اليهودي يرتكز على تعريف الطفل في سّن الرابعة على هويته وأسلافه ويدرب على الاحتراز من الأغيار وعدم مخالطتهم، وزرع فكرة القداسة والاختيار في عقله الباطن.

في نصوص التّوراة نقرأ كثيراً من أعمال العنف والعدوان، وهي كما يزعم اليهود، بطولات قام بها أسلافهم التزاماً بأوامر الرّب يهوه، كما نقرأ أوامرَ وأحكاماً تؤكد على التسلط والتوجس والاحتراز والعدوان والعزلة وعدم الاختلاط بالشعوب والأمم الأخرى نظراً لنجاستها ودونيتها، ونجد الروح العدوانية واضحة تماماً في السلوك والأفكار.

إنّ سفر التكوين عبارة عن معمعة من أعمال العنف والغدر والقتل والرذيلة أراد منها الأحبار اليهود أن تكون منهجاً وسنة يقتضى اتباعها في كل زمان وأوان.. حيث إرادة الإله يهوه كما يزعمون.

ففي الإصحاح الرابع والثلاثين نقرأ عن اعتداء أبناء يعقوب بن إسحق «إسرائيل» على سكان منطقة شكيم التي كانوا يسكنون فيها ويلقون كلّ الاحترام والمحبة منهم. فقد أحبَّ «شكيم» ابن حمور زعيم المنطقة ابنة يعقوب، وأرادها زوجة له وقد طلبها من والدها وإخوتها، لكنّ أولاد يعقوب

غدروا بشكيم ووالده وبسكان المنطقة جميعهم، بعد أن احتالوا عليهم وتمكنوا منهم وقتلوهم، ثم هربوا من المنطقة بعد أن نهبوا البيوت جميعها وسبوا النساء والأطفال.

في سفر الخروج يعاني المصريون معاناة كبيرة من سياسة يهوه العدوانية دون أن يكون هناك أي سبب منطقي إلاّ رغبة يهوه في أن يعرفه المصريون ويتمجّد بهم وبفرعون ويخرج شعبه الخاص المدلل إلى كنعان. وكأنه لايستطيع أن يدفع بالمصريين إلى معرفته بأعمالٍ خيّرة وطيبة تكون أكثر فاعلية من العدوان والرعب.

كان يهوه وراء قساوة قلب فرعون وهو الذي دفع المصريين أن يتشددوا ويقسّوا قلوبهم، لقد كانوا مسيرين تماماً ولم يكن بمقدورهم إلاّ أن يكونوا كذلك إنّها إرادة يهوه الراغب في دفع المصريين إلى الخطيئة ومن ثمّ معاقبتهم دون رأفة.

إنّ كل المصائب والأهوال التي حلت بالمصريين كان وراءها يهوه، وقد سمى محرّر السفر هذه المصائب والأهوال بـ «العجائب» و«الأحكام العظيمة». أليس من الممكن أن تتم عملية خروج بني إسرائيل من مصر دون اللجوء إلى هذه الأعمال العدوانية، فقط لو ليَّن قلب فرعون وعبيده وأعطى آياته وعجائبه طابع الخير والمحبة فيخلّف انطباعاً ايجابيّاً لديهم ليحبوه ويعرفوه.؟.

كان من الممكن مثلاً أن يحوّل لهم الصحراء إلى حدائق مليئة بالأشجار المثمرة والينابيع الرّقراقة، تلك آية عظيمة. وكان من الممكن أيضاً أن يزرع الإيمان في قلوب المصريين فيصيروا من شعبه الخاص المقدّس. أو حتى أن يعتم على عملية الخروج من مصر بطريقة لا تؤذي المصريين ولا تشّكل قضية

راح ضحيتها غرقاً آلاف القتلى من المصريين. لكنّه لم يفعل هذا لأنّ محرّر السفر لايريد أن يكون إلهه متسامحاً شموليّاً. ولهذ فقد حوّل المياه في كل مناطق مصر إلى دماء، فمات السمك وأنتنت المياه وهلك السكان من العطش.

ثم نشر الضفادع بعد هذا في كلّ تخوم مصر حتى دخلت كلّ بيت وكلّ فراش وامتزجت بالطعام والشراب ووصلت إلى مخدع فرعون ذاته فعانى المصريون معاناة كبيرة جدّاً وهلك الكثير منهم حتى استنجد فرعون وعبيده.

وسلط البعوض على المصريين في كل مكان، وهيّج بعده الذباب ثم أمات جميع المواشي، وحول رماد الأتون إلى غبار انتشر في كل مكان بمصر وصار على الناس والبهائم دمامل طالعة ببثور.

كما أرسل البرد الشديد على كلّ أرض مصر فمات من السكان عدد كبير وضرب البرد جميع ما في الحقول من الناس والبهائم والأعشاب والأشجار والنباتات والمحاصيل، وبعد ذلك سلط الجراد حيث أرسل ريحاً شرقية فغطّى الجراد كل أرض مصر فأكل الشجر والنباتات والمحاصيل وملأ البيوت وخرّب الكثير في أرض مصر.

بعد ذلك نشر الظلام مدّة ثلاثة ايام في كل أرض مصر، ثم أمات كلّ بكرٍ في مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيه إلى بكر الجارية خلف الرّحى وكلّ بكر بهيمة، فلم يكن هناك بيت في مصر إلاّ وفيه ميت باستثناء شعبه الخاصّ المقدس بني إسرائيل.

وكانت الضربة القاضية التي مزّقت المصريين هي إغراقهم في البحر بعد أن دفع بهم إلى ملاحقة بني إسرائيل والدخول وراءهم في البحر عندما انشّق لموسى وجماعته.

لم يعد هناك جيش مصري حسب الرواية التوراتية، فقد غرق الجيش

وكل المعدات وغرق فرعون وأعوانه. وغادر بنو إسرائيل باتجاه أرض كنعان..

هذا ما حلَّ بالمصريين من كوارث ومصائب من إله بني إسرائيل رغم أنّهم احتضنوا شعبه الخاصّ ومنحوه الأرض والأمان والحرية. حيث نقرأ في سفر التكوين قصة يوسف وكيف بيع في مصر، وصار بعد فترة من المتنفذين في البلاط المصري. وكان هذا من العوامل المساعدة التي دفعته أن يستدعي والده وإخوته من كنعان ليسكنوا في مصر بموافقة ورغبة فرعون نفسه.

لقد كان موقف المصريين من بني إسرائيل موقفاً إنسانيّاً معبراً عن كرم الضيافة والمروءة والمحبة والنظرة الشمولية للإنسان والإله.. فخيّر فرعون يوسف وأهله في اختيار المكان الذي يرغبون السكن فيه قائلاً له:

«أبوك وإخوتك جاؤوا إليك. أرض مصر قدامك في أفضل الأرض أسكن أباك وإخوتك».

لكنّ بني إسرئيل ومنذ أن دخلوا مصر فضّلوا بدافع من عنصريتهم وتعصّبهم الانعزال عن المصريين وعدم الاختلاط معهم، فاختاروا أرض جاسان المستقلة والبعيدة من أجل هذا الهدف. وعاشوا فيها بهناءٍ فتكاثروا وأثمروا وأمضوا أكثر من أربعمئة عام باطمئنان في ظل الاحترام المصري.

لقد غدر بنو اسرئيل بالمصريين وتجاهلوا كل هذا التكريم الذي غمرهم به فرعون وشعبه، وجاءت هذه الأحكام العجيبة العظيمة كما يسميها محرر سفر الخروج لتدفع بالمصريين إلى التهلكة، ويهرب بنوإسرائيل بعد أن يسرقوا حلي وأمتعة النساء المصريات باحتيال مدروس ومخطط له من الإله يهوه.

إنّ كتّاب الأسفار التوراتية الذين يدفعون بيهوه لأن يكون وراء هذا الحقد

والتشدد والرؤية الضيّقة كانوا هم من يعاني من هذه النزعات اللاإنسانية، وحملوا يهوه كلّ التبعات فغدا العدوان عدوانه الذي يخطط له ويحضّ على تنفيذه وهذا العدوان لايجوز إلاّ أن ترافقه أعمال القتل والحرق والتدمير والسبي دون رحمة أو رأفة لا بالنساء ولا بالأطفال ولا بالشيوخ الكبار.

في سفر الخروج نجد كثيراً من وصايا الإله يهوه إلى شعبه المختار المقدّس محذراً ومتوعداً ومنذراً: «ها أنا مرسلٌ ملاكاً أمام وجهك ليحفظك في الطريق وليجيء بك إلى المكان الذي أعددته. احترز منه واسمع لصوته ولا تتمرد عليه لأنه لا يصفح عن ذنوبكم لأن اسمي فيه ولكن إن سمعت لصوته وفعلت كلّ ما أتكلم به أعادي أعداءك وأضايق مضايقيك. فإنَّ ملاكي يسير أمامك ويجيء بك إلى الأموريين والحثيين والفرزيين والكنعانيين والحوّيين واليبوسيين فأبيدهم».

إنَّ موسى كما يصوره كاتب سفر الخروج كان قاسياً متشدداً إلى الدرجة التي لم يكن ليتوانى عن تنفيذ أيّة عقوبة حتى على شعبه المميّز المختار من الإله يهوه، فقد كانت نزعته العدوانية متفوقة على النزعة الإنسانية، والأصح فإنّ كاتب السفر محى تماماً كل ما يتعلق بالإنسانية. فهو انعزالي تسلطي، مقدّس متميز، مختار.

لهذا كان موسى ينظّم جماعته تنظيماً خاصّاً على أنّهم الشعب المقدَّس المختار صاحب الإله الخاص. الذي لايريد لهذا الشعب أن يختلط بالأمم الأخرى لأنّه الأطهر والأنقي والأخص. كان يغذي فيهم عقيدة التفوق والعنصرية والانعزالية والحقد تجاه كل الشعوب والأمم الأخرى. وكونه كان ناطقاً باسم يهوه فقد كانت وصاياه مبرمجة ومنظّمة ولا مجال للنقاش فيها، إنّها أوامر صارمة صادرة عن الإله بالذات. فهو الذي يرغب في إبادة الأمم والشعوب

التي خلقها أو ربما خلقها إله غيره. فنقرأ مثلاً في سفر الخروج: «أرسل هيبتي أمامك وأزعج جميع الشعوب الذين تأتي عليهم وأعطيك جميع أعدائك مدبرين وأرسل أمامك الزنابير فتطرد الحوِّيين والكنعانيين والحثيين من أمامك».

فخلال الفترة التي أمضاها موسى في الصحراء يدرِّب جماعته تدريباً يتناسب وأفكاره العدوانية العنصرية، كان دوماً يشير إلى ضرورة الانعزال وإبادة الآخرين من الأمم الأخرى والتمسك بمبادئ يهوه الناطق باسمه. وقد نجح موسى في زرع النزعات العدوانية في نفوس جماعته كما نستشف من خلال ما أورد كاتب سفر العدد. الذي يروي عن غزو مديان والمجزرة التي ارتكبها أتباع موسى في هذه المنطقة والتي يعتبرها كاتب السفر بطولات وواجبًا دينيّاً وتنفيذاً لأوامر الإله يهوه. حيث نقرأ: «وكلّم الرّب موسى قائلاً انتقم نقمة لبني إسرائيل من المديانيين ثم تضم إلى قومك: فكلم موسى الشعب قائلاً جرّدوا منكم رجالاً للجند فيكونون على مديان ليجعلوا نقمة الرّب على مديان».

«فتجنّدوا على مديانَ كما أمر الرّب وقتلوا كل ذكرٍ وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم آوي وراقم وصور وحور ورابع، خمسة ملوك مديان وبلعام بن بعور قتلوه بالسيف وسبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكلّ أملاكهم وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنّار. وأخذوا كلّ الغنيمة وكلّ النهب من الناس والبهائم وأتوا إلى موسى وألعازر الكاهن وإلى جماعة بني إسرائيل بالسبي والنهب والغنيمة إلى المحلة إلى عربات موآب التي على أردن أريحا فخرج موسى وألعازر الكاهن وكلّ رؤساء الجماعة لاستقبالهم إلى خارج المحلة فسخط موسى على وكلاء الجيش ورؤساء الألوف ورؤساء المئات القادمين من جند الحرب وقال لهم

موسى هل أبقيتم كل أنثى حيّة. إنّ هؤلاء كنَّ لبني إسرائيل حسب كلام بلعام سبب خيانة للرّب في أمر فغور فكان الوباء في جماعة الرّب. فالآن اقتلوا كلّ ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكرٍ اقتلوها».

إنّها مجزرة تقشعر لها الأبدان وسببها أنّ رجلاً من بني إسرائيل تزوج بامرأة مديانية، فاعتبر موسى أنّ هذا العمل بمثابة خرق: للشريعة والقوانين التي تحرّم الزواج بأجنبيات وتحضّ على العزلة وضرورة الحفاظ على الزرع المقدس. وعلى الرغم من أنّ الكاهن الشّاب فينحاس بن ألعاز بن هرون وثب على الرجل الاسرائيلي وعلى المرأة المديانية وقتلهما فوراً، إلاّ أنّ هذا لم يشف غليل موسى ولا يهوه فأمر أن تحرق مديان وأن تسبى النساء وتقتل وأن يقتل كل ذكرٍ وكلّ طفل كما مر معنا. مع الإشارة إلى أنّ مديان، كانت الملجأ الذي التجأ إليه موسى عندما هرب من مصر بعد أن قتل مصريّاً دفاعاً عن عبراني من بني جلدته حسب ما يروي كاتب سفر الخروج، وقد أمضى في مديان مدة تتروح بين أربعين إلى خمسين سنة، تزوّج خلالها من إبنة كاهن مديان «صفّورة» وأنجب منها ولديه «جرشوم وأليعازر».

إنّ موسى وكما نستشف من الرواية التوراتية لم يحترم أنّه كان نزيلاً لدى المديانيين وأنّ زوجته مديانية «صفورة ابنة كاهن مديان يثرون» وأنّ المديانيين احتضنوه وعاش في كنفهم معزّزاً مكرّماً. وكان حميه يحبّه وينتصر لآرائه وأفكاره وقد وقف إلى جانبه مؤيداً دعوته، وعندما خرج موسى بجماعته من مصر وعلم بذلك حميه يثرون خرج لملاقاته، وكان قد نزل موسى وجماعته في التربة في مكان يدعى «جبل اللّه» وقد رافقته زوجة موسى وولديه والتقيا هناك حيث أثنى ثيرون على موسى وقدّم له نصائح ومعلومات هامة ساهمت في تنظيم دعوته وقد أخذ بها موسى وطبّقها.

لقد نسي موسى أو تناسى كل هذا فكانت مجزرة مديان تأكيداً واضحاً على سياسة الانغلاق والعنصرية والغدر والعدوان، وطريقاً سار عليه أتباعه فيما بعد، ولايزال حتى الآن المنهاج الرئيسي للحياة اليهودية.

وكان تعقل «بلعام بن بعور» نبيّ الموآبيين تأكيداً آخر على أنّ الكاتب التوراتي كان يرغب أن تكون الروح العدوانية منهجاً دائماً حتى مع الذين يتحالفون مع بني إسرائيل وينتصرون لهم. فالزرع المقدس ينبغي أن لا يدّنس برجاسات الأمم والشعوب. ولو استدعى ذلك مزيداً من الغدر والخيانة ومقابلة الإحسان بالإساءة.

فعندما نزل بنو إسرائيل في عربات موآب خشي ملك موآب منهم فأرسل وراء «بلعام بن بعور» وكان نبيّاً للموآبيين، وهم يعتقدون أنّ من يباركه بلعام يغدو مباركاً ومن يلعنه يغدو ملعوناً. فأراد ملك موآب «بالاق بن صفور» أن يلعن له بني إسرائيل حتى يتمكّن من محاربتهم وطردهم من المنطقة. لكنّ النبّي بلعام رفض ما أمره الملك بالاق بن صفور ملك موآب، بل بارك بني إسرائيل وأثنى عليهم.

نستشف من الرواية التوراتية أنّ موسى يسعى دوماً لأن يجمع أتباعه في إطار الوحدة السياسية - الدّينية، أي وحدة سياسية يجمع شملها الدين، ووحدة دينية هدفها تحقيق الأغراض السياسية، ولهذا كانت وصاياه دوماً متشدّدة في قضية الرأفة والشفقة فالإنسانية لا وجود لها في برنامجه، وأيّة شفقة أو رحمة لطفل أو شيخ تكون بمثابة مخالفة صريحة لتشريعاته المستمدة حسب الرواية التوراتية من الإله يهوه.

ففي عربات موآب أشار قائلاً لجماعته: «إنكّم عابرون الأردن إلى أرض كنعان فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم وتمحون جميع تصاويرهم

وتبيدون كل أصنامهم المسبوكة وتخربون جميع مرتفعاتهم تملكون الأرض وتسكنون فيها لأنّي قد أعطيتكم الأرض لكي تملكوها وتقتسمون الأرض بالقرعة حسب عشائركم».

ثم يتابع نصائحه قائلاً لجماعته بصيغة الأمر الحتمي: «وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين يستبقون منهم أشواكاً في أعينكم ومناخس في جوانبكم ويضايقوكم على الأرض التي أنتم ساكنون فيها فيكون أنّي أفعل بكم كما هممت أن أفعل بهم».

ونقرأ أيضاً «قد دفعت إلى يدك سيحون ملك حشبون الأموري وأرضه ابتدئ تملك وأثر عليه حرباً في هذا اليوم أبتدئ أجعل خشيتك وخوفك أمام وجوه الشعوب تحت كل السماء الذين يسمعون خبرك يرتعدون ويجزعون أمامك».

لقد نجح موسى في أسلوب الحضّ على العدوان والقتل والإبادة وتمكن جماعته من سحق سيحون وجماعته فقتلوا ونهبوا وحرقوا وسبوا النساء والأطفال كما يرد في سفر التثنية: «فخرج سيحون للقائنا هو وجميع قومه وأخذنا كلّ مدنه في ذلك الوقت وحرَّمنا من كل مدينة الرّجال والنّساء والأطفال. لم نبق شارداً. لكنّ البهائم نهبناها لأنفسنا وغنيمة المدن التي أخذنا من عروعير التي على حافة أرنون والمدينة التي في الوادي إلى جلعاد لم تكن قرية قد امتنعت علينا الجميع دفعه الرب إلهنا أمامنا».

ثم قاموا باعتداء آخر على منطقة باشان فقتلوا ملكها «عوج» وجميع قومه وأخذوا كل مدنه ونهبوا وسبوا النساء والأطفال، وفعلوا في باشان كما فعلوا في شيحون.

وقبل أن يبدأ العدوان على كنعان جمع موسى أتباعه وقام فيهم خطيباً وناصحاً وآمراً أن يلتزموا بتعليماته وقراراته التي كان وراءها يهوه، وجميعها

تحضّ على العدوان والعنصرية والتسلط والعزلة فنقرأ: «متى أتى بك الرّب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها وطرد شعوباً كثيرة من أمامك الحثّيين والجرجاشيين والأمورّيين والكنعانيين والفرزيين والحوّيين واليبوسيين سبع شعوب أكثر وأعظم منك، ودفعهم الرّب إلهك أمامك وضربتهم فإنّك تحرّمهم. لاتقطع عهداً لهم ولا تشفق عليهم ولا تصاهرهم».

ثم يتابع موسى مؤكداً على أن الخوف لامكان له وأنَّ العدوان مآله النصر نظراً لأنّ الإله يهوه شخصيّاً يحارب معهم وينتصر لهم ويخطط لهم وهو الذي يريد إبادة الشعوب والأمم الأخرى من أجل أن يسود شعبه الخاص المقدس على كل الشعوب. ولذا لا داعي أبداً للتردد أو الخوف من هذه الشعوب مهما كانت وهو ما ينبغي أن تأخذ به كلّ الأجيال اللاحقة. فنقرأ:

«إن قلت في نفسك هؤلاء الشعوب أكثر مني كيف أقدر أن أطردهم فلا تخف منهم اذكر ما فعله الرّب إلهك بفرعون وبجميع المصريين. التجارب العظيمة التي أبصرتها عيناك والآيات والعجائب واليد الشديدة والذراع الرفيعة التي بها أخرجك الرّب إلهك هكذا يفعل الرّب إلهك بجميع الشعوب التي أنت خائف من وجهها والزنابير أيضاً يرسلها الرب إلهك عليهم حتى يفنى الباقون والمختفون من أمامك لا ترهب وجوههم لأنّ الرّب إلهك في وسطك إله عظيم ومخوّفٌ. ولكنّ الرّب إلهك مطرد هؤلاء الشعوب من أمامك قليلاً قليلاً لاتستطيع أن تفنيهم سريعاً لئلا تكثر عليك وحوش البرية. ويدفعهم الرّب إلهك أمامك ويوقع بهم اضطراباً عظيماً حتى يفنوا ويدفع ملوكهم إلى يدك فتمحو اسمهم من تحت السماء».

كما يؤكّد لجماعته أنَّ يهوه نفسه سيعبر أمامهم ليبيد الشعوب ويذلهم، وعلى كلّ فرد أن يأخذ هذا بعين الاعتبار فيخاطبهم قائلاً: «إسمع يا إسرائيل

أنت اليوم عابرٌ الأردن لكي تدخل وتمتلك شعوباً أكبر وأعظم منك ومدناً عظيمة ومحصّنة إلى السّماء قوماً عظاماً وطوالاً بني عناقٍ الذين عرفتهم وسمعت من يقف في وجه بني عناق. فاعلم اليوم أنّ الرّب إلهك هو العابر أمامك ناراً آكلة هو يبيدهم ويذلهم أمامك فتطردهم وتهلكهم سريعاً كما كلّمك الرّب».

ولم يكن موسى لينسى أن يشير أنَّ الروح العدوانية ينبغي أن تستمر وأن لاتتوقف عند حدٍّ معيّن، والعدوان المقرّر على منطقة كنعان ليس هو العدوان الأخير، بل هو مقدّمة وعلى الجماعة أن تخّطط لعدوان آخر وآخر كما وعد بذلك الرّب يهوه لكن هذا مرهون بحفظهم للوصايا والقرارات التي تؤكّد على العدوان والعزلة والتسلط والغدر، فنقرأ: «وإن وسّع الرّب إلهك تخومك كما حلف لآبائك واعطاك جميع الأرض التي قال إنّه يعطي لآبائك إذا حفظت كلّ هذه الوصايا لتعملها كما أنا أوصيك اليوم لتحبّ الرّب إلهك وتسلك في طرقه كلّ الأيام فزد لنفسك أيضاً ثلاث مدنٍ على هذه الثلاث».

وأيضاً لم يكن لينسى أن يوضح لهم كيفية العدوان وأسلوبه واستمراريته وضرورة التشدّد والجرأة نظراً لأنّ يهوه معهم دوماً ولن يترك للأعداء أيّة فرصة للتفرد بهم والانتصار عليهم طالما أنهم متمسّكون بنزعتهم الضيّقة التي ترفض الاندماج والاختلاط والرحمة. فنقرأ قوله: «إذا خرجت للحرب على عدوّك ورأيت خيلاً ومراكب قوماً أكثر منك فلا تخف منهم لأنّ معك الرّب إلهك الذي أصعدك من أرض مصر، وعندما تقربون من الحرب يتقدم الكاهن ويخاطب الشعب ويقول لهم اسمع ياإسرائيل أنتم قربتم اليوم من الحرب على أعدائكم لاتضعف قلوبكم، لاتخافوا ولا ترتعدوا ولاترهبوا وجوههم لأن الرّب إلهكم سائرٌ معكم لكي يحارب عنكم أعداءكم ليخلصكم».

«حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح فإن أجابتك إلى

الصلح وفتحت لك فكلّ الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك. وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها وإذا دفعها الرّب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحدِّ السيف وأمّا النساء والأطفال والبهائم وكلّ ما في المدينة كلّ غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرّب إلهك».

هكذا أراد الكاتب التوراتي أن يؤكد لهذه المجموعة التي تخصّه أنّ الإله يهوه الذي هو إلههم الخاصّ لايرضى أبداً بأن تتساوى الشعوب بشعبه الخاص المقدس، ولذا كلّ الشعوب والأمم عدوة لبني إسرائيل وليس هناك من أملٍ في أن تتحول هذه العداوة إلى محبة خاصة وأنّ كافة الأمم ستغدو بمثابة العبيد لبني إسرائيل إن هادنت ورضيت بالصلح أو ستباد من الوجود إن رفضت المهادنة أي على جميع الأمم أن تكون مستعبدة ومسخرة لخدمة بني إسرائيل أو تباد من الوجود، القريبة منها والبعيدة على السواء، وليس هذا وحسب، بل من الضرورة إبادة الشعوب القريبة دون قيد أو شرط فنقرأ: «هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدّاً التي ليست في مدن هؤلاء الأمم هنا، وأمّا مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرّب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما بل تحرّمها تحريماً، الحثّيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما أمرك الرّب إلهك».

لقد أراد موسى أن يغذي في نفوس جماعته عقيدة العدوان الدائم ضد الشعوب والأمم الأخرى، «القتل، التدمير، الإبادات، القسوة، التسلط والتوجس». لذا كان دوماً يحذّرهم من التردّد والشفقة ويدفع بهم إلى الحرب والعدوان. وقد نجح في مسعاه وورث عنه يشوع بن نون تلك النزعة بعد أن توفي موسى وقاد الجماعة إلى مزيد من المجازر الوحشية في المدن

الكنعانية الآمنة راح ضحيتها آلاف الأطفال والشيوخ والنساء والبهائم.

إنّ ما حضَّ عليه يشوع بن نون وما سلكه أتباعه صوّره لنا كاتب سفر يشوع على أنّه بطولات وأمجاد ومنهاج رئيسي سار عليه اليهود فيما بعد ولا يزالون حتى الآن.

لقد افتتح يشوع بن نون أعماله العدوانية بمجزرة في أريحا اتسمت بالوحشية فنقرأ: «وصعد الشعب إلى المدينة كلّ رجل مع وجهه وأخذوا المدينة وحرّموا كلّ ما في المدينة من رجلٍ وامرأةٍ من طفلٍ وشيخٍ حتى الغنم والبقر والحمير بحدّ السيف».

وهكذا فعلوا بمدينة «عاي» بعد أن أكّد يهوه ليشوع أنّه سيدفع عاي بيده حتى يفعل بها كما فعل بمدينة أريحا فنقرأ:

«فقال الرّب ليشوع لاتخف ولا ترتعب خذ معك جميع رجال الحرب وقم اصعد إلى عاي. انظر قد دفعت بيدك ملك عاي وشعبه ومدينته وأرضه فتفعل بعاي وملكها كما فعلت بأريحا وملكها».

نفذ يشوع خطط يهوه لمهاجمة عاي وهاجمها بخدعةٍ رسمها له يهوه وتمكن من الانتصار فنقرأ: «وضربوهم حتى لم يبق منهم شاردٌ ولا منفلتٌ، وأمّا ملك عاي فأمسكوه حيّاً وتقدّموا به إلى يشوع وكان لمّا انتهى إسرائيل من قتل سكان عاي في الحقل في البرّية حيث لحقوهم وسقطوا جميعاً بحدِّ السّيف حتى فنوا أنَّ جميع إسرائيل رجع إلى عاي وضربوها بحدِّ السيف».

لقد أحرق يشوع مدينة عاي وعلّق ملكها على الخشبة إلى وقت المساء وعند غروب الشمس أمر يشوع فأنزلوا جثته عن الخشبة وطرحوها عند مدخل باب المدينة وأقاموا عليها رجمة حجارة.

واستمرَّ الحضّ على العدوان والقتل والتدمير من قبل يهوه ليشوع والجماعة، وماحدث في أريحا وعاي لم يشف غليل ربّ الجنود فأمر يشوع أن يضرب المدن الأخرى «أورشليم، حبرون، يرموت، لخيش، عجلون» حيث نقرأ: «فقال الرّب ليشوع لاتخفهم لأني بيدك قد أسلمتهم، لايقف رجلٌ منهم بوجهك».

التزم يشوع بأوامر يهوه وبدأ في الاعتداء على هؤلاء ومحاربتهم وضربهم ضربة عظيمة كما يروي كاتب السّفر. وهرب ملوك هذه المدن «أدوني صادق ملك أورشليم، هو هام ملك حبرون، فرآم ملك يرموت، يافيع ملك لخيش، دبير ملك عجلون». واختبأوا في مغارةٍ في مدينة مقيّدة، فأمر يشوع جماعته أن يغلقوا المغارة بحجر كبير حتى يموتوا وقد فعلوا ما أمر ومن ثمّ فتحوا المغارة وأخرجهم أحياء. لأنّ يشوع أراد أن يذلهم فأمر عددًا من رجاله أن يضعوا أرجلهم على أعناقهم ففعل الرجال ذلك، ثمَّ قتلهم يشوع وعلقهم على الخشب وبقوا معلقين حتى المساء حيث أنزلوا ووضعوهم في المغارة التي اختبأوا فيها لتكون قبراً دائماً لهم. ووضعوا حجراً كبيراً على فم المغارة.

وتابع يشوع عملياته العدوانية بمهاجمة مدينة مقيّدة حيث نقرأ: «وأخذ يشوع مقيّدة في ذلك اليوم وضربها بحدِّ السّيف وحرَّم ملكها هو وكل نفس بها لم يبق شارداً وفعل بملك مقيّدة كما فعل بملك أريحا».

«اجتاز يشوع من مقيّدة وكلّ إسرائيل معه إلى لبنة وحارب لبنة فدفعها الرّب هي أيضاً بيد إسرائيل مع ملكها فضربها بحدِّ السّيف وكلّ نفس بها لم يُبق بها شارداً وفعل بملكها كما فعل بملك أريحا، ثم اجتاز يشوع وكلّ إسرائيل معه من لبنة إلى لخيش ونزل عليها وحاربها فدفع الرّب لخيش بيّد إسرائيل فأخذها في اليوم وضربها بحدِّ السّيف وكلّ نفسٍ بها حسب كلّ ما فعل بلبنة، حينئذٍ صعد هورام ملك جازر لإعانة لخيش وضربه يشوع

مع شعبه حتى لم يُبق له شارداً، ثم اجتاز يشوع وكلّ إسرائيل معه لخيش إلى عجلون فنزلوا عليها وحاربوها وأخذوها في ذلك اليوم وضربوها بحدّ السيف وحرَّم كلّ نفسٍ بها في ذلك اليوم حسب كلّ ما فعل بلخيش، ثم صعد وجميع إسرائيل معه من عجلون إلى حبرون وحاربوها وأخذوها وضربوها بحدّ السيف مع ملكها وكلّ مدنها وكلّ نفس بها لم يبق شارداً حسب كلّ ما فعل بعجلون فحرّمها وكلّ نفس بها. ثم رجع يشوع وكلّ إسرائيل معه إلى دبير وحاربها وأخذها مع ملكها وكلّ مدنها وضربوها بحدّ السيف وحرّموا كلّ نفسٍ بها لم يُبق شارداً كما فعل بحبرون كذلك فعل بدبير وملكها وكما فعل بلبنة وملكها».

واستمر يشوع في تنفيذ خطط يهوه العدوانية فحارب ملوك «حاصور ومادون وشمرون واكشاف وغيرهم» وتمكّن من سحقهم وإبادتهم واحتلال مناطقهم وحرق مدنهم ومركباتهم لم يُبق شارداً منهم. فالإله يهوه أراد ذلك وعلى يشوع أن يحضّ جماعته كما حضّه يهوه على العدوان والقتل فنقرأ: «فقال الرّب ليشوع لاتخفهم لأنّي غداً في مثل هذا الوقت أدفعهم جميعاً قتلى أمام إسرائيل فتعرقب خيلهم وتحرق مركباتهم بالنار. فجاء يشوع وجميع رجال الحرب معه عليهم عند مياه ميروم بغتةً وسقطوا عليهم. فدفعهم الرّب بيد إسرائيل فضربوهم وطردوهم إلى صيدون العظيمة وإلى مسرفوت مايم وإلى بقعة مصفاة شرقاً. فضربوهم حتى لم يبق لهم شارداً ففعل يشوع بهم كما قال الرّب عرقب خيلهم واحرق مركباتهم بالنّار».

«ثم رجع يشوع في ذلك الوقت وأخذ حاصور وضرب ملكها بالسيف لأنّ حاصور كانت قبلاً رأس جميع تلك الممالك. وضربوا كلّ نفس بها بحدّ السّيف حرّموهم ولم تبق نسمة وأحرق حاصور بالنّار».

وهنا يحضرني هذا السؤال: من هو بطل التوراة؟.. أهو موسى أم يشوع أم يهوه؟.. إنّ بن غوريون في الخمسينيات من القرن العشرين كان يرى أن يشوع بطل التوراة. أمّا التوراة نفسه فيروي لنا بوضوح أنّ البطل الحقيقي هو الإله يهوه، وهو ما نستشفه في كل النصوص التوراتية. فهو الذي يخطط ويحضّ ويوجه ومن ثم ينفذ بواسطة موسى أو يشوع. فالبطولات الحقيقية كانت ليهوه والآخرون عبارة عن دمى تتحرك كما يريد يهوه.

إنّ يهوه هو المحارب الحقيقي وهو الذي دمّر وأباد وحرق وهو الذي حضّ على العدوان وافترض أنّ جميع الشعوب والأمم أعداء بني إسرائيل، ولم يكن موسى إلا أداة نفّذ من خلالها يهوه أعماله العدوانية التي مرّت معنا. ولما مات موسى تسلم يشوع هذه المهمة وكان بارعاً في التنفيذ، وعندما حضرته الوفاة أشار للجماعة عن رغبات ومواقف يهوه وما فعله طيلة هذه الأيام التي مرّت منذ الخروج من مصر مؤكداً على أنّ يهوه هو الذي كان يحارب عنهم وهو الذي كان يبيد الشعوب والأمم. فنقرأ: «فدعا يشوع جميع إسرائيل وشيوخه ورؤساءه وقضاته وعرفاءه وقال لهم أنا قد شخت تقدّمت فيّ الأيام وأنتم قد رأيتم كلّ ما عمل الرّب إلهكم بجميع أولئك الشعوب من أجلكم لأن الرب إلهكم هو المحارب عنكم. انظروا قد قسّمت لكم بالقرعة هؤلاء الشعوب الباقين ملكاً حسب أسباطكم من الأردن وجميع الشعوب التي قرضتها والبحر العظيم نحو غروب الشمس. والرّب إلهكم هو ينفيهم من أمامكم ويطردهم من قدامكم فتملكون أرضهم كما كلمكم الرّب إلهكم فتشددوا جدّاً».

بعد موت يشوع استمرت العمليات العدوانية الوحشية على يد القضاة كما يسميهم كاتب سفر القضاة، فقد تشرّب بنو إسرائيل الروح العدوانية تماماً وغدت الأعمال العدوانية العسكرية غاية بالنسبة إليهم. لكنها في

عصر القضاة اختلفت بعض الشيء نظراً لأنّ كلّ سبطٍ سكن في منطقةٍ فلم تعد هناك وحدة تربطهم وصار لكلّ سبط رئيساً أو قاضياً كما يسّميه كاتب السفر.. وكان على كلّ سبط أن يسعى للحصول على المنطقة التي حدّدت له من قِبل يشوع قَبل وفاته وقد وزّعت الحصص بالقرعة كما يرد في سفر يشوع.

في سفر القضاة الإصحاح الأول نقرأ: «وكان بعد موت يشوع أنّ بني إسرائيل سألوا الرّب قائلين من منا يصعد إلى الكنعانيين أولاً لمحاربتهم فقال الرّب يهوذا يصعد يهوذا قد دفعت الأرض ليده. فقال يهوذا لشمعون أخيه اصعد معي في قرعتي لكي نحارب الكنعانيين فأصعد أنا أيضاً معك في قرعتك. فذهب شمعون معه فصعد يهوذا ودفع الرّب الكنعانيين والفرزّيين بيدهم فضربوا منهم في بازق عشرة آلاف رجل».

وعلى الرغم من أنّ بني إسرائيل لم يتمكنوا من فرض سيطرتهم على المنطقة كما أراد يهوه وتفرقوا في عدة مناطق بين أكثرية كنعانية. لم يتخلوا عن الروح العدوانية التي تربو عليها ونمت مع نموهم. كان لابدَّ أن يقوموا بأعمال عدوانية عسكرية ضد الآمنين من سكان المنطقة. وقد أخذت هذه الأعمال العدوانية طابع العصابات المجرمة الخارجة على القانون. وكانت تستخدم الحيلة والغدر من أجل تنفيذ العدوان وقتل الأبرياء. ودوماً كان رئيس هذه العصابات قاضياً كما يسميه كاتب سفر القضاة، ووراءه كاهن يحضّه على العدوان مشيراً إلى أنّ هذا الأمر من قبل يهوه ومن الضروري الالتزام بأوامر وقرارات يهوه.

فقد كانت النسبة الكبرى من هؤلاء القادمين من الصحراء قد ذابت في المجتمع الكنعاني الحضاري وتركت يهوه لصالح آلهة الكنعانيين. وهذا

ما أغاظ الكهنة أصحاب المصلحة في البقاء على يهوه وقرابين يهوه وتقدماته. فكان لابدَّ من استخدام المتمرّدين واللصوص لخلق جو مشحون بالتوتر والرّعب في نفوس الصّحراويين وذلك عن طريق التأكيد على أنَّ يهوه غاضبٌ من سلوكهم وتركهم إيّاه. ولا يمكن أن يكونوا في مأمن. إلاّ إذا تخلّوا عن آلهة الكنعانيين وانعزلوا عن المجتمع الكنعاني وقدّموا القرابين والتقدمات ليهوه.

إنّ كاتب سفر القضاة يصور لنا الأحداث تصويراً مسرحيّاً ففي كلّ إصحاح بشكل عام نجد أنّ بني إسرائيل يعملون الشّر في عيني الرّب ويعبدون آلهة الكنعانيين فيدفعهم الرّب بأيدي ناهبين ويبيعهم لأعدائهم ويسلط هؤلاء الأعداء عليهم. وبعد سنوات يصرخ بنو إسرائيل إلى الرّب ويستنجدونه فيقيم لهم مخلصاً بعد أن رأف بحالتهم ويخلصهم من أعدائهم، والطريقة التي يخلصهم فيها من أعدائهم لاتخلو من الغدر والخيانة والخدعة والقتل إلخ. وبعد فترة يعاودون الكرّة ويعملون الشّر في عيني الرّب فيغضب ويسلط عليهم الأعداء مدة ثم يصرخون فيرسل لهم مخلصاً يخلصهم. فنقرأ: «**وفعل بنو إسرائيل الشرّ في عيني الرّب وعبدوا البعليم وتركوا الرّب إله آبائهم الّذي أخرجهم من أرض مصر وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها وأغاظوا الرّب. تركوا الرّب وعبدوا البعل وعشتاروت فحمي غضب الرّب على إسرائيل فدفعهم بأيدي ناهبين نهبوهم وباعهم بيد أعدائهم حولهم ولم يقدروا بعد على الوقوف أمام أعدائهم. حيثما خرجوا كانت يد الرّب عليهم للشر كما تكلم الرّب وكما أقسم الرّب لهم فضاق بهم الأمر جدّاً. وأقام الرّب قضاةً فخلصوهم من يد ناهبيهم. ولقضاتهم أيضاً لم يسمعوا بل زنوا وراء آلهةٍ أخرى وسجدوا لها. حادوا سريعاً عن الطريق التي سار بها آباؤهم لسمع وصايا الرّب. لم يفعلوا هكذا. وحينما أقام لهم الرّب قضاةً كان الرّب مع**

القاضي وخلصهم من يد أعدائهم كلّ أيام القاضي لأنّ الرّب ندم من أجل أنينهم بسبب مضايقيهم وزاحميهم وعند موت القاضي كانوا يرجعون ويفسدون أكثر من آبائهم بالذهاب وراء آلهة أخرى ليعبدوها ويسجدوا لها.

أمّا القضاة الذين أقامهم الرّب ليخلصوا بني إسرائيل فقد كان أكثرهم من المتمردين وقاطعي الطرق واللصوص الخارجين على القانون يتبعهم ثلة من العاطلين في المنطقة.. وكان أوّل هؤلاء القضاة «غينيئيل بن قناز» وجماعته وقتها كانت تحت سلطة الملك «كوشان رشعتايم» ملك آرام النهرين. فنقرأ: «فعبد بنو إسرائيل كوشان رشعتايم ثماني سنوات وصرخ بنوإسرائيل إلى الرّب فأقام الرّب مخلصاً لبني إسرائيل فخلصهم، غينئيل بن قناز أخا كالب الأصغر. فكان عليه روح الرّب وقضى لإسرائيل وخرج للحرب. فدفع الرّب ليده كوشان رشعتايم ملك آرام واعتزّت يده على كوشان رشعتايم. واستراحت الأرض أربعين سنة ومات غينئيل بن قناز».

وكان المخلص الثاني أو القاضي «إهود بن جيرا» البنياميني الذي كان محترفاً الغدر والقتل، وقد أقامه يهوه ليخلص الإسرائيليين من تسّلط عجلون ملك موآب. وتمكّن إهود من إنقاذ بني إسرائيل بعد أن قتل الملك عجلون غدراً ومن ثمّ هاجم وجماعته الموآبيين وقتلوا نحو عشرة آلاف رجل، كما يروي كاتب سفر القضاة: «وصرخ بنو إسرائيل إلى الرّب فأقام لهم الرّب مخلصاً إهود بن جيرا البنياميني رجلاً أعسر فأرسل بنوإسرائيل بيده هدية لعجلون ملك موآب. فعمل إهود لنفسه سيفاً ذا حدّين طوله ذراعٌ وتقلّده تحت ثيابه على فخذه اليمين. وقدّم الهدية لعجلون ملك موآب وكان عجلون رجلاً سميناً جدّاً. وكان لما انتهى من تقديم الهدية صرف القوم حاملي الهدية. وأمّا هو فرجع من عند المنحوتات التي لدى الجلجال وقال. لي كلام سرٍّ

إليك أيّها الملك. فقال صه. وخرج من عنده جميع الواقفين لديه. فدخل إليه إهود وهو جالس في عليّة بردٍ كانت له وحده وقال إهود. عندي كلام الله إليك. فقام عن الكرسي. فمدَّ إهود يده اليسرى وأخذ السّيف عن فخذه اليمنى وضربه في بطنه».

لقد تابع إهود عدوانه على الموآبيين فأمر جماعته بعد أن قتل الملك عجلون أن يتبعوه لإبادة الموآبيين فراح ضحية هذا العدوان عشرة آلاف رجل حسب ما يروي كاتب سفر القضاة.

«وكان بعده شمجر بن عناة فضرب من الفلسطينيين ستمئة رجل بمنساس البقر وهو أيضاً خلص إسرائيل».

ثمّ أقام بعده يهوه امرأة تدعى «دبورة» وذلك بعد أن باعهم الرّب بيد يابين ملك كنعان لأنهم عملوا الشرّ بعد وفاة شمجرين عناة. فقامت «دبورة» تحضّ على العدوان وتخطط لضرب الكنعانيين وملكهم يابين وقائده سيسرا. وقد استخدمت لأجل هذا العمل العدواني رجلاً مغامراً متمرّداً معه ثلة من العاطلين من سبط نفتالي في قادش وكان يدعى « باراق بن أبنيوعم»، وحسب الرواية فإنّ باراق بن أبنيوعم وجماعته أبادوا كل جيش سيسرا بحدّ السيف ولم يبق ولا واحد. وأمّا سيسرا قائد الجيش فقد هرب والتجأ في خيمة امرأة تدعى «ياعيل» وهي امرأة حابر القيني لأنّه كان صلح بين يابين ملك حاصور وبيت حابر القيني. ولكن ياعيل وكأيّ يهودي لم ترع العهد ولا الميثاق ولا الصلح فاحتالت على سيسرا وقتلته غدراً حيث نقرأ: «وأمّا سيسرا فهرب على رجليه إلى خيمة ياعيل امرأة حابر القيني. لأنّه كان صلح بين يابين ملك حاصور وبيت حابر القيني. فخرجت ياعيل لاستقبال سيسرا وقالت له مل ياسيدي مل إليَّ لا تخف. فمال إليها إلى الخيمة وغطّته باللحاف.

فقال لها اسقيني قليل ماءٍ لأنّي قد عطشت. ففتحت وطب اللبن وأسقته ثمّ غطته فقال لها قفي بباب الخيمة ويكون إذا جاء أحدٌ وسألك أهنا رجلٌ أنّك تقولين لا. فأخذت ياعيل امرأة حابر وتد الخيمة وجعلت المبتدة في يدها وثارت إليه وضربت الوتد في صدغه فنفذ إلى الأرض وهو متثقّلٌ في النوم ومتعبٌ فمات».

إنّ ماقامت به ياعيل صار مفخرة كبيرة، لدى اليهود، ومثلاً سار عليه الخلف.. وقد ترنمت دبورة بهذا السلوك واعتبرته من الأعمال الصّالحة التي يباركها الرّب يهوه فنقرأ: «تبارك على النساء ياعيل امرأة حابر القيني على النساء في الخيام تبارك. طلب ماءً فأعطته لبناً في قصعة العظماء. قدّمت زبدةً مدّت يدها إلى الوتد ويمينها إلى مضراب العملة وضربت سيسرا وسحقت رأسه شدّخت وخرّقت صدغه».

وبعد وفاة «دبورة» عاد بنوإسرئيل يعملون الشر في عيني الرّب فغضب الرّب، وسلّط عليهم المديانيين سبع سنين، وقد عانى الإسرائيليون منهم معاناة كبيرة كما يروي كاتب سفر القضاة حتى صرخوا إلى الرّب مستنجدين فأقام لهم قاضياً جديداً يدعى «جدعون بن يوآش الأبيعزري» الذي كان مزارعاً يعمل مع والده حسب الرواية. حيث أتاه ملاك الرّب وأمره ملاك الرّب أن يتجهز ليشن عدواناً على المديانيين مشيراً إلى أنّ الرّب سيكون معه فنقرأ: «فقال له الرّب إني أكون معك وستضرب المديانيين كرجل واحد».

لقد اجتمع لجدعون عدد من العاطلين الخارجين على القانون وقدرهم كاتب السفر بثلاثمئة رجل. وبهم بدأ جدعون أعماله العدوانية هنا وهناك ضدّ المديانيين وقتل أميري المديانيين آنذاك «غراب وذئب» «وقطع رأسيهما.

إنّ جدعون هذا كان خارجاً على القانون، والسلطات المحلية تطارده ومن

معه، فكان يلجأ من مكان إلى مكان ويستخدم العنف والغدر للحصول على الطعام من السكان الآمنين في المنطقة. فهو وبعد أن نجح في قتل «غراب وذئب» بحيلة دبرها وجماعته، هربوا إلى الأردن. ووصل سكّوت فطالب سكانها أن يعطوه خبزاً ليتابع عدوانه فرفض أهل سكوت فهم يعرفون أنّه خارج على القانون والسلطات المحلية تلاحقه. لهذا هدّدهم جدعون قائلاً: «عندما يدفع الرّب زبح وصلمناع بيدّي أدرس لحمكم مع أشواك البرية بالنوارج».

وكذلك فعل معه أهل فنوئيل، فوعد بهدم برج فنوئيل، وتابع سيره إلى أن وصل إلى منطقة تدعى «قرقر» حيث يعسكر هناك ملكا مديان «زبح وصلمنّاع» ومعهما جيش يقدره كاتب السفر بخمسة عشر ألفاً، وقد تمكن جدعون من القضاء على هذا الجيش وأسر الملكين المديانيين زبح وصلمناع، ثم جاء إلى سكُّوت كما وعد فنقرأ: «ودخل إلى أهل سكُّوت وقال هو ذا زبح وصلمناع اللذان عيرتموني بهما قائلين هل أيدي زبح وصلمنّاع بيدك الآن حتى نعطي رجالك المعيين خبزاً. وأخذ شيوخ المدينة وأشواك البرية والنوارج وعلّم بها أهل سكُّوت. وهدم برج فنوئيل وقتل رجال المدينة».

إنّ جدعون هذا الذي كلّفه الرّب شخصيّاً ليكون قاضياً على إسرائيل ومخلصاً لبني إسرائيل من سطوة المديانيين، تخلى عن هذا الإله بعد أن حقّق انتصاراته على الآمنين وسرق منهم أقراط الذهب والفضة بالإضافة إلى الأهلّة والحلق وأثواب الأرجوان والقلائد التي في أعناق جمالهم. فصنع في مدينته عفرة أقوداً حيث نقرأ: «فصنع جدعون منها أقوداً وجعله في مدينته في عفرة وزنى كلّ إسرائيل وراءه هناك فكان ذلك لجدعون وبيته فخّاً».

ونقرأ أيضاً في سفر القضاة عن «يفتاح الجلعادي» الذي أقامه يهوه ليكون قاضياً على إسرائيل وكيف قام بأعماله العدوانية ضدّ السكان الآمنين

في عبر الأردن في أرض الأموريين في جلعاد. وهذا القاضي كان ابن امرأة زانية حسب الرواية التوراتية، وكان خارجاً على القانون ومعه عدد من الرّجال البطالين الذين التفّوا حوله.

قام يفتاح الجلعادي بأعمال عدوانية متعددة ضدَّ عمون كما يروي كاتب سفر القضاة حيث نقرأ: «ثم عبر يفتاح إلى بني عمّون لمحاربتهم فدفعهم الرّب ليده. فضربهم من عروعير إلى مجيئك إلى منّينت عشرين مدينة وإلى آبل الكروم ضربة عظيمة جدّاً».

ومن القضاة أيضاً «شمشون» الذي كان جبّاراً كما يصفه كاتب السفر، وتزوّج من امرأة فلسطينية. وقد قام شمشون بأعمال عدوانية كثيرة ضدّ الفلسطينيين، فنقرأ أنّه قتل في مدينة أشقلون ثلاثين رجلاً وأخذ سلبهم».

ونقرأ أيضاً أنّه أمسك ثلاثمئة ابن آوى وأخذ مشاعل وجعل ذنباً إلى ذنب ووضع مشعلاً بين كل ذنبين في الوسط ثمّ أضرم المشاعل ناراً واطلقها بين زروع الفلسطينيين فأحرق الأكداس والزّرع وكروم الزيتون.

كان شمشون مطارداً من قبل السلطات المحلية لأنّه كان من الخارجين عن القانون وشرساً إلى الدرجة التي لم يكن فيها قادراً على العيش دون أن يقتل ويسلب ويغزو السكان في المنطقة، فالعدوان في عروقه، وقد راح ضحية هذه الرّوح العدوانية آلاف الفلسطينيين كما يرد في الرواية التوراتية.

وفي الإصحاح الثامن عشر من سفر القضاة، نقرأ عن عدوانٍ بشع قام به أفراد عشيرة « الدّانيون» بنوددان أحد أسباط بني إسرائيل، ضدّ سكان منطقة «لايش» الذين كانوا يعيشون حياة هانئة مطمئنة حيث نقرأ: «فأرسل بنو دان من عشيرتهم خمسة رجالٍ منهم بني بأس من صرعة ومن أشتأول لتجسّس الأرض وفحصها».

«فذهب الخمسة الرجال وجاؤوا إلى لايش ورأوا الشعب الذي فيها ساكنين بطمأنينة كعادة الصيدونيين مستريحين مطمئنين وليس في الأرض مؤذٍ بأمرٍ وارثٌ رياسة وهم بعيدون عن الصيدونيين وليس لهم أمرٌ مع إنسان».

فارتحل من هناك من عشيرة الدانيين من صرعة ومن أشتأول ستمئة رجل متسلحين بعدة الحرب. وصعدوا وحلّوا في قرية يعاريم في يهوذا».

«وجاؤوا إلى لايش إلى شعبٍ مستريح مطمئنٍ وضربوهم بحدِّ السيف وأحرقوا المدينة بالنّار. ولم يكن من ينقذ لأنّها بعيدة عن صيدون ولم يكن لهم أمرٌ مع إنسان. وهي في الوادي الذي لبيت رحوب. فبنوا المدينة وسكنوا بها ودعوا اسم المدينة دان باسم دان أبيهم الذي ولد لإسرائيل وأقام بنو دان لأنفسهم التمثال المنحوت».

وفي سفر صموئيل الأوّل نقرأ من الحضّ على العدوان والسلوك العدواني الذي نفذه شاول وجماعته بتوجيهات من صموئيل النبي أو الكاهن الذي كان يؤكد دائماً أنّ الإله يهوه يرغب في ذلك، وهذه الرغبة هي قرار ثابت لا مجالَ للتخلي عنه أو التردّد في تنفيذه. «فيهوه» منتقم، مرعب، غيّور، يغضب فوراً يسير أمام جنوده، يحارب عنهم ويأمر بذبح البشر وتدمير المدن وقتل الشيوخ والأطفال، هكذا كان يصوره صموئيل أو يريده، إلهاً غاضباً، قاسياً متعطشاً للعنف والقتل والدماء، وهو في حمأة غضبه يضرب بالوباء، أو يشقّ الأرض لتبتلع الناس أو يصعق بالموت. أو يسلط النار لتلتهم النّاس وتأكلهم أو يضرب الناس بالبواسير.

إن شاول الذي مسحه لاحقاً صموئيل ملكاً على إسرائيل كما يروي كاتب سفر القضاة. كان متمرداً وخارجاً على القانون ومعه عدد من العاطلين المتمردين أيضاً لاهمَّ لهم إلاّ العدوان والسلب والنهب، وقد تبنّاه الكاهن

الحاقد صموئيل ودعمه مشيراً إلى أنّ يهوه وراءه، فنقرأ: «وقال صموئيل لشاول إياي أرسل الرّب لمسحك ملكاً على شعبه إسرائيل والآن فاسمع صوت كلام الرّب. هكذا يقول ربّ الجنود. إنّي قد افتقدت ما عمل عماليق بإسرائيل حين وقف له بالطريق عند صعوده من مصر. فالآن اذهب واضرب عماليق وحرّموا كلّ ما له ولا تعف عنهم بل اقتل رجلاً وامرأة. طفلاً ورضيعاً، بقراً وغنماً جملاً وحماراً. فاستحضر شاول الشعب وعدّه في طلايم مئتي ألف راجلٍ وعشرة آلاف رجل من يهوذا».

فالسلطة المحلية كانت تلاحق هؤلاء العصاة المتمردين الذين كانوا يختبئون في المغاور والكهوف خلال النهار ويتحركون ليلاً يقطعون الطرق ويسلبون الناس الآمنين. فنقرأ: «وقال شاول لننزل وراء الفسطينيين ليلاً وننهبهم إلى ضوء الصباح ولا نبقي منهم أحداً».

وفي نفس الفترة التي كان فيها شاول متمرداً وخارجاً على القانون ويقف وراءه الكاهن صموئيل، كان داود يظهر على السّاحة شيئاً فشيئاً، يقضي أيامه في الغزو والسّطو بتوجيهات من الرّب يهوه مباشرة فنقرأ: «فقال الرّب لداود اذهب واضرب الفلسطينيين وخلّص قعيلة».

وكان داود يسأل الرّب ليتأكد إن كان بمقدوره ضربهم والانتصار عليهم ويجيبه الرّب مؤكداً على أنّه سيدفعهم إلى يده وسيتمكن منهم فنقرأ:

«فعاد أيضاً داود وسأل من الرّب فأجابه الرّب وقال قم انزل إلى قعيلة وحارب الفلسطينيين فإني أدفع الفلسطينيين ليدك، فذهب داود ورجاله إلى قعيلة وحارب الفلسطينيين وساق مواشيهم وضربهم ضربة عظيمة وخلّص داود سكان قعيلة».

«وصعد داود ورجاله وغزوا الجشوريين والجرزيين والعمالقة لأنّ هؤلاء

من قديم سكّان الأرض من عند شور إلى أرض مصر. وضرب داود الأرض ولم يستبق رجلاً ولا امرأة وأخذ غنماً وبقراً وحميراً وجمالاً وثياباً ورجع وجاء إلى أخيش».

لقد خلت السّاحة لداود بعد أن مات شاول ونشط في عملياته العسكرية ضد السكان من الفلسطينيين والموآبيين والكنعانيين بشكل عام. ولم يكن هناك من يقف في وجهه لأنّ الرّب معه، وهو الذي يحضّه ويدفعه لأن يغزو ويحارب عنه حسب ما يرد في سفر صموئيل الثاني، حيث نقرأ: «وبعد ذلك ضرب داود الفلسطينيين وذللهم وأخذ زمام القصبة من يد الفلسطينيين وضرب المؤابيين وقاسهم بالحبل أضجعهم على الأرض فقاس بحبلين للقتل وبحبلٍ للاستحياء».

«وضرب داود هدد عزر بن رحوب ملك صوبة حين ذهب ليرد سلطته عند نهر الفرات فأخذ داود منه ألف وسبعمائة فارس وعشرين ألف راجل. وعرقب داود جميع خيل المركبات وأبقى منها مئة مركبة».

«وقتل داود من آرام سبعمئة مركبة وأربعين ألف فارس وضرب شوبك رئيس جيشه فمات هناك».

إنّ الأنبياء أو الكهنة أو رجال الله الناطقون باسم يهوه كانوا دوماً وراء كل الأعمال العدوانية والانغلاق والتعصّب والحقد تجاه الشعوب والأمم الأخرى.

لانقرأ عن أي واحد منهم كان يحضُّ على السلام والمحبة والتآخي والعفو عند المقدرة والتسامح.. جميعهم يحضّون على العدوان والإبادة والقتل وعدم الرأفة، والتمّسك بالإله يهوه ربّ الجنود هذا الإله الحاقد الذي لا يرتاح إلاّ بمنظر الدماء، والقتل والتحريم والقطع، وحرق المدن.

في سفر الملوك الثاني مثلاً نقرأ أنّ يهورام ملك إسرائيل ويهوشافاط

ملك يهوذا اتفقا على محاربة موآب، وقرّرا استشارة نبي ليسأل لهم الإله يهوه إن كان سيدفع ليدهم موآب أم لا. فأحضرا أليشع بن شافاط وكان نبيّاً آنذاك فقال لهم: «هكذا قال الرّب اجعلوا هذا الوادي جباباً جباباً لأنّه هكذا قال الرّب لا ترون ريحاً ولا ترون مطراً وهذا الوادي يمتلئ ماءً فتشربون أنتم وماشيتكم وبهائمكم. وذلك يسيرٌ في عيني الرّب فيدفع موآب إلى أيديكم فتضربون كل مدينة محصّنة وكلّ مدينة مختارة وتقطعون كلّ شجرة طيبة وتطمّون جميع عيون الماء وتفسدون كلّ حقلة جيدة بالحجارة».

وفي سفر أشعيا، نجد أنّ هذا النّبي «أشعيا» يشعر بالكآبة والإحباط من التقصير الذي يراه من بني إسرائيل، فهو يريدهم أن لايستريحوا من أعمال العدوان، نظراً لأنّ الإله يهوه يبغض الأمم الأخرى ويحقد عليها ويرغب في سحقها وإبادتها من أجل شعبه الخاصّ المقدس. لهذا فإنّ سفر أشعيا عبارة عن دروس في الحقد والعنصرية والعنف، يحذّر فيها اليهود من التخلّي عن أعمال العدوان والتسلط والقتل حتىلا يغضب الإله يهوه وتنفيذاً للشريعة التي بنيت على التحريم والقطع والحضّ على العدوان والفوقية والعنصرية. فنقرأ: «اقتربوا أيّها الأمم لتسمعوا وأيّها الشعوب اصغوا. لتسمع الأرض وملؤها المسكونة وكلّ نتائجها. لأنّ للرّب سخطاً على كلّ الأمم وحمواً على كل جيشهم. قد حرّمهم دفعهم إلى الذبح. فقتلاهم تطرح وجيفهم تصعد نتانتها وتسيل الجبال بدمائهم. ويفنى كلّ جند السموات وتلتف السموات كدرجٍ وكلَّ جندها ينتثر كانتثار الورق من الكرمة والسقاط من التينة. لأنّه قد روي في السَّموات سيفي هو ذا على أدوم ينزل وعلى شعبٍ حرّمته للرّب سيفٌ قد امتلأ دماً اطلى بشحمٍ بدم خرافٍ وتيوسٍ بشحم كلى كباشٍ لأنّ للرّب ذبيحة في بُصرة وذبحاً عظيماً في أرض أدوم. وسقط البقر الوحشيُّ

معها. والعجول مع الثيران وتروى أرضهم من الدّم وترابهم من الشحم يسمَّن. لأنَّ للرّب يوم انتقام سنة جزاء من أجل دعوى صهيون».

ونقرأ في موضع آخر: «ولكن هكذا يقول ربّ الجنود لا تخف من آشور ياشعبي الساكن في صهيون. يضربك بالقضيب ويرفع عصاه عليك على أسلوب مصر. لأنّه بعد قليل جدّاً يتمُّ السّخط وغضبي في إبادتهم. ويقيم عليه ربُّ الجنود سوطاً كضربة مديان».

«هو ذا السيد ربّ الجنود يقضب الأغصان برعبٍ والمرتفعو القامة يقطعون. والمتشامخون ينخفضون. ويقطع غاب الوعر بالحديد ويسقط لبنان بقديرٍ».

ثم نقرأ في الإصحاح الثالث عشر: «وحيٌّ من جهة بابل رآه إشعيّاء بن آموص. أقيموا رايةً على جبل أقرع. ارفعوا صوتاً إليهم أشيروا باليد ليدخلوا أبواب العتاة. أنا أوصيت مقّدسيَّ ودعوت أبطالي لأجل غضبي مفتخري عظمتي صوت جمهورٍ على الجبال شبه قومٍ كثيرين صوت ضجيج ممالك أمم مجتمعة. ربّ الجنود يعرض جيش الحرب. يأتون من أرض: بعيدةٍ من أقصى السّموات. الرّب وأدوات سخطه ليخرب كلّ الأرض».

«هو ذا يوم الرّب قادم قاسياً بسخطٍ وحموّ غضبٍ ليجعل الأرض خراباً ويبيد منها خطاتها».

إنّ كافة الأمم والشعوب في نظر إشعيا خطاة وبالتالي فإنّ يهوه سيبيدهم من الوجود قتلاً ليبقى شعبه الخاصّ المقدس فقط فنقرأ: «وأعاقب المسكونة على شرّها والمنافقين على إثمهم وأبطل تعظّم المستكبرين وأضع تجبّر العتاة. وأجعل الرجل أعزَّ من الذّهب الإبريز والإنسان أعزَّ من ذهب أوفير لذلك أزلزل السّموات وتتزعزع الأرض من مكانها في سخط ربّ الجنود وفي

يوم حموّ غضبه ويكون كظبي طريدٍ وكغنمٍ بلا من يحميها يلتفتون كلّ واحد إلى شعبه ويهربون كلُّ واحد إلى أرضه. كلّ من وجد يطعن وكلّ من انحاش يسقط بالسّيف. وتحطّم أطفالهم أمام عيونهم وتنهب بيوتهم وتفضح نساؤهم».

لقد تعمد إشعّياء أو كاتب سفر إشعيّاء أن يحسم موضوع التهاون في مسألة الاندماج والمساواة والإنسانية، فاليهود هم الأخيار، هم النخبة والزرع المقدس، هم الأسياد، وهذا ما ينبغي، أن يفهمه كل يهودي ويغدو منهجاً وطريقاً يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالسلوك. وهذا يستدعي دون شك استخدام العنف والقسوة. فنقرأ: «لأنّ الرّب سيرحم يعقوب ويختار أيضاً إسرائيل ويريحهم في أرضهم فتقترن بهم الغرباء وينضمون إلى بيت يعقوب ويأخذهم شعوب ويأتون بهم إلى موضعهم ويمتلكم بيت إسرائيل في أرض الرّب عبيداً وإماءً.

وفي الإصحاح الثلاثين نقرأ: «هو ذا اسم الرّب يأتي من بعيد غضبه مشتعلٌ والحريق شفتاه ممتلئتان سخطاً ولسانه كنارٍ آكلةٍ ونفخته كنهرٍ غامرٍ يبلغ إلى الرقبة لغربلة الأمم بغربال السّوء وعلى فكوك الشّعوب رسنٌ مضلٌّ».

ونقرأ في الإصحاح التاسع والأربعين: «هكذا قال السيد الرّب ها إنّي أرفع إلى الأمم يدي وإلى الشعوب أقيم رايتي فيأتون بأولادك في الأحضان وبناتك على الأكتاف يحملن. ويكون الملوك حاضنيك وسيداتهم مرضعاتك. بالوجوه إلى الأرض يسجدون لك ويلحسون غبار رجليك فتعلمين أنّي أنا الرّب الذي لايخزي منتظروه».

ويستمر إشعيّاء في التأكيد على أنّ كافة الأمم سوف تكون في خدمة إسرائيل حيث نقرأ: «لأنّه تتحوّل إليك ثروة البحر ويأتي إليك غنى الأمم».

«وبنو الغريب يبنون أسوارك وملوكهم يخدمونك لأني بغضبي ضربتك

وبرضواني رحمتك. وتتفتح أبوابك دائماً نهاراً وليلاً لا تغلق. ليؤتَى إليك بغنى الأمم وتقاد ملوكهم. لأنّ الأمّة والمملكة التي لاتخدمك تبيد وخراباً تخرب الأمم».

«ويقف الأجانب ويرعون غنمكم ويكون بنو الغريب حراثيكم وكراميكم، أمّا أنتم فتدعون كهنة الرّب تسمون خدام إلهنا. تأكلون ثروة الأمم وعلى مجدهم تتآمرون».

كما نجد هذه النزعة العدوانية في سفر إرميا أيضاً. وكاتب هذا السفر يركز على ضرورة التمسّك بالرّوح العدوانية تجاه كافة الشعوب وهو يحذر من مغبة التخلي عن هذه الرّوح، لأنّ غضب يهوه سريعٌ وتعطشه للدماء لاحدود له. فنقرأ: «الرّب من العلاء يزمجر ومن مسكن قدسه يطلق صوته يزئر زئيراً على مسكنه بهتافٍ كالدَّائسين يصرخ ضدّ كلّ سكان الأرض بلغ الضجيج إلى أطراف الأرض لأنّ للرّب خصومة مع الشّعوب هو يحاكم كلّ ذي جسدٍ يدفع الأشرار للسّيف يقول الرّب. هكذا قال رب الجنود. هو ذا الشّر يخرج من أمّةٍ إلى أمّةٍ وينهض نوءٌ عظيمٌ من أطراف الأرض. وتكون قتلى الرّب في ذلك اليوم من أقصاء الأرض إلى أقصاء الأرض. لا يندبون ولا يضمّون ولا يدفنون. يكونون دمنةً على وجه الأرض».

فإرميّا النبي، الناطق باسم يهوه لاينسى أبداً أن يؤكد لبني إسرائيل أنّ يهوه ورغم ما يحمله من حقدٍ تجاه كل الأمم وتجاه من يتخلى عن شريعته وقراراته فإنّه سيعيد لبني إسرائيل أمجادهم حتى لو أفنى كل الأمم الأخرى. لكن بشرط أن لا يندمجوا بالشعوب، وأن لايتخلوا عن العدوان بأشكاله المختلفة. فنقرأ: «أمّا أنت ياعبدي يعقوب فلا تخف يقول الرّب ولا ترتعب ياإسرائيل لأنّي ها أنذا أخلصّك من بعيدٍ ونسلك من أرض سبيه فيرجع

يعقوب ويطمئن ويستريح ولا مزعج. لأني أنا معك يقول الرّب لأخلّصك وإن أفنيت جميع الأمم الذين بدّدتك إليهم فأنت لا أفنيك بل أؤدبك بالحقّ ولا أبرئك تبرئةً. لأنّه هكذا قال الرّب كسرك عديم الجبر وجرحك عضالٌ. ليس من يقضي حاجتك للعصر. ليس لك عقاقير رفادةٍ. قد نسيك كلُّ محبيك. إياك لم يطلبوا لأني ضربتك ضربة عدوٍّ تأديب قاسٍ لأنّ إثمك قد كثر وخطاياك تعاظمت قد صنعت هذه بك. لذلك يؤكل كلّ إكليك ويذهب كلُّ أعدائك قاطبة إلى السَّبي ويكون كلُّ سالبيك سلباً وأدفع كلَّ ناهبيك للنهب».

«هو ذا زوبعة الرّب تخرج بغضبٍ. نوءٌ جارفٌ على رأس الأشرار يثور. لا يرتدُّ حموُّ غضب الرّب حتى يفعل وحتى يقيم مقاصد قلبه».

إنّ إرميا، يصب جام غضبه وحقده على كلّ الشعوب والأمم مؤكداً أن يهوه سوف يفني هذه الأمم وسيبيدها ويقتل شبانها وأطفالها وشيوخها ويحرق مدنها من أجل شعبه الخاصّ المقدس. فيبدأ بمصر ويصب لعنته عليها ويدفعها ليد نبوخذ نصر ملك بابل فيضرب جيشها ويبيده وينتقم يهوه من المصريين فنقرأ: «فهذا اليوم للسيد رب الجنود. يوم نقمةٍ للانتقام من مبغضيه فيأكل السّيف ويشبع ويرتوي من دمهم. لأنّ للسّيد ربّ الجنود ذبيحة في أرض الشمال عند نهر الفرات».

ويتابع إرميّا إلى بابل، مؤكداً على فنائها وعودة اليهود منها إلى أورشليم، بأمانٍ واطمئنان. ثمّ يركز على أنّ الفلسطينيين سيهلكون، هكذا قال له الرّب فنقرأ: «كلمة الرّب التي صارت إلى إرميّا النبي عن الفلسطينيين قبل ضرب فرعون غزة».

«بسبب اليوم الآتي لهلاك كلّ الفلسطينيين لينقرض من صور وصيدون كلَّ بقيةٍ تعين لأنّ الرّب يهلك الفلسطينيين بقية جزيرة كفتور».

ويتوعد أيضاً بضرب موآب وتخريبها وإبادتها من الوجود. حيث نقرأ: «قريبٌ مجيء هلاك موآب وبليتها مسرعةٌ جدّاً. اندبوها ياجميع الذين حواليها وكلّ العارفين اسمها قولوا كيف انكسر قضيب العزّ عصا الجلال. انزلي من المجد اجلسي في الظّلماء أيتها الساكنة بنت ديبون لأنّ مهلك موآب قد صعد إليك وأهلك حصونك. قفي على الطريق وتطلعي ياساكنة عروعير. اسألي الهارب والناجية قولي ماذا حدث. قد خزي موآب لأنّه قد نقض. ولولوا واصرخوا أخبروا في أرنوب أنّ موآب قد أُهلك.

كما يتوعّد بني عمون قائلاً: «ها أيامٌ تأتي يقول الرّب وأسمع في ربّة بني عمون جلبة حربٍ وتصير تلا خرباً وتحرق بناتها بالنّار فيرث إسرائيل الذين ورثوه يقول الرّب».

أمّا عن أدوم فيقول: «لأنّي بذاتي حلفت يقول الرّب بصرة تكون دهشاً وعاراً وخراباً ولعنة وكلّ مدنها تكون خرباً أبديةً».

«وتصير أدوم عجباً كلُّ مارٍّ بها يتعجب ويصفر بسبب كلّ ضرباتها كانقلاب سدوم وعمورة ومجاوراتها يقول الرّب لايسكن هناك إنسان ولا يتغرب فيها ابن آدم».

وعن دمشق: «خزيت حماة وأرفاد. قد ذابوا لأنهم قد سمعوا خبراً رديئاً. في البحر اضطراب لا يستطيع الهدوء. ارتخت دمشق والتفتت للهرب. أمسكتها الرعدة وأخذها الضيق والأوجاع كماخضٍ كيف لم تترك المدينة الشهيرة قرية فرحي. لذلك تسقط شبانها في شوارعها وتهلك كلّ رجال الحرب في ذلك اليوم يقول ربّ الجنود».

كما يعرج على قيدار وممالك حاصور قائلاً: «وتكون حاصور مسكن

بنات آوى وخربة إلى الأبد، لايسكن هناك إنسان ولا يتغرّب فيها ابن آدم».

وأيضاً يتوعد عيلام قائلاً: «كلمة الرّب التي صارت إلى إرميّا النبي على عيلام. في ابتداء ملك صديقيا ملك يهوذا قائلة. هكذا قال ربّ الجنود. هاأنذا أحطم قوس عيلام أول قوتهم وأجلب على عيلام أربع رياحٍ من أربعة أطراف السماء وأذريهم لكل هذه الرياح ولا تكون أمة إلا ويأتي إليها منفيو عيلام. وأجعل العيلاميين يرتعبون أمام أعدائهم وأمام طالبي نفوسهم وأجلب عليهم شرّاً حموَّ غضبي يقول الرّب. وأرسل وراءهم السّيف حتى أفنيهم».

وأخيراً يتناول بابل وأرض الكلدانيين متوّعداً أيضاً ومشيراً إلى أنّ الهلاك آت والخراب كبيرٌ، وأنّ يهوه سيسلط على البابليين شعباً كبيراً جباراً يأتي من الشمال فيدمر ويحرق ويقتل ويسبي دون رحمة أو شفقة وينتقم له منهم لأنهم سبوا شعبه الخاصّ المدلل. فنقرأ في عدة مواضع ضمن الإصحاح الخمسين: «ها أنذا أوقظ وأصعد على بابل جمهور شعوبٍ عظيمةٍ من أرض الشمال فيصطفون عليها. من هناك تؤخذ. نبالهم كبطلٍ مهلكٍ لا يرجع فارغاً وتكون أرض الكلدانيين غنيمة. بكل مغتنميها يشبعون يقول الرّب».

«بسبب سخط الرّب لاتسكن بل تصير خربةً بالتمام كل مارٍّ ببابل يتعجب ويصفر بسبب كلّ ضرباتها. اصطفوا على بابل حواليها ياجميع الذين ينزعون في القوس. ارموا عليها لا توفروا السهام لأنّها قد أخطأت إلى الرّب. اهتفوا عليها حواليها. قد أعطت يدها. سقطت أسسها. نقضت أسوارها لأنّها نقمة الرّب هي فانقموا منها».

«هكذا قال الرّب. ها أنذا أوقظ على بابل وعلى الساكنين في وسط القائمين عليَّ ريحاً مهلكة. وأرسل إلى بابل مذرين فيذرونها ويفرغون أرضها لأنهم يكونون عليها من كلّ جهة في يوم الشرا. على النازع في قوسه فلينزع

النازع وعلى المفتخر بدرعه فلا تشفقوا على منتخبيها بل حرموا كل جندها. فتسقط القتلى في أرض الكلدانيين والمطعونون في شوارعها».

ويتابع إرميّا مواعظه لبني إسرائيل متوعداً كالمعتاد ومهدداً بربِّ الجنود يهوه المنقذ الوحيد لهم وقضيب الميراث الأوحد الذي يجعل منهم قوة ضاربة قادرة على سحق كل الأمم. بسكانها ومدنها وأطفالها وشيوخها.. فنقرأ: «أنت لي فأسٌ وأدوات حربٍ فأسحق بك المركبة وراكبها. وأسحق بك الرجل والمرأة وأسحق بك الشيخ والفتى وأسحق بك الغلام والعذراء. وأسحق بك الراعي وقطيعه. وأسحق بك الفلاح وفدانه. وأسحق بك الولاة والحكام. وأكافئ بابل وكلّ سكان أرض الكلدانيين على كلّ شرهم الذي فعلوه في صهيون أمام عيونكم يقول الرّب».

«لذلك هكذا قال الرّب. ها أنذا أخاصم خصومتك وأنتقم نقمتك وأنشف بحرها وأجفف ينبوعها. وتكون بابل كوماً ومأوى بنات آوى ودهشاً وصفيراً بلا ساكنٍ».

وكما كانَ إرميّا متشدداً في أمر التمسّك بالروح العدوانية والسلوك العدواني، فإنّ حزقيال النبي أيضاً رفع راية الحقد والعدوان محذّراً ومهدداً ومتوعداً بأنّ يهوه لن يسمح أبداً بالتخلي عن هذه النزعة، وسيصب جام غضبه حتى على شعبه الخاص المقدس إن تردد أو تجاهل هذا الأمر.. فنقرأ في سفر حزقيال مزيداً من أفكار الحضّ على العدوان والسلوك العدواني بلسان النبي حزقيال الناطق باسم يهوه.

وأيضاً اتبع حزقيال نفس الأسلوب الذي اتبعه إرميّا في صبّ جام غضبه على الشعوب والأمم مؤكداً على أنها ستباد وستدمر وستحرق لأنّها رأت مذّلة إسرائيل وفرحت حسب رأيه فنقرأ: «وكان إليَّ كلام الرّب قائلاً: ياابن

آدم اجعل وجهك نحو بني عمون وتنبأ عليهم. وقل لبني عمون اسمعوا كلام السيد الرّب. هكذا قال السّيد من أجل أنك قلت هه على مقدسي لأنّه تنجس وعلى أرض إسرائيل لأنّها خربت وعلى بيت يهوذا لأنهم ذهبوا إلى السبي. فلذلك ها أنذا أسلمك لبني المشرق ملكاً فيقيمون صيرهم فيك ويجعلون مساكنهم فيك. هم يأكلون غلتك وهم يشربون لبنك وأجعل ربة مناخاً للإبل وبني عمون مربضاً للغنم فتعلمون أني أنا الرّب.لأنّه هكذا قال السّيد الرّب. من أجل أنك صفقت بيديك وخبطت برجليك وفرحت بكل إهانتك للموت على أرض إسرائيل فلذلك ها أنذا أمد يدي عليك وأسلمك غنيمة للأمم وأستأصلك من الشعوب وأبيدك من الأراضي. أخربك فتعلم أني أنا الرّب».

وهذا ما جرى على موآب وسعير فنقرأ: «من أجل أنّ موآب وسعير يقولون هو ذا بيت يهوذا مثل كلّ الأمم. لذلك ها أنذا أفتح جانب موآب من المدن. من مدنه من أقصاها بهاء الأرض بيث بشيموت وبعل معون وقرتيايم. لبني المشرق على بني عمون وأجعلهم ملكاً لكيلا يذكر بنو عمون بين الأمم وبموآب أجري أحكاماً فيعلقون أني أنا الرّب».

ولم تنجُ أدروم من العدوان فكانت من المناطق التي رأى حزقيال ضرورة إبادتها والانتقام من سكانها وهو ماأشار إليه السّيد الرّب فنقرأ:

«من أجل أنّ أدوم قد عمل بالانتقام على بيت يهوذا وأساء إساءة وانتقم منه لذلك هكذا قال السيد الرّب وأمدُّ يدي على أدوم وأقطع منها الإنسان والحيوان وأصيرها خراباً من التيمن وإلى ددان يسقطون بالسيف وأجعل نقمتي في أدوم بيد شعبي إسرئيل فيفعلون بأدوم كغضبي وكسخطي فيعرفون نقمتي يقول السيد الرّب».

ثمّ نقرأ عن توعده لاستئصال الفلسطينيين من الوجود، فيقول: «من

أجل أنّ الفلسطينيين قد عملوا بالانتقام وانتقموا نقمةً بالإهانة إلى الموت للخراب من عداوةٍ أبديةٍ فلذلك هكذا قال السّيد الرّب ها أنذا أمدُّ يدي على الفلسطينيين وأستأصل الكريتيين وأهلك بقية ساحل البحر. وأجري عليهم نقماتٍ عظيمةً بتأديب سخطٍ فيعلمون أنّي أنا الرّب إذ أجعل نقمتي عليهم».

ويتابع حزقيال ما قاله الإله يهوه بشأن الأمم والشعوب ويتحدّث عن صور بلسان يهوه مهدّداً ومتوّعداً بتخريب أسوارها وأبراجها وقتل سكانها بالسيف ونهب ثرواتها. فقط لأنّها قالت على أورشليم «هه». فنقرأ بعضاً من هذا التوّعد: «ها أنذا عليك ياصور فأصعد عليك أمماً كثيرة كما يُعلّي البحر أمواجه فيخربون أمواج صور ويهدمون أبراجها وأسحي ترابها عنها وأصيّرها ضحَّ الصخر. فتصير مبسطاً للشّباك في وسط البحر لأنيّ أنا تكلّمت يقول السّيد الرّب وتكون غنيمةً للأمم وبناتها اللواتي في الحقل تقتل بالسّيف فيعلمون أنيّ أنا الرّب».

ثم يتحدّث عن صيدون قائلاً: «ها أنذا عليك ياصيدون وسأتمجد في وسطك فيعلمون أني أنا الرّب حين أجري فيها أحكاماً وأتقدّس فيها وأرسل عليها وباءً ودماً إلى أزقتها ويسقط الجرحى في وسطها بالسّيف الذي عليها من كل جانبٍ فيعلمون أني أنا الرّب».

ويتحدّث أيضاً عن مصر قائلاً: «ها أنذا أجلب عليك سيفاً وأستأصل منك الإنسان والحيوان وتكون أرض مصر مقفرة وخربةً فيعلمون أنيّ أنا الرّب».

ويبدو أنّ حزقيال مستاءٌ من سكان جبل «سعير». فهو يكرّر توعّده لهم نقلاً عن السّيد الرّب فيقول: «ها أنذا عليك ياجبل سعير وأمدُّ يدي عليك وأجعلك خراباً مقفراً. أجعل مدنك خربةً وتكون أنت مقفراً وتعلم أنّي أنا الرّب. لأنّه كانت لك بغضةٌ أبديةٌ ودفعت بني إسرائيل إلى يد السّيف في

وقت مصيبتهم وقت إثم النهاية. لذلك حيٌّ أنا يقول السّيد الرّب إني أهيئُك للدَّم والدّم يتبعك. إذ لم تكره الدَّم فالدَّم يتبعك فأجعل جبل سعير خراباً ومقفراً وأستأصل منه الذَّاهب والآئب.. وأملأ جباله من قتلاه. تلالك وأوديتك وجميع أنهارك يسقطون فيها قتلى بالسّيف وأصيّرك خرباً أبديةً ومدنك لن تعود فتعلمون أني أنا الرّب».

ثم يذكر أرض ماجوج ورئيسها «جوجٍ». فهي من المناطق المعادية لبني إسرائيل وينبغي سحقها وعبادتها أيضاً حتى يرتاح شعب يهوه الخاص المقدّس. فنقرأ: «ها أنذا عليك ياجوج رئيس روشٍ ماشك وتوبال. وأردّك وأقودك وأصعدك من أقاصي الشّمال وآتي بك على جبال إسرائيل وأضرب قوسك من يدك اليسرى، وأسقط سهامك من يدك اليمنى. فتسقط على جبال إسرائيل أنت. وكلّ جيشك والشعوب الذين معك أبذلك مأكلاً للطيور الكاسرة من كلّ نوعٍ ولوحوش الحقل. على وجه الحقل تسقط لأني تكلّمت يقول السّيد الرّب. وأرسل ناراً على ماجوج وعلى الساكنين في الجزائر آمنين فيعلمون أني أنا الرّب».

ويتابع بهذه اللغة الحاقدة القاسية المليئة بالرّوح العدوانية قائلاً: «قل لطائر كل جناحٍ ولكلّ وحوش البرِّ اجتمعوا وتعالوا احتشدوا من كلّ جهةٍ إلى ذبيحتي التي أنا ذابحها لكم. ذبيحةٌ عظيمةٌ على جبال إسرائيل لتأكلوا لحماً وتشربوا دماً. تأكلون لحم الجبابرة وتشربون دم رؤساء الأرض. كباشٌ وحملانٌ وأعتدةٌ وثيرانٌ كلّها من قسّمنات باشان. وتأكلون الشحم إلى الشَّبع وتشربون الدَّم إلى السُّكر من ذبيحتي التي ذبحتها لكم. فتشبعون على مائدتي من الخيل والمركبات والجبابرة وكلّ رجال الحرب يقول السّيد الرّب».

وفي الأسفار التوراتية الباقية «هوشع، يوئيل، عاموس، يونان، عوبديا،

ميخا، ناحوم، حبّقوق، صفنيا، حجّي، زكريّا، ملاخي» في هذه الأسفار نجد أيضاً تلك الرّوح العدوانية، التي لاتتحدّث إلاّ عن القتل والتّدمير والاستئصال والقطع والتحريم والسّبي وغضب ربّ الجنود يهوه وتوعّده الدائم بالإبادة وتهديده المستمر لشعبه الخاص إن حاول أن يتخلى عن هذه الرّوح العدوانية.

وكلّ نبّيٍّ من هؤلاء يشير في سفره أنّ يهوه سيفني الشعوب والأمم من أجل بني إسرائيل، سيدمر المدن ويقتل النساء والأطفال والشيوخ وأورشليم وحدها هي الباقية ويسكب الرّب روحه على كل واحد من بني إسرائيل، ويحاكم جميع الأمم والشعوب بعد أنّ يردّ سبي يهوذا وإسرائيل. فنقرأ:

«لأنّه هو ذا في تلك الأيام وفي ذلك الوقت عندما أردُّ سبي يهوذا وأرشليم أجمع كلَّ الأمم وأنزلهم إلى وادي يهو شافاط وأحاكمهم هناك على شعبي وميراثي إسرائيل».

«وماذا أنتن لي ياصور وصيدون وجميع دائرة فلسطين. هل تكافئوني عن العمل أم هل تصنعون بي شيئاً. سريعاً بالعجل أردُّ عملكم على رؤوسكم لأنكم أخذتم فضتي وذهبي وادخلتم نفائسَي الجيّدة إلى هياكلكم. وبعتم بني يهوذا وبني أورشليم لبني اليادانيين لكي تبعدوهم عن تخومهم. ها أنذا أنهضهم من الموضع الذي بعتوهم إليه وأردُّ عملكم على رؤوسكم. وأبيع بنيكم وبناتكم بيد بني يهوذا ليبيعوهم للسّبائيين لأمّةٍ بعيدةٍ لأنّ الرّب قد تكلّم».

أمّا عاموس النّبي فهو يدعو إلى معاقبة الشعوب والأمم جميعها والرّب هو الذي أخبره بذنوب هذه الأمم والشعوب. وهو الذي سيعاقبها قتلاً وتدميراً وإبادةً فنقرأ: «هكذا قال الرّب. من أجل ذنوب دمشق الثلاثة والأربعة لا أرجع عنه لأنّهم داسوا جلعاد بنوارج من حديد. فأرسل ناراً على بيت حزائيل فتأكل قصور بنهدد وأكسر مغلاق دمشق وأقطع الساكن من بقعة آون وما

سك القضيب من بيت عدنٍ ويسبى شعب آرام إلى قير قال الرّب».

«هكذا قال الرّب. من أجل ذنوب غزّة الثلاثةِ والأربعةِ لا أرجع عنه لأنّهم سبوا سبياً كاملاً لكي يسلموه إلى أدوم فأرسل ناراً على سُورِ غزّة فتأكل قصورها. وأقطع السّاكن من أشدود وماسك القضيب من أشقلون وأردُّ يدي على عقرون فتهلك بقية الفلسطينيين قال السيد الرّب».

«هكذا قال الرّب. من أجل ذنوب صور الثلاثة والأربعة لا أرجع عنه لأنهّم سلّموا سبياً كاملاً إلى أدوم ولم يذكروا عهد الإخوة. فأرسل ناراً على سور صور فتأكل قصورها».

«هكذا قال الرّب. من أجل ذنوب أدوم الثلاثة والأربعة لا أرجع لأنّه تبع بالسيف أخاه وأفسد مراحمه وغضبه إلى الدّهر يفترس وسخطه يحفظه إلى الأبد فأرسل ناراً على تيمان فتأكل قصور بصرة».

«هكذا قال الرّب. من أجل ذنوب بني عمّون الثلاثة والأربعة لا أرجع عنه لأنّهم شقّوا حوامل جلعاد لكي يوسّعوا تخومهم. فأضترم ناراً على سور ربّة فتأكل قصورها. بجلبةٍ في يوم القتال بنوءٍ في يوم الزّوبعة. ويمضي ملكهم إلى السّبي هو ورؤساؤه جميعاً قال الرّب».

«هكذا قال الرّب. من أجل ذنوب موآب الثلاثة والأربعة لا أرجع عنه لأنهم أحرقوا عظام ملك أدوم كلساً. فأرسل ناراً على موآب فتأكل قصور قريوت ويموت موآب بضجيج بجلبةٍ بصوت البوق وأقطع القاضي من وسطها وأقتل جميع رؤسائها معه قال الرّب».

وفي سفر عوبديا نقرأ: «هكذا قال السّيد الرّب عن أدوم. سمعنا خبراً من قبل الرّب وأرسل رسولٌ بين الأمم. قوموا ولنقم عليها للحرب. إنّي قد

جعلتك صغيراً بين الأمم. أنت محتقرٌ جدّاً».

كما نقرأ في سفر ميخا: «قومي ودوسي يابنت صهيون لأنّي أجعل قرنك حديداً وأظلافك أجعلها نحاساً فتسحقين شعوباً كثيرين وأحرّم غنيمتهم للرّب».

وهذا ناحوم النّبي أيضاً يصب جام غضبه على نينوى فيتوعد ويتهدد ويزمجر غاضباً متأثراً بالإله يهوه فنقرأ: «الرّب إله غيورٌ ومنتقمٌ. الرّب منتقمٌ وذو سخطٍ. الرّب منتقمٌ من مبغضيه وحافظٌ غضبه على أعدائه».

من يقوم أمام سخطه ومن يقوم في حموِّ غضبه، غيظه ينسكب كالنّار والصخور تتهدم منه».

«قفوا قفوا ولا ملتفت انهبوا فضةً انهبوا ذهباً. فلا نهاية للتحف للكثرةِ من كلّ متاعٍ شهيٍّ».

«ها أنا عليك يقول رب الجنود. فأحرق مركباتك دخاناً وأشبالك يأكلها السَّيف وأقطع من الأرض فرائسك ولا يسمع أيضاً صوت رسلك».

ثمّ يصف لنا «صفنيا» النّبي المآسي التي ستعاني منها الشعوب والأمم من جرّاء غضب يهوه وسخطه عليهم لأنّهم لايؤمنون به فنقرأ:

«لأنّ غزّة تكون متروكةً وأشقلون للخراب. أشدود عند الظهيرة يطردونها وعقرون تستأصل. ويل لسكّان ساحل البحر أمَّة الكريتيين. كلمة الرّب عليكم ياكنعان أرض الفلسطينيين إنّي أخربك بلا ساكنٍ ويكون ساحل البحر مرعًى بآبارٍ للرعاة وحظائر الغنم. ويكون الساحل لبقية يهوذا عليه يرعون في بيوت أشقلون عند المساء يربضون لأنّ الرَّبَّ إلههم يتعهَّدهم ويردُّ سبيهم».

«حيٌّ أنا يقول ربُّ الجنود إله إسرائيل إنَّ موآب تكون كسدوم وبنو عمَّون

كعمورة ملك القريص وحفرة ملحٍ وخراباً إلى الأبد. تنهبهم بقيّة شعبي. وبقيّة أمتي تمتلكهم».

«وأنتم أيّها الكوشيون. قتلى سيفي هم. ويمدّ يده على الشمال ويبيد آشور ويجعل نينوى خراباً يابسة كالقفر».

«لذلك فانتظروني يقول الرَّبُّ إلى يوم أقوم إلى السّلب لأنَّ حكمي هو بجميع الأمم وحشر الممالك لأصبَّ سخطي كلَّ حمو غضبي لأنّه بنار غيرتي تؤكل كلُّ الأرض».

ويرى النبي حجي. في سفره أنّ يهوه سيمحو الأمم كلها ويبقى فقط على بني إسرائيل شعبه الخاص فنقرأ: «وأزلزل كلَّ الأمم ويأتي مشتهى كلّ الأمم فأملأ هذا البيت مجدّاً قال ربُّ الجنود. لي الفضة ولي الذّهب يقول ربُّ الجنود».

«وأقلب كرسي الممالك وأبيد قوّة الأمم وأقلب المركبات والراكبين فيها وينحطُّ الخيل وراكبوها كلٌّ منها بسيف أخيه».

ولا يختلف عنه النبي زكريا في هذا الأمر. فهو يرى أن يهوه غار على أورشليم وغضب من الأمم والشّعوب ورأى ضرورة العدوان عليها وسحقها وإبادتها فنقرأ: «هكذا قال رب الجنود. غرت على أورشليم وعلى صهيون غيرةً عظيمةً وأنا مغضبٌ بغضبٍ عظيم على الأمم المطمئنين».

كما يرى أنَّ الأمم كلّها ستخضع لربِّ الجنود ويسجدون له مخافة غضبه وقسوته وقدرته. وستغدوا أورشليم المقرَّ الرئيسي للأمم والشعوب تأتي إليها قبائل الأرض وتسجد للملك ربّ الجنود. فنقرأ: «وهذه تكون الضربة التي يضرب بها الرَّب كلَّ الشعوب الذين تجندوا على أورشليم. بحمهم يذوب

وهم واقفون على أقدامهم. وعيونهم تذوب في أوقابها ولسانهم يذوب في فمهم فيمسك الرجل بيد قريبه وتعلو يده على يد قريبه».

«ويكون أنَّ كلّ الباقي من جميع الأمم الذين جاؤوا على أورشليم يصعدون من سنة إلى سنة ليسجدوا للملك ربِّ الجنود وليعيدوا عيد المظال. ويكون أنَّ كلَّ من لا يصعد من قبائل الأرض إلى أورشليم ليسجد للملك ربّ الجنود لايكون عليهم مطرٌ. وإن لاتصعد ولاتأتي قبيلة مصر ولا مطرٌ عليها تكن عليها الضربة التي يضرب بها الرّبّ الأمم الذين لايصعدون ليعيّدوا عيد المظال. هذا يكون قصاص مصر وقصاص كلّ الأمم الذين لا يصعدون ليعيدوا عيد المظال».

٢ - النزعة العنصرية

إنّ الروح العدوانية التي تجذّرت في ذوات وعقول اليهود ارتكزت أيضاً على نزعات حذّرالإله ربّ الجنود من تجاهلها، وكانت بمثابة الركيزة الأساسية لهذه الروح العدوانية.. كالنزعة العنصرية التي ساهمت في انغلاقهم وتعصّبهم وتوجسهم من الأغيار، واعتقادهم بأنهم الزّرع المقدّس والشعب المختار.

فالعنصرية في جوهرها نزعة عدوانية، ولا يمكن أن تكون إلا كذلك نظراً لأنّها تبنى على التمييز والتميز والاختيار والتفوق والفرادة.

واليهودية تنصّ على أنّ اليهود يشكلون عنصراً مميّزاً على سائر العناصر البشرية، وشعباً متميزاً على كافة الشعوب بخصائصه وفرادته.، والتعاليم الدينية اليهودية تركز بقوّة على العنصرية عبر تأكيدها على الاختيار والقداسة والتفّوق، وعدم الاختلاط بالشعوب والأمم. وإسرائيل اليوم تربط كيانها السياسي بالدّين، وتجعل من الدين أساساً لوجودها وحجّة في اغتصاب الأرض واستملاكها. والدين اليهودي في نظر المفكرين اليهود والصهاينة

هوالأساس الذي تقوم عليه الأيديولوجية أو القومية اليهودية، كما أنّ الكنيس اليهودي هو محور الهوية الذاتية اليهودية في دول الغرب.

إنّهم ينظرون إلى فلسطين على أنّها أرض إسرائيل فهي ملك لهم وعلاقتهم بها تاريخية في أي مناسبة أو محاججة سياسية سواء أكانوا مؤمنين دينيّاً بالتوراة أم غير مؤمنين.

والسياسيون اليهود والصهاينة يعتمدون اعتماداً كاملاً على النصوص الدينية في كتاباتهم وتصريحاتهم السياسية، وهذه النصوص الدينية مليئة بالعنصرية والروح العدوانية. وهو ما سأستشهد به في هذا الفصل الذي أفردته للنزعة العنصرية في التعاليم الدينية اليهودية. نظراً لأنّ الصهاينة واليهود عموماً يستندون إلى الدين في كل ما يتعلق بأمورهم واتجاهاتهم السياسية والاجتماعية، ويعتبرون نصوص الدين أساساً لكل عمل لهم في الأرض، وهم يعلنون دائماً أنّ اليهود يشكّلون كياناً دينيّاً قوميّاً عرقيّاً، غير قابل للاندماج أو الانصهار في الشعوب الأخرى.

إن الكنعانين حسب ما نستشفه من النّصوص التوراتية كانوا يمتلكون ذهنية متفتّحة، ويتصفون بالكرم والمحبة والطيبة، والانفتاح على الأمم الأخرى.

كان إبراهيم الخليل يتنقل في أرض كنعان بحرية وأمان. وحكام المنطقة يقدّمون له كل التسهيلات الكفيلة بتأمين الإقامة والاطمئنان والكلأ وحرية العمل والحركة والاحترام. فنقرأ في سفر التكوين: «فأتوا إلى أرض كنعان واجتاز أبرام في الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مور وكان الكنعانيون حينئذٍ في الأرض وظهر الرّب لأبرام وقال لنسلك أعطي هذه الأرض، فبنى هناك مذبحاً للرّب الذي ظهر له، ثم نقل من هناك إلى الجبل شرقي بيت إيل ونصب خيمته وله بيت إيل من المغرب وعائي من المشرق فبنى هناك

مذبحاً للرّب ودعا باسم الرّب ثم ارتحل أبرام ارتحالاً متوالياً نحو الجنوب».

كان يتصرّف بحرية وأمان، ولم يتعرّض له أحد من الكنعانيين بسوء. ولم يطلبوا منه أن يهدم مذبحه ولا أن يرحل ولا أن يلتزم بعبادة آلهتهم، وقد بنى مذبحين للرّب إلهه قبل أن يرتحل إلى مصر، وعندما عاد من مصر بعد أن تغرّب فيها وجد المذبحين كما هما قبل رحيله لم يتعرض لهما أحد بسوء. علماً أنّه كان بمقدور الكنعانيين أن يهدموا المذبحين وأن يفرضوا على إبراهيم التمسك بعبادة آلهتهم أو أن يرحل.. لكن هذا لم يحدث، بل على العكس. احترم الكنعانيون إبراهيم وتركوا له حرّية العقيدة والعبادة. وصادقوه واحتضنوه بين ظهرانيهم بمحبة واحترام فنقرأ: «ثم انتقل إبراهيم إلى بلوطات ممرا التي في حبرون وأقام هناك وبنى مذبحاً للرّب وسكن بأمان وطمأنينة تحت راية ممرا الأموري وأخويه أشكول وعانر وكانوا أصحاب عهدٍ مع إبراهيم».

واستوطن إبراهيم في أرض الجنوب بين قادش وشور وتغرّب في جرار، وقد لقي كل الاحترام والتقدير من ملك جرار «أبيمالك» الذي قال لإبراهيم: «هو ذا أرضي قدامك اسكن في ما حسن في عينيك».

كما تغرّب إبراهيم في أرض الفلسطينيين أياماً كثيرة، ولما ماتت امرأته «ساره» تضامن معه بنو حثّ سكان المنطقة وكانوا له عوناً ومنحوه حقلاً ومغارة ليدفن امرأته» سارة» ولم يشعروه أبداً أنّه غريبٌ عنهم وكانوا يعتبرونه مؤمناً تقيّاً رغم أنّه لم يكن يتعبّد لآلهتهم فنقرأ: «وقام إبراهيم من أمام ميته وكلّم بني حثّ قائلاً. أنا غريب ونزيلٌ عندكم أعطوني ملك قبرٍ معكم لأدفن ميتي من أمامي. فأجاب بنو حثّ إبراهيم قائلين له اسمعنا ياسيدي أنت رئيس من اللّه بيننا في أفضل قبورنا ادفن ميتك. لايمنع أحدٌ منّا قبره

عنك حتى لا تدفن ميتك».

وبنفس الروح المتسامحة والكرم والإنسانية، احتضن الكنعانيون ابنه إسحق الذي سكن بعد وفاة والده إبراهيم في منطقة تدعى بئر لحي رئي، ثم ذهب إلى منطقة جرار فاستقبله ملكها «حاكمها» أبيمالك خير استقبال وكرّمه تكريماً جيداً وأوصى به قائلاً لشعبه: «الذي يمسُّ هذا الرجل أو امرأته موتاً يموت».

ثم استوطن إسحق في بئر سبع وبنى هناك مذبحاً للرّب، وقد عاش بين الكنعانيين بأمان وطمأنينة، وتزوج ابنه «عيسو» امرأة من بني حث تدعى «يهوديت» إبنة بيري الحّثي، وتزوج أيضاً امرأة حثّية أخرى تدعى «بسمة» إبنة إيلون الحثي.

فالكنعانيون كانوا يتصفون بالصفاء والتسامح وكرم الضيافة والشهامة والإنسانية وهذا ما كان يدفعهم إلى احتضان الرّحل من العناصر البدوية الصحراوية ويفسحون لهم المجال للسكن في أراضيهم وانتجاع مراعيهم ومنحهم حرية العبادة. ولهذا كان «يعقوب بن إسحق» في طمأنينة بين ظهرانيهم عندما عاد من فدان آرام بعد أن تغرّب هناك هرباً من أخيه عيسو بعد أن غدر به بالاتفاق مع أمّه ووالده، وسرق منه البكورية والبركة.

فقد نزل أمام مدينة شكيم وأقام هناك مذبحاً للرّب، وقد كرّمه رئيس المنطقة وكان يدعى «حمور» وطرح معه فكرة الاختلاط والاندماج عبر التصاهر والتعاون والتضامن. فنقرأ: «تعطونا بناتكم وتأخذون لكم بناتنا وتسكنون معنا وتكون الأرض قدامكم اسكنوا واتجروا فيها وتملكوا بها».

على الرغم من هذا التسامح والترحيب والانفتاح الذي أبداه الكنعانيون

لبني إسرائيل، فقد نظر الإسرائيليون إليهم نظرة تعصّب وعنصرية، وعدوانية لأنّ إلههم الخاصّ صوّر لهم الكنعانيين أعداءً وكفرة ولذا ينبغي الانعزال عنهم وإذا أمكن إبادتهم واحتلال مناطقهم.

فالمصاهرة أمرٌ مرفوض البتة. فلا يجوز في عقيدتهم أن يتدنس الزرع المقدّس برجاسات الأمم. فرغم كلّ مالاقاه إبراهيم من تكريم ومودة واحترام في كنعان من سكانها وبمختلف مناطقها التي سكن فيها، فإنّه لم يكن ليتخلى عن نزعته العنصرية كما نستشف من النصّ التوراتي وكأنّ كاتب النصّ يرغب أن يصوّر إبراهيم متعصّباً عنصريّاً انعزاليّاً مترفّعاً.

إنّ إبراهيم رفض أن يتزوّج ابنه اسحق من بنات كنعان. وأصر أن يأخذ بنتاً من عشيرته حصراً فنقرأ: «وشاخ إبراهيم وتقدّم في الأيام وبارك الرّب إبراهيم في كلّ شيء وقال إبراهيم لعبده كبير بيته المستولي على كلّ ما كان له. ضع يدك تحت فخذي فأستحلفك بالرّب إله السماء وإله الأرض أن لا تأخذ زوجة لابني من بنات الكنعانيين الذين أنا ساكن بينهم. بل إلى أرضي وعشيرتي تذهب وتأخذ زوجة لابني إسحق»..

لقد نفّذ إسحق وصية أبيه وتزوّج من فدّان آرام كما يرد في سفر التكوين: «واتخذ لنفسه زوجة رفقة بنت بتوئيل الآرامي من فدان آرام»

وورث إسحق عن أبيه إبراهيم هذه النزعة العنصرية، حيث يكتب محرّر النصّ التوراتي أن إسحق أمر ابنه يعقوب أن لا يأخذ زوجة من بنات كنعان أيضاً فنقرأ: «فدعا إسحق يعقوب وباركه وأوصاه وقال له لا تأخذ زوجةً من بنات كنعان. قم اذهب إلى فدّان آرام إلى بيت بتوئيل أبي أمّك وخذ لنفسك زوجة من هناك من بنات لابان أخي أمّك».

التزم يعقوب بالأمر خاصّة وأنّ أمّه «رفقة» كانت قد هدّدت أن تقتل نفسها إن تزوّج من بنات كنعان حيث نقرأ: «وقالت رفقة لإسحق مللت حياتي من أجل بنات حث. إن كان يعقوب يأخذ زوجةً من بنات حث مثل هؤلاء من بنات الأرض فلماذا لي حياة».

لقد دفعت العنصرية أبناء يعقوب لارتكاب جريمة بشعة بحقّ سكان منطقة شكيم الذين احتضنوهم في أرضهم وأكرموهم ورحبوا حتى بالاختلاط معهم. وكان سبب هذه الجريمة البشعة أنّ «شكيم» ابن حاكم المنطقة «حمور» أراد أن يتزوج من «دنية» ابنة يعقوب التي أحبها وأحبته، وقد طلبها له والده رسميّاً ووافق على كافة شروطهم ومنها «ختان جميع الذكور في منطقة شكيم».

لم يكن ليدري حمور ولا ابنه أنّ شرط الختان كان خدعة وحيلة خطّط لها أبناء يعقوب ليرتكبوا جريمتهم انتقاماً وتخلّصاً من فكرة المصاهرة والاختلاط والتعايش السلمي.

لقد كانت رؤية حمور حاكم المنطقة الكنعانيّ حضارية فهو يؤمن بمجتمع تنصهر فيه الفوارق العنصرية والمساواة بين مختلف أفراد البيئة الواحدة أو بين شتّى الشعوب المتجاورة. حيث المحبة والتعاون والإنسانية. فنقرأ خطابه ليعقوب وأبنائه: «ابني قد تعلّقت نفسه بابنتكم أعطوه إيّاها زوجة وصاهرونا. تعطونا بناتكم وتأخذون لكم بناتنا وتسكنون معنا وتكون الأرض قدامكم اسكنوا واتجروا فيها وتملكوا بها، ثم قال شكيم لأبيها ولإخوتها دعوني أجد نعمة في أعينكم فالذي تقولون لي أعطي».

كانت أبواب الكنعانيين مفتوحة لجميع الأفكار والأديان والتشريعات ومفاهيمهم وأهدافهم النبيلة كانت تسمح بالتفاعل والتآخي بين الشّعوب

دونما تمييز، عكس ما كان يحمله اليهود تماماً في أفكارهم ومفاهيمهم، فقد كانوا مشبعين بالتعصب والانغلاق والبدائية والحقد.

في الفصل السّابق نوهت كيف أنّ المصريين فتحوا صدورهم لبني إسرائيل ومنحوهم الطمأنينة والأرض وكرّموهم ونظروا إليهم من منظار إنساني مشبع بالمحبة والاحترام. لكن الإسرائيليين فضّلوا الانعزال وعدم الاختلاط مع الشعب المصري واختاروا السكن في منطقة بعيدة عن المركز تدعى « جاسان» وذلك بدافع من عنصريتهم وتعصّبهم، علماً أنّ فرعون مصر خيّرهم في تحديد مكان إقامتهم ولم يفرض عليهم مكاناً ما.

إنّ وصايا موسى لجماعته مشبعة بالعنصرية والانعزال والفوقية والحقد والتعصّب، والتسلط، واحتقار الشعوب والأمم، وحتى إبادتها. فلم يكن ليرضى حتى بالشفقة والرأفة، فالقتل والتدمير والحرق والإبادة والنهب والسلب هذا ما يريده من جماعته. ولكي تأخذ صفة الشرعية نسبها كاتب النصّ إلى ربّ الجنود يهوه. نقرأ:

- «احفظ ما أنا موصيك اليوم، ها أنا طارد من قدامك الأموريين والكنعانيين والحثّيين والفرزيين والحويين واليبوسيين. احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض التي أنت آتٍ إليها».
- «احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض».
- «وتكونون لي قدّيسين لأنّي قدّوسٌ أنا الرّب وقد ميزتكم من الشعوب لتكونون لي».
- «وأجعل مسكني في وسطكم ولاترذلكم نفسي وأسير بينكم وأكون لكم إلهاً وأنتم تكونون لي شعباً».

- «متى أتى بك الرّب إلهك الى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها وطرد شعوباً كثيرة من أمامك الحثّيين والجرجاشيين والأموّريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين سبع شعوب أكثر وأعظم منك ودفعهم الرّب إلهك أمامك وضربتهم فإنّك تحرّمهم. لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق عليهم ولا تصاهرهم بنتك لاتعطي لابنه وبنته لاتأخذ لابنك»..
- «لأنّك أنت شعبٌ مقدس للرّبّ إلهك. إياك قد اختار الرّبُّ إلهك لتكون له شعباً أخصّ من جميع الذين على وجه الأرض».
- «مباركاً تكون فوق جميع الشعوب لا يكون عقيم ولا عاقرٌ فيك ولا في بهائمك ويرد الرّبُّ عنك كل مرضٍ وكل أدواء مصر الرديئة التي عرفتها لا يضعها عليك بل يجعلها على كلّ مبغضيك وتأكل كلّ الشعوب الذين الرّب إلهك يدفع إليك. لاتشفق عيناك عليهم».

لأنّك شعبٌ مقدّسٌ للرّبّ إلهك وقد اختارك الرّبُّ لكي تكون له شعباً خاصّاً فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض».

لقد أمضى موسى حوالي نصف قرن في صحراء سيناء يدرّب جماعته على القتال والعنف والقسوة، وينمّي فيهم فكرة الاختيار والقداسة وكراهية كافة الشعوب والأمم ويزرع في نفوسهم الروح الانعزالية والتعصب الأعمى لإبادة الشعوب وسرقة أرضها. أواستعبادها.

إنّ كاتب النصّ يريد من اليهود أن لايستكينوا أبداً فإن لم يتمكنوا من سحق الشعوب والأمم قتلاً فعليهم تسخيرهم واستعبادهم والتعامل معهم على أساس أنّهم أنجاسٌ لايستحقون الشفقة والرّحمة. وما يرد في النصّ التوراتي من وصايا تدعو إلى المحبة والخير والعدالة فإنّها وصايا تخصّ

اليهود فقط، ولا يجوز أن تطبق على الأجانب.

اليهودي يحقُّ له أن يسرق الأغيار وأن يزني مع نساء الأغيار وأن يقرض الأغيار بالرّبا، لكنّه لايحقّ له هذا مع اليهودي، لأنّ اليهوديّ أخوه بينما الأجنبي عدوه. إنّها النظرة الضيّقة المنغلقة التي تمثّل جوهر الفكر الديني اليهودي، هذا الفكر الذي يلقّن للأطفال والشباب. فنقرأ مثلاً:

«في آخر سبع سنين تعمل إبراءً وهذا هو حكم الإبراء. يبرئ كل صاحب دينٍ يده ممّا أقرض صاحبه. لا يطالب صاحبه ولا أخاه لأنّه قد نودي بإبراء للرّب. الأجنبي تطالب. وأمّا ما كان لك عند أخيك فتبرئه يدك منه».

ونقرأ: «وكلّم الرّب موسى قائلاً كلّم كل جماعة بني إسرائيل وقل لهم لاتسرقوا ولاتكذبوا ولا تغدروا أحدكم بصاحبه ولا تغصب قريبك. بالعدل تحكم لقريبك لا تسع في الوشاية بين شعبك لا تبغض أخاك في قلبك. لا تنتقم ولا تحقد على أبناء شعبك بل تحب قريبك كنفسك».

وفي موضع آخر نقرأ: «لاتشهد على قريبك شهادة زور ولا تشته بيت قريبك، لاتشته امرأة قريبك ولا أمته ولا ثوره ولا حماره».

«لا تقرض أخاك بربا للأجنبي تقرض بربا لكن لأخيك لاتقرض بربا».

«إن أقرضت فضة لشعبي فلا تكن كالمرابي. لاتضع عليه ربا».

«إذا افتقر أخوك عندك وبيع لك فلا تستعبده استعباد عبد. ولا تتسلط عليه بعنف وإلى آبائه يرجع وأمّا عبيدك الذين يكونون لك. فمن الشعوب الذين حولكم منهم تقتنون عبيداً وإماءً وأيضاً من أبناء المستوطنين النازلين في أرضكم منهم تقتنون ومن عشائرهم الذين عندكم. الذين يلدونهم في أرضكم فيكونون ملكاً لكم وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك. تستعبدونهم

إلى الدهر وأمّا إخوتكم بنو إسرائيل فلا يتسلط إنسان على أخيه بعنف».

اليهودي يحقّ له أن يرتكب كافة الذنوب ضد الأغيار، يقرض بالرّبا ويشهد بالزور ويسرق ويشتهي النساء الأجنبيات ويغدر ويغتصب كل من هو غير يهودي.. فهذه النزعة العنصرية تبيح لليهودي أن يفعل كلّ شيء يمكن أن يسيء إلى الأغيار.. وهذا دون شّك يعبّر عن انعدام القيم الأخلاقية والإنسانية في الفكر الديني اليهودي.

إنّ النصوص التوراتية تكرّس هذه النزعة وتنسبها إلى «يهوه» حتى تأخذ صفة الشرعية والديمومة، ولهذا نقرأ دوماً أنّ الرّب قال لموسى افعل كذا وكذا. وبالتالي فإنّ سلوك موسى يرسمه يهوه، وعلى اليهود أن يقتدوا بموسى وأن يعتمدوا سيرته منهاج عملٍ أساسيّاً في حياتهم العامة.. وهذه السيرة تبدأ منذ أن قتل المصري دفاعاً عن العبراني مروراً بالجرائم التي ارتكبت ضد المصريين وضد سكان مديان حتى وفاته وتشمل أيضاً كل الوصايا التي لقنها لبني إسرائيل وحثّهم فيها على العزلة والتسلط والفوقية وضرورة القسوة والانتقام واستعباد الشعوب والأمم، وزرع من خلالها في عقولهم الباطنية فكرة القداسة والاختيار والتفوق، والحقد على الأغيار.

لقد كان موسى متشدّداً فيما يتعلق بالعنصرية، فالاختلاط بالشعوب ومسالمتهم ومصاهرتهم أمر مرفوض البتة وعقابه الموت دون جدل قتلاً بالسيف أو حرقاً بالنّار أو غرقاً في جوف الأرض التي تفتح فمها لتبتلع المخالفين من جماعته بأمر يهوه الغاضب والحريص على العزلة. والذي يكافئ من يغار غيرته ويرد سخطه وينتقم له. فنقرأ مثلاً في سفر العدد أنّ أحد الإسرائيليين تزوج من امرأة مديانية فسخط يهوه وحمي غضبه حتى الدرجة التي لم يكتف فيها بقتل الرجل والمرأة بل بقتل كل المديانيين

وحرق مدنهم ومساكنهم وقتل كل أنثى في مديان حيث يرد: «وإذا رجل من بني إسرائيل جاء وقدّم إلى إخوته المديانية أمام عينيّ موسى واعين كل جماعة بني إسرائيل وهم باكون لدى باب خيمة الاجتماع. فلما رأى ذلك فينحاس بن ألعازار بن هرون الكاهن قام من وسط الجماعة وأخذ رمحاً بيده ودخل وراء الرجل الإسرائيلي إلى القبة وطعن كليهما الرجل الإسرائيلي والمرأة في بطنها»..

«فكلّم الرّب موسى قائلاً فينحاس بن ألعازار بن هرون الكاهن قد ردَّ سخطي عن بني إسرائيل بكونه غار غيرتي في وسطهم حتى لم أفن بني إسرائيل بغيرتي».

«وكان اسم الرجل الإسرائيلي المقتول الذي قتل مع المديانية زمري بن سالورئيس بيت أبٍ من الشمعونيين. واسم المرأة المديانية المقتولة كزبى بنت صورٍ هو رئيس قبائل بيت أبٍ في مديان».

لقد راح ضحية هذه العنصرية آلاف القتلى من النساء والأطفال والشيوخ وأحرقت المساكن وهدّمت البيوت، وهدأ غضب يهوه. وهذه الحادثة والحوادث العنصرية الكثيرة في النصوص التوراتية هي عبرة لبني إسرائيل جيلاً بعد جيل، فكما يقتدي المسيحي والمسلم بإنسانية وشمولية المسيح ومحمد عليهما السلام هكذا يقتدي اليهودي بعنصرية وعدوانية موسى التوراتي كما صوره النص. أما موسى النبي عليه السلام فهو براء تماماً من هذه العنصرية والعدوانية.. إنّ محرّر النصّ التوراتي هو الذي نسب هذه العنصرية إلى موسى، وهو الذي أراد أن يكون إلهه إلهاً غاضباً ساخطاً، ظالماً، متعطشاً للدماء والقتل والتدمير والعزلة رافضاً للمحبة والعدالة والإنسانية، واضعاً الانتقام نصب عينيه حتى على شعبه المقدّس المختار والمستعلي على جميع

الشعوب إن تذمر أو تردّد أو تجاهل شريعته هذه.

لقد صوره ناقماً على كافة الشعوب والأمم حاقداً عليهم متعطشاً لقتلهم وذبحهم وتدميرهم فنقرأ مثلاً: «إنّ للرّب سخطاً على كلّ الأمم ومحواً على كلّ جيشهم قد حرّمهم دفعهم للذبح. فقتلاهم تطرح وجيفهم تصعد نتانتها وتسيل الجبال بدمائهم»...

ونقرأ أيضاً: «أسكر سهامي بدمٍ ويأكل سيفي لحماً بدم القتلى والسبايا ومن رؤوس قواد العدوٌ».

لقد ورَّث موسى عنصريته للقائد الجديد «يشوع». فكان تلميذاً ناجحاً في العنصرية قاد أتباعه لتنفيذ وصايا يهوه وموسى في كنعان حاملاً راية العدوان والقسوة، والانعزال. ففي سفر يشوع نقرأ كيف يحضّ بني إسرائيل على العدوان والعزلة وعدم مخالطة الشعوب مهما كانت الأسباب. فهو يوصي متشدداً قائلاً: «إذا رجعتم ولصقتم ببقية هؤلاء الشعوب أولئك الباقين معكم وصاهرتموهم ودخلتم إليهم وهم إليكم. فاعلموا يقيناً أنّ الرّب إلهكم لا يعود يطرد أولئك الشعوب من أمامكم فيكونوا لكم فخّاً وشَرَكاً وسوطاً على جوانبكم وشوكاً في أعينكم».

كما ورّث هذه العنصرية للقضاة. أي هؤلاء الذين حكموا بني إسرائيل بعد وفاة يشوع بن نون كما يزعم كاتب سفر القضاة.. وعددهم أربعة عشر قاضياً، جميعهم أرسلهم الرّب يهوه لتذكير بني إسرئيل بضرورة التمسّك بالعزلة و الفوقية والتسلط والعدوان.. وكاتب السفر يصّور لنا هؤلاء القضاة تصويراً دراماتيكيّاً فهم رسل يَهْوَهَ وفي كل عشيرة ظهر قاضٍ دعا إلى العدوان والانعزال عن المجتمع الكنعاني. وخلّص عشيرته من الذّل والهوان وأعادها إلى حظيرة اليَهْويّة. لكنّ كاتب سفر القضاة لم يكن موفقاً في إيصال هذه

الروايات الميتولوجية توفيقاً جيداً، لأن الأحداث تعطي للقارئ مفهوماً عكسيّاً تماماً، أي أنّ هؤلاء القضاة كانوا من البطالين والخارجين على القانون، وقطّاع طرق، ولصوص.

لقد أراد كاتب سفر القضاة أن يجعل من هؤلاء الخارجين على القانون أنبياء كلفهم الرّبُّ يَهْوه بمهمة تخليص بني إسرائيل من دائرة الانخراط في المجتمع الكنعاني وإعادتهم إلى حظيرة الانغلاق والتعّصب والعنصرية.

هكذا في كلّ إصحاح من سفر القضاة نجد أنّ بني إسرائيل يتخلّون عن يَهْوه لصالح آلهة كنعانية، ويختلطون في المجتمع الكنعاني، فيحمي غضب الرّبّ يَهْوه حتى الدرجة التي يدفع بهم بأيدي أعدائهم من الشعوب المجاورة، ويتسلطون عليهم حتى يصرخ بنو إسرائيل من الضيق والعذاب ويستجدوا بالرّبّ يَهْوَهَ لينقذهم من هذا العذاب والذلّ فيصغي يَهْوه إلى أنينهم ويحنو عليهم ويرسل مخلصاً لهم يسميّه كاتب السّفر تارة (قاضياً) وتارة (نبياً). ويقوم بغزوات ضدّ الشعوب المجاورة، ويخلّص بني إسرائيل منهم ويعيدهم إلى حظيرة الانغلاق والعنصرية والتعصب ثانية. وهكذا.

أمّا في سفر عزرا فإننّا نجد مزيداً من الوصايا والمواقف التي تحضّ على الانعزال والتعصب والعنصرية.. والسبب هو الحفاظ على الزرع المقدّس والاختيار فعزرا هذا الكاهن المتشدد العنصري لم يكن ليقبل أبداً بالاختلاط مع الشعوب مهما كانت الأسباب.. وعندما جاء من بابل، كانت العنصرية قد سبقته إلى كنعان.

إنّ عزرا الكاهن هو كاتب الشريعة التي اتصفت بالعنصرية والعدوانية والانغلاق، وهو الذي عمّق هذه النزعة في نفوس اليهود وشدّد على ممارستها..

«عزرا هذا صعد من بابل وهو كاتبٌ ماهرٌ في شريعة موسى التي أعطاها الرّبّ إله إسرائيل».

عندما وصل عزرا إلى أورشليم ومعه الشريعة التي كتبها في بابل، رفع راية الانعزال فوراً، وأعلن عن العنصرية دون قيد أو شرط.. ويروي هو نفسه في سفره قائلاً: «تقدم إليّ الرؤساء قائلين لم ينفصل شعب إسرائيل والكهنة واللاّويون من شعوب الأراضي حسب رجاساتهم من الكنعانيين والحثيين والغرزيين واليبوسيين والعموريين والموآبيين والمصريين والأموريين، لأنهم اتخذوا من بناتهم لأنفسهم ولبنيهم واختلط الزّرع المقدّس بشعوب الأراضي».

ويتابع قائلاً ومحذراً بشدّة بني إسرائيل الذين التقى بهم في أورشليم: «والآن فلا تعطوا بناتكم لبنيهم ولا تأخذوا بناتهم لبنيكم ولا تطلبوا سلامتهم وخيرهم إلى الأبد».

ثم نقرأ أيضاً: «أفنعود ونتعدى وصاياك ونُصاهر شعوب هذه الرجاسات».

وفي الإصحاح العاشر نقرأ: «فلّما صلّى عزرا واعترف وهو باكٍ وساقطٌ أمام بيت اللّه اجتمع إليه من إسرائيل جماعة كثيرة جدّاً من الرجال والنساء والأولاد لأنّ الشعب بكى بكاء عظيماً. وأجاب شكنيا بن يحئيلَ من بني عيلام وقال لعزرا إنّا قد خُنّا إلهنا واتخذنا نساء غريبة من شعوب الأرض ولكن الآن يوجد رجاءٌ لأسرائيل في هذا فلنقطع الآن عهداً مع إلهنا أن نُخرج كلّ النساء والذين ولدوا منهن حسب مشورة سيدي والذين يخشون وصيّة إلهنا وليُعمل حسب الشريعة».

ونقرأ أيضاً في نفس الإصحاح أنّ عزرا أرسل وراء اليهود في أورشليم ويهوذا واجتمع بهم معنّفاً ومحذّراً من الاختلاط والمصاهرة: «فقام عزرا

الكاهن وقال لهم إنكمّ قد خنتم واتخذتم نساءً غريبة لتزيدوا على إثم إسرائيل. فاعترفوا الآن للرّب إله آبائكم واعملوا مرضاته وانفصلوا عن شعوب الأرض وعن النساء الغريبة».

كما نجد هذه النزعة العنصرية في سفر نحميا أيضاً، ونحميا كعزرا الكاهن رفع راية الدفاع عن النزعة العنصرية وبقوة.. فقد هاله الاندماج وأزعجته المصاهرات وتدنيس الزّرع المقدّس وطالب اليهود أن يعتزلوا الشعوب ويعملوا بجميع وصايا يَهْوه القاضية بالعزلة والاحتراز من الأغيار وعدم مصاهرتهم أو الشفقة عليهم. لهذا رأى كلّ من عزرا ونحميّا أن يطهرا الشعب المقدّس من جديد عن طريق عزله كليّاً عن بقية الشعوب. وقد نجحا في ذلك، حيث نقرأ في الإصحاح العاشر: «وباقي الشعب والكهنة واللاّويّين والبّوابين والمغنين والنَّثنيم وكلّ الذين انفصلوا من شعوب الأراضي إلى شريعة الله ونسائهم وبنيهم وبناتهم كلّ أصحاب المعرفة والفهم. لصقوا بإخوتهم وعظمائهم ودخلوا في قِسمٍ وحلْفٍ أن يسيروا في شريعة الله التي أُعطيتْ عن يد موسى عبد اللّه وأن يحفظوا ويعملوا جميع وصايا الرّب سيدّنا وأحكامه وفرائضه. وأن لا نعطي بناتنا لشعوب الأرض ولا نأخذ بناتهم لبنينا. وشعوب الأرض الذين يأتون بالبضائع وكلّ طعام يوم السبت للبيع لا نأخذ منهم في سبتٍ ولا في يومٍ مقدّسٍ».

ونقرأ أيضاً في الإصحاح الثالث عشر: «وفي تلك الأيام أيضاً رأيت اليهود الذين ساكنوا نساء أشدوديات وعمونيات وموآبيات ونصف كلام بنيهم باللسان الأشدودي ولم يكونوا يحسنون التّكلم باللسان اليهودي بل بلسان شعبٍ وشعبٍ. فخاصمتهم ولعنتهم، وضربتُ منهم أناساً ونتفتُ شعورهم

واستحلفتهم باللّه قائلاً لا تعطوا بناتكم لبنيهم ولا تأخذوا من بناتهم لبنيكم ولا لأنفسكم».

وفي سفر إشعياء نجد هذه العنصرية من خلال إبراز جانب الاستعلاء والاختيار والقداسة لبني إسرائيل، فإشعياء النبي يرى أنّ جميع الأمم سوف تكون في خدمة إسرائيل، وهو أمر لا جدال فيه، فهم الزرع المقدّس، الشعب الخاصّ لرب الجنود.. فنقرأ: «هكذا قال السيد الرّب. ها إنّي أرفعُ إلى الأمم يدي وإلى الشعوب أقيم رايتي فيأتون بأولادك في الأحضان وبناتك على الإكتاف يُحملن. ويكون الملوك حاضنيك وسيداتُهم مرضعاتك. بالوجوه إلى الأرض يسجدون لك. ويلحسون غبار رجليك».

ونجد في موضع آخر: «استيقظي البسي عزَّك يا صهيونُ البسي ثياب جمالك يا أورشليم المدينة المقدسة لأنّه لا يعود يدخلك في ما بعدُ أغلف ولا نجسٌ».

وفي الإصحاح الستين نقرأ: «ارفعي عينيك حواليك وانظري قد اجتمعوا كلُّهم. جاؤوا إليك».

يأتى بنوك من بعيد وتُحمل بناتك على الأيدي. حينئذٍ تنظرينَ وتنيرينَ ويخفقُ قلبكِ ويتّسعُ لأنّه تتحول إليكِ ثروة البحر ويأتي إليكِ غنى الأمم».

«وبنو الغريب يبنون أسوارك وملوكهم يخدمونكِ».

«وتنفتح أبوابك دائماً. نهاراً وليلاً لا تُغلقُ. ليؤتى إليك بغني الأمم وتُقادُ ملوكُهم لأنّ الأمّة والمملكة التي لا تخدمُكِ تبيدُ وخراباً تُخربُ الأمم».

«وترضعين لبن الأمم وترضين ثُديَّ مُلوكٍ».

إنّها دعوةٌ صريحةٌ إلى الاستعلاء واستعباد الشعوب والنظر إليها من

منظار عنصري واضح.. فإشعياء شديد التعصّب، وفي سفره تعميق لفكرة الانطواء والحفاظ على الزرع المقدّس. والشعب المقدّس يستعلي على جميع الشعوب لأنّه شعب الله المختار. وجميع الشعوب والأمم ينبغي أن تكون في خدمة بني إسرائيل حيث نقرأ: «ويقفُ الأجانب ويرعون غنمكم ويكونُ بنو الغريب حراثيكم وكراميكم. أما أنتم فتدعونَ كهنة الرّب تسمونَ خدّام إلهنا. تأكلون ثروة الأمم وعلى مجدهم تتآمرون».

ونقرأ في سفر إرميا كثيراً من الشواهد التي تؤكد على النزعة العنصرية، فإرميا مستاء من الاندماج والاختلاط. ورب الجنود يرى في التسامح والانفتاح وباء عظيماً لا بدَّ من قمعه بأية وسيلة كانت..لهذا نجد كاتب سفر إرميا أو الذي نسبه إلى إرميا يشير إلى أنّ ربّ الجنود هو الذي كلّم إرميا وأمره أن يهدّد ويتوعد بني إسرائيل من مغبة الانفتاح على الشعوب والأمم مؤكداً على خصوصيتهم وقداستهم ورجاسة هذه الشعوب والأمم.

إنّ ربّ الجنود هو إلههم وحدهم. وهم شعبه الخاص. ورغم كلّ الأخطاء التي ارتكبوها بحقه فهو لا يتخلّى عنهم أبداً. ويبقون شعبه المقدّس..

لقد عاقبهم أكثر من مرّة، تارة بالسبي وتارة بالقتل بتسليط الأمم والشعوب عليهم، ودائماً يؤكد على أنّهم شعبه الخاص الذي سيعود إلى أرضه.(أرض الميعاد) الأرض المقدسة بعد أن يبيد الأمم والشعوب التي سلّطها سابقاً لتسبي إسرائيل وتقتل إسرائيل وتذل إسرائيل.

لقد أراد إرميا أن يكرّس من نزعته العنصرية بتأكيده على أن ربَّ الجنود اختصّ إسرائيل دون سائر الشعوب. ومهما كان إثمهم فإنه لا يتخلى عنهم، كما أراد إرميا أن يؤكدّ للأجيال علىأنّ إسرائيل شعبٌ مختار فوق

كلّ الشعوب..إنّه شعب يَهْوه (ربّ الجنود) الشعب المقدّس المدلل الذي لا يجوز أن يختلط بالأمم والشعوب أبداً وعليه أن يعود إلى الأرض المقدسة لينعزل تماماً ويترّفع ويبتعد عن رجاسات الأمم.

إنّ إرميا يرفض أن يعيش اليهود في بلدانٍ أخرى كمواطنين شأنهم شأن كل مواطن في هذه البلدان.. ينبغي أن يدركوا أنّ بلدهم الحقيقي في كنعان ولا بد من العودة إليها فهي أرض الميعاد التي وعد بها يَهْوه أسلافهم.

فنقرأ:

«هكذا قال الرّب إله إسرائيل عن هذه المدينة التي تقولون إنّها قد دفعتْ ليد ملك بابل بالسيف والجوع والوباء. ها أنذا أجمعهم من كل الأراضي التي طردتهم إليها بغضبي وغيظي وبسخط عظيمٍ وأردّهم إلى هذا الموضع وأسكنهم آمنين. ويكونون لي شعباً وأنا أكون لهم إلهاً».

أيضاً نجد هذه النزعة العنصرية في سفر حزقيال. فهو يشدّد على ضرورة التمسّك بشريعة يَهْوه الانغلاقية التعّصبية. ويرفض تماما التساهل في هذا الأمر. إنّه يرى أنّ اليهود شعبٌ مقدّسٌ اختاره يَهْوه ليكون شعبه الخاص المُدلل. الذي وإن أخطأ بحقه سيستمرُّ في رعايته وعنايته وتدمير كافةالشعوب والأمم من أجله. فنقرأ :لنا أُعطيتْ هذه الأرض ميراثاً. لذلك قلْ هكذا قال السيد الرّب. وإنْ كنتُ قد أبعدتهم بين الأمم وإنْ كنتُ قد بددتهم في الأراضي فإنّي أكونُ لهم مقدساً صغيراً في الأراضي التي يأتون إليها. لذلك قلْ هكذا قال السّيد الرّبّ. إنّي أجمعكم من بين الشعوب وأحشركُم من الأراضي التي تبددتم فيها، وأعطيكم أرض إسرائيل. فيأتون إلى هناك ويزيلون جميع مكرهاتها وجميع رجاساتها منها. وأُعطيهم قلباً واحداً وأجعلُ

في داخلكم روحاً جديداً وأنزعُ قلب الحجر من لحمهم وأُعطيهم قلب لحمٍ. لكي يسلكوا في فرائضي ويحفظوا أحكامي ويعملوا بها ويكونوا لي شعباً فأنا أكونُ لهم إلهاً».

إنّ يَهْوه لا يريد أن يكون إلهاً إلاّ لبني إسرائيل فقط، ولا يريد شعباً إلاّ بني إسرائيل. هكذا يروي حزقيال في سفره. مؤكداً على رجاسة كل الأمم والشعوب ونجاستها. فنقرأ: «ها أنذا آخذ بني إسرائيل من بين الأمم التي ذهبوا إليها وأجمعهم من كل ناحية وآتي بهم إلى أرضهم. وأصيّرهم أمّة واحدة في الأرض على جبال إسرائيل وملك واحدٌ يكون ملكا عليهم كلّهم ولا يكونون بعدُ أمتين ولا ينقسمون بعد إلى مملكتين. ولا يتنجسّون بعد بأصنامهم ولا برجاساتهم ولا بشيء من معاصيهم بل أُخلصهم من كلّ مساكنهم التي فيها أخطأوا وأطهرهم فيكونون لي شعباً وأنا أكون لهم إلهاً».

ويتابع حزقيال مؤكداً على هذه الخصوصية الميثولوجية قائلاً: «ويسكنون في الأرض التي أعطيتُ عبدي يعقوب إيّاها التي سكنها آباؤكم ويسكنون فيها هم وبنوهم وبنو بنيهم إلى الأبد وعبدي داود رئيسٌ عليهم إلى الأبد وأقطعُ معهم عهد سلام فيكون معهم عهداً مؤبداً وأُقرُّهم وأكثرهم وأجعل مقدسي في وسطهم إلى الأبد ويكون مسكني فوقهم وأكونُ لهم إلهاً ويكونون لي شعباً فتعلم الأمم أني أنا الرّب مُقدّسُ إسرائيل إذ يكون مقدسي في وسطهم إلى الأبد».

ثم نقرأ: «لذلك قال السيّد الرّب. الآن أردّ سبي يعقوب وأرحم كلّ بيت إسرائيل وأغار على اسمي القدّوس. فيحملون خزيهم وكلّ خيانتهم التي خانوني إيّاها عند سكنهم في أرضهم مطمئنين ولا مخيفٌ عند إرجاعي إيّاهم من الشعوب وجمعي إياهم من أراضي أعدائهم وتقديسي فيهم أمام

عيون أمم كثيرين. يعلمون أنّي أنا الرّبُّ إلههم بإجلائي إياهم إلى الأمم ثم جمعهم إلى أرضهم ولا أترك بعد هناك أحداً منهم. ولا أحجب وجهي عنهم بعُد لأني سكبتُ روحي على بيت إسرائيل يقول السيد الرّب».

وتستمرُّ هذه النزعة العنصرية في الأسفار الأخرى فنقرأ في سفر يوئيل: «فيغار الرّبُّ لأرضه ويرقُّ لشعبه ويجيب الرّبُّ ويقول لشعبه ها أنذا مرسلٌ قمحاً وسطاراً وزيتاً لتشبعوا منها ولا أجعلكم أيضاً عاراً بين الأمم لأنه هو ذا في تلك الأيام وفي ذلك الوقت عندما أردُّ سبي يهوذا وأورشليم. أجمع كلّ الأمم وأنزلهم إلى وادي يهو شافاط وأُحاكمهم هناك على شعبي وميراثي إسرائيل الذين بدّدوهم بين الأمم».

وفي سفر عاموس نقرأ: «وأردُ سبي شعبي إسرائيل فيبنون مدناً خربةً ويسكنون ويغرسون كروماً ويشربون خمرها ويصنعون جنّاتٍ ويأكلون أثمارها. وأغرسهم في أرضهم ولن يُقلعوا بعُد من أرضهم التي أعطيتهم قال الرّب إلهك».

«فإنّه قريب يوم الرّبّ على كل الأمم».

«وأمّا جبل صهيون فتكون عليه نجاة ويكون مقدّساً ويرثُ بيتُ يعقوب موارثيهم».

«لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرّبّ».

«تلوي ادفعي يابنت صهيون كالوالدة لأنّك الآن تخرجين من المدينة وتسكنين في البرّية وتأتين إلى بابل. هناك تُنْقذين هناك يفديك الرّبّ من يد أعدائكِ».

«قومي ودوسي يا بنت صهيون لأنّي أجعل قَرْنكِ حديداً وأظلافك أجعلها نحاساً فتسحقين شعوباً وأُحرّم غنيمتهم للرّب وثروتهم لسيد كلّ الأرض».

«ترنمي يا ابنة صهيون اهتف يا إسرائيل افرحي وابتهجي بكلّ قلبكِ

يا ابنة أورشليم. قد نزع الرّبّ الأقضية عليكِ. أزا ل عدوك. ملك إسرائيل الرّبُّ في وسطك. لا تنظرين بعد شرّاً في ذلك اليوم يقال لأورشليم لا تخافي يا صهيون. لا ترتخ يداك. الرّبّ إلهك في وسطك جبّارٌ يخلصُ يبتهج بك فرحاً يسكت في محبته يبتهج بك يترنم أجمع المحزونين على الموسم. كانوا منك. حاملين عليها العار. ها أنذا في ذلك اليوم أُعاملُ كلَّ مُذليكِ وأخلصُ الظالعة وأجمعُ المنفية وأجعلهم تسبيحة واسماً في كلّ أرض خزيهم في الوقت الذي فيه آتى بكم وفي جمعي إياكم لأنّي أصيّركم اسماًوتسبيحةً في شعوب الأرض كلهاحين أرد مسبيّيكم قدام أعينكم قال الرّب»

«حسب الكلام الذي عاهدتكم به عند خروجكم من مصر وروحي قائمٌ في وسطكم. لا تخافوا لأنّه هكذا قال ربّ الجنود هي مرّة بعد قليل فأزلزل السّموات والأرض والبحر واليابسة وأزلزل كلَّ الأمم ويأتي مشتهى كلَّ الأمم فأملأ هذا البيت مجدّاً قال رب الجنود».

«هكذا قال ربُّ الجنود. غرتُ على أورشليم وعلى صهيونَ غيرة عظيمة وأنا مغضبٌ بغضبٍ عظيمٍ على الأمم المطمئنين لأنّي غضبتُ قليلاً وهم أعانوا الشّر. لذلك هكذا قال الرّبّ قد رجعتُ إلى أورشليم بالمراحم فبيتي يُبنى فيها يقول ربُّ الجنود. ويُمدُّ المطمار على أورشليم. نادِ أيضاً وقلْ. هكذا قال ربُّ الجنود إنّ مدني تفيض بعد خيراً والرّبُّ يعزي صهيون بعد ويختار بعد أورشليم».

«لأنّه هكذا بعُد قال رّبُّ الجنود. بعدَ المجد أرسلني إلى الأمم الذين سلبوكم لأنّه من يمسكُم يمسُّ حدقة عينه. لأني ها أنذا أُحرك يدي عليهم فيكونون سلباً لعبيدهم».

«وهكذا قال رَبُّ الجنود. غرتُ على صهيونَ غيرة عظيمة وبسخط عظيم غرت عليها. هكذا قال الرّبّ. قد رجعتُ إلى صهيون وأسكن في وسط أورشليم فتدعى أورشليم مدينة الحقِّ وجبلُ رب الجنود الجبل المقدّس».

«هكذا قال رَبُّ الجنود. ها أنذا أُخلّصُ شعبي من أرض المشرق ومن أرض مغرب الشمس. وآتي بهم فيسكنون في وسط أورشليم ويكونون لي شعباً وأنا أكون لهم إلهاً».

«هاأنذا أجعل أورشليم كأس ترنح لجميع الشعوب حولها وأيضاً على يهوذا تكون في حصار أورشليم. ويكون في ذلك اليوم أنّي أجعل أورشليم حجراً مشوالاً لجميع الشعوب وكلّ الذين يشيلونه ينشقّون شقّاً».

٣- الغدر والخيانة

من المهم والمفيد أن نتعرّف على سلوكية اليهود من خلال سيرتهم كما وردت في النصوص التوراتية. فهم يعتبرون أنّهم الشعب المختار المقدّس الذي اختصه يَهْوه لنفسه ليكون شعبه الخاص ويكون هو إلههم.

مثلُ هذه النظرة الضيّقة لا بدّ وأن يكون لها مرتكزات أساسية يستندون إليها في استعلائهم ونظرتهم الفوقية، تدفع بالأمم الأخرى أن تقتدي بسلوكيتهم وفكرهم الديني والمدني ويكونون قدوة الأمم. كالقيم الأخلاقية مثلاً والنظرة الإنسانية، والسعي للتفاعل والتآخي والإنسجام. والانفتاح نحو آفاق الحقّ والتسامح والحرية والعدالة والمساواة.

القدوة ينبغي أن يتحلّى دائماً بمواصفات إيجابية متميزة تؤهله أن يترفّع ويستعلي، مع الإشارة إلى أن القدوة دائماً يملكُ ذهنية منفتحة وروحاً متسامحة ونفساً سامية تدعو إلى التعاون والتسامح والإخاء.

كيف يمكن أن نوافق على أنّ اليهود هم الزّرع المقدّس والشعب المختار الذي اختّصه ربّ الجنود ليكون شعبه الخاص معتبراً أنّه الشعب الوحيد الذي يحقّ له الترّفع والاستعلاء وعلى كافة الشعوب أن تعمل لخدمته وأن تستعبد له حتى لو استدعى ذلك إبادتها..

لقد تناولتُ في الفصل الأول والثاني ما يتعلّق بالنزعتين العدوانية والعنصرية التي تشدّد عليهما النصوص التوراتية على أنّها خلاصة الدين اليهودي وجوهره، وقد بينت مستنداً إلى هذه النصوص مدى انغلاقهم وتعصّبهم وعدوانيتهم وعنصريتهم، وفي هذا الفصل أعرض ومستنداً أيضاً إلى النصوص التوراتية ما تحمله هذه النصوص من إشارات وأحداث عن الغدر والخيانة والانحلال الخلقي لشعب اللّه المختار المقدّس. إنّها سلوكية أجداد اليهود اليوم الذين يمثّلون القدوة لهم والمرجعية الرئيسية في مجمل حياتهم الدّينية والمدنية..

إنّ حكام إسرائيل اليوم يستشهدون بسلوكية شمشون وجدعون وداود وأبناء يعقوب على اعتبار أنّهم يمثلون الأسلاف، وما قاموا به من أفعال وأعمال يسمونها بطولات وأمجادًا، ومن الضروري الاقتداء بسلوك هؤلاء الأسلاف... إنّه استحضار للتاريخ رغم ما يحمله من مساوئ ونزعات يهودية سلبية تمثل الانحلال الخلقي، والغدر والخيانة والعدوان والعنصرية الفاضحة.

إنّ من يقرأ الأسفار التوراتية، يخلصُ إلى نتيجة مفادها أنّ الغدر والخيانة والانحلال الخلقي كانت من الثوابت التي سار عليها أسلاف اليهود اليوم، وهذه الثوابت جوهرية في الفكر الديني اليهودي. فقد بنيت اليهودية على مبدأ التوجس من الأغيار والاستعلاء والعدوان والعنصرية. وهذه النزعات لا بدّ وأن تطبع الروح اليهودية بصفات الغدر والخيانة والانحلال الخلقي،

فاليهودي يحقّ له أن يسرق.. لكن ليس يهوديّاً مثله، بل أي شخص من الأغيار، وكذلك الأمر بالنسبة للزنا والقتل والغدر والخيانة وغيرها..

من هذه الزاوية الضيّقة يتعامل اليهود مع الأغيار، إنّها ثوابت جوهرية من أصول الدين اليهودي المدون في كتابي التوراة والتلمود والذي يُدرسُ في مدراس إسرائيل اليوم وفي المدارس الخاصّة لليهود في أماكن إقاماتهم في دول العالم. وعليه يتربى الأطفال اليهود، لتتمو في عقولهم الباطنة أفكار اللامساواة والعدوان والغدر والتوجس والاستعلاء والعنصرية.

لهذا.. من الضروري أن نلقي الضوء على النصوص التوراتية الأسفار) ولو بإيجاز، ونتحدّث عن السلوكية اليهودية التي سار عليها الأسلاف اليهود وغدتْ منهجاً رئيساً للأجيال. ونبدأ بفقرة «الغدر والخيانة».

نقرأ في سفر التكوين أنّ يعقوب (إسرائيل) وأبناءه سكنوا في منطقة شكيم عند عودتهم من فدان آرام. كان حاكم المنطقة يدعى حَمُور الذي كان يتصف بالأخلاق الحميدة والروح الإنسانية المنفتحة. وقد أحبّ ابنه شكيم إبنة يعقوب (دنيه). وطلبها له والده حَمُور قائلاً: «شكيم ابني قد تعلّقت نفسه بإبنتكم. أعطوه إيّاها زوجة وصاهرونا. تعطونا بناتكم وتأخذون لكم بناتنا وتسكنون معنا وتكون الأرض قدامكم. اسكنوا واتجروا فيها وتملكوا بها»..

«ثم قال شكيم لأبيها وإخوتها. دعوني أجد نعمة في أعينكم. فالذي تقولون لي أعطي. كثروا عليّ جدّاً مهراً وعطية فأعطي كما تقولون لي وأعطوني الفتاة زوجة».

لقد اعتبر بنو إسرائيل مثل هذه المصاهرة تدنيسا لهم، فشريعتهم ترفض الاختلاط بالشعوب، والمصاهرة اختلاط لن يقبلوا به. ونظراً لأنّهم

كانوا غرباء عن المنطقة وعددهم قليل وليس بمقدورهم مجابهة سكان شكيم إن حاولوا الاعتداء عليهم ليمنعوا مثل هذه المصاهرة. فكان لا بدّ من الغدر والخيانة حتى يتمكّنوا من التخلّص من هذه المصاهرة والاختلاط). مستغلّين طيبة وشجاعة حَمُورَ حاكم المنطقة وابنه شكيم.

وضع أبناء يعقوب خطة (حيلة) مفادها الموافقة ظاهريّاً على هذه المصاهرة شرط أن يقبل حمور وولد شكيم وكل سكان شكيم أن يختتنوا حيث نقرأ: «فأجاب بنو يعقوب شكيم وحمور أباه بمكر. قالوا لهما لا نستطيع أن نعطي أختنا لرجلٍ أغلف. إن صرتم مثلنا بختتكم كلّ ذكر نعطيكم بناتنا ونأخذ لنا بناتكم».

وافق حمور وولده على هذا الشرط ولم يكونا يعلمان بأنّ هذه عبارة عن خطة ومؤامرة للغدر بهما وبسكان شكيم جميعهم فنقرأ: «فحسن كلامهم في عيني حَمُور وفي عيني شكيم بن حَمُور. ولم يتأخر الغلام أن يفعل الأمر. لأنه كان مسروراً بابنة يعقوب. كان أكرم جميع بيت أبيه، فأتى حَمُور وشكيم ابنه إلى باب مدينتهما وكلّما أهل مدينتهما قائلين. هؤلاء القوم مسالمون لنا. فليسكنوا في الأرض ويتجروا فيها. وهوذا الأرض واسعة الطرفين أمامهم نأخذ لنا بناتهم زوجات ونعطيهم بناتنا، غير أنّه بهذا فقط يواتينا القوم على السكن معنا شعباً واحداً بختتنا كلّ ذكر كما هم مختتونون».

لقد التزم سكان شكيم بالأمر واختتن كل ذكر في المنطقة تأكيدا على حسن نواياهم واحترامهم لبني يعقوب. غير أنّ بني إسرائيل لم تكن نواياهم حسنة تجاه سكان شكيم ولم يكن هذا الشرط إلاّ خدعة ليغدروا بسكان المنطقة جميعهم ويتخلّصوا من المصاهرة.. حيث نقرأ: «فحدث في اليوم الثالث إذ كانوا متوجعين أنّ ابني يعقوب شمعون ولاوي أخوي دنيه أخذا كلٌّ

واحد سيفه وأتيا على المدينة بأمنٍ وقتلا كلَّ ذكر وقتلا حَمُور وشكيم ابنه بحدِّ السيف».

«ثم أتى بنو يعقوب على القتلى ونهبوا المدينة لأنّهم نجسوا أختهم. غنمهم وبقرهم وحميرهم وكلّ ما في المدينة وما في الحقل أخذوه وسبوا كلّ ثروتهم وكلّ أطفالهم ونساءهم وكلّ ما في البيوت».

وكان يعقوب نفسه قد غدر بأخيه (عيسو) بعد أن تآمر مع والدته رفقة على ذلك حسب ما يرد في سفر التكوين. حيث خطّطتْ والدته ليأخذ بكورية وبركة أخيه بالحيلة والمكر، ونفّذ يعقوب المخطّط تنفيذاً جيداً ونجح في سلب بكورية وبركة أخيه عيسو مستغلاً وضع والده الصّحي حيث كان قد شاخ وكلّت عيناه عن النظر فلم يعد يرى فنقرأ: «وحدث لما شاخ إسحق وكلّت عيناه عن النظر أنّه دعا عيسو ابنه الأكبر وقال له يا بني فقال له ها أنذا. فقال إنّني قد شختُ ولستُ أعرف يوم وفاتي، فالآن خذْ عدّتك جعبتك وقوسك واخرج إلى البرية وتصيد لي صيداً. واصنع لي أطعمة كما أحبُّ وآتني بها لآكل حتى تباركك نفسي قبل أن أموت. كانت رفقة سامعة إذ تكلّم إسحق مع عيسو ابنه فذهب عيسو إلى البرية كي يصطاد صيداً ليأتي بَه وأمّا رفقة فكلّمت يعقوب ابنها قائلة إنّي قد سمعت أباك يكلّم أخاك قائلاً أئتني بصيد واصنع لي الأطعمة لآكل وأباركك أمام الرّبّ قبل وفاتي فالآن يا بني اسمع قولي في ما أنا آمرك به. اذهب إلى الغنم وخذ لي من هناك جدّيين جيّدين من المعزى فاصنعها أطعمة لأبيك كما يحبُّ فتحضرها إلى أبيك ليأكل حتى يباركك الله قبل وفاته».

«فذهب وأخذ وأحضر لأمّه فصنعت أمّه أطعمة كما كان أبوه يحبّ وأخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة التي كانت عندها في البيت

وألبستْ يعقوب ابنها الأصغر. وألبست يديه وملاسة عنقه جلود جديي المعزى وأعطت الأطعمة والخبز التي صنعت في يد يعقوب ابنها. فدخل إلى أبيه وقال يا أبي فقال هاأنذا. من أنت يا بني فقال يعقوب لأبيه أنا عيسو بكرِكَ. قد فعلت كما كلّمتني. قم اجلس وكل من صيدي لكي تباركني نفسك. فقال إسحق لابنه ما هذا الذي أسرعتَ لتجد يا ابني. فقال إنّ الرّبّ إلهك قد يسّر لي. فقال إسحق ليعقوب تقدّم لأجُسّك يا بني أأنت هو ابني عيسو أم لا فتقدم يعقوب إلى إسحق أبيه. فجسّه وقال الصوت صوتُ يعقوب ولكنّ اليدين يدا عيسو. ولم يعرفه لأنّ يديه كانتا مشعرتين كيدي عيسو أخيه فباركه».

حضر عيسو من صيده وصنع أطعمة لأبيه كما أمره ولم يكن يعلم أنّ يعقوب قد غدر به واحتال على أبيه وسلبه بكوريته وبركته.. فتقدّم إلى أبيه قائلاً: «ليقم أبي ويأكل حتى تباركني نفسك. فقال له إسحق أبوه من أنت فقال أنا ابنك بكرك عيسو. فارتعد إسحق ارتعاداً عظيماً جدّاً وقال فمن هوَ الذي اصطاد صيداً وأتى به إليّ وأكلت من الكلّ قبل أن تَجيء وباركتُهُ. نعم. ويكون مباركاً. فعندما سمع عيسو كلام أبيه صرخ صرخةً عظيمة ومُرَّة جدّاً. وقال باركني أنا أيضاً يا أبي. فقال قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك. فقال ألا إنّ اسمه دُعي يعقوب.. فقد تعقّبني مرّتين. أخذ بكوريتي وهو ذا الآن قد أخذ بركتي».

لقد حقد عيسو على أخيه يعقوب لأنّه خدعه ومكر به، وقَرّر قتله فهرب يعقوب إلى حاران عند أخواله كما نصحته والدته رفقة. وأقام هناك وتزوج أربع نسوة أنجب منهن اثني عشر ولداً».

ويبدو أنّ يعقوب اعتاد على الغدر والخداع، فنقرأ في سفر التكوين أنّه

خدع حميه (لابان) وهرب من فدان آرام إلى كنعان بعد أن أخذ كلّ المواشي والمقتنيات.. وقد لاحقه لابان وتمكّن من إدراكه في جبل جلعاد كما يرد في سفر التكوين الإصحاح الواحد والثلاثون: «فأخبر لابان في الثالث بأنّ يعقوب قد هرب فأخذ إخوته معه وسعى وراءه مسيرة سبعة أيام فأدركه في جبل جلعاد».

بدأ لابان بتأنيب يعقوب على فعلته. فقد خدعه ومكر به فاستنكر لابان هذا السلوك قائلاً: «لماذا الهرب خفية وخدعتني ولم تخبرني».

كما احتال أولاد يعقوب على أبيهم ليغدروا بأخيهم الصغير يوسف فأخذوه معهم إلى البرية وتآمروا عليه هناك وغدروا به ورموه في بئر ليموت فيها ويتخلصوا منه لأنّه كان له حظوة عند أبيه.. فنقرأ: «فلمّا أبصروه من بعيد قبلما اقترب إليهم احتالوا له ليميتوه. فقال بعضهم لبعض هو ذا هذا صاحب الأحلام قادم. فالآن هلُمّ نقتله ونطرحه في إحدى الآبار ونقول وحشٌ رديءٌ أكله».

ونقرأ في سفر التكوين أيضاً عن تامار) كنّة يهوذا بن يعقوب كيف خدعت حميها واحتالت عليه. حيث ظهرت له في الطريق على أنّها زانية ليدخل عليها ويضجع معها لأنّه لم يزوّجها ابنه شيله). علماً أنّها كانت زوجة لولديه تباعاً (عيرا وأُونان) وكلاهما توفيا وبقيت تامار أرملة تنتظر أن يتزوجها الابن الثالث لحميها وكان يدعى شيله): «قالت يهوذا لتامار كنته اقعدي أرملة في بيت أبيكِ حتى يكبرُ شيلة ابني لأنّه قال لعله يموتُ هو أيضاً كأخويه. فمضتْ تامار وقعدت في بيت أبيها».

عندما كان يهوذا، استغلّت كنَّته تامار ذلك وخطّطتْ لفعلتها السيئة حيث نقرأ: «فأخبرت تامارُ وقيل لها هو ذا حموكِ صاعدٌ إلى تمنةَ ليجز غنمه.

فخلعتْ عنها ثياب ترمُّلها وتغطّتْ ببُرقع وتلفّفت وجلستْ في مدخل عينايم التي على طريق تمنة، لأنّها رأت أنّ شيلة قد كبُر وهي لمُ تعط له زوجةً فنظرها يهوذا وحسبها زانيةٍ. لأنّها كانت قد غطّتْ وجهها. فمال إليها على الطريق وقال هاكي أدخُل عليك. لأنّه لم يعلم أنّها كنّته. فقالتْ ماذا تعطيني لكي تدخل عليَّ. فقال ما الرَّهن الذي أعطيك. فقالت خاتمكَ وعصابتُك وعصاك التي في يدكَ. فأعطاها ودخل عليها فحبلتْ منه ثم قامت ومضتْ وخلعت عنها بُرقعها ولبستْ ثياب ترمُّلها».

وفي سفر الخروج نقرأ عن احتيال وخداع بني إسرائيل للمصريين وسلبهم فضتهم وذهبهم وأمتعتهم بتوجيهات من موسى الناطق باسم يَهْوه: «وفعل بنو إسرائيل حسب قول موسى. طلبوا من المصريين أمتعة فضةٍ وأمتعة ذهبٍ وثياباً. وأعطى الرّبّ نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين».

وأنا أطالب المصريين اليوم وغداً وبعد غد أن يستردّوا ممتلكاتهم التي سُلبتْ احتيالاً وغدراً وأن يطالبوا بمحاكمة السارقين وإنزال العقوبات عليهم، مثلما يطالب اليهود حكام إسرائيل باستعادة أرض إسرائيل المزعومة لأنّها أرض أسلافهم. وبإعتبار حدود التوراة هي الحدود الرئيسة للمملكة المزعومة وعلى التوراة الميثولوجية يستندون في ترجمة سلوكيتهم المادية.

أمّا في سفر القضاة فنقرأ عدّة حوادث غدر واحتيال وقتل بشع قام بها اليهود منها حادثة الغدر والخيانة التي قام بها رجلٌ بنياميّ يدعى إهود بن جيرا (ويسمّيه كاتب السفر قاضياً).. أرسله يَهْوه أو كلّفه أن يقضي لإسرائيل ويخلّصها من أعدائها الموآبيين الذين ضربوا إسرائيل وامتلكوا مدينة النخل وشدّدوا عليهم حتى اضطروهم إلى عبادة ملك موآب عجلون (ثماني عشرة

سنة كما يروي كاتب السفر حتى صرخوا إلى الرّب يستغيثون فأرسل لهم مخلّصاً لينقذهم وكان هذا المخلّص إهود بن جيرا) وهو رجل أعسر. فدبر خطّة للغدر بملك موآب وقتله: «فعمل إهودَ لنفسه سيفاً ذا حدّين طوله ذراع وتقلّده تحت ثيابه على فخذه اليمنى وقدّم الهدية لعجلون ملك موآب وكان عجلون رجلاً سميناً جدّاً. وكان لما انتهى من تقديم الهدية صرف القوم حاملي الهدّية وأمّا هو فرجع من عند المنحوتات التي لدى الجلجال وقال. لي كلام سرٌّ إليك أيّها الملك. فقال صه. وخرج من عنده جميع الواقفين لديه. فدخل إليه إهود وهو جالسٌ في علّية برودٍ وكانت له وحده. وقال إهودَ عندي كلام اللّه إليك فقام عن الكرسيّ فمدَّ إهودَ يده اليسرى وأخذ السّيف عن فخذه اليمنى وضربه في بطنه فدخل القائم أيضاً وراء النَّصل وطبق الشّحم وراء النّصل لأنّه لم يجذب السيّف من بطنه».

ثم نقرأ أيضاً عن حادثة مقتل سيرا (رئيس جيش مملكة حاصور على يد امرأة تدعى ياعيل) وهي امرأة حابر القيني.. وبيت حابر القيني كانوا في صلح مع يابين (ملك حاصور. وحابر القيني من قاين) من بني حوباب حمي موسى. وعندما حدث صراع بين حاصور وبني إسرائيل، انتصر الإسرائيليون حسب ما يزعم كاتب السفر فهرب قائد جيش حاصور سيسرا، والتجأ إلى بيت حابر القيني نظراً لوجود عهد وصلح بينهما: «وأما سيسرا فهرب على رجليه إلى خيمة ياعيل امرأة حابر القيني لأنّه كان صلح بين يابين ملك حاصور وبيت حابر القيني. فخرجتْ ياعيل لاستقبال سيسرا وقالتْ له ملْ يا سيدي. ملْ إليّ لا تخفْ فمال إليها إلى الخيمة وغطّته باللحاف. فقال لها اسقيني قليل ماءٍ لأنّي قد عطشتُ. ففتحتْ وطبَ اللبن وأسقته ثم غطّته. فقال لها قفي بباب الخيمة ويكون إذا جاء أحدٌ وسألك أهنا رجلٌ

أنّك تقولين لا. فأخذتْ ياعيل امرأة حابر وتَدَ الخيمة وجعلتْ الميتدة في يدها وقارَتْ إليه وضربت الوتد في صُدغه فتفذ إلى الأرض وهو متثقّل في النّوم ومتعبٌ فمات».

في سفري صموئيل الأوّل والثاني نقرأ مزيداً من حوادث الغدر والخيانة والقتل نفذها بنو إسرائيل فيما بينهم من جهة، وفيما بينهم وبين سكان كنعان من جهة أخرى.

كاتب السفر يروي هذه الأحداث بإسهاب، مرجعاً إياها إلى رضا ورغبة ربّ الجنود يَهْوه، فنقرأ عن الصراع بين شاول ملك بني إسرائيل كما يسميه وداود، وكيف كان شاول يخطّط لاغتيال وتصفية داود لأنّه كان يغار منه ويحسده بينما صموئيل النبي يخطّط لتصفية شاول والتخلّص منه وتسليم السلطة لداود، ونظراً لأنّ شاول تجاوز صموئيل النبّي عدد مرات، وهذا أمرٌ لم يكن ليرضى به صموئيل فهو المرجعية الرئيسة دينيّاً ودنيويّاً ولا يقبل أن يتصرّف شاول أي شيء دون الرجوع إليه واستشارته وأخذ موافقته لأن يهوه يريد ذلك كما يزعم.

لقد أراد شاول أن يتخلص من داود بأية وسيلة وأخذ يخطّط لهذا الأمر فتارة يدفع به إلى محاربة الفلسطينيين ليُقتل في المعركة. وتارة يخطّط لاغتياله سرّاً وتارة عبر تزويجه ابنته وهكذا.. أمضى شاول أيامه يبحث في الوسيلة التي تخلّصه من داود. «وقال شاول لداود هو ذا ابنتي الكبيرة مَيْرةُ أُعطيكَ إياها امرأة. إنما كنْ لي ذا بأسٍ وحارب حروب الرّب. فإنّ شاول قال لا تكن يدي عليه بل لتكنْ عليه يدُ الفلسطينيين».

ماتَ شاول وثلاثة من أولاده في حرب مع الفلسطينيين كما يرد في سفر

صموئيل الأول ولم يبق من أولاده إلاّ إيشبوشث. (فجعله أبنيرُ بنُ نيرَ) ملكاً على إسرائيل مكان أبيه. فقد كان أبنير رئيس جيش شاول. أما بيت يهوذا فقد اتبعوا داود. واشتدت الحرب بين الطرفين على السلطة.

كانت لشاول سرية اسمها «صفة» بنت أية. وكان ابنير قائد الجيش يدخل إليها ويضطجع معها كما يروي كاتب السفر: «وكان في وقوع الحرب بين بيت شاول وبيتُ داود أنّ أبنير تشدّد لأجل بيت شاول. وكانت لشاول سرّية اسمها رصفةُ بنتُ أيّة. فقال إيشبوشث لأبنير لماذا دخلت إلى سرّية أبي. فاغتاظ أبنير جدّاً من كلام إيشبوشث وقال ألعلي رأس كلبٍ ليهوذا اليوم أصنع معروفاً مع بيت شاول أبيك مع إخوته ومع أصحابه ولم أسلمك ليد داود وتطالبني اليوم بإثم المرأة».

قرّر أبنير التخلي عن إيشبوشث بن شاول وينضم إلى داود استنكاراً فراسلَ داود واتفق معه على المصالحة وتسليمه السلطة على جميع إسرائيل ويهوذا فوراً، وقد وافق داود لكنه اشترط على أبنير أن يأتي له بامرأته ميكال بنت شاول التي فرض عليها والدها التخلي عن داود والزواج من رجل آخر يدعى فلطئيل ابن لايش). وقد تمّ له الأمر حيث نقرأ: «فأرسل داود رُسلاً إلى إيشبوشث بن شاول يقول أعطني امرأتي ميكال التي خطبتها لنفسي بمئة غُلْفَةٍ من الفلسطينيين فأرسل ايشبوشث وأخذها من عند رجلها من فلطئيل بن لايش وكان رجلها يسير معها ويبكي وراءها إلى يحوريم. فقال له أبنير إذهب ارجعْ.. فرجعَ».

لقد غدر أبنير بن نير بايشبوشث وتخلّى عنه لصالح داود، لكنّه لم يهنأ بهذا الغدر.. وانقلبت خيانته عليه. حيث نقرأ: «فجاء أبنير إلى داود إلى حبرون ومعه عشرون رجلاً. فصنع داود لأبنير وللرّجال الذين معه وليمة وقال أبنير لداود أقوم وأذهب وأجمع إلى سيدي الملك جميع إسرائيل فيقطعون معك

عهداً وتملكُ حسب كلّ ما تشتهي نفسكَ. فأرسل داود أبنير فذهب بسلام».

غير أنّ يوآب (أحد قوّاد داود استنكر هذا الأمر ورأى ضرورة قتل أبنير. لأنّه قتل أخاه عسائيل). فترك الأمر سرّاً ولم يخبر داود وقرّر اغتيال أبنير بخدعةٍ وغدرٍ. حيث نقرأ: «ثم خرج يوآب من عند داود وأرسل رسلاً وراء أبنير فردوه من بئر السيرة، وداود لا يعلمُ. ولمّا رجع أبنير إلى حبرون مال به يوآب إلى وسط الباب ليكلّمه سرّاً وضربه هناك في بطنه فمات بدم عسائيل أخيه».

إنّ حادثة اغتيال أبنير غدراً وخيانة تركت صدى كبيراً وخاصة لدى ابن شاول (إيشبوشث) الذي تعرّض بعد وفاة أبنير لحادثة اغتيال أيضاً من قبل قائدين يعملان عنده.. فقد قتلاه غدراً حيث نقرأ: «ولمّا سمع ابن شاول أنّ أبنير قدمات في حبرون ارتخت يده وارتاح جميع إسرائيل. وكان لابن شاول رجلان رئيسا غزاةٍ اسم الواحد بعنة واسم الآخر ركاب ابنا رمّون البئيروتيّ من بني بنيامين».

«وسار ابنا رمون البئيروتي ركاب وبعنة ودخلا عند حرّ النهار إلى بيت ايشبوشث وهو نائمٌ نومة الظهيرة. فدخلا إلى وسط البيت ليأخذا حنطة وضرباه في بطنه ثم أفلت ركاب وبعنة أخوه. فعند دخولهما البيت كان هو مضطجعاً على سريره في مخدع نومه فضرباه وقتلاهُ وقطعا رأسه».

ثم نقرأ عن حادثة اغتيال غدراً قام بها داود ضدّ قائده أوريا الحثّي ليأخذ زوجته: «وكان في وقت المساء أنّ داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم وكانت المرأة جميلة المنظر جدّاً فأرسل داود رسائل عن المرأة فقال واحد أليست هذه بتشبع بنت أليعام امرأة أوريا الحثي فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهّرة من طمثها ثمّ رجعت إلى بيتها وحبلت المرأة. فأرسلت وأخبرت داود وقالت إنّي حُبلى فأرسل داود إلى يوآب يقول أرسل لي أوريا الحثي فأرسل

يوآب أوريا إلى داود فأتى أوريا اليه. فسأل داود عن سلامة يوآب وسلامة الشعب ونجاح الحرب وقال داود لأوريا انزل إلى بيتك واغسل رجليك. فخرج أوريا من بيت الملك وخرجت وراءه حصّة من عند الملك ونام أورّيا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده ولم ينزل إلى بيته. فأخبروا داود قائلين لم ينزل أوريا إلى بيته. فقال داود لأوريا أما جئت من السّفر فلماذا لم تنزلْ إلى بيتك. فقال أوريا لداود إنّ التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام وسيدي يوآب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء وأنا آتي إلى بيتي لآكل وأشرب وأضطجع مع امرأتي. وحياتك وحياة نفسك لاأفعل هذا الأمر».

إنّ هذا الموقف النبيل والشجاع من أوريا الحثّي، يعبر تماماً عن التزام واحترام أبناء حثّ للعمل مهما كان نوعه. وعن وفائهم وإنسانيتهم وشجاعتهم. فأوريّا الحثّي لم يكن يهوديّاً، كان من بني حثّ.. ومع هذا فقد كان محارباً شجاعاً ووفيّاً لرفاقه اليهود، فلم يرْضَ أن ينعم مع امرأته ورفاقه يحاربون في الصحراء.. فكان مثال الإنسان الملتزم الخلوق الذي يتصف بالانفتاح والتسامح والوفاء.. ولم يكن ليدري أنّ داود غدر به واضطجع مع امرأته ويخطّط لاغتياله والغدر به أيضاً. فقد كان حسن النّية وفضّل النوم على باب بيت الملك بدلاً من بيته، ولكنّ دواد لم يرق له الأمر فنقرأ: «وفي الصباح كتب داود إلى يوآب مكتوباً وأرسله بيد أوريّا. وكتب في المكتوب يقول اجعلوا أوريّا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت».

حمل أوريّا الحثّي رسالة موته غدراً.. ونجح مخطّط داود في التخلّص من أوريّا الحثّي ليسلبه زوجته الجميلة. ومات أوريّا حيث نقرأ: «وكان في محاصرة يوآب المدينة أنّه جعل أوريّا في الموضع الذي علم أنّ رجال البأس فيه. فخرج رجال المدينة وحاربوا يوآب فسقط بعض الشعب من عبيد داود

ومات أوريّا الحثّي أيضاً».

«فلّما سمعت امرأة أوريّا أنّه قد مات رجلها ندبت بعلها ولما مضت المناحة أرسل داود وضمّها إلى بيته وصارتْ له امرأة وولدت له ابناً».

ويحدّثنا كاتب سفر صموئيل الثاني أيضاً عن حادثةٍ بشعة قام بها أمنون (ابن داود بدعم وتخطيط من عمّه شقيق والده يوناداب). فقد احتال أمنون على أخته تامار واستدرجها إلى مخدعه واضطجع معها حيث نقرأ: «وكان لأمنون صاحبٌ اسمه يوناداب بنُ شمعي أخي داود. وكان يوناداب رجلاً حكيماً جدّاً. فقال له أمنون إنّي أحبُّ تامار أُختَ أبشالوم أخي. فقال يونادابُ اضطجع على سريرك وتمارض. إذا جاء أبوك ليراك فقلّ له دع تامار أُختي فتأتي وتطعمني خبزاً وتعمل أمامي الطعام لأرى فآكل من يدها».

نجح مخطّط يوناداب، ووافق داود على إرسال ابنته تامار لتخدم أخيها أمنون فاستغل أمنون وجودها وتمكن منها واضطجع معها، ثم طردها. حيث نقرأ: «فلم يشأ أن يسمع لصوتها بل تمكن منها وقهرها واضطجع معها».

لكنّ أبشالوم بن داود شقيق أمنون وتامار الذي استنكر فعلة أخيه أمنون، ضمر الشرّ له، وقرّر وضع خطة للغدر به واغتياله انتقاماً لأخته تامار.. فتامار كانت أخت أمنون من أبيه داود.

بعد سنتين حسب ما يروي كاتب السفر قرّر أبشالوم الانتقام من أخيه أمنون.. فخطّط لإقامة وليمة يدعو إليها والده وإخوته ومنهم أمنون حيث نقرأ: «وكان بعد سنتين من الزمان أنّه كان لأبشالوم جزّازون في بعل حاصور التي عند أفرايم فدعا أبشالوم جميع بني الملك. وجاء أبشالوم إلى الملك وقال هو ذا لعبدك جزّازون، فليذهب الملك وعبيده مع عبدك. فقال الملك

لأبشالوم. لا يا ابني لا نذهب كلّنا لئلاّ نثقل عليك، فألحّ عليه فلم يشأ أن يذهب بلْ باركه. فقال أبشالوم إذاً دعْ أخي أمنون يذهب معنا. فقال الملك لماذا يذهُب معك. فألحّ عليه أبشالوم فأرسل معه أمنون وجميع بني الملك. فأوصى أبشالوم غلمانهُ قائلاً انظروا متى طاب قلبُ أمنون بالخمر وقلتُ لكم اضربوا أمنون فاقتلوه. لا تخافوا أليس أنّي أنا أمرتكم. فتشدّدوا وكونوا ذوي بأس. ففعل غلمانُ أبشالوم بأمنون كما أمر أبشالوم».

كما نقرأ في سيفر صموئيل أيضاً عدة حالات غدرٍ واحتيال حدثتْ خلال الصراع بين أبشالوم وأبيه داود أهمّها الغدر بأبشالوم وقتله من قبل قائد جيش داود يوآب بن صرويه).

كان داود قد أوصى قواده وجنوده بعدم التعرّض لابنه أبشالوم وطالبهم بالحفاظ على سلامته، غير أنّ يوآب بن صروية نكثَ بهذا الطلب وخان ملكه داود وغدر بأبشالوم وقتله كما يردُ في النصّ التوراتي حيث نقرأ: «وصادف أبشالومُ عبيد داود وكان أبشالومُ راكباً على بغلٍ فدخل البغلُ تحت أغصان البُطمة العظيمة الملتفة. فتعلّق رأسهُ بالبطمة وعُلّق بين السماء والأرض والبغل الذي تحته مرّ. فرآه رجلٌ وأخبر يوآب وقال إنّي قد رأيت أبشالوم معلّقاً بالبطمة. فقال يوآب للرّجل الذي أخبره إنّك قد رأيته فلماذا لم تضربه هناك إلى الأرض وعليّ أنْ أعطيك عشرة من الفضّة ومنطقةً. فقال الرّجل ليوآب فلو وُزنَ في يدي ألفٌ من الفضّة لما كنتُ أمدّ يدي إلى ابن الملك لأنّ الملك أوصاك في آذاننا أنتَ وأبيشاي وإتّاي قائلاً احترزوا أيّاً كان منكم على الفتى أبشالوم».

«فقال يوآب إنّي لا أصبرُ هكذا أمامك. فأخذ ثلاثة سهامٍ بيد ونشبها في قلب أبشالوم وهو بعدُ حيٌّ في قلب البطمة. وأحاط بها عشرة غلمانٍ حاملو سلاح يوآب وضربوا أبشالوم وأماتوه».

وفي سفر الملوك الأول يروي كاتبه عدّة عمليات اغتيال وتصفية قام بها الملك سليمان بن داود ضدّ عدد من قواد أبيه ومعاونيه، ومن بينهم شقيقه الأكبر أدّونيا بن حُجّيت). فنقرأ: «والآن حيّ هو الرّبّ الذي ثبّتني وأجلسني على كرسّي داود أبي والذي صنع لي بيتاً إنّه اليوم يقتلُ أدونّيا. فأرسل الملك سليمان بيد بنايا هو بن يهوياداع فبطش به فمات».

ونقرأ في الإصحاح الواحد والعشرين من نفس السفر عن جريمة قتل استخدم فيها أسلوب الغدر والخيانة بطريقة بشعة جدّاً خطّطت لها ايزبيل امرأة ملك إسرائيل آخاب (ضد رجل آمن يدعى نابوت اليزرعيلي):

«وحدث بعد هذه الأمور أنّه كان لنابوت اليزرعيلي كرمٌ في يزرعيل بجانب قصر آخاب ملك السامرة. فكلم آخاب نابوت قائلاً أعطني كرمكَ فيكون لي بستان بقولٍ لأنه قريب بجانب بيتي فأعطيك عوضه كرماً أحسن منه وإذا حسن في عينيك أعطيتك ثمنه فضةً. فقال نابوتُ لآخاب حاشا لي من قبل الرّب أن أعطيك ميراث آبائي».

انزعج آخاب جدّاً من هذا الرّد.. واكتأب وجهه. فدخلت إليه امرأته مهدئة وواعدةً بحلّ القضية بسهولة قائلة لآخاب: «أأنت الآن تحكم على إسرائيل. قمْ كلْ خبزاً وليطبْ قلبك. أنا أعطيك كرم نابوت اليزرعيلي. ثم كتبتْ رسائل باسم آخاب وختمتها بخاتمه وأرسلتْ الرسائل إلى الشيوخ والأشراف الذين في مدينته الساكنين مع نابوت. وكتبت في الرسائل تقول. نادوا بصومٍ وأجلسوا نابوت في رأس الشّعب. وأجلسوا رجلين من بني بلّيعال تجاههُ ليشهدوا قائلين قد جدّفتَ على الله وعلى الملك. ثم أخرجوه وارجموه فيموت».

نجح مخطّط إيزابيل بشكل جيد كما رسمته. فتمتْ تصفية نابوت اليزرعيلي غدراً وخيانة وغشّاً واستولى آخاب على البستان الذي كان لنابوت

حيث نقرأ: «ولمّا سمعت إيزابيل أنّ نابوت قد رُجِمَ ومات قالتْ إيزابيل لآخاب قمْ رثْ كرمَ نابوت اليزرعيلي الذي أبى أن يعطيك إيّاه بفضةٍ لأنّ نابوت ليس حيّاً بلْ هو ميتٌ. ولمّا سمع آخاب أنّ نابوت قد مات قام آخاب لينزل إلى كرم نابوت اليزرعيلي ليرثُه».

إنّ مقتل نابوت اليزرعيلي كان سبباً في التخطيط لعدّة عمليات قتل واغتيال استخدم فيها أسلوب الغدر والخيانة أيضاً. فبعد وفاة الملك آخاب تسلّم ابنه يورام (السلطة. غير أنّ أليشع النبي أخذ يخطّط لاغتيال يورام والثأر لنابوت اليزرعيلي بالتعاون مع قائد الجيش يهو بن يهوشافاط) فاستغلاّ الصراع الذي كان قائماً فيما بين الآراميين وبني إسرائيل، حيث كان يورام ملك إسرائيل وأخزيا بن يهورام ملك يهوذا يقاتلان معاً الآراميين في منطقة راموت جلعاد، وهناك جرح يورام في المعركة فرجع ليبرأ في يزرعيل من الجروح التي جرحه بها الآراميون في راموت. وكان ملك يهوذا قد نزل ليرى يورام بن آخاب في يزرعيل ويطمئن على وضعه.

إلى يزرعيل وصل قائد الجيش المتآمر ياهو بن يهوشافاط وعدد من المسلحين بغية اغتيال يورام فالتقيا في بستان نابوت اليزرعيلي حيث نقرأ: «فلمّا رأى يهورام ياهو قال أسلامٌ يا ياهو. فقال أيُّ سلامٍ ما دام زنا إيزابل أُمّكَ وسحرها الكثيرُ. فردّ يهورام يديه وهربَ وقال لأخزيا خيانةٌ يا أخزيا. فقبض ياهو بيده القوس وضربَ يهورام بين ذراعيه فخرج السهم من قلبه فسقط في مركبته».

«فجاء ياهو إلى يزرعيل. ولمّا سمعتْ إيزابلُ كحّلتْ بالأُثمد عينيها وزيّنتْ رأسها وتطلّعت من كوةٍ. وعند دخول ياهو الباب قالتْ أسلامٌ لزمري قاتلِ سيّده. فرفع وجهه نحو الكوّة وقال منْ معي. منْ فأشرف عليه اثنان أو ثلاثةٌ من

الخصيان. فقال اطرحوها. فطرحوها فسال من دمها على الحائط وعلى الخيل فداسها ودخلَ وأكلَ وشربَ ثم قال افتقدوا هذه الملعونة وادفنوها لأنّها بنتُ ملك».

ولم يكتف ياهو بهذه الجرائم والاغتيالات.. فقد قرّر اغتيال جميع أبناء آخاب بن عمري بعد أنْ قتل ابنه يورام الملك. وكان عدد أبناء آخاب سبعين ولداً. ويعيشون في السّامرة تحت إشراف مُربين هناك. فأرسل ياهو إلى هؤلاء المُرّبين رسائل طالبهم فيها بقتل جميع أبناء آخاب الأولاد والشبّان وقطع رؤوسهم وإرسالهم إليه. حيث نقرأ: «فكتب إليهم رسالة ثانية قائلاً إنْ كنتم لي وسمعتم لقولي فخذوا رؤوس الرّجال بني سيدكم وتعالوا إليّ في نحو هذا الوقت غداً إلى يزرعيل. وبنو الملك سبعون رجلاً كانوا مع عظماء المدينة الذين ربّوهم. فلّما وصلت الرسالة إليهم أخذوا بني الملك وقتلوا سبعين رجلاً ووضعوا رؤوسهمُ في سلالٍ وأرسلوها إليه إلى يزرعيل».

ثم تابع ياهو جرائمه وغدره واغتيالاته كما يرد في السفر: «وقتل ياهو كلّ الذين بقوا لبيت آخاب في يزرعيل وكلّ عظمائه ومعارفه وكهنته حتى لم يبقِ له شارداً. ثم قام وجاء إلى السّامرة. وإذا كان عند بيت عقد الرّعاة في الطريق صادف ياهو إخوة أخزيا ملك يهوذا. فقال من أنتم فقالوا نحن إخوةُ أخزيا ونحن نازلون لنُسلم على بني الملك وبني الملكة. فقال امسكوهم أحياءً. فأمسكوهُم أحياءً وقتلوهم عند بئر بيت عَقدٍ اثنين وأربعين رجلاً لم يبق منهم أحد».

أيضاً لم يكتفِ ياهو بما اقترفه من جرائم باسم رب الجنود يَهْوه، فقد صبّ جام غضبه على سكان كنعان وكهنتهم بعد أن خطّط لهذا الأمر تخطيطاً محكماً استخدم فيه الحيلة والخدعة ثم الغدر والقتل.

لقد اتصّف الكنعانيون بالروح المتسامحة والانفتاح والمساواة بين جميع الشعوب والأديان، فلم يتعرضوا لمعتقدات الآخرين. ولا لكهنتهم، ولم يفرضوا ديانتهم على أحد وقد عاش اليهود بين ظهرانيهم ومارسوا شعائرهم الخاصّة بهم، ولا نقرأ أنّ كنعانيّاً اعتدى على كهنة يَهْوه..

غير أنّ ياهوشافاط وبدافع من عنصريته وحقده وغدره لم يرع هذا الأمر.. وكان مثالاً لليهودي الحاقد الذي ينتظر الفرصة الملائمة للانقضاض على الأغيار الأبرياء وقتلهم بقسوة ووحشية. فلما قتل جميع أبناء آخاب وأصحابه ومعارفه ومن يمت له بصلة. التفت إلى كهنة الكنعانيين مستخدماً حيلةً للغدر بهم وقتلهم كما يروي كاتب السفر حيث نقرأ: «ثم جمع ياهو كلّ الشعب وقال لهم. إنّ آخاب قد عبد البعل قليلاً وأما ياهو فإنّه يعبده كثيراً. والآن فادعوا إليّ جميع أنبياء البعل وكلّ عابديه وكلّ كهنته. لا يُفقد أحدٌ لأنّ لي ذبيحة عظيمة للبعل. كلّ من فقد لا يعيش. وقد فعل ياهو بمكر لكي يفني عبدة البعل. وقال ياهو قدسوا اعتكافاً للبعل. فنادوا به وأرسل ياهو في كلّ إسرائيل فأتى جميع عبدة البعل ولم يبق أحدٌ إلاّ أتى ودخلوا بيت البعل فامتلأ بيتُ البعل من جانب إلى جانبٍ. فقال للذي على الملابس أخرج ملابس لكل عبدة البعل. فأخرج لهم ملابسَ. ودخل ياهو ويهوناداب بنُ ركاب بيت البعل. فقال لعبدة البعل فتشوا وانظروا لئلا يكون معكم هاهنا أحدٌ من عبيد الرّبّ ولكنّ عبدة البعل وحدهم. ودخلوا ليقربوا ذبائح ومحرقاتٍ. وأما ياهو فأقام خارجاً ثمانين رجلاً وقال. الرجل الذي ينجو من الرجال الذين أتيتُ بهم إلى أيديكم تكون أنفسكم بدلَ نفسه. ولمّا انتهوا من تقريب المُحرقة قال ياهو للسُّعاة والثّوالث ادخلوا اضربوهم. لا يخرج أحدٌ. فضربوهم بحدّ السيف وطرحهم السّعاة والثّوالث وساروا إلى

مدينة بيت البعل».

ويروي كاتب سفر الملوك الثاني عن جريمة بشعةٍ جدّاً اقترفتهاعثليا (والدة ملك يهوذا أخزيا) الذي قتله ياهو يهوشافاط بعد أنْ غدر بملك (إسرائيل يورام بن آخاب) وقتله. فنقرأ: «فلمّا رأت عَثليا أُمّ أخزيا أنّ ابنها قد مات قامت فأبادت جميع النسل الملكي».

طبعاً لم ينجُ من هذه المذبحة البشعة إلاّ طفل رضيع يدعى يوآش بن أخزيا (سرقته عمّته وخبأته عند يهوياداع) في بيت الرّبّ وبقي فيه ست سنوات إلى أن أخرجه الكاهن يهوياداع) وألبسه تاج الملك وأعطاه الشهادة وملكه ومسحه ملكاً بدلاً من عثليا بالاتفاق مع عددٍ من قادة الجيش المتنفذين وكان يهوياداع الكاهن قد وضع خطة لاغتيال عثليا، وقد نجح في تنفيذ الاغتيال كما يرد في النص التوراتي.

ثم تعرّض يوآش هذا إلى مؤامرة استخدم فيها أسلوب الغدر والخيانة وتمّ فيها اغتياله وقتله كما يرد في سفر الملوك الثاني: «وقام عبيدهُ وفتنوا فتنةً وقتلوا يوآش في بيت القلعة حيث ينزل إلى سلّى. لأنّ يوزاكار بن شمعة ويهوزاباد بن شومير عبديه ضرباهُ فمات. فدفنوه مع آبائه في مدينة داود وملك أمصّيا ابنه عوضاً عنه».

وتستمرُّ عمليات الغدر والخيانة والاغتيالات في مملكتي يهوذا وإسرائيل على السّواء. فنقرأ عن فتنة في إسرائيل ضدّ زكريا بن يربعام ملك إسرائيل قام بها شلُّوم بن يابيش بتكليف من ربِّ الجنود يهوه كما يرد في النّص التوراتي حيث نقرأ: «ففتنَ عليه شلُّوم بن يابيش وضربه أمام الشّعب فقتله وملك عوضاً عنه».

لكنّه لم يهنأ كثيراً. فقد أُحيكت مؤامرة ضده وتم اغتياله من قبل رجلٍ

يدعى منحيم بن جادي فنقرأ: «وصعد منحيم بن جادي من ترصة وجاء إلى السامرة وضرب شلّوم بن يابيش في السّامرة فقتله وملك عوضاً عنه».

وعندما توفي مناحيم تسلّم ابنه فقحيّا السلطة، لكنّه تعرض لخيانة وإغتيال أيضاً: «ففتن عليه فقحُ بن رمليا ثالثه وضربه في السّامرة في قصر بيت الملك مع أرجوبَ ومع أرْيَةَ ومعه خمسون رجلاً من بني الجلعاديين. قتله وملك عوضاً عنه».

وكان مصير فقح بن رمليّا كمصير سلفه.. فقد تعرض هو الآخر لخيانة وغدر أودى بحياته فنقرأ: «وفَتن هوشعُ بنُ أيْلةَ على فقح بن رمَليا وضربه فقتله وملك عوضاً عنه».

٤- الانحلال الخلقي

في الأسفار التوراتية نقرأ الكثير من التصرفات والأفعال التي تُعبرُ عن الإنحلال الخلقي والرذيلة، فنجد من يقدّم إمرأته لغيره خدمةً لمصالحه، ومن يضطجع مع امرأة أبيه أو أخته أو كنّته إلخ...

في سفر التكوين نجدُ أنّ إبراهيم تخلّى عن امرأته سارة لصالح فرعون مصر لكي يثرى ويكون له خيرٌ بسببها: «فانحدر أبرام إلى مصر ليتغرب هناك لأنّ الجوع في الأرض كان شديداً وحدث لمّا قرب أن يدخل مصر أنّه قال لساراي امرأته إنّي قد علمتُ أنك حسنة المنظر. فيكون إذ رآك المصريون أنّهم يقولون هذه امرأته فيقتلونني ويستبقونك. قولي إنك أُختي ليكون لي خيرٌ بسببك وتحيا نفسي من أجلكِ».

«فحدث لمّا دخل أبرام إلى مصر أنّ المصريين رأوا المرأة أنّها حسنة جدّاً ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون فأُخذت المرأة إلى بيت

فرعون. فصنع إلى أبرام خيراً بسببها وصار له غنمٌ وبقرٌ وحميرٌ وعبيدٌ وإماء وأُتنٌ وجمالٌ».

فرعون لم يكن ليدري أنّ سارة امرأة لإبراهيم. فقد ادّعت أنّها أخته وإبراهيم أكد هذا الأمر لرؤساء فرعون... لكنّ فرعون عندما علم بالأمر بعد فترة من الزمن استهجنه تماماً وانزعج من إبراهيم حتى الدرجة التي طرده فيها من مصر بعد أن أعاد له زوجته. فالمصريون لم يعتادوا على مثل هذا السلوك. فنقرأ: «فدعا فرعون أبرام وقال ما هذا الذي صنعتَ بي لماذا لم تخبرنيِ أنّها امرأتك. لماذا قلتَ هي أختي حتى أخذتها لي لتكون زوجتي. والآن هو ذا أمرأتك. خذها واذهبْ».

وكاتب سفر التكوين يروي ويسجل حادثة ابنتي لوط كيف احتالتا على أبيهما واضطجعتا معه وحبلتا منه: «وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه لأنه خاف أن يسكن في صوغر فسكن في المغارة هو وابنتاه. وقالت البكرُ للصغيرة. أبونا قد شاخَ وليس في الأرض رجلٌ ليدخل علينا كعادة كلّ الأرض. هلمّ نسقي أبانا خمراً ونضطجع معه فنحيي من أبينا نسلاً. فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة ودخلت البكرُ واضطجعت مع أبيها ولم يعلمْ باضطجاعها ولا بقيامها. وحدث في الغد أنّ البكر قالتْ للصغيرة إنّي قد اضطجعت البارحة مع أبي. نسقيه خمراً اللّيلة أيضاً فادْخلي اضطجعي معه. فنحيي من أبينا نسلا. فسقيا أباهما خمراً في تلك اللّيلة أيضاً. وقامت الصغيرة واضطجعت معه. ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها فحبلت ابنتا لوطٍ من أبيهما. فولدت البكرُ ابناً ودعتِ اسمه موآب وهو أبو الموآبيين إلى اليوم. والصغيرة أيضاً ولدتِ ابناً ودعت اسمه بنْ عمّي. وهو أبو بني عمّون إلى اليوم».

ويتابع كاتب السّفر سرد الحوادث اللّا أخلاقية، ويحدثنا عن إبراهيم

وسارة مرّة ثانية بعد أن طردَ من مصر واتجه إلى كنعان فيروي: «وانتقل إبراهيم من هناك إلى أرض الجنوب وسكن بين قادش وشور وتغرّب في جرار وقال إبراهيم عن سارة امرأته هي أختي فأرسل أبيمالك ملك جرار وأخذ سارة».

لقد كررّ إبراهيم حادثة مصر نفسها. فقال عن امرأته ساره انّها أخته فطلبها ملك جرار لتكون زوجة له، وإبراهيم وافق على الطلب، ولولا تدخل الإله يَهْوه في آخر لحظة لاضطجع معها ملك جرار أبيمالك حسب ما يروي كاتب السفر فنقرأ: «فجاء اللّه إلى أبيمالك في حلم الليل وقال له ها أنتَ ميتٌ من أجل المرأة التي أخذتها فإنّها متزوجة ببعل. ولكن أبيمالك لم يكن قد اقترب إليها فقال يا سيّد أأمّةً بارّة تقتلُ. ألم يقل هو لي إنّها أختي. وهي أيضاً نفسها قالت هو أخي، بسلامة قلبي ونقاوة يديّ فعلتُ هذا».

وورث إسحق عن أبيه إبراهيم سلوكه، واتبع الأسلوب نفسه في تقديم امرأته للآخرين. حيث يحدّثنا كاتب سفر التكوين أنّ إسحق تغرّبَ في منطقة جرار وكان ملكها أبيمالك أيضاً. ففعل إسحق كما فعل أبوه قبلاً، قال عن امرأته رفقة انّها أخته: «فأقام إسحق في جرار. وسأله أهل المكان عن امرأته فقال هي أختي».

وحدث إذ طالت له الأيام هناك أنّ أبيمالك ملك الفلسطينيين أشرف من الكوّة ونظر وإذا إسحقُ يلاعبُ رفقة امرأته. فدعا أبيمالك إسحق وقال إنّما هي امرأتك فكيف قلتَ هي أُختي. فقال له إسحق لأنّي قلتُ لعلّي أموت بسببها. فقال أبيمالك ما هذا الذي صنعت بنا. لولا قليلٌ لاضطجع أحدُ الشّعب مع امرأتك فجلبْت علينا ذنباً».

مثل هذا السلوك لم يألفْه الكنعانيون. إنّه انحطاطٌ في القيم الأخلاقية. ويعتبره الكنعانيون ذنباً وعاراً فهم يخافون اللّه، ومن هذا المبدأ كان موقف

أبيمالك من إبراهيم ومن ابنه إسحق. ومن هذا السلوك عموماً.

ونقرأ في سفر التكوين أيضاً أنّ رأوبين بن يعقوب وهو بكره، استغلّ غياب والده ودخل على امرأته بلْهَةَ وكان لها ولدان دان ونفتالي، واضطجع معها: «وحدثَ إذ كان إسرائيل ساكناً في تلك الأرض أنّ رأوبين ذهب واضطجع مع بلْهَة سرّية أبيه».

كما يحدّثنا أنّ تامار (كنّة يهوذا) ابن يعقوب الرابع زنت مع حميها يهوذا وحبلت منه وولدت ولدين أسمت الأوّل فارص والثاني زارح فنقرأ: «وأخذ يهوذا زوجة لعير بكره اسمها تامار. وكان عيرٌ بكرُ يهوذا شريراً في عينيّ الرّب فأماته الرّب. فقال يهوذا لأونان ادخل على امرأة أخيك وتزوج بها وأقمْ نسلاً لأخيكَ. فعلم أونان أنّ النّسل لن يكون له فكان إذا دخل على امرأة أخيه أنّه أفسد على الأرض لكي لا يعطي نسلاً لأخيه فقبحَ في عيني الرّبّ ما فعله فأماته أيضاً. فقال يهوذا لتامار كنّته اقعدي أرملة في بيت أبيك حتى يكبُر شيلةُ ابني. لأنّه قال لعلّه يموت هو أيضاً كأخويه. فمضت تامار وقعدت في بيت أبيها».

ولما طال الزمان ماتت ابنة شوع امرأة يهوذا. ثم تعزّى يهوذا فصعد إلى جزاز غنمه إلى تمنة هو وحيرة صاحبه العدلامّي. فأخبرت تامار وقيل لها هو ذا حموك صاعد إلى تمنه ليجز غنمه. فخلعت عنها ثياب ترمّلها وتغطّت ببرقعٍ وتلففت وجلست في مدخل عينايم التي على طريق تمنة لأنّها رأت أنّ شيلة قد كبر وهي لم تعط له زوجةً. فنظرها يهوذا وحسبها زانية لأنّها كانت قد غطت وجهها. فمال إليها على الطريق وقال هاكي أدخل عليك. لأنّه لم يعلم أنّها كنته، فقالت ماذا تعطيني لكي تدخل عليّ. فقال إني أُرسل جدي معزى من الغنم. فقالت هل تعطيني رهناً حتى ترسله. فقال ما الرّهن الذي أُعطيك. فقالت خاتمك وعصابتك وعصاك التي في يدك. فأعطاها ودخل

عليها. فحبلت منه ثم قامتْ ومضت وخلعت عنها برقعها ولبست ثياب ترُّملها».

«وفي وقت ولادتها إذ في بطنها توأمان. وكانت في ولادتها أنّ أحدهما أخرج يداً فأخذت القابلة وربطت على يده قرمزاً قائلة هذا خرج أولاً ولكن حين ردّ يده إذ أخوه قد خرج. فقالت لماذا اقتحمت. عليك اقتحام فدعي اسمه فارصَ. وبعد ذلك خرج أخوه الذي على يده القُرمز فدعى اسمه زارحَ».

ونقرأ في سفر القضاة حوادث بشعة تعبّر عن الانحلال الخلقي منها أنّ رجلاً لاويّاً متغرباً في عقاب جبل أفرايم. اتخذ له امرأة سرّية من بيت لحم يهوذا فزنت عليه هذه المرأة، وتركته ثم ذهبت إلى بيت أبيها، ومع هذا جاء زوجها وراءها ليطيب قلبها ويردها معه.

عادت المرأة معه، وجاء إلى مقابل يبوس أورشليم، وكان معه حماران مشدودان، والغلام، أي غلامه. فانحدر النهار وبدأت الشمس تغيب فقال الغلام لسيّده: «تعال نميلُ إلى مدينة اليبوسيين هذه ونبيتُ فيها. فقال له سيّده لا نميل إلى مدينة غريبةٍ حيث ليس أحدٌ من بني إسرائيل هنا. نعبر إلى جبعةَ. وقال لغلامه تعال نتقدم إلى أحد الأماكن ونبيتُ في جبعةَ أو في الرّامة. فعبروا وذهبوا وغابت لهُمُ الشمس عند جبعة التي لبنيامين. فمالوا إلى هناك لكي يدخلوا ويبيتوا في جبعة. فدخل وجلس في ساحة المدينة ولم يضمهم أحدٌ إلى بيته للمبيت. وإذا برجل شيخ جاء من شغله من الحقل عند المساء والرجل من جبل أفرايم وهو غريب في جبعة ورجال المكان بنيامينيون. فرفع عينيه ورأى الرجل المسافر في ساحة المدينة فقال الرّجل الشيخ إلى أين تذهب ومن أين أتيت؟ فقال له نحن عابرون من بيت لحم يهوذا إلى عقاب جبل أفرايم. أنا من هناك وقد ذهبت إلى بيت لحم يهوذا وأنا ذاهبٌ إلى بيت الرّب وليس أحدٌ يضمّني إلىالبيت. وأيضاً عندنا

تبنٌ وعلفٌ لحميرنا وأيضاً خبزٌ وخمرٌ لي ولأمتكَ وللغلام الذي مع عبيدك ليس احتياج إلى شيء. فقال الرّجل الشيخ السّلام لك إنّما كلّ احتياجك عليّ ولكن لا تبتْ في الساحة. وجاء به إلى بيته. وعَلَفَ حميرهم. فغسلوا أرجلهم وأكلوا وشربوا».

«وفيما هم يطيّبون قُلوبهم إذا برجال المدينة رجال بني بلّيعال أحاطوا بالبيت قارعين الباب وكلموا الرجلَ صاحب البيت الشّيخ قائلين أخرج الرجلَ الذي دخل بيتك فنعرفهُ. فخرج إليهم الرجلُ صاحب البيت وقال لهم لا يا إخوتي لا تفعلوا شرّاً. بعدما دخل هذا الرّجل بيتي. لا تفعلوا هذه القباحة. هو ذا ابنتي العذراء وسرّيته دعوني أُخرجهما فأذلُّوهما وافعلوا بهما ما يحسن في أعينكم وأمّا هذا الرجل فلا تعملوا به هذا الأمر القبيح. فلمْ يرد الرّجال أن يسمعوا له. فأمسك الرجلُ سرّيته وأخرجها إليهم خارجاً فعرفوها وتعلّلوا بها اللّيل كلّه إلى الصباح. وعند طلوع الفجر أطلقوها. فجاءت المرأة عند إقبال الصباح وسقطت عند باب بيت الرجل حيث سيدها هناك إلى الضوء فقام سيّدها في الصباح وفتح أبواب البيت وخرج للذهاب في طرّيقه وإذا بالمرأة سرّيته ساقطة على باب البيت ويداها على العتبة. فقال لها قومي نذهب. فلم يكن مجيبٌ. فأخذها على الحمار وقام الرّجل وذهب إلى مكانه. ودخل بيتهُ وأخذ السّكين وأمسك سرّيته وقطعها مع عظامها إلى اثنتي عشرة قطعةً وأرسلها إلى جميع تخوم إسرائيل».

إنّه انحطاط كبيرٌ في القيم الأخلاقية، جريمة بشعة جدّاً، وسلوكٌ شائنٌ ومرعب جدّاً قام به اليهود ببساطة.. ويقرأ عنه أطفالهم اليوم بافتخارٍ ويقتدون به. ويستحضرونه في سلوكهم اليومي الديني والمدني.

في سفر صموئيل الأول حوادث تتعلق ببني إسرائيل تفوح منها رائحة

الانحلال الخلقي والقباحة واللا إنسانية فنقرأ عن سلوك كلّ من شاول وداود أثناء الصراع بينهما على السلطة وكيف كان كلّ طرف يسعى لدفع الآخر عنه بطرق وأساليب غير مشروعة محورها عموماً المرأة والغدر.

إنّ شاول لكي يتخلص من داود قرّر أن يزوجه ابنته الكبرى مَيْرَب علماً أنّها كانت قد تزوجت من رجلٍ يدعى عدرئيل المحوليّ) لم يكن ليهتم بمسألة الأخلاق. ابنته متزوجة وهو يريد أن يطلقها من زوجها ليعطيها لرجل آخر نظراً لأنّ مصلحته تقتضي ذلك.

داود كان يميلُ إلى ميكال الفتاة الأصغر للملك شاول.. وهي كانت تميلُ إليه. وقد وافق شاول أن يزوجها لداود، ليس لأنّه يريد أن يكون داود صهره ويُسعدُ ابنته، بل من أجل أن تكون شركاً له ويقتله الفلسطينيون حيث نقرأ: «وميكالُ ابنة شاول أحبّتْ داود فأخبروا شاول فحسُن الأمر في عينيه. وقال شاول أُعطيه إيّاها فتكون له شركاً وتكون يدُ الفلسطينيين عليه».

لقد طلب شاول مهر ابنته ميكال مئة غُلفةٍ من الفلسطينيين كما يرد في سفر صموئيل الأولّ: «فقال شاول هكذا تقولون لداود. ليستْ مسرة الملك بالمهر بلْ بمئة غُلفةٍ من الفلسطينيين للانتقام من أعداء الملك وكان شاول يتفكّرُ أن يوقعَ داود بيد الفلسطينيين».

ولمّا اشتدّ الصراع بين الطرفين وهرب داود من وجه شاول قام شاول باحتجاز ميكال ابنته ومنعها من الذهاب مع داود. وزوجها لرجل يُدعى فلطئيل بن لايش بقيت عنده حتى وفاة والدها شاول فاستردّها داود ثانية وبطريقة سلبية كما يردُ في السفر حيث نقرأ: «فأرسل أبنير من فوره رُسلاً إلى داود قائلاً لمنْ هي الأرض. يقولون اقطعْ عهدك معي وهو ذا يدي معكَ لردّ جميع إسرائيل إليك. فقال حسناً أنا أقطع معك عهداً إلاّ أنّي أطلبُ منك

أمراً واحداً وهو أن لا ترى وجهي مالم تأتِ أولاً بميكال بنت شاولَ حين تأتي لترى وجهي. ، أرسل داود رسلاً إلى إيشبوشث بن شاول يقول أعطني امرأتي ميكال التي خطبتها لنفسي بمئة غُلفةٍ من الفلسطينيين فأرسل إيشبوشث وأخذها من عند رجُلها من فلطئيل بن لايش. وكان رجلها يسيرُ معها ويبكي وراءها إلى بحوريم. فقال له أبنيرُ اذهب. ارجعْ. فرجع».

ويحدثنا كاتب سفر صموئيل الثاني أنّ الملك شاول توفي، فقام قائده أبنير بن نير بمصاحبة امرأته رصفة بنت أية وقد علم ابن شاول إيشبوشث بالأمر فاستنكر قائلاً لأبنير «لماذا دخلت إلى سرّية أبي. فاغتاظ أبنير جدّاً من كلام إيشبوشث وقال العلي رأس كلب ليهوذا. اليوم أصنع معروفاً مع بيت شاول أبيك مع إخوته ومع أصحابه ولم أسلمك ليّد داود وتطالبني اليوم بإثم امرأةٍ».

ثم نقرأ في نفس السفر عن داود وقائده أوريّا الحثّي، وسلوكه اتجاه امرأة أوريّا الحثّي. وكيف دبّر اغتياله ليسلبه امرأته: «وكان في وقت المساء أنّ داود قام عنْ سريره وتمشّى على سطح بيت الملك فرأى من على السّطح امرأةً تستّحم. وكانت المرأة جميلة المنظر جدّاً. فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحدٌ أليستْ هذه بتشبع بنت أليعامَ امرأة أوريّا الحِثّي. فأرسل داود رسُلاً وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهّرةٌ من طمثها ثمّ رجعت إلى بيتها. وحبلت المرأةُ».

عندما علم داود بالأمر. أرسل وراء زوجها لكي ينام معها وتختفي القضية، لكن أوريّا الحثّي بما كان يحمله من شعور بالمسئولية والقيم الأخلاقية والالتزام قرّر أن ينام مع حرّاس داود بدلاً من أنْ يذهب إلى بيته لينام مع امرأته علماً أنّه تلقى أمراً من داود بالذهاب إلى بيته. فنقرأ قوله لداود:

«إنّ التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام وسيدي يوآب وعبيدُ سيّدي نازلون على وجه الصحراء وأنا آتي إلى بيتي لآكل وأشرب وأضطجع مع امرأتي. وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر».

إنّه موقفٌ نبيل من أوريّا الحثّي.. فهو لم يكن يهوديّاً. إنّه من بني حث ولهذا اتصف بالمروءة والشجاعة وعفّة النفس. والوفاء للقضية التي يعمل من أجلها.. ولم يكن ليدري أنّ داود خدعه وأساءَ إليه ولامرأته.

ولكنَّ داود قابل هذا الموقف النبيل بالشرّ. من أجل نزوة عابرة، فأمر باغتيال أوريّا الحثّي القائد الشجاع وتصفيته. وتحقّق له الأمر وضمّ امرأته بتشبع بنت أليعام إلى بيته وصارتْ له امرأة».

نبقى في سفر صموئيل الثاني وحوادث لا أخلاقية أخرى فنقرأ عن أمنون بن داود كيف احتال على أخته تامار وضاجعها وطردها بعد ذلك بقسوةٍ ووقاحة.. «كان لأبشالوم بن داود أُختٌ جميلة اسمها تامار فأحبها أمنونُ بن داود. وأُحصر أمنون للسّقم من أجل تامار أُخته لأنّها كانت عذراء وعَسُر في عيني أمنُون أن يفعل لها شيئاً. وكان لأمنون صاحب اسمه يوناداب ابنُ شمعي أخي داود. وكان يوناداب رجلاً حكيماً جدّاً. فقال له لماذا يا ابن الملك أنتَ ضعيفٌ هكذا من صباح إلى صباح. أما تُخبرني. فقال له أمنُونُ إنّي أُحبُّ تامار أُختَ أبشالومَ أخي. فقال يوناداب اضطجع على سريرك وتمارضْ وإذا جاء أبوك ليراك فقل له دع تامار أُختي فتأتي و تطعمني خبزاً وتعملْ أمامي الطّعام لأرى فآكل من يدها. فاضطجع أمنُونُ وتمارض. فجاء الملك ليراه فقال أمنُونُ للملك دع تامارأُختي فتأتي وتصنع أمامي كعكتين فآكل من يدها. فأرسل داود تامار إلى البيت قائلاً اذهبي إلى بيت أمنون أخيك واعملي له طعاماً. فذهبتْ تامارُ إلى بيت أمنُون أخيها وهو مضطجع وأخذت العجين

وعجنت وعملتْ كعكاً أمامه وخبزتِ الكعك وأخذت المقلاة وسكبتْ أمامه فأبى أن يأكل. وقال أمنُون أخرجوا كلّ إنسان عنّي فخرج كلّ إنسان عنه. ثم قال أمنُون لتامار إيتي بالطعام إلى المخدع فآكل من يدك. فأخذت تامار الكعك الذي عملتْه وأتت به أمنُونَ أخاها إلى المخدع. وقدمّت له ليأكل فأمسكها. وقال لها تعالي اضطجعي معي يا أختي. فقالتْ له لا يا أخي لا تذُلّني. لأنّه لا يفعلُ هكذا في إسرائيل لا تعملْ هذه القباحة. أمّا أنا فأين أذهبُ بعاري وأمّا أنت فتكون كواحد من السفهاء في إسرائيل. والآن كلّم الملك لأنّه لا يمنعني منكَ. فلم يشأ أن يسمع لصوتها بلْ تمكّن منها وقهرها واضطجع معها. ثمّ أبغضها أمنُونُ بغضة شديدة جدّاً حتى إنّ البغضة التي أبغضها إياها كانت أشد من المحبّة التي أحبّها إيّاها. وقال لها أمنُونُ قومي انطلقي».

لقد كان أمنون من السّفهاء حقّاً، والسفيه الأكبر كان عمّه يوناداب الرجل الحكيم الذي قال عنه كاتب السّفر أنّه رجلٌ حكيم جدّاً. هذا الرجل الحكيم الذي أشار على أمنون أن يفعل هذه القباحة ضارباً عُرض الحائط كل القيم الأخلاقية الحميدة.

ونقرأ عن سفيه آخر لا يقلُّ سفاهةً عن أمنون ويوناداب إنّه أبشالوم شقيق أمنون وتامار. فهو لم يكتفِ أن غدرَ بأخيه أمنون وقتله، وتمرّد على أبيه داود، بل وصلت السّفاهة عنده إلى مضاجعة نساء أبيه وكان عددهنَّ عشر نساء. وذلك خلال الصراع الذي نشب بينه وبين أبيه داود على السّلطة. واضطّر داود للهرب من وجه ابنه، فأشار على أبشالوم أحد الكهنة المناصرين له وكان يدعى أخيثوفل: «ادخل إلى سراري أبيكَ اللواتي تركهنّ لحفظ البيت فيسمع كلّ إسرائيل أنّك قد صرتَ مكروهاً من أبيك فتتشدّد أيدي الذين معك. فنصبوا لأبشالوم الخيمة على السّطح ودخل أبشالوم إلى سراري أبيه أمام جميع إسرائيل».

المؤامرات اليهودية للسيطرة على العالم

«ويل للمُتآمرين بالسوء، الذين يحيكون الشرّ، وهم في مضاجعهم، الذين يُنفّذون عند طلوع الفجر، ما خطّطوا له (في الليل)، لأن ذلك في مُتناول أيديهم، يشتهون حقولا فيغتصبونها، وبيوتا فيستولون عليها، يجورون على الرجل، وعلى بيته، وعلى الإنسان وميراثه» (التوراة: سفر ميخا، 2: 1-2).

«قد باد الصالح من الأرض، واختفى المُستقيم من الناس، جميعهم يكمنون لسفك الدماء، وكل واحد منهم يقتنص أخاه. تَجِدُّ أيديهم في ارتكاب الشرّ، ويسعى الرئيس والقاضي وراء الرشوة، ويملي العظيم عليهم أهواء نفسه، فيتآمرون جميعا على الحقّ. أفضلهم مثل العوسج، وأكثرهم استقامة مثل سياج الشوك» (التوراة: سفر ميخا، 7: 2-3).

هذه النصوص التي تكشف حقيقة اليهود والعقلية التي يفكّرون، لم تخطّها قلم كاتب عربي أو غربي حاقد، على اليهود واليهودية، من المعادين للسامية اليهودية، وإنما جاءت في التوراة، كتاب اليهود والنصارى المقدّس. وبالرغم من ذلك ما زال الكثير، من مفكري وكتاب العرب في هذا العصر الأغبر، ينكر أن هناك مؤامرة تُحاك ضد كل ما هو مسلم، وضد كل ما هو عربي، بل ضد كل ما هو غير يهودي، ويتهمون كل من يقول بذلك، بأنه من مؤيدي نظرية المؤامرة، التي لا أصل لها من الصحة. أما ما نقوله نحن في هؤلاء أحد أمرين، إما أن يكونوا شركاء في المؤامرة، ويعملون ما بوسعهم لتجهيل الناس بعلم، حتى لا يتنبّهوا لأسلحتها ورموزها فيُقاوموها، وإما أن

يكونوا أُناسا، يعيشون على سطح كوكبٍ، غير الذي نعيش فيه، يُدلون بدلوهم ليُضلّوا الناس بغير علم.

الديانة اليهودية:لنعلم أن تسمية القرآن لبني إسرائيل باليهود، أُطلقت عليهم لقولهم ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾[الأعراف: 156]، وذلك بعد اتخاذهم العجل، بمعنى أنهم أعلنوا التوبة عن فعلهم والرجوع إلى الله، وفي الحقيقة كان ذلك قولهم بألسنتهم، وأما قلوبهم فأُشربت وشُغفت بعبادة العجل، حيث قال سبحانه ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[البقرة: 93]، وكان هذا حالهم بمعية نبيهم موسى عليه السلام. ولم يختلف حالهم مع نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، حيث قال فيهم سبحانه ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾[النساء: 46].

وأما الديانة اليهودية: فهي معتقد، اختلط فيه شيء، من بقايا مشوّهة لكتب أنبيائهم، مع آراء وتفسيرات أحبارهم، ومعتقدات وأساطير وخرافات الأقوام، التي عاشوا فيما بينها، على مرّ العصور، ومصدر هذه العقيدة في الأصل هو التوراة، والتي سبق أن قلنا أنها كُتبت بشكلها النهائي، في القرن الأول الميلادي، قبل خروجهم النهائي من فلسطين، وتشتّتهم في كافة أرجاء الأرض.

وفيما بعد السبي البابلي، قام كهنتهم وأحبارهم (حكماؤهم)، بتأليف كُتب جمعوا فيها، معتقداتهم وآراءهم وشروحهم للتوراة، وقالوا إنها القانون الشفوي، الذي لم يأتِ به موسى عليه السلام مكتوبا، والذي تناقلوه شفاها عبر الأجيال، وجُمعت هذه المؤلفات فيما سُمّي بالتلمود، والذي يعتبرونه

أكثر قُدسية من التوراة نفسها، ولديهما تلمودان أحدهما جُمع في فلسطين عام 400 م، وسُميَ تلمود أورشليم، والآخر جُمع في بابل عام 500 م، وسُميَ تلمود بابل، وهو الأشهر ويقع في 36 مُجلّدا. وقد كان التلمود يُعامل بسرية، فيما بين اليهود، وقد تم طبعه في أوروبا، في القرون الوسطى، وكلّما اكتشف أمره في الدول الأوربية، كان يُصادر ويُجمع ويُحرق، وكان اكتشافه سببا، في كثير من حالات الاضطهاد والتعذيب والقتل والنفي لليهود. ومن هذا نخلص إلى أن الديانة اليهودية، هي ما جاء من معتقدات في التلمود أولا وثانيا وثالثا ...، والتوراة على ما بقي فيها من وحي أخيراً.

ماهية التلمود ومعتقدات اليهود: قال د. (جوزيف باركلي) أحد الباحثين في التلمود: «وبعض أقوال التلمود مغالٍ (مُبالغ فيه)، وبعضها كريه، وبعضها الآخر كفر. ولكنها تشكّل في صورتها المخلوطة، أثراً غير عادي، للجهد الإنساني، وللعقل الإنساني، وللحماقة الإنسانية».

ومما جاء في التلمود من تعاليم، نعرض بعض المقتطفات التالية، من كتابي (تعاليم التلمود) لظفر الإسلام خان، و(بروتوكولات حكماء صهيون) لعجاج نويهض:

يقول عجاج نويهض: «هذه الكلمات للعلامة (بولس حنا مسعد)، صاحب كتاب (همجية التعاليم الصهيونية)، ومما قاله المؤلف في مقدمته: «للمسيحي إنجيله يبشّر به العالم، وللمسلم قرآنه ينشره بين جميع الشعوب، أما الإسرائيلي فله كتابان؛ كتاب معروف وهو التوراة، لا يعمل به، والآخر مجهول لا يعرفه العالم (التلمود)، يفضّله على الأول ويدرسه خفية، وهو أساس كل مصيبة. والنصارى يؤمنون بأن الله هو أبو الجميع، والمسلمين يعترفون بأن الله رب العالمين. أما الصهيونيون يريدون أن يكون الإله، لهم

وحدهم، زد على ذلك، أن التلمود ينصّ على أن جميع خيرات الأرض، ملك لبني إسرائيل، وأن النصارى والمسلمين وعبدة الأوثان، خلقوا عبيدا لهم. هم منحدرون من الله، كما ينحدر الابن من أبيه، وشعوب الأرض مشتقة من الأرواح النجسة، ولم يُعطوا صورة الإنسانية، إلا إكراما لبني إسرائيل».

نظرة التلمود لكافة البشر: المخلوقات نوعان؛ علوي وسفلي. العالم يسكنه سبعون شعبا بسبعين لغة. إسرائيل صفوة المخلوقات، واختاره الله، لكي تكون له السيادة العليا، على بني البشر جميعا، سيادة الإنسان على الحيوان المُدجّن. «إن نفوس اليهود منعّم عليها، بأن تكون جزءا من الله، فهي تنبثق من جوهر الله، كما ينبثق الولد من جوهر أبيه «. و» هذا السبب يجعل نفس اليهودي، أكثر قبولا عند الله، وأعظم شأنا عند الله، من نفوس سائر الشعوب، لأن هؤلاء تُشتقّ نفوسهم من الشيطان، وهي مشابهة لنفوس الحيوانات والجماد».

ولهذا يقول التلمود: «أن زرع (نطفة) الرجل غير اليهودي هي زرع حيواني «. و» زرع الأغراب كزرع الحصان «. و» إن غير اليهود كلاب عند اليهود «. و» إن غير اليهودي، لا يختلف بشيء عن الخنزير البري «. و» إن بيوت غير اليهود زرائب للحيوانات «، و» قد كُتب على شعوب الأرض: لحومكم من لحوم الحمير، وزرعكم من زرع الحيوانات «. و» كما أن ربة البيت تعيش من خيرات زوجها، هكذا أبناء إسرائيل، يجب أن يعيشوا من خيرات الأمم، دون أن يتحمّلوا عناء العمل».

نظرة التلمود إلى العرب (القدماء): أمة مُحتقرة، من العار الزواج بعربية، يعبدون الأصنام، مرتكبو تسعة أعشار الجرائم في العالم، صفتهم الغدر وكراهية اليهود، كانوا قادة تخريب الهيكل مع نبوخذ نصر.

التعامل مع الملل الأخرى: «إن عبدة الأوثان، الذين لا يعتنقون الدين اليهودي، والمسيحيين والمسلمين، هم في نظر اليهود أعداء الله وأعداء اليهود «. و» يسمح التلمود لأصدقاء الله وأقاربه، في أن يُضلّوا الأشرار « .و» ممنوع السلام على الكفار، ولكنّ الرياء مسموح به «. و» يُمكنك أن تغشّ الغريب وتدينه بالربا الفاحش «. و» يجب انتزاع قلب النصراني من جسده، وإهلاك علية القوم منهم «. و» إذا ردّ أحد اليهود إلى الغريب ما أضاعه، فالرب لا يغفر له أبدا «. و» اقتل عبدة الأوثان، ولو كان أكثر الناس كمالا « .و» إذا وقع وثني في حفرة فاسددها عليه بحجر «. و» من يسفك دم الكفار (غير اليهود) بيده، يقدّم قربانا مُرضيا لله. وإجمالا يقول التلمود: إن من ينتهك الوصايا العشر مع غير اليهود فهو جائز بل واجب.

التجديف على الله: « اليهود يضعون التلمود فوق التوراة، والحاخام فوق الله، والله يقرأ وهو واقف على قدميه، وما يقوله الحاخام يفعله الله، إن تعاليم اللاهوتيين في التلمود، لهي أطيب من كلام الشريعة (كلام الله)، والخطايا المُقترفة ضد التلمود، لهي أعظم من المقترفة ضدّ التوراة « .و» إن الرباني مناحيم يُطلعنا بالاتفاق مع كثير من العلماء، على أن الله يأخذ رأي الربانيين على الأرض، في المشاكل التي تنشأ في السماء».

و«إن كلمات الربانيين أشدّ عذوبة من كلمات الأنبياء ... وذلك لأن كلماتهم هي كلمات الله».

و«إن الله قد تاب عن تركه بني إسرائيل، يرتطمون في الشقاء، كمن يتوب عن إثم شخصي، ... ».

و«أن الله عندما يُقسم في كل مرة، بدون مُبرّر معقول، فمن اللازم أن يحلّ قسمه بقسم آخر نظيره، ... «. و» أن الله قد أقسم بغير عدل، وارتكب خطيئة

الكذب، لكي يلقي السلام والوئام، بين سارة وإبراهيم « . و» أن اليهود أحبّ إلى الله من الملائكة، فالذي يصفع اليهودي، كمن يصفع العناية الإلهية سواء بسواء، وهذا يُفسر لنا، استحقاق الوثني وغير اليهودي الموت، إذا ضرب يهوديا».

و«وإذا أراد الرجل أن يقترف ذنبا، فعليه أن يذهب إلى مكان، هو مجهول فيه، لئلا يُهين الله علانية».

الملائكة: «إن عمل الملائكة الرئيسي، سكب النوم على عيون البشر، وحراستهم في الليل، أما في النهار فإنهم يُصلّون عن البشر، ولذلك، يجب أن نلتجئ إليهم».

الأنبياء: «أن إبراهيم أكل 74 رجلا، وشرب دماءهم دفعة واحدة، ولذلك كان له قوة 74 رجلا». وصفوا عيسى عليه السلام بالأحمق والمجذوم «وغشاش بني إسرائيل»، واتهموا أمه بالزنا، وتلاميذه بالملحدين، والإنجيل بالكتاب المملوء بالإثم.

التنجيم: يعتقد التلمود اعتقادا جازما، بأن التنجيم علم يتحكم بحياة الناس، ومن أقوالهم: «إن تأثير النجوم تجعل الرجل ذكيا، وبنو إسرائيل تحت تأثير النجوم»، «إن كسوف الشمس آية سوء للشعوب، وخسوف القمر آية سوء لبني إسرائيل، لأن إسرائيل تعتمد في بقائها على القمر».

السحر: والتلمود مليء بطقوس السحر والشعوذة والعرافة، وطرق الاتصال بالجنّ، وفيه أن الأرواح الشريرة والشياطين والجنيات، من ذرية آدم. وأنهم يطيرون في كل اتجاه، وهم يعرفون أحوال المستقبل، باستراق السمع، وهم يأكلون ويشربون ويتكاثرون مثل الإنسان، ويجوز للناس استشارة الشيطان، في آخر أيام الأسبوع.

الروح والبعث والجزاء: لهم فيها أقوال شتى، «تنتقل نفس اليهودي بعد

موته إلى جسد آخر، وعندما يلفظ المتقدم في السن أنفاسه، تسرع نفسه إلى جنين في بطن أمه». ومنها: أن اليهودي الذين يقتل يهوديا «تدخل روحه في الحيوانات والنباتات، ثم تذهب إلى الجحيم، وتعذّب عذابا أليما، مدة اثنيّ عشر شهرا، ثم تعود ثانية لتدخل في الجمادات، ثم في الحيوانات، ثم في الوثنيين، حتى ترجع إلى جسد يهودي بعد تطهيرها». ويقولون أن الجنة، ليس فيها أكل أو شرب، أو زواج أو تناسل ....، وإنما يجلس الصالح فيها بوقار وسكينة، ويقولون إن نار جهنم لا سلطان لها، على مُذنبي بني إسرائيل، ولا سلطان لها على تلامذة الحكماء.

ويقولون إنه لا حساب بعد انفصال الروح عن الجسد. ويقولون «المشروبات السماوية هي الخمور الفاخرة، المعتّقة المحفوظة من يوم الخليقة السادس، وهذه الجنّة اللذيذة، لا يدخلها إلا اليهود الصالحون، أما الباقون فيُزجّون في نار جهنم «. و» ....، ويأتي المسلمون بعد النصارى، لأنهم لا يغسلون، سوى أيديهم وأرجلهم وأفخاذهم وعوراتهم، كل هؤلاء، يُحشرون حشرا في جهنم، ولا يغادرونها أبدا».

التطلع الدائم للملك: «إن المسيح (الذي ينتظرون ظهوره) يُعيد قضيب المُلك إلى إسرائيل، فتخدمه الشعوب وتخضع له الممالك»، «ولا يأتي ما لم ينقرض مُلك الشعوب غير اليهودية»، «ذلك أن الإسرائيلي إذا كان صالحا، يجب عليه أن يعمل بغير هوادة، في العمل على أن ينبذ المتسلّطين (الحكام) على الشعوب نبذ النواة، لأن السلطة على الشعوب غير اليهودية، هي من نصيب اليهود فقط، وفي كل مكان يدخله اليهود، يجب أن يكونوا هم المتسلّطين، وطالما هم بعيدون، عن تحقيق هذه الفكرة، فيعتبرون أنفسهم منفيين وغرباء».

(وهذه المقتطفات جزء يسير، مما تحصّل لدينا لما جاء في التلمود، من أفكار وأقوال لحاخامات اليهود).

قال تعالى ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [النساء: 46-52].

المؤامرة اليهودية:

هي شجرة شيطانية، لا تراها فوق أنفك، ولا ترى رسمها فوق السطور، بذورها التوراة، وجذورها التلمود، وجذعها بروتوكولات الحكماء، وفروعها الهيئات والمنظمات الدولية، وأوراقها كل وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة، وثمارها الإلحاد والانحلال. أُنتجت بذورها في ألمانيا، ونقلت وزُرعت في بريطانيا وسُقيت بماء الذهب، وأضيف إليها سماد الشهوة، ولما استقام عودها، نُقلت وغُرست في أمريكا، ذات الأراضي الخصبة، لمثل هذا النوع من الأشجار، فاشتدّ عودها وارتفع، حتى بلغ عنان السماء، وامتدت جذورها إلى شتى بقاع الأرض، وبدأنا نقطف شيئا من بواكير ثمارها، وعندما ينضب ماء الذهب من الأرض، ستعلن حربها المدمّرة على العالم، لنقطف

الفوج الثاني من ثمار الفقر والمجاعة والمرض، ولا علاج. آنذاك يأتي يوم الحصاد، قيام مملكة داود الدكتاتورية العالمية الأبدية، في قدس الأقداس، لِيُنصّب العجل الذهبي، إله أوحدا لكل البشر، على أطلال المسجد الأقصى.

المؤامرة الأولى في تاريخ بني إسرائيل:

قال تعالى ﴿ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ ﴾[يوسف: 7] وبالرغم من تسميتها باسمه عليه السلام، تحكي في الواقع، قصة إخوة يوسف. وتروي تفاصيل أول مؤامرة، حاكها ونفذها بنو إسرائيل (يعقوب) بدم بارد، ضد أبيهم وأخيهم يوسف عليهما السلام، أحبّهم إلى قلب أبيه، وبوحشية منقطعة النظير، وقوله تعالى (في يوسف وإخوته آيات للسائلين)، يؤكد أن موضوع السورة، هو ما قام به إخوة يوسف من أفعال، تدلّ على عدم إيمانهم بالله وما جاء به أنبياؤه، من علم وموعظة وحكمة، من آبائهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وأنهم لما كادوا ليوسف ما كادوه، كانوا قد أغفلوا كليا، وجود الله سبحانه وتعالى، وأنكروا قدرته على التدخل بمجريات الأمور، وقلب نتائج ما يُخطّطون له رأسا على عقب، وأنكروا أيضا نبوة أبيهم يعقوب عليه السلام.

إخوة يوسف ليسوا أنبياء: جاء في تفسير القرطبي رحمه الله للآية التالية ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥﴾[يوسف: 5] ما نصه: «ودل أيضا على أن يعقوب عليه السلام، كان أحس من بنيه حسد يوسف وبغضه، فنهاه عن قصص الرؤيا عليهم، خوف أن تغلَّ بذلك صدورهم، فيعملوا الحيلة في هلاكه، ومن هذا، ومن فعلهم بيوسف، يدل على أنهم كانوا غير أنبياء، في ذلك الوقت (ولم يكونوا أنبياء في غير ذلك الوقت أيضا)، ووقع في كتاب الطبري لابن زيد، أنهم كانوا أنبياء، وهذا يردّه القطع بعصمة الأنبياء عن الحسد الدنيوي، وعن

عقوق الآباء، وتعريض مؤمن للهلاك، والتآمر في قتله، ولا التفات لقول من قال إنهم كانوا أنبياء، ولا يستحيل في العقل زلة نبي، إلا أن هذه الزلة قد جمعت أنواعا من الكبائر، وقد أجمع المسلمون على عصمتهم منها، وإنما اختلفوا في الصغائر».

لفظ سبط يُطلق على الأحفاد وليس على الأبناء: وفي لسان العرب « وقيل السبط واحد الأسباط، وهو ولد الولد، وقال ابن سيده: السبط ولد الابن والابنة، وفي الحديث، الحسن والحسين، سبطا رسول الله ﷺ، ورضي عنهما، ومعناه طائفتان وقطعتان منه، ومنه حديث الضباب، إن الله غضب على سبط من بني إسرائيل، فمسخهم دواب، والسبط من اليهود كالقبيلة من العرب، وهم الذين يرجعون إلى أب واحد سُمّي سبطا، ليفرق بين ولد إسماعيل وولد إسحاق، وجمعه أسباط. قالوا والصحيح أن الأسباط، في ولد إسحاق بن إبراهيم، بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل عليهم السلام، وإنما سمي هؤلاء بالأسباط، وهؤلاء بالقبائل، ليفصل بين ولد إسماعيل، وولد إسحاق عليهما السلام. وجاء أيضا أن السبط لغة، هو نبات ذو ساق طويلة مفردة عليها أوراق دقيقة، تعلفه الإبل».

وبالتالي نستطيع القول، بأن لفظ الأسباط، أُطلق على أحفاد يعقوب عليهم السلام، وليس على أبنائه الاثني عشر، بل يتعدى ذلك إلى كل نسل بني إسرائيل، حتى يومنا هذا، وأمّا قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ﴾[البقرة: 136]، المقصود هنا الأنبياء من الأحفاد على مرّ العصور، ومنهم يوسف وموسى وداود وسليمان، وزكريا ويحيى وعيسى، ومن كُذّب وقُتل من أنبياء بني إسرائيل، وهم كثير، ممن لم تُذكر أسمائهم. والوحيد من أبناء يعقوب الاثني عشر، الذي نصّ القرآن على نبوّته هو يوسف عليه

السلام، بدلالة قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾[الأنعام: 84]وقوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ [غافر: 34]، بالإضافة إلى ما جاء من آيات في سورة يوسف.

وانظر في قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾[الأعراف: 160]، وقوله تعالى: ﴿أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ أي تم فرزهم حسب انتساب كل فرد منهم، إلى أحد أبناء يعقوب عليه السلام، فنتج بالتالي اثنتي عشرة أمة، وكل أمة أُطلق عليها لفظ سبط، وسُمي كل سبط باسم أحد أبناء يعقوب، وعلى ذلك يُطلق لفظ سبط على مجموعة من الأفراد، يجمعهم انتسابهم إلى أب واحد، فيقال سبط يوسف أي قبيلة يوسف.

فصول المؤامرة الأولى:

﴿إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾﴾ [يوسف: 8]

1. قام أبناء يعقوب بعقد اجتماع سري، بعيدا عن المعنيين بالأمر (يعقوب ويوسف وأخيه)
2. كانت المشكلة مدار البحث حب أبيهم ليوسف وأخيه، والدافع هو الحسد وحب التملّك.
3. كان هناك إقرار بالإجماع، أنّ أباهم يعقوب نبيّ الله ضالّ، وضلاله واضح لا لُبس فيه.
4. كانوا يؤمنون بالقوة المتحصّلة من الكثرة (فهم عشرة أشقّاء كبار مقابل

اثنان صغار).

5. جمعتهم وحدة الغاية والمصلحة.

﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ ﴾[يوسف: 9].

1. الطرح الأول كان القتل أي حتمية الهلاك.
2. الطرح الثاني كان النفي إلى أرض بعيدة مع احتمالية الهلاك.
3. كانت الغاية الاستفراد بحبّ أبيهم.
4. الإقرار بعدم مشروعية عملهم وفساده، وذلك قبل شروعهم بالتنفيذ.
5. تبييت نية بالتوبة والصلاح، قبل ارتكاب الجريمة، وهذا منطق أعوج لا يقبله ربّ ولا عبد.
6. إغفالهم للعناية الإلهية المُدّخرة في علم الغيب، والتي تتدخل في الوقت المناسب لتسيير الأمور.

﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[يوسف: 10].

1. كان أصلحهم فاسدا، حيث وافقهم على فعل المنكر مع تخفيف الضرر.
2. كان هناك إصرار لدى الأغلبية.
3. كان القرار النهائي أخف الضرر: إلقاء يوسف في بئر مع توافر احتمالية الهلاك، فيما لو لم يلتقطه أحد.
4. عدم الاكتراث بنبوة أبيهم، وما كان يتنزّل عليه من الوحي.
5. غفلة وعمى بصر وبصيرة واتباع للهوى، فليس فيهم ذو رأي سديد، ولا حتى شيطان أخرس.

6. جهل بعواقب الأمور، كالأثر النفسي والمعنوي البالغ، على من يطمحون بالاستفراد بحبه، وبالتالي عدم تحقق مرادهم.

7. تبييت النية للقيام بالفعل عندما تحين الفرصة.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (11) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (12) قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (13) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ (14) فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (15)﴾[يوسف: 11-15].

1. لم يكن يعقوب في العادة يأمنهم على يوسف وأخوه، لمعرفته بعدم صلاحهم.

2. لم ينتظروا الفرصة للتنفيذ، بل سعوا إلى خلقها وإيجادها، باستخدام الحيلة والمكر والدهاء.

3. تجاهلوا تأكيد أبيهم لهم، بأن غيبةِ يوسف عن وجهه، ولو لفترة بسيطة تسبب له الحزن. فكيف إذا كان ذلك أبديا؟! وكانت تلك محاولة منه عليه السلام، لإحياء ضمائرهم لعلّهم يرجعون، ولكنهم لم يشعروا بذلك فكان كما أخبره سبحانه.

4. كان أبوهم عليه السلام على علم بمخطّطهم قبل التنفيذ، وقد أخبرهم بما كانوا قد خطّطوه مسبقا بشأن الذئب، لكن ذلك لم يُثنهم عن عزمهم.

5. قرار التنفيذ اتُّخذ بالإجماع.

6. تم إخفاء النوايا الإجرامية اتجاه يوسف، تحت غطاء من الحرص على ترفيهه، لإقناع أبيهم بالاستجابة لمطلبهم.

﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾[يوسف: 16-18].

1. الاستخفاف بأبيهم واستضعافه لكبر سنّه.
2. التضليل واختلاق وفبركة الشواهد والأدلة، لتبرئة أنفسهم وإدانة الذئب.
3. الجرأة في الكذب على نبيّ الله مع علمهم بذلك.
4. يقين يعقوب عليه السلام من كذبهم وتجنّيهم على الذئب.
5. ومما أحزنه عليه السلام، هو ما كان عليه أبناؤه من قلة إيمانهم، وعقوقهم له، وظلم لأخيهم، وفسادهم وإفسادهم، وصفات وطبائع غاية في السوء، لا تليق بالأنبياء أو بأبناء أنبياء يتنزّل الوحي بين ظهرانيهم، وفي المقابل لم يملك عليه السلام إلا الصبر والرجاء، وطلب العون من الله لمجابهتهم.

﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٦٩﴾[يوسف: 69].

﴿۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧﴾[يوسف: 77].

بعد أن مرّت سنون على تلك الحادثة، وأصبح يوسف وزيرا لمالية فرعون، وقدِمَ إخوته إليه في مصر، احتال عليهم ليأمن منهم على أخيه، ويرفع عنه ما كان قد وقع عليه من ظلم وكيد.

1. كان يوسف عليه السلام على علم، بما كانوا يكيدون لأخيه، عن طريق الوحي أو القياس.

2. عدم توبتهم عما فعلوه سابقا، وبقاؤهم على نفس الحال.

3. خيانة يوسف بالغيب، بعد كل هذه السنين، واتهامه زورا وبهتانا بالسرقة، فيوسف من عباد الله المخلصين، وما كان له أن يسرق.

4 - تأكيد يوسف على فسادهم وإفسادهم، بما حدّث به نفسه، حيث لم يجهر نبي الله بقوله (أو بحكمه عليهم) أنهم أسوأ حالاً ممن يسرق، ﴿قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ فما فعلوه معه لا يُقارن بخطيئة السرقة، التي اتهموه بها، والتي أقرّوا بأنها أحد أشكال الإفساد في الأرض ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾[يوسف: 73].

﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾[يوسف: 84-87].

1 - عدم اكتراثهم بسوء حال يعقوب عليه السلام، ومدى ما نزل به من أذى نفسي وجسدي.

2 - قسوة قلوبهم باستنكارهم حزن أبيهم على يوسف.

3 - يعقوب يقطع الرجاء من أبنائه، ويشكو قسوة أبنائه، وضعفه وقلة حيلته في مواجهة أفعالهم إلى الله.

4 - لم يعترفوا لأبيهم بحقيقة فعلتهم مع يوسف، مع علمهم ومعرفتهم ومعايشتهم لحال أبيهم، وما وصلت إليهِ من سوء.

5 - كان يعقوب على يقين من نجاة يوسف، وكذب أبنائه عليه.

هنا تتضح مفارقة عجيبة، توضح الكثير من معالم الشخصية اليهودية الإسرائيلية القديمة الحديثة، فهم يعلمون علم اليقين، أن يوسف ذهب إلى غير رجعة، وأنه قُتل على الأرجح، ولم يعترفوا لأبيهم بحقيقة ما فعلوا، وظلّوا مصرّين على حكاية الذئب، فلا ضمير يؤنبهم، ولا قلب يشعر مع أبيهم. وأبوهم يعلم علم اليقين من ربه، أن يوسف على قيد الحياة، وأنه نبي وسيكون له شأن كبير مستقبلا، إذ كان عالما بتأويل رؤيا يوسف السابقة، وأن إخوته سيسجدون له لعلو منزلته، وهذا ما كان يُصبّره عليه السلام حين قال

(فصبر جميل)، أما ما كان يؤلمه عليه السلام، هو إصرار أبنائه على ما هم عليه واستمرارهم، وعدم التوبة والرجوع إلى الله.

﴿ قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ (٩١) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ (٩٢) ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣) وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ (٩٤) قَالُواْ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ (٩٥) فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٩٦) قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ (٩٧) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (٩٨) فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ (٩٩) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ (١٠٠) ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ (١٠١) ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (١٠٢) وَمَآ

أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[يوسف: 91-103].

1 - هنا يتضح خلق الأنبياء وأدبهم، في يوسف عليه السلام، حيث قابلَ السيئة بالحسنة، ونسب خطيئة إخوته إلى الشيطان.

2 - معطيات المعادلة كانت: جمع واجتماع في الخفاء + قرار بالإجماع + تنفيذ بمكر ودهاء = مؤامرة.

3 - إخوة يوسف لم يكونوا أنبياء بأي حال من الأحوال.

انظر إلى الآيتين (102-103) التي جاءت تعقيبا على قصة يوسف عليه السلام وإخوته، لتقول أن هذا هو حال نبي الله يوسف مع إخوته، وحال نبي الله يعقوب مع أبنائه، الذين لم يكونوا على الأقل مؤمنين بنبوة أبيهم، إن لم يكونوا أصلا غير مؤمنين بالله، فما بالك في عدم إيمان قومك بنبوتك ودعوتك، وهم ليسوا بأبنائك، فلا تكن شديد الحرص، على من لا أمل في هدايته بعدما أضلّه الله، ولكن ادعُ الناس، وفوّض أمر هدايتهم لله، كما فوّض يعقوب ويوسف عليهما السلام، أمرهما إلى الله فيما كان من شأن أبنائه. أما من يستنكر فكرة أنهم غير أنبياء، والله أعلم بحالهم، فليرجع إلى القرآن وليقرأ قصة نوح عليه السلام مع ابنه، وقصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه، وقصة أبو لهب عم رسول الله عليه الصلاة والسلام، ولاحظ أنه سبحانه نسبهم بالأخوة إلى يوسف عليه السلام، في قوله: (لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين)، ولم ينسبهم إلى يعقوب عليه السلام، مع أنهم أبناؤه.

ما تقدّم من أمر إخوة يوسف عليه السلام، ليس بحاجة لزيادة أو توضيح أو تعليق، فهذا ما جاء به القرآن الكريم، وكان هذا أول فسادهم وإفسادهم في الأرض، الذي كان موجّها ضد أخيهم وأبيهم. ومنذ ذلك اليوم، احترف

بنو إسرائيل فنون التآمر، ومارسوه أولا فيما بينهم، منذ نشأتهم وحتى نهاية مملكتهم الأولى في فلسطين. وبعد السبي البابلي، وشتاتهم في شتى بقاع الأرض، أصبح بعضا من تآمرهم، يُحاك ضد الشعوب التي يقيمون فيما بينها. وكان تطلّعهم دائما وأبدا إلى الملك والقوة والغنى والأفضلية، وكانت غايتهم على الدوام، جمع المال بطرق غير مشروعة، من ربا ونصب واحتيال، والتقرب من أصحاب السلطة والنفوذ بالإغواء والإغراء، للتلاعب بهم وتحريكهم من وراء الستار، لإيقاع الفتن والحروب بين الشعوب، لضمان السيطرة لتلبية مصالحهم واحتياجاتهم، ولذلك تجدهم يجتمعون ويُخطّطون في السر والعلن، ويعملون باستمرار بلا كلل أو ملل، وتاريخهم قديما وحديثا غني بالأمثلة والشواهد.

اليهود والمُلك المادي

ملك يوسف عليه السلام: كانت نشأة بني إسرائيل كقبيلة بدوية، تعيش ضمن قبائل البدو، في صحراء النقب، وكان أول عهد لهم بالمُلك، في زمن يوسف عليه السلام، تحت التاج الفرعوني في مصر، حيث وفّر لهم الملك آنذاك حياة هانئة رغيدة، وأزال عنهم بؤس وشقاء حياة البدواة، ولما زال ملك يوسف عليه السلام بوفاته، انقلب حالهم رأسا على عقب، فقاسوا شتى أنواع العذاب والمهانة، ومنذ ذلك اليوم ترسخّت لديهم قناعة بأن الملك والغنى يعني السعادة، وزوالهما يعني الشقاء.

رفض نبوة موسى عليه السلام: وعندما بعث سبحانه لهم موسى عليه السلام، لم يستجيبوا له، فهم لا ينتظرون من يدعوهم إلى الله، ولا يؤمنون بما هو غيبي وغير محسوس، دين فيه إله غير مرئي، يمنح جنة غير مرئية، والحصول عليها مشروط بالصلاح والإصلاح، بعد عمر طويل، وبعد موت وبعث وحساب، وإنما يؤمنون بمن يمنحهم، ملكا مجانيا دنيويا ماديا، عاجلا

لا آجلا، يكون في متناول اليد، بلا جهد أو عناء منهم لتحصيله، ولا مانع لديهم بعد ذلك، أن يكون لهم إله، بشرط أن يكون محسوسا، ويوافق أهواءهم، كالعجل الذهبي الذي صنعه لهم السامري، فسارعوا لعبادته، لذلك عانى منهم عليه السلام ما عاناه، في رحلته معهم من مصر، إلى الأرض المقدّسة.

طلب المُلك بدعوى الرغبة في القتال: وبعد موته عليه السلام، وبعد انقضاء سنوات التحريم الأربعين، لم يطلبوا من نبيهم قيادتهم للقتال، لدخول الأرض المقدسة، وإنما طلبوا منه أن يبعث الله لهم مَلِكا، وذلك طمعا في المُلْك، وليس للقتال في سبيل الله كما زعموا، إذ أنهم بعد أن كُتب عليهم القتال، تولوا إلا قليلا منهم، وبالرغم من ذلك منّ الله عليهم بالملك، فكانت مملكتهم الأولى في الأرض المقدسة، بقيادة داود وسليمان، اللذين لم يكن لبني إسرائيل معهما حول ولا قوة، إذ لم يستطع مترفوهم وفسقتهم، من الوصول والتغلغل والتدخل في شؤون الحكم، لاجتماع الملك والنبوة فيهما عليهما السلام، بل لعنهم داود آنذاك، كما لعنهم عيسى عليه السلام من بعد.

مُلكاً لا نبوة فيه: وبعد أن توفّى الله سليمان، وخرجت النبوة من الملك، كان لهم ما أرادوا – امتحانا لهم وابتلاء منه عزّ وجلّ – فأفسدوا فيها أيّما إفساد، فوقع منهم القتل في الأنبياء والصالحين والمستضعفين، وإخراج بني جلدتهم من أرضهم، وسلب ونهب ممتلكاتهم، وعصيان أوامر الله، والاعتداء على حدوده، بمخالفتهم الوصايا العشر برمتها، بما فيها الشرك بالله باتخاذ الأصنام والشياطين والملائكة، أولياء من دونه، فأزال الله عنهم المُلك عقابا لهم، على يد نبوخذ نصر البابلي وجيوشه، وكان فيهم السبي والإخراج من الأرض المقدّسة، لقسم كبير منهم، ومع علمهم بفسادهم وعقاب الله لهم ببعث البابليين عليهم، إلا أنهم عاتبون وغاضبون على الله، لأنه أخطأ في

حقهم - حسب اعتقادهم - بإنزال عقاب أولى الإفسادتين فيهم، ويعتبرون وعده لهم برجوعهم من الشتات للإفساد الثاني، هو تصحيح للخطأ الأول. بالإضافة إلى ذلك تجدهم، يصبّون جام غضبهم على بابل والبابليين، وكأن بعث البابليين على شعب الله المختار، كان من تلقاء أنفسهم، ودون وجه حق، ولم يكن هذا البعث من قبله سبحانه. فقد جاء في سفر إشعياء « 52 : 3 : قد تمّ بيعكم مجّانا، ومجّانا من غير فضة تُفدَوْن (أي يُعادون إلى فلسطين)، قد نزل شعبي أولا إلى مصر ليتغرّب هناك، ثم جار عليه الآشوريون بلا سبب».

عيسى عليه السلام لم يوافق أهواءهم: ومع بقاء بعضهم في الأرض المقدسة، من الذين كانوا قد أخرجوا من المملكة من المستضعفين، وعودة بعض المسبيين من بابل، بعد مدة من الزمن، حيث لم يكن لهم فيها من أمرهم شيئا، كانت أعينهم تتطلع إلى المُلك من جديد، حيث كانوا يظنّون أن علوهم الثاني، سيكون بعد عودتهم من بابل مباشرة، إذ كانت لديهم عدة نبوءات، الأولى بعيسى عليه السلام الذي سيُبعث من جبال ساعير (القدس)، فانتظروه ليقيم لهم ملكهم الثاني، وفي فترة انتظارهم، تناوب على حكمهم عدة شعوب، إلى أن بُعث عيسى في زمن الحكم الروماني لفلسطين، فدعاهم للعودة إلى الله والمحبة والسلام والتواضع، وعندما تيقنوا أنه ليس من طلاب الملك على اليهود، بالرغم من توافق صفته مع ما جاءت به التوراة، حاربوه وعادوه وكادوا له، وتآمروا عليه وحرضوا الرومان الوثنيون على قتله وصلبه.

وملك البر لم يوافق أهواءهم: وقبل بعث عيسى وبعده، تعرّضوا للكثير من الذل والهوان، من الشعوب التي حكمتهم، في كل مرة قاموا فيها، بالتمرد والعصيان للاستقلال وإقامة الملك، وكان آخرها على يد (هدريان) الروماني، الذي أخرجهم منها بشكل نهائي، ففرّق الله شملهم في شتى بقاع الأرض،

فاتجه قسم كبير منهم إلى الجزيرة العربية، وسكنوا بالقرب من المدينة المنورة، مكان هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام، صاحب النبوءة الثانية لديهم، ملك البرّ، الذي سيُبعث من جبال فاران (مكة)، ويكون له ولخلفائه ملكا، يشمل مشارق الأرض ومغاربها.

وكان اليهود يترقّبون أخباره، ويحسبون لزمان مولده ومبعثه، مع كرههم وعدائهم المسبق له، كونه من ولد إسماعيل وليس منهم، وعندما بُعث عليه السلام، عاينوا صفته، وامتحنوه بأسئلتهم بما علموا وما لم يعلموا، ولما تبيّنوا صدق نبوته، حاولوا استمالته لجانبهم بالإغواء والإغراء، مستغلين رغبته عليه السلام في اتباعهم له، كونهم أهل كتاب، وهم الأقرب لتصديقه ومؤازرته ومناصرته، وكان مرادهم منه، هو اتباع ملتهم لتحقيق رغباتهم وأهوائهم، لإخراجه من الجزيرة إلى فلسطين، لإقامة ملكه عليهم هناك، ففضحهم رب العزة، وحذّر رسوله الكريم من الوقوع في حبائلهم وشراكهم، ولمّا تيقّنوا من عدم رضوخه لهم، أنكروا نبوته وناصروا المشركين عليه، وكادوا له بكل ما أُتوا من مكر ودهاء وحيلة، فآذوه وآذوا أصحابه، ولم يدخروا في ذلك جهدا، وحاولوا فتنته وقتله عدة مرّات، إلى أن تمّ جلاؤهم وإخراجهم من جزيرة العرب.

البحث عن المُلك القاروني، وانتظار المَلك الإله على النمط الفرعوني آخر الزمان:

ومع ظهور الإسلام، ومعرفتهم بما سيكون من أمره، من سرعة انتشاره، واتساع دولته لتشمل مناطق شاسعة من العالم، ومن ضمنها سيطرته على الأرض المقدّسة، تلاشت أحلامهم في عودتهم إليها، لإقامة ملكهم الأممي الثاني فيها على المستوى الفرعوني، فتخلّوا عن ذلك الطموح مؤقتا، وشرعوا

في تحقيق الملك الفردي على المستوى القاروني، بجمع المال بالطرق المشروعة وغير المشروعة، من ربا واحتيال وسرقة والتهريب وتجارة الرقيق والدعارة، والتمتع بزينة الحياة الدنيا من جرّاء هذا الكسب، واستمروا على تلك الحال، إلى أن تمكنوا من إقامة دولتهم الحالية في فلسطين، منتظرين حكم العالم أجمع، من خلال النبوءة الأخيرة، بالذي يأتي من ربوات القدس (مسيحهم المنتظر).

وبعد ذلك اتجه أغلبهم إلى الشمال، وتفرقوا في البلاد العربية الأخرى، فتواجدوا في العراق وبلاد الشام ومصر والأندلس، وبالرغم من تعامل الإسلام السمح مع أهل الكتاب، إلا أنهم كانوا مقيّدين، بما وضعه الإسلام من قيود، على أهوائهم ومطامعهم المادية، ووجود القرآن عدوهم اللدود وثيقة أبدية، تكشف طبائعهم وحقيقة نواياهم وتحذر منهم. ولكي يستطيع أحدهم من العيش في ظل الحكم الإسلامي، كان يعمد إلى إظهار إسلامه وإخفاء يهوديته، أو أن يُرغم نفسه كارها على التخلي، عن طبائعه وأهوائه في الفساد والإفساد، وهذا مما لا يوافق طبعهم، ولا ما يأمرهم به تلمودهم، ولذلك آثر الكثير منهم الهجرة، من كل البلاد، التي كانت تخضع للحكم الإسلامي تباعا، على مرّ العصور، ومن ثم استقر بهم المقام في القارة الأوروبية، حيث وجدوا فيها متنفسا في البداية، لجهل الأوروبيين بطبيعتهم البشعة.

الاضطهاد الأوروبي لليهود وفشلهم في تحصيل المُلك القاروني:

وعندما تبين للأوروبيين مع مرور الوقت، أن الكثير من المشاكل والمصائب والكوارث الاجتماعية والاقتصادية، من فقر ومجاعات وانهيارات اقتصادية، وانتشار للفساد والرذيلة، كان سببه اليهود، وضعوا الكثير من الحلول لمواجهة

مشكلتهم، مثل سن القوانين التي تقيد حركتهم وتعاملاتهم، فلم تكن تجدي نفعا، مع ما يملكون من مكر ودهاء. وتم عزلهم في أحياء سكنية خاصة بهم، فلم يجد ذلك نفعا، فكان لا بد من الحل الأخير، وهو طردهم ونفيهم، من معظم بلدان أوروبا الغربية، وكان رجالات الكنيسة آنذاك، يعملون كمستشارين للملوك في العصور الوسطى، وكانوا يؤيدون تلك الإجراءات ضد اليهود، لتحريم المسيحية للزنا والربا، بالإضافة إلى ما اكتشف من تجديف على المسيح ووالدته، وكره وبغض وعداء للمسيحيين، في تلمودهم السري، الذي جلب لهم المذابح الجماعية في بعض البلدان الأوربية، كإسبانيا والبرتغال، وفي النهاية تم طردهم بالتعاقب وعلى فترات متباعدة، من فرنسا وسكسونيا وهنغاريا، وبلجيكا وسلوفاكيا والنمسا، وهولندا وإسبانيا وليتوانيا، والبرتغال وإيطاليا وألمانيا، بدءا من عام 1253م وحتى عام 1551م، فاضطر اليهود للهجرة، إلى روسيا وأوروبا الشرقية والإمبراطورية العثمانية.

إذن لا بد من التآمر:

آنذاك أصبح لليهود كشعب متشتت هَمٌّ مشترك، من جرّاء الاضطهاد والتعذيب والطرد، من قبل الأوروبيين. وأبواب الجنّة الأوربية قد أغلقت من دونهم، حيث بدأ هناك بعد رحيل أغلب اليهود، ما يُسمى بالنهضة الأوروبية، فحيل بينهم وبين تحقيق أحلامهم، سواء على مستوى الملك الأممي، أو مستوى الملك الفردي، وهذا ما لا يستطيعون احتماله أو تقبّله، وهذه الأجواء تذكّرنا بأجواء المؤامرة الأولى في تاريخهم، حيث واجه إخوة يوسف همّا مشتركا، تمثّل في شعورهم بالدونية، بالمقارنة مع يوسف وأخيه، وكان دافعهم الحسد، فاجتمعوا سرا وتآمروا، وأجمعوا فنفّذوا.

ويحضرني في هذا المقام قول لابن القيم، إذ يقول في كتاب الفوائد

أن أصول المعاصي، ثلاثة: الكبر والحرص والحسد، فالكبر جعل إبليس يفسق عن أمر ربه، والحرص أخرج آدم من الجنة، والحسد جعل أحد ابنيّ آدم يقتل أخاه، وبعد التدبر في هذا القول، ستجد أن الطريق إلى الوقوع في المعصية، هو الوقوع فريسة للمقارنة والمفاضلة، من خلال الاعتماد على الحواس فقط، وبتغييب العقل والفؤاد، وبالتالي فقدان القدرة على الاستبصار، والحكم على الأمور، وقد نهى سبحانه في مواضع كثيرة من القرآن، عن المقارنة والمفاضلة، وحسم الأمر بأن الفضل من لدنه، يؤتيه من يشاء من عباده، أما اليهود وبعد اطلاعي على ما جاء في توراتهم وتلمودهم، فإنهم جمعوا فيها أصول المعاصي كلها، فالكبر جعلهم أفضل الناس على الإطلاق، والحرص جعلهم يفضّلون الدنيا على الآخرة، والحسد جعلهم يستبيحون ممتلكات الآخرين ويستحلّونها لأنفسهم.

(لوثر) بإصلاحاته الكنسية في القرن السادس عشر يُمكّن اليهود من احتلال أوروبا اقتصاديا:

وعندما تم تدمير السلطة الكنسية، التي قام بها الإصلاحيون في أوروبا (بفعل اليهود أنفسهم)، وضُمّت التوراة إلى الإنجيل في كتب النصارى المقدسة، وجد اليهود بعض القبول في الدول الأوروبية، فعادوا إليها شيئا فشيئا، ونتيجة للاضطهاد والطرد الجماعي، الذي تعرض له اليهود في هذه الدول فيما مضى، وهم شعب الله المختار، أجمع قارونات المال اليهود، وبدءوا يعقدون اجتماعاتهم السرية، في نهايات القرن الثامن عشر (قبل أكثر من مائتي سنة)، للانتقام وتجنب ذلك المصير المرعب مرة أخرى. وبوجود المال اليهودي، تشكل لديهم مخطط شيطاني، للسيطرة على العالم كله وحكمه، فوضعوا مخططا مبدئيا، كان موجها في الدرجة الأولى، ضد

ملوك أوروبا ورجالات الدين المسيحي.

أكبر وأخطر مؤامرة في تاريخ اليهود

المخطط في أطواره الأولى: ويتلخص مخططهم المبدئي، مما كُشف من محاضر اجتماعاتهم، في كتاب (أحجار على رقعة الشطرنج) لمؤلفه (وليام كار) ضابط الاستخبارات في البحرية الكندية، بما يلي:

الهدف العام: تأليه المادة ونشر المذاهب الإلحادية، لتمهيد سيطرة اليهود على العالم، ومن ثم تتويج أنفسهم ملوكا وأسيادا على الشعوب. (ونتيجة لذلك برز الكثيرون من المُفكّرين اليهود كفرويد وماركس وغيرهما، ومن غير اليهود من المأجورين كداروين وغيره، حيث بدأت الأطروحات والنظريات الإلحادية المنكرة لوجود الله عزّ وجلّ، فظهرت الشيوعية (لا إله) والرأسمالية (المال هو الإله) لذلك وضع الصيارفة اليهود عبارة (In God we Trust) على الدولار الأمريكي، وليس على الصفحة الأولى من كتابهم المقدّس، وظهرت الاشتراكية التي جمعت ما بين المبدأين من حيث الفكر).

فلسفة المخطط: يتم تقسيم الشعوب، إلى معسكرات متنابذة، تتصارع إلى الأبد، دونما توقف، حول عدد من المشاكل، اقتصادية وسياسية واجتماعية وعِرقية وغيرها، ومن ثم يتم تسليح هذه المعسكرات، ثم يجري تدبير حادث ما (فتنة)، تتسبب في إشعال الحروب بين هذه المعسكرات، لتُنهِك وتحطّم بعضها بعضا، وبالتالي تتساقط الحكومات الوطنية والمؤسسات الدينية تباعا.

برنامج العمل:

1. السيطرة على رجالات الحكم، على مختلف المستويات والمسئوليات، بالإغواء المالي (الرشوة) والإغراء الجنسي، وعند وقوعهم، يتم استغلالهم

لغايات تنفيذ المخطط، وعند تفكير أي منهم بالإنسحاب، يتم تهديده بالانطفاء السياسي أو الخراب المالي، أو تعريضه لفضيحة عامة كبرى تقضي على مستقبله، أو تعريضه للإيذاء الجسدي أو بالتخلص منه بالقتل.

2. دفع معتنقي المذهب الإلحادي المادي، للعمل كأساتذة في الجامعات والمعاهد العلمية وكمفكرين، لترويج فكرة الأممية العالمية بين الطلاب المتفوقين، لإقامة حكومة عالمية واحدة، وإقناعهم أن الأشخاص ذوي المواهب والملكات العقلية الخاصة، لهم الحق في السيطرة على من هم أقل منهم كفاءةً وذكاءً (وذلك كغطاء لجرهم لاعتناق المذهب الإلحادي).

3. يتم استخدام الساسة والطلاب (من غير اليهود)، الذين اعتنقوا هذا المذهب، كعملاء خلف الستار، بعد إحلالهم لدى جميع الحكومات، بصفة خبراء أو اختصاصيين، لدفع كبار رجال الدولة، إلى نهج سياسات، من شأنها في المدى البعيد، خدمة المخططات السرية لليهود، والتوصل إلى التدمير النهائي، لجميع الأديان والحكومات، التي يعملون لأجلها.

4. السيطرة على الصحافة وكل وسائل الإعلام، لترويج الأخبار والمعلومات التي تخدم مصالح اليهود، وتساهم في تحقيق هدفها النهائي.

أما القائمون على المؤامرة، فهم مجموعة كبيرة منظمة من جنود إبليس، تضم حفنة من كبار أثرياء اليهود في العالم، بالإضافة إلى حفنة من كبار حاخامات الشرق والغرب، ومن الأسماء التي أطلقها عليهم الباحثون في مؤلفاتهم، جماعة النورانيين، وحكومة العالم الخفية، واليهود العالميّون، يعملون في الخفاء. هدفهم حكم العالم اقتصاديا، ومن ثم سياسيا، عن طريق تدمير الأخلاق والأديان، وإشعال الحروب الإقليمية والعالمية، وهم وراء كل جريمة، ويسيطرون على كثير من المنظمات السرية والعلنية، اليهودية وغير

اليهودية، تحت مسميات عديدة، ولهم عملاء ذوو مراكز رفيعة ومرموقة، في معظم الحكومات الوطنية لدول العالم، من الذين باعوا شعوبهم وأوطانهم بأبخس الأثمان، وتميّزوا بولائهم المطلق للمؤامرة وأصحابها، وفيما يلي سنعرض أهدافهم وسياساتهم.

بروتوكولات حكماء صهيون:

يقول (ويليام كار) إن هذه البروتوكولات، عرضها (ماير روتشيلد) أحد كبار أثرياء اليهود، أمام اثني عشر من كبار أثرياء اليهود الغربيين، في فرانكفورت بألمانيا عام 1773م، أما كشفها فقد تم بالصدفة عام 1784م في ألمانيا نفسها، حيث أرسلت نسخ منها إلى كبار رجال الدولة والكنيسة، وتم محاربتها، ومحاربة كل رموزها الظاهرة في ألمانيا آنذاك. ولذلك انتقلت إلى السرية التامة، وسارع معظم يهود العالم إلى التنصل منها، واستطاعوا بما لديهم من نفوذ، من إرغام الناس والحكومات على تجاهلها، ومنذ ذلك اليوم الذي كُشفت فيه، وحتى منتصف القرن الماضي، والكتّاب والباحثون الغربيون يتناولونها بالبحث والتقصي، ويؤكدون مطابقة ما جاء فيها، مع ما جرى ويجري على أرض الواقع، ويحذّرون حكوماتهم من الخطر اليهودي المحدّق بأممهم، ولكن لا حياة لمن تنادي، في حكومات تغلغل فيها اليهود، كما تتغلغل بكتيريا التسوس في الأسنان، ومعظم الكتب التي حذّرت - وما زالت - من الخطر اليهودي، كان مصيرها الاختفاء من الأسواق، أو الإلقاء في زوايا النسيان والإهمال.

أما من يُفكّر اليوم بمناهضة اليهود ومعاداتهم في الغرب، فقد ثكلته أمه، فخذ (هايدر) مثلا، زعيم أحد الأحزاب النمساوية، الذي أطلق يوما عبارات مناهضة لليهود، عندما فاز حزبه ديموقراطيا، بأغلبية في مقاعد

البرلمان، فقامت الدنيا ولم تقعد، ضجّة إعلامية كبرى، في إسرائيل، أمريكا، بريطانيا، فرنسا، الأمم المتحدة، حتى أُرغم الاتحاد الأوروبي على مقاطعة النمسا، لمنع (هايدر) من الحصول على أي منصب في الحكومة النمساوية.

الصيغة النهائية لمبادئ المخطط الشيطاني:

الذي تربع اليهود من خلاله، أسيادا على العالم في الخفاء، منذ خمسين عاما مضت، وما زالوا:

1 - إن قوانين الطبيعة تقضي بأن الحقّ هو القوة. (بمعنى أن الذي يملك القوة، هو الذي يُحدّد مفاهيم الحق، ويفرضها على الآخرين، والقوة تعني امتلاك المال).

2 - إن الحرية السياسية ليست إلا فكرة مجردة، ولن تكون حقيقة واقعة. (بمعنى أنك تستطيع الادعاء ظاهريا، بأنك ديموقراطي وتسمح بحرية الرأي، ولكنك في المقابل تقمع الرأي الآخر سرا).

3 - سلطة الذهب (المال) فوق كل السلطات حتى سلطة الدين. (محاربة الدين وإسقاط أنظمة الحكم غير الموالية، من خلال تمويل الحركات الثورية ذات الأفكار التحررية، وتمويل المنتصر منها بالقروض).

4 - الغاية تبرّر الوسيلة. (فالسياسي الماهر: هو الذي يلجأ إلى الكذب والخداع والتلفيق، في سبيل الوصول إلى سدة الحكم).

5 - من العدل أن تكون السيادة للأقوى. (وبالتالي تحطيم المؤسسات والعقائد القائمة، عندما يترك المستسلمون حقوقهم ومسئولياتهم، للركض وراء فكرة التحرّر الحمقاء).

6 - ضرورة المحافظة على السرية. (يجب أن تبقى سلطتنا، الناجمة عن

سيطرتنا على المال، مخفيّة عن أعين الجميع، لغاية الوصول إلى درجة من القوة، لا تستطيع أية قوة منعنا من التقدم).

7 - ضرورة العمل على إيجاد حكام طغاة فاسدين. (لأن الحرية المطلقة تتحول إلى فوضى، وتحتاج إلى قمع، وذلك لكي يتسنى لأولئك الحكام سرقة شعوبهم، وتكبيل بلدانهم بالديون، ولتصبح الشعوب برسم البيع).

8 - إفساد الأجيال الناشئة لدى الأمم المختلفة. (ترويج ونشر جميع أشكال الانحلال الأخلاقي، لإفساد الشبيبة، وتسخير النساء للعمل في دور الدعارة، وبالتالي تنتشر الرذيلة حتى بين سيدات المجتمع الراقي، اقتداءً بفتيات الهوى وتقليدا لهن).

9 - الغزو السلمي التسللي هو الطريق الأسلم، لكسب المعارك مع الأمم الأخرى. (الغزو الاقتصادي لاغتصاب ممتلكات وأموال الآخرين، لتجنب وقوع الخسائر البشرية في الحروب العسكرية المكشوفة).

10. إحلال نظام مبني على أرستقراطية المال، بدلا من أرستقراطية النسب، (لذلك يجب إطلاق شعارات: الحرية والمساواة والإخاء، بين الشعوب بغية تحطيم النِّظَّام السابق، وكان هذا موجها إلى الأسر الأوروبية ذات الجذور العريقة، ومن ضمنها الأسر الملكية والإمبراطورية، ليلقى لصوص هذه المؤامرة بعدها، شيئا من التقدير والاحترام).

11. إثارة الحروب، وخلق الثغرات في كل معاهدات السلام التي تعقد بعدها، لجعلها مدخلا لإشعال حروب جديدة. (وذلك لحاجة المتحاربين إلى القروض، وحاجة كل من المنتصر والمغلوب لها بعد الحرب، لإعادة الإعمار والبناء، وبالتالي وقوعهم تحت وطأة الديون، ومسك الحكومات

الوطنية من خنَّاقها، وتسيير أمورها حسب ما يقتضيه المخطط من سياسات هدامة).

12. خلق قادة للشعوب، من ضعاف الشخصية الذين يتميزون بالخضوع والخنوع، (وذلك بإبرازهم وتلميع صورهم، من خلال الترويج الإعلامي لهم، لترشيحهم للمناصب العامة في الحكومات الوطنية، ومن ثم التلاعب بهم، من وراء الستار بواسطة عملاء متخصّصين، لتنفيذ سياساتنا).

13. امتلاك وسائل الإعلام والسيطرة عليها. (لترويج الأكاذيب والإشاعات والفضائح الملفّقة، التي تخدم المؤامرة).

14. قلب أنظمة الحكم الوطنية المستقلة بقراراتها، والتي تعمل من أجل شعوبها، ولا تستجيب لمتطلبات المؤامرة. (من خلال إثارة الفتن، وخلق ثورات داخلية فيها، لتؤدي إلى حالة من الفوضى، وبالتالي سقوط هذه الأنظمة الحاكمة، وإلقاء اللوم عليها، وتنصيب العملاء قادة في نهاية كل ثورة، وإعدام من يُلصق بهم تهمة الخيانة من النُّظَّام السابق).

15 - استخدام الأزمات الاقتصادية للسيطرة على توجهات الشعوب. (التسبب في خلق حالات من البطالة والفقر والجوع، لتوجيه الشعوب إلى تقديس المال وعبادة أصحابه، لتصبح لهم الأحقية والأولوية في السيادة، واتخاذهم قدوة والسير على هديهم، وبالتالي سقوط أحقية الدِّين وأنظمة الحكم الوطنية، والتمرد على كل ما هو مقدّس، من أجل لقمة العيش).

16 - نشر العقائد الإلحادية المادية. (من خلال تنظيم محافل الشرق الكبرى، تحت ستار الأعمال الخيرية والإنسانية، كالماسونية ونوادي الروتاري والليونز، التي تحارب في الحقيقة كل ما تمثله الأديان

السماوية، وتساهم أيضا في تحقيق أهداف المخطط الأخرى، داخل البلدان التي تتواجد فيها).

17 - خداع الجماهير المستمر، باستعمال الشعارات والخطابات الرنّانة، والوعود بالحرية والتحرر (التي تلهب حماس ومشاعر الجماهير لدرجة يمكن معها، أن تتصرف بما يخالف حتى الأوامر الإلهية، وقوانين الطبيعة، وبالتالي بعد الحصول على السيطرة المطلقة على الشعوب، سنمحو حتى اسم الله (من معجم الحياة)(نستغفر الله).

18 - ضرورة إظهار القوة لإرهاب الجماهير. (وذلك من خلال افتعال حركات تمرد وهمية، على أنظمة الحكم، وقمع عناصرها بالقوة على علم أو مرأى من الجماهير، بالاعتقال والسجن والتعذيب والقتل إذا لزم الأمر، لنشر الذعر في قلوب الجماهير، وتجنُّب أي عصيان مسلح قد يُفكّرون فيه، عند مخالفة الحكام لمصالح أممهم).

19 - استعمال الدبلوماسية السريّة من خلال العملاء. (للتدخل في أي اتفاقات أو مفاوضات، وخاصة بعد الحروب، لتحوير بنودها بما يتفق مع مخططات المؤامرة).

20 - الهدف النهائي لهذا البرنامج هو الحكومة العالمية التي تسيطر على العالم بأسره. (لذلك سيكون من الضروري، إنشاء احتكارات عالمية ضخمة، من جرّاء اتحاد ثروات اليهود جميعها، بحيث لا يمكن لأية ثروة من ثروات الغرباء مهما عظُمت، من الصمود أمامها، مما يؤدي إلى انهيار هذه الثروات والحكومات، عندما يوجّه اليهود العالميون، ضربتهم الكبرى في يوم ما).

21 - الاستيلاء والسيطرة على الممتلكات العقارية والتجارية والصناعية للغرباء. (وذلك من خلال؛ أولا: فرض ضرائب مرتفعة، ومنافسة غير عادلة للتجار الوطنيين، وبالتالي تحطيم الثروات والمدخرات الوطنية، وحصول الانهيارات الاقتصادية بالأمم. ثانيا: السيطرة على المواد الخام، وإثارة العمال، للمطالبة بساعات عمل أقل وأجور أعلى، وهكذا تضطر الشركات الوطنية لرفع الأسعار، فيؤدي ذلك إلى انهيارها وإفلاسها، ويجب ألا يتمكن العمال بأي حال من الأحوال، من الاستفادة من زيادة الأجور).

22 - إطالة أمد الحروب لاستنزاف طاقات الأمم المتنازعة ماديا ومعنويا وبشريا. (لكي لا يبقى في النهاية سوى مجموعات من العمال، تسيطر عليها وتسوسها حفنة من أصحاب الملايين العملاء، مع عدد قليل من أفراد الشرطة والأمن، لحماية الاستثمارات اليهودية المختلفة، بمعنى آخر إلغاء الجيوش النِّظَّامية الضخمة حربا أو سلما، في كافة البلدان).

23 - الحكومة العالمية المستقبلية، تعتمد الدكتاتورية المطلقة كنظام للحكم. (فرض النِّظَّام العالمي الجديد، يقوم فيه الدكتاتور بتعيين أفراد الحكومة العالمية، من بين العلماء والاقتصاديين وأصحاب الملايين).

24. تسلل العملاء إلى كافة المستويات الاجتماعية والحكومية. (من أجل تضليل الشباب وإفساد عقولهم بالنظريات الخاطئة، حتى تسهل عملية السيطرة عليهم مستقبلا).

25. ترك القوانين الداخلية والدولية التي سنتها الحكومات والدول كما هي، وإساءة استعمالها وتطبيقها. (عن طريق تفسير القوانين، بشكل مناقض لروحها، يستعمل أولا قناعا لتغطيتها، ومن ثم يتم طمسها بعد

ذلك نهائيا).

ثم يختم المتحدّث عرضه بالقول: « لعلكم تعتقدون أن الغرباء (غير اليهود)، لن يسكتوا بعد هذا، وأنهم سيهبّون للقضاء علينا، كلا هذا اعتقاد خاطئ. سيكون لنا في الغرب، منظمة على درجة من القوة والإرهاب، تجعل أكثر القلوب شجاعة ترتجف أمامها، تلك هي منظمة الشبكات الخفية تحت الأرض، وستعمل على تأسيس منظمات من هذا النوع، في كل عاصمة ومدينة، نتوقّع صدور الخطر منها»، انتهى.

* بتصرف من كتاب (أحجار على رقعة الشطرنج).

نود أن نُشير إلى أنّ هذا المخطط، وُضع قبل أكثر من 200 سنة تقريبا، وأن العمل على تنفيذه بقي جاريا على قدم وساق، وكان دائم التجدّد والتطوّر من حيث القائمين عليه، ومن حيث برامجه وأدواته، ليتوافق مع التطورات المتسارعة التي ظهرت في القرنين الماضيين، من مُخترعات واكتشافات كوسائل الاتصال ووسائل الحروب على مختلف أنواعها، سُخِّرت كلها لخدمة هذا المُخطّط الشيطاني، الذي خطّته أيدي أبالسة اليهود على مرّ العصور، وما كان لبشر من غير اليهود، أن يجمعوا كل هذا الشرّ في جعبتهم، ويصهروه بهذا الشكل المُذهل المتعمّق، في معرفته بدواخل النفس البشرية وأهوائها، ومكامن ضعفها وقوتها، إتقانا ربما يعجز إبليس نفسه عن الإتيان بمثله، حتى استطاعوا من خلاله، التحكم بالبشر، بدءا من الرئيس الأمريكي بعظمته، وحتى إنسان الغياهب الأفريقية بفقره وقلة حيلته، الذي لا يدري ما الذي يُحاربه أولا، الجوع أم الإيدز. وها هم الآن بدءوا يُزيلون أقنعتهم شيئا فشيئا، فتصريحاتهم من مواقع السياسة الأمريكية ومواقفهم، تكشف عن مدى قباحة وجوههم وأفعالهم في حقّ الإنسانية.

إسقاط جميع أنظمة الحكم الوراثية العريقة في أوروبا من خلال الثورات التحررية:

وقد استطاع اليهود، من خلال مواظبتهم على تنفيذ هذه البروتوكولات، من إسقاط نظام الحكم الملكي في بريطانيا، لفترة ليست بالقصيرة، ومن ثم عاد النِّظّام الملكي، بشكل صوري لا يتمتع بأية سلطة، كما هو الحال الآن، كما وقاموا بإسقاط النِّظّام الملكي في فرنسا، ومن ثم تم تحويلها إلى النِّظّام الجمهوري. وبعد إثارتهم للحرب العالمية الأولى، استطاعوا إسقاط الحكم القيصري في روسيا، الذي عاملهم كما عوملوا في أوروبا، ولكن بدون طرد، وإدخال الحكم الشيوعي إليها، واستطاعوا إسقاط الحكم القيصري في ألمانيا أيضا، وأسقطوا الإمبراطورية العثمانية، وكان آخر حصادها، هو وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني.

المخطط في مراحله النهائية، تحت حماية أمريكا:

ولو أنك نظرت إلى البروتوكول رقم (23)، ستجد أن النِّظّام الذي كان يُنادي به الرئيس الأمريكي (بوش) في بداية التسعينيات، بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، موجود تحت نفس الاسم (النِّظّام العالمي الجديد) وهذه العبارة نفسها مكتوبة أيضا، على الدولار باللغة اللاتينية. وهذا مؤشر على أن المخطَّط أصبح في مراحله الأخيرة، حيث إن هذا البرتوكول هو الثالث قبل الأخير، وما بقي عليهم للوصول إلى هدفهم النهائي، سوى تنفيذ البرتوكولين (24) و (25)، وهما المتعلقَان بالعولمة بجانبيها الثقافي والاقتصادي، والتي سنوضحها لاحقا.

الرؤساء الأمريكيون الأوائل يُحذّرون من الخطر اليهودي

ترجمة النص الكامل للجزء الخاص باليهود من خطاب بنيامين فرانكلين أمام الكونغرس:

«أيها السادة: هنالك خطر كبير يتهدد الولايات المتحدة الأمريكية ... وهذا الخطر هو اليهود ... ففي أي أرض يحلُّ بها اليهود ... يعملون على تدني المستوى الأخلاقي والتجاري فيها ... وعلى مدى تاريخهم الطويل ... ظلّوا متقوقعين على أنفسهم في معزل عن الأمم التي يعيشون فيها ... ولم يندمجوا في حضاراتها ... بل كانوا يعملون دوما على إثارة الأزمات المالية وخنق اقتصادياتها ... كما حصل في البرتغال وإسبانيا.

لأكثر من 1700 سنة ... وهم يبكون على قدرهم ومصيرهم المحزن ... أعني طردهم ونفيهم من وطنهم الأم (فلسطين) ... ولو أن العالم المتحضر (الغرب) أعاد لهم فلسطين الآن ... فإنهم على الفور سيختلقون الكثير من الأسباب والأعذار والحجج الواهية ... ليبرروا عدم رغبتهم في العودة إليها ... لماذا؟ ... لأنهم كائنات طفيلية ... والطفيليات لا تستطيع أن تتطفل على طفيليات أخرى ... فهم لا يستطيعون العيش مع بعضهم البعض ... مما يستدعي ضرورة تواجدهم بين المسيحيين ... أو بين أناس من غير جنسهم.

وإن لم يُطرَدوا من الولايات المتحدة بموجب الدستور ... فإنهم وخلال مائة عام على الأقل من الآن ... سيتوافدون إلى هذا البلد بأعداد كبيرة ... وبتلك الأعداد سوف يحكموننا ويدمّروننا ... من خلال تغيير أنظمة الحكم لدينا ... والتي بذلنا نحن الأمريكيين من أجل توطيدها على مر السنين ... الغالي والنفيس من دمائنا وأرواحنا وممتلكاتنا وحرياتنا ... وإن لم يتم طردهم

... وبعد مائتي سنة من الآن ..فإن أحفادنا سيعملون في الحقول ليل نهار ... من أجل إشباع بطونهم وجيوبهم ... بينما يجلسون هم في قصورهم يفركون أيديهم فرحا واغتباطا ... بما حصدوه من غلال وأرباح.

وها أنا أحذركم أيها السادة ... إن لم تطردوا اليهود من هذا البلد إلى الأبد ... فإن أولادكم وأحفادكم سيلعنونكم في قبوركم ... ومع أنهم يعيشون بيننا منذ أجيال ... فإن مُثُلهم العليا ما زالت تختلف كليا، عما يتحلى به الشعب الأمريكي من مُثُل ... فالفهد الأرقط لا يمكنه تغيير لون جلده (عبارة مقتبسة من التوراة) ... سوف يُعرّضون مؤسساتنا ومقوماتنا الاجتماعية للخطر ... لذلك يجب طردهم بنص من الدستور».

وكان فرانكلين من الرؤساء الأوائل في أمريكا، والذي استشعر الخطر اليهودي قبل تغلغله في أمريكا، من خلال دراسته لتوراتهم ولتاريخهم في أوروبا، وما أحدثوه من خراب فيها.

وهذا قسم من خطاب الرئيس الأمريكي (لنكولن) للأمة، في نهاية مدته الرئاسية الأولى:

«إنني أرى في الأفق نُذر أزمة تقترب شيئا فشيئا ... وهي أزمة تثيرني وتجعلني أرتجف على سلامة بلدي ... فقد أصبحت السيادة للهيئات والشركات الكبرى ... وسيترتب على ذلك وصول الفساد إلى أعلى المناصب ... إذ أن أصحاب رؤوس الأموال، سيعملون على إبقاء سيطرتهم على الدولة ... مستخدمين في ذلك مشاعر الشعب وتحزّياته ... وستصبح ثروة البلاد بأكملها، تحت سيطرة فئة قليلة ... الأمر الذي سيؤدي إلى تحطم الجمهورية».

وكان هذا الخطاب قبل أكثر من 130 سنة، بعد أن تغلغل اليهود في أمريكا،

وقد اغتيل هذا الرئيس في بداية فترة الرئاسية الثانية، نتيجة خطاباته لأن كل أصحاب رؤوس المال الأمريكي أصبحوا من اليهود. كما اغتيل الرئيس (جون كندي)، عندما أعلن عن برامجه الإصلاحية، وبناء أمريكا من الداخل، ونهج التعايش السلمي مع الخارج، كروسيا والبلدان الأخرى، وهذا مما يتعارض كليا، مع بروتوكولات أرباب المال اليهود وحكمائهم. وتخيل لو أن أرباب المال اليهود يسحبون أرصدتهم من أمريكا، بالتأكيد سينهار الاقتصاد الأمريكي برمّته على الفور، وربما تصبح أمريكا من أفقر بلدان العالم.

بعد اغتيال (كندي) استوعب رؤساء أمريكا الدرس، وحفظوه عن ظهر قلب، فلم يجرؤ أحدهم على نهج أي سياسة، تتعارض مع طموحات اليهود، وتطلعاتهم على كافة الأصعدة، بل كانوا فور انتخابهم، يسارعون لتقديم فروض الطاعة والولاء لأسيادهم اليهود. وخدماتهم لليهود خلال الأربعين سنة الماضية ظاهرة للعيان، وأصبحت مهمة الرئيس الأمريكي، لا تتعدى مهمة (كلب الصيد المدرَّب جيدا)، لاصطياد الشعوب وثرواتها وجلبها، لليهود في الداخل والخارج، وفي نهاية ولاية كل كلب جيد منهم، يُعلّق في رقبته وساما رفيعا من المديح اليهودي، فيهزّ ذنبه (ذيله) فرحا ويمضي خارجا من البيت الأبيض، بعد حصوله على شرف عضوية (نادي كلاب الصيد) اليهودي، وكلنا يذكر قصة (كلينتون) عندما نسي نفسه، وحاول الضغط على نتنياهو، ففجّروا في بيته الأبيض القنبلة (لوينسكي)، التي كانت مُعدّة منذ لحظة انتخابه، فأعادته إلى صوابه، وإلى موقعه الحقيقي ككلب صيد لا أكثر، فأصبح في نهاية مدة رئاسته صهيونيا، أكثر من الصهاينة أنفسهم، يمسح بفروه الأبيض الناعم نعال أحذيتهم، عسى أن يقتات هو وزوجته على فتات موائدهم، في قاعات مجلس الشيوخ الأمريكي، بعد خروجهم من البيت الأبيض.

الحرب العالمية الثانية درس من دروس التآمر اليهودي العالمي

الظروف التي سبقت الحرب، من كتاب (أحجار على رقعة الشطرنج) بتصرف:

- **معاهدة فرساي المجحفة بحق ألمانيا:** التي كان لليهود وعملائهم اليد الطولى في صياغتها، من وراء الستار، لتكون بؤرة لتوريط ألمانيا في حرب أخرى، إذا تطلب الأمر مستقبلا. حيث إن بنود هذه المعاهدة، اقتطعت جزءا من الأراضي الألمانية، وضمتها إلى بولندا، وأرغمت ألمانيا على دفع التعويضات، للخسائر الناجمة عن الحرب العالمية الأولى، وأبقت ألمانيا تحت طائلة الديون إلى ما لا نهاية.

- **وجود الحركة النازية في ألمانيا:** والسبب في بلورة أفكارها، هو معرفة الألمان بفصول المؤامرة اليهودية، حيث إن الصيغة النهائية لبرتوكولات حكماء المؤامرة، التي تدعو لتفوق العرق اليهودي، والتي كُشفت أصلا فيما سبق في ألمانيا نفسها، مما دفع الألماني (كارل ريتر) إلى طرح أفكار، تدعو إلى تفوق العرق الجرماني، ردا على ما طرحته برتوكولات حكماء اليهود. ومن أقوال مؤسس الفكر النازي (كارل ريتر) الذي نشر أفكاره عام 1849م: « لكي يعود السلام والحرية الاقتصادية إلى العالم، يجب أولا القضاء على الممولين اليهود، وعلى جميع أعضاء الحركة الثورية العالمية، الذين يُوجّهون الشيوعية ويسيطرون عليها». ومضمون المعتقدات النازية يقضي بتفوق العرق الجرماني، والذي يتوجب عليه إخضاع العالم بالقوة العسكرية، ويجب أن تكون الطاعة فيه لرئيس الدولة الجرمانية، طاعة عمياء وبدون نقاش. وعلى ما يبدو أن رجالات الحرب الألمان، بعد الحرب العالمية الأولى، وما لحق بألمانيا من إجحاف، من خلال المؤامرات اليهودية قبل وبعد الحرب،

اقتنعوا بالمذهب النازي واعتنقوا مبادئه، التي تتقاطع مع المخطط اليهودي، للسيطرة على العالم اقتصاديا، ومن ثم السيطرة على الحكم سلميا، فوضعوا مخططهم العسكري لاكتساح أوروبا وأمريكا، للقضاء على الممولين اليهود، واليهود بشكل عام في أماكن تواجدهم، والاستيلاء على ثرواتهم الطائلة.

- **مرتكزات السياسة الألمانية:** كانت تقوم على وجوب تحرير ألمانيا، من الاتفاقيات الاقتصادية المفروضة عليها، من قبل الممولين والمرابين الدوليين، بعد أن أدرك الزعماء الألمان، خطر هذه الاتفاقيات على استقلال البلاد، لأن الفوائد المفروضة على القروض المالية، بموجب هذه الاتفاقيات، ستؤدي حتما إلى وقوع البلاد في براثن دائنيها، (بمعنى ارتهان القرار والموقف، السياسي والاقتصادي بمصلحة الدائنين، بغض النظر عن مصلحة الأمة)، تماما كما وقعت بريطانيا عام 1694م، وفرنسا عام 1790م، وأمريكا عام 1791م. وبالتالي ستكون هذه القروض، دينا واستعبادا لكل فرد من أفراد الشعب، لأن تسديدها لن يكون إلا بفرض مزيد من الضرائب، يدفعها المواطنون جميعا، ويكون المستفيد الذي لا يخسر أبدا هو الدائن، أي المموّل المرابي العالمي. عندئذ صمم القادة الألمان، على خلق عملة ألمانية، لا تستند إلى القروض، بل تعتمد على الدخل القومي، والممتلكات الوطنية، وعلى موارد الصناعة والزراعة، والثروات الطبيعية، وعلى الطاقة الإنتاجية للأمة.

- **وصول هتلر إلى سدة الحكم:** شخصية هذا الرجل، اعتراها الكثير من التشويه الإعلامي اليهودي الغربي، وفي الحقيقة لم يكن هتلر داعية حرب، ولم يكن معتنقا للمذهب النازي، بل كان رجلا قوميا، يسعى لرفع الظلم والإجحاف الذي لحق بأمته، من جراء معاهدة فرساي، وكان عدوّاً لدودا للنازيين، والممولين اليهود على حد سواء، وقد جاء في الصفحة الأخيرة من

كتابه (كفاحي) الذي كتبه في السجن عام 1934م، قبل أن يتسلّم الزعامة، ما نصه « وبهذا يقف الحزب الاشتراكي الوطني، موقفا إيجابيا من المسيحية، ولكنه لا يترك أمور العقيدة لجماعة من المنحرفين (النازيين)، ومن جهة أخرى يحارب، الروح المادية اليهودية، المتغلغلة في نفوسنا وفي نفوس الآخرين « . أما عن معاهدة فرساي فقد كتب يقول: « إنها لم تكن لمصلحة بريطانيا، ولكنها كانت أولا وأخيرا، في صالح اليهود لتدمير ألمانيا». ونود أن نضيف أن السبب الرئيسي، في هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى، وهي في قمة انتصاراتها العسكرية، هو الثورات والفتن التي أحدثها الممولون اليهود، بإحياء الثورات الشيوعية داخل ألمانيا، والتي أضعفت الجبهة الداخلية، وأضعفت الروح المعنوية لدى الجيش الألماني، والتي تسببت في تنازل القيصر عن عرشه، وتوقيع الهدنة للالتفات إلى الشأن الداخلي، خوفا من سيطرة الشيوعية على ألمانيا، كما حصل في روسيا.

نشوء دول المحور: وجد الشعب الألماني بصورة عامة، أنه يشارك شعوبَ اليابان وإيطاليا وإسبانيا، آمالهم وأمانيهم في المستقبل السياسي والاقتصادي، فظهر حلف المحور، ونظرا لديناميكية زعماء تلك الدول، وما بذلوه من جهود ضخمة، تمكّنوا من إعادة بناء بلدانهم على كافة المستويات، الصناعية والزراعية والعسكرية، بما يشبه المعجزات.

كان هتلر يحمل على كاهله أربعة هموم قومية:

1 – إعادة بناء الدولة الألمانية.

2 – استرجاع الأجزاء المقتطعة من ألمانيا.

3 – محاربة أرباب المال اليهود، والقضاء على الثورة الشيوعية اليهودية في

روسيا، والتي كانت تموّل الحركات الثورية في بلاده.

4 - كبت رغبات لوردات الحرب النازيين، في احتلال العالم عسكريا.

سيناريو الحرب:

بدأ هتلر عام 1936م، محاولات التحالف مع بريطانيا، وجرت عدة محادثات غير رسمية بين دبلوماسيي البلدين، وكانت الغاية من هذا التحالف، هو رغبة الألمان في احتلال جميع الدول الشيوعية، وتحرير شعوبها، وإعدام جميع الخونة فيها، وذلك لقناعة الألمان بارتباط الشيوعية، بكبار أغنياء اليهود، الذين يوجّهون حركتها ويموّلونها، كما يوجهون ويمولون في نفس الوقت الحركة الصهيونية السياسية، وكان الرد البريطاني على مقترحات الألمان سلبيا، معبرا عن عدم موافقته على هذه المقترحات، فاقتنع هتلر بأنه يستحيل على أية أمة بمفردها، أن تحطم نفوذ المرابين العالميين، وخاصة في الدول المسمّاة بالديموقراطية، وذلك لتحكّمهم المالي بهذه الدول، وإيقاعهم إياها تحت طائلة الديون.

ولمّا رفض هتلر، أوامر لوردات الحرب النازيين، لردع الشيوعية وستالين منفردا، حاولوا اغتياله، ولما فشلوا، حاولوا إضعاف شعبيته التي حققها بين الألمان، فبدأ النازيون بنشر الأفكار النازية الإلحادية بين الشعب الألماني، واستغلت الصحافة المعادية ذلك، وألصقت هذه التهمة بهتلر، وبدأت وسائل الإعلام حملتها ضد هتلر، وانقسم الشعب الألماني إلى قسمين، ووقع هتلر بين فكي كماشة، رجال الكنيسة من جهة، ورجال النازية من جهة أخرى، أما في بريطانيا فكانت وسائل الإعلام اليهودية، ماضية في تشويه صورة هتلر وألمانيا، لتمنع أية فرصة لأي تقارب ألماني بريطاني.

وعندما عرضت ألمانيا مشروعا مقبولا، لمشكلة الممر البولندي ودانزنغ المدينة الألمانية، التي سببتها معاهدة فرساي الجائرة، سارع أقطاب المؤامرة، لإيجاد تحالف بريطاني بولندي، من خلال فبركتهم لإنذار مزوّر، تنذر فيه ألمانيا البولنديين، بالاستسلام خلال 48 ساعة فقط، تمخّض عن معاهدة بريطانية، لحماية البولنديين من أي عدوان ألماني، عام 1939م. ومن ثم عملوا على إقناع البولنديين، بصلاحية معاهدة الحماية البريطانية، وهكذا أهمل البولنديون المذكرة الألمانية أشهرا عديدة، في حين كانت الصحافة المعادية لهتلر، تشنّ عليه الحملات العنيفة المضادة، وذلك لسبب واحد هو معاداته لأصحاب المؤامرة العالمية، واعتماده سياسة مستقلة داخل الإمبراطورية الألمانية، بعيدا عن قروضهم وخططهم الاقتصادية المدمرة، وبشكل عام كانت الصحافة الغربية، قد هيَّأت الشعوب هناك لتقف موقفا معاديا للألمان، ولجميع الدول التي تؤيد سياستهم، وبدأت تفسّر وتحلّل أقواله وأفعاله، وتقلب الحقائق وتفبرك الأخبار، وتحذر من أطماعه التوسعية.

وهكذا بعد التعنت البولندي وتجاهله للمذكرة الألمانية، ضجر هتلر من انتظار الرد، ومن الحرب المشينة، التي وجهتها ضده صحافة الحلفاء، فأمر جيوشه بالتحرك نحو بولندا، لاسترجاع ما استقطع من أراضي ألمانيا بالقوة، ولم يتعدَّ إلى ما وراءها، بل توقف عند ذلك الحدّ. عندئذ أعلنت بريطانيا الحرب على ألمانيا، بموجب الاتفاقية السابقة، مع علم الذين أوجدوا هذه الاتفاقية عدم قدرة بريطانيا، على حماية نفسها في مواجهة القدرات العسكرية الألمانية. وعندما تأكد لهم أن رئيس الوزراء البريطاني (تشامبرلين)، غير مُتحمس للدخول في حرب فعلية مع ألمانيا، أسقطوه

وجاءوا (بتشرشل) الذي قام بقصف المدن الألمانية بالطائرات. وهكذا اضطر هتلر مرغما لتكملة تلك الحرب المدمرة، مُستجيبا للوردات الحرب النازيين، التي دامت قرابة السنوات الخمس، وانتهت بخروج معظم الدول التي شاركت فيها، مثقلة بالديون والخسائر المادية والبشرية. وكان المستفيد الوحيد هم المرابون اليهود، الذين موّلوا هذه الحرب في سنواتها الخمس، وموّلوا عمليات الإعمار بعدها، بقروض لم تستطع البلدان الأوربية، تسديدها إلى يومنا هذا.

وأما ألمانيا ومن أجل عدائها المعلن لليهود، سواء من هتلر أو من قبل النازيين، فقد لاقت مصيرها المحتوم، من تقسيم أراضيها وتحجيم قدراتها، ونهب مقدّراتها وثرواتها، حيث استطاع اليهود العالميون، بما يملكونه من أموال، ومن خلال سيطرتهم على اقتصاديات الدول الغربية برمتها، ومصادرة قرارها السياسي، وتجييره لخدمة مخططاتهم الشيطانية، وعلى رأسها أمريكا وبريطانيا، من التخلص من الخطر الألماني، الذي كان يُهدّد وجودهم، ويقضّ مضجعهم ويتقاطع مع مخطّطاتهم لتدمير البشرية.

ويخلص صاحب كتاب (أحجار على رقعة الشطرنج) المسيحي الكندي، في نهاية حديثه عن الحرب العالمية الثانية، يوجهه لمن انساق وساهم من ساسة الغرب، في نجاح المخطط الجهنمي للمرابين اليهود، طمعا بما يلقونه لهم من فتات وحطام هذه الدنيا الزائلة، إلى القول:

«أما **الحقيقة الأولى**: فهي أن الإنسان، لن يصحب معه إلى القبر، شيئا من كنوز الدنيا، أو شيئا من أكاليل المجد والثناء ...

والحقيقة الثانية: هي أن القبر، ليس النهاية، بل إنه الطريق الذي لا مناص منه ولا مفرّ، بعد القبر، من تقديم الحساب أخيرا، حيث ليس للمرابين العالميين، من حول ولا قوة».

تأخر موسم الحصاد اليهودي للمحصول العالمي:

كان مخطط المؤامرة، يقتضي تنفيذ ما جاء في البروتوكولات بحرفيته، والغاية من ذلك السيطرة على اقتصاديات دول العالم بأسرها، وحصر رؤوس الأموال العالمية كلها في أيدي اليهود، وعندما يحين الموعد المناسب، يعمد اليهود إلى شراء الذهب من الأسواق العالمية وتكديسه، ومن ثم يُشعلون نيران الحرب العالمية الثالثة، والتي حسب تصورهم، ستكون كارثية بكل معنى الكلمة على العالم بأسره، وتخلف وراءها قطعانا بشرية جائعة، ملحدة لا تؤمن إلا بما هو مادي، ومنحلة لا تبحث إلا عن كل ما يُشبع غرائزها الجسدية، آنذاك يُعلن ملوك الذهب عن أنفسهم، ويشترطون لإنقاذ تلك القطعان البشرية من الموت جوعا، بما أنهم يملكون الذهب، تنصيبهم ملوكا على الأرض، ليُقيموا دولتهم العالمية الدكتاتورية وعاصمتها القدس، فلا تملك تلك القطعان، إلا أن تدين بالعبودية المطلقة لليهود، بعد أن جاءها نور الذهب ليُبدد ظلمة الأديان الموحشة.

إذ كان من المفروض أن تقوم الحرب العالمية الثالثة، حسب مُخططاتهم، بعد (20 – 25) عاما من الحرب العالمية الثانية، ولكن ما لم يكن في الحسبان، هو موت لينين نتاج المؤامرة اليهودية، وانقلاب (ستالين) على مخطّطاتها ومخطّطيها، وتخلّصه من جميع القادة اليهود في الحزب الشيوعي، وإقامته لاتحاد سوفييتي قوي، وامتلاكه للسلاح النووي، ومقاسمته لأمريكا حكم العالم، ودخول عصر الحرب الباردة، الذي حجّم اليهود وطموحاتهم، بوقوفه ندّا قويا في وجه أمريكا وطموحاتها، فكان لا بد من تدميره وتفكيكه أولا، عن طريق الغزو السلمي، المطروح في البروتوكول رقم (9).

فوجدوا في (غورباتشوف) ضالتهم، الذي أدخل إصلاحاته الهدّامة. ولما أوشك الاتحاد على الانهيار، أجهزوا عليه بعميلهم الآخر (يلتسين)، فسيطر على مقاليد الحكم بالقوة، وأنهى ما يُسمى بحلف وارسو، وأزاح الحكم الشيوعي المناهض لأمريكا عن روسيا، وأخذ بنصائح صندوق النقد الدولي، للإصلاح الاقتصادي من خصخصة وغيرها، فاستطاع الملياردیرات اليهود ك (بيريزوفسكي) من شراء معظم المشاريع الاستثمارية الروسية، وشراء القرار السياسي والاقتصادي الروسي، وبالإضافة إلى ما كانت تواجهه روسيا من أوضاع اقتصادية متردّية، أدخلوها في حرب استنزافية مع الشيشان في أوساط التسعينيات، وكل ذلك حتى يتسنى لليهود أن يصولوا ويجولوا، في كافة أرجاء العالم ليُحققوا طموحاتهم، وخاصة في منطقة الشرق الأوسط، وعندما خلت لهم الساحة بانهيار الاتحاد السوفييتي، وتجيير قرارات روسيا بالأموال اليهودية، أشعلوا حرب الخليج الثانية، باستخدام نفس السيناريو المستخدم في الحرب العالمية الثانية، والخروج بنفس النتائج، وشاركت روسيا في الحملة الثلاثينية على العراق، على استحياء من حليفها السابق، غير أن الحصار العراقي، شمل كل مناحي الحياة، ولم يقتصر على التصنيع العسكري كما هو الحال مع ألمانيا واليابان.

وكان مؤتمر مدريد للسلام، الذي كان في الأصل، غاية لمخطّطي ومفكري اليهود التوراتيين في الغرب، والذي لم يكن يوافق عليه حكام إسرائيل العلمانيون، وذلك لخلق درع من معاهدات السلام، لحماية إسرائيل من الأخطار الخارجية، من دول ما وراء دول الطوق، ولتحييد دول الطوق نفسها، ودفعها لخوض الحروب نيابة عن الدولة اليهودية، في حال فكرت

أية دولة بعيدة، كروسيا والعراق، العدوين اللدودين حسب النبوءات التوراتية، بالإضافة إلى مصر والسودان وليبيا، والأردن وسوريا وإيران وأفغانستان، وكل هذه الدول مذكورة في التوراة بأسمائها القديمة. ولذلك كانت هناك معاهدة السلام المصرية، لقطع الطريق على مصر نفسها والسودان وليبيا، وكانت المعاهدة الأردنية لقطع الطريق على الدول الشرقية، ولم تتحقق معاهدة السلام السورية، نتيجة التعنت السوري لاسترجاع هضبة الجولان، التي لا تستطيع إسرائيل التخلي عنها، بأي حال من الأحوال، فكانت هناك معاهدة أمنية بين إسرائيل وتركيا، بديلا عن المعاهدة السورية مؤقتا، لقطع الطريق على روسيا، أما هذه الأيام فالموقف من سوريا قد اختلف، باختلاف الموقف السوري من إسرائيل ومن العراق، مما يستدعي أفكارا جديدة، وأسلوبا جديدا للتعامل مع سوريا.

ميكانيكيات وأدوات العمل المستخدمة
لتنفيذ برامج المخطط الشيطاني

مجلس الأمن:

بغض النظر عما يُمثّله من أنظمة وقوانين وقرارات، تأخذ طابع العدالة والإنصاف، فالتطبيق في الواقع يختلف كليا، ويأخذ طابع الجور والظلم، كما هو الحال مع فلسطين والعراق من جانب، وإسرائيل من جانب آخر. فالقرارات ملزمة للجانب الأول، وغير ملزمة للجانب الثاني. وخذ إسرائيل وجنوب أفريقيا من جانب آخر كنظاميين عنصريين، فالنِّظَّام الأول زالت عنه صفة العنصرية، بقرار من مجلس الأمن مع بقاء النِّظَّام العنصري، والثاني زالت عنه هذه الصفة بزوال النِّظَّام، وهذا لا يُسمّى كما يحلو لبعض الغافلين، ازدواجية في التعامل، أو الكيل بمكيالين، فالحقيقة هي أن مجلس الأمن الخاص بالأمم المتحدة، هو مجلس أمن يهودي عالمي، وبالتالي ليس هناك ما يُسمّى بمعيارين أو مكيالين، بل هو معيار واحد ومكيال واحد، يقيس كل الأشياء وفق الرؤى اليهودية الإسرائيلية، فهو الذي أوجد دولة إسرائيل، وهو الذي حافظ على بقائها وإدامتها.

لنطرح هذه التساؤلات: كم كان عدد الدول، التي كانت قلقة بمصير اليهود؟ وما الداعي لوجود دولة لليهود، بما أن اليهودية ديانة وليست قومية؟ ومن قال بأن القومية تعطي الشرعية لإقامة دولة؟ فهناك الأكراد والأرمن

وألبان كوسوفو وغيرهم الكثير، ممن هم متواجدون على أراضيهم ! فلماذا لم يُوجد لهم مجلس الأمن دولا؟! وبدلا من ذلك يتغاضى عن إبادتهم وقمعهم، خاصة إذا كانوا مسلمين كالبوسنة وكوسفو والشيشان، أو أعداءً لدولة حليفة لليهود كأكراد تركيا، وعندما يتعلّق الأمر بالعراق يُصبح الأكراد في الشمال مسألة إنسانية تُقلق مجلس الأمن. فما مصلحة أمم العالم قاطبة ومجلس أمنها، في إنشاء دولة لليهود ! مع وجود الأنظمة العلمانية في معظم دول العالم، حتى في معظم الدول الإسلامية والعربية ! إلا أن يكون هذا المجلس هو مجلس أمن يهودي بحت، ولكن كيف تحصّل اليهود على ذلك؟

الجواب بسيط جدا، من خلال التلاعب من خلف الستار، بالترغيب والترهيب الاقتصادي، للمصوّتين على القرارات، لضمان الأغلبية لإصدار أي قرار يرغبون بتمريره. بالإضافة إلى إيجاد حق النقض (الفيتو) للدول دائمة العضوية، منها ثلاث دول مؤيدة لإسرائيل بالسيطرة الاقتصادية، مع أن واحدة تكفي، لتعطيل أي قرار لا يخدم مصالح اليهود والدولة اليهودية، واثنتان لا يُرتجَى منهما خيرا وهما روسيا والصين، اللتان غالبا ما كانتا تتماشيان مع الرغبة الأمريكية، نتيجة الاسترضاء السياسي، كغض الطرف عن ممارسات هاتين الدولتين، فيما يخص مثلا حقوق الإنسان في الصين، أو اضطهاد الشعوب المُجاورة والأقليّات العرقية أو الدينية في روسيا، بالإضافة إلى الإغراء الاقتصادي، متعدد الأوجه والخيارات. وفي حال فكّرت إحداهما في استعمال، حق النقض على قرار يخدم إسرائيل، تصبح دولة نازية ولا سامية، وتبدأ الآلة الإعلامية اليهودية العالمية بالطبل والزمر، فالأمور تصبح محسومة مسبقا، ومؤخرا كُشف النقاب عن هذه السياسة علنا، عندما هدّدت أمريكا دولة كولومبيا المستضعفة بفرض مقاطعة اقتصادية،

عندما صوّتت لصالح إرسال قوة حماية دولية للفلسطينيين.

ولنأخذ على سبيل المثال، القرارات الخاصة بالعراق، حيث اُتخذت بالإجماع، بحجة مخالفة العراق للقانون الدولي آنذاك، وطريقة تأمين الإجماع، تمت كما هي العادة بطريقة آلية، بالنشاط الملحوظ للدبلوماسية اليهودية الأمريكية من وراء الستار، ومن أمام الستار أحيانا بجولات مكوكية. فمعظم دول مجلس الأمن، إمّا أن تكون حليفة أو صديقة أو مديونة أو منهارة اقتصاديا. وعندما وُضع أول قرار بدأت الماكينة اليهودية، بالدوران بأقصى سرعتها وطاقتها، مدفوعة بأحقادها ومخاوفها التوراتية، لفرض قرارات جديدة، ولتأمين تطبيق القرارات وتنفيذها، والعالم كله لا يعلم لغاية الآن، حقيقة النوايا اليهودية الأمريكية البريطانية الفرنسية، من وراء تلك الحرب وهذا الحصار. وفي الحقيقة ما وُضع بقرار لا يُرفع إلا بقرار، وهذا ينطبق على الحصار، ولن يُرفع هذا الحصار اليهودي التوراتي، ما دامت أمريكا تملك حق النقض، إلا أن يتم خرق هذا الحصار بدون قرار رفع، من جانب دولة عظمى كروسيا أو الصين، لا يستطيع القانون الدولي اليهودي الأمريكي معاقبتها، كونها تمتلك سلاحا نوويا، قادرا على أن يمحو أمريكا وحلفاءها عن الوجود، بما فيها من يهود، وهذا الاحتمال يُعدّ نوعا من المُغامرة في الظروف الراهنة، ومع ذلك بدأ التمرد الروسي على أوامر أسياد العالم يلوح في الأفق.

المنظمات الإنسانية في الأمم المتحدة:

ما الذي تنادي به هذه المنظمات؟ تنادي بحرية المرأة، وحقوق الإنسان، وحقوق الطفل، وتنظيم النسل وتحديده، وغيرها، وكل هذه الحريات والحقوق، عند المناداة بها، غالبا ما تأخذ الطابع السياسي، فانظر إلى الدول المتهمة،

بانتهاك هذه الحريات وهذه الحقوق، هي الدول العربية الإسلامية أولا، والدول الإسلامية غير العربية ثانيا، والدول الشيوعية، وما عدا ذلك إذا كان موجودا، فهو لذرّ الرماد في العيون، فما الذي يريدون من وراء ذلك؟ انظر إلى الحياة الاجتماعية في الغرب، الذي سمح ويسمح بهذه الحريات والحقوق، تجد أن الإجابة هي ما يلي:

تحرّر الفكر، فنتج الكفر والإلحاد وعبادة المادة وتقديسها، تحررت النساء فتنازلن عن دورهن الفطري في الأمومة والتربية، فنتجت كافة أنواع الإباحية والفجور والدعارة، وأصبحت لحوم النساء عرضة للكلاب الضالّة. وتحرّرت الطفولة، فتطاولت على الآباء والأمهات والمعلّمين والمعلّمات، وتمرّدت عند البلوغ لتترك الأسرة، وطفقت تبحث عن إشباع الغرائز والشهوات. لنخلص من ذلك إلى أن المطالبة بحماية هذه الحقوق والحريات، هي في الأصل دعوة للتمرد على الطبيعة البشرية وأبجدياتها، وعلى القيم الروحية والأخلاقية، التي قدّمتها الأديان السماوية كمنهج للحياة. تهدف إلى ضرب الأسرة، اللبنة الأساسية في بناء المجتمعات، بحرمان الأب من دوره القيادي، مما يؤدي إلى تفكيك العلاقات ما بين أفرادها، وضياع الرؤى المشتركة للبقاء والاستمرار. ولو قمت بإحصائية لعدد الغربيون ذوي الولادات الشرعية ! ربما لوجدت أن معظمهم أولاد زنا، شرّ الخلق عند الله !! أما نحن ... فماضون على الدرب لنواكب مُتطلبات العصر اليهودي ... بجهود الجهابذة من مفكرين وخبراء واختصاصيين ... من دعاة التحرّر والتحرير والإصلاح الاقتصادي والثقافي ... وسنصل ... عمّا قريب ... إن لم يدّاركنا الله برحمته.

البنك الدولي وصندوق النقد الدولي:

مهمة هذه المؤسسة تقديم النصائح، بما يُسمى ببرامج التصحيح

الاقتصادي، ومن ثم تقديم القروض، والحصول على ضمانات للسداد، ولكن هل تكترث هذه المؤسسة بمصير الأموال المقدّمة، وهل تتابع تنفيذ برامجها التصحيحية؟ وما هي طبيعة هذه البرامج وماذا تحمل في طياتها؟ في الحقيقة تذهب معظم الأموال المقدّمة إلى جيوب، المتنفّذين في الحكم، وكنفقات للأجهزة الحكومية، ولا تظهر المتابعة، إلا عندما تقع الدول المديونة، في أزمات اقتصادية يكون سببها في الأصل برامج الصندوق نفسها، تعجز بسببها من سداد استحقاقات الدين، فيأتي الصندوق بحزمة اقتراحات جديدة، بديون جديدة وفوائد جديدة، ومن ثم يتم إعادة جدولة الديون. ومن ضمن الاقتراحات رفع الضرائب والرسوم على كل شيء. وربما يضعوا في بيتك مستقبلا موظفا حكوميا، ليحصي عليك عدد لقمات الطعام، التي تأكلها أنت وأبناؤك، أو ما تحرقه عضلاتك من سكّر أثناء الحركة، بما أنها نوع من الوقود، ولتُجبى منك نسبة الضريبة على كل لقمة أو جرام من السُّكّر، مما يؤدي إلى رفع الأسعار باستمرار، ويكون ضحيتها أولا وأخيرا المواطن المسحوق. ويُضاف دين جديد للخروج من الأزمة الاقتصادية، وتُعاد جدولته مع الديون القديمة مرة أخرى، ومن ثم تقع أزمة جديدة، نتيجة الإنسياب المستمر لرأس المال الوطني، في المجتمعات الاستهلاكية وغير المنتجة، فضلا عن السرقات والاختلاسات، ومن ثم ديون جديدة، وهكذا دواليك ...، فيتضخم أصل الدين القومي ليصل إلى أرقام فلكية، لا تستطيع الشعوب حتى تسديد قيمة فوائدها السنوية ...

وبالتالي تصادر أو بالأحرى تُشترى القرارات السياسية، كما اشتُريت قرارات الاتحاد السوفييتي، في حرب الخليج وما بعدها، بعد أن اختلس (غورباتشوف) وحاشيته، ما مجموعه أربعة مليارات دولار، ثمنا لتدمير

الاتحاد السوفييتي، لكي يتمكن اليهود من التفرّد بحكم العالم، من خلال نظامهم العالمي الجديد. وبعد أن أزاح الرئيس الروسي (يلتسين) غريمه من الكرملين بقوة المدرعات، أكمل صفقة البيع، فاختلس على مدى سنين حكمه، ما مجموعه سبعة مليارات دولار، من مساعدات صندوق النقد لدولي. ولما اكتُشف الأمر من قبل الروس، وصار (يلتسين) قاب قوسين أو أدنى من الملاحقة القضائية، اشتعلت بقدرة قادر أحداث داغستان، والتفجيرات الوهمية في موسكو، التي لم تُسجّل أي ضحية، وشُنّت حرب غير مبررة للقضاء على الإرهاب في الشيشان، وانشغل الشعب الروسي فيها، ونسي اختلاسات (يلتسين)، الذي قدّم استقالته، واشترط علنا على خليفته (بوتين)، عدم ملاحقته قضائيا عند تسلمه للسلطة، فمن الذي مكّن (يلتسين) من ذلك؟ وكيف صعد (بوتين) من المجهول، ليصبح رئيسا لروسيا؟!

يُصرّح الملياردير اليهودي (سوروس)، بأن المسئول عن تدبير ذلك، هو الملياردير اليهودي الآخر (بيريزوفسكي)، الذي قدّم التمويل لثوار داغستان الإسلاميين، وبعد اشتعال النيران وغزو الشيشان، انقطع التمويل. ويصرح زعيم الإسلاميين (خطّاب) صحفيا، بعد أن شرب المقلب اليهودي، وتبخرت أحلامه في إقامة دولة إسلامية في داغستان، بأن الاتفاق مع (بيريزوفسكي)، لم يتطرّق إلى تدخل الطيران الروسي لقصف الثوار. وبالتالي ذهب الشعب الشيشاني المسلم، ضحية لمؤامرة (يلتسين، بيريزوفسكي، خطّاب، بوتين)، كما حصل مع الشريف حسين في الثورة العربية في الحرب العالمية بعد أن غُدر به، فكانت نتيجتها الاستعمار والانتداب وضياع فلسطين وتشرذم الأمة العربية، وكما حصل مع هتلر في الحرب العالمية الثانية، ومع صدام حسين في حربي العراق المُدمّرتين. هل المشكلة في أن العرب، لا يقرءون التاريخ

أو القرآن أو التوراة أو الإنجيل؟! أم أن العرب لا يقرءون شيئا، وإن قرءوا لا يفهمون، وإن فهموا لا يعملون. في الحقيقة هذا ليس من قولي، وإنما سمعته يوما من أحدهم، منسوبا إلى أحد زعماء اليهود ربما يكون (بيغن)، والغريب أن سيناريو المؤامرة هو نفسه بكل حيثياته، يتكرّر في كل مرة !!!

والسؤال هنا، من هم أصحاب صندوق النقد الدولي والبنك الدولي الحقيقيون؟! وإن كانت تملكهما الدول، فما معنى أن تكون بلدان كأمريكا وبريطانيا وفرنسا واليابان مثلا، من أكثر دول العالم أرقاما للدين القومي؟! فالدين القومي الأمريكي المعلن لعام 2000، كما نُشر في إحدى الصحف، يصل إلى 300 ألف مليار دولار، والدين القومي الياباني يصل إلى 280 ألف مليار دولار، وهما أكبر اقتصادين في العالم. ولم يكفهم كل ذلك، وكما إخوة يوسف، لم ينتظروا الفرصة ولم يتقاعسوا، بل سارعوا لخلق الفرصة بالمكر والحيلة، للظفر بأخيهم، لم تستكن أبالسة الشر، ولم يهدأ لهم بال، فهم دائمو الحركة والبحث، في مطابخ السياسة والاقتصاد هناك في الغرب، وكل جيل يُكمل ما بدأه الآخر، ويضيف عليه تعديلاته، ويستعجل تنفيذ خطوات المخطط الشيطاني، ويحلم كل جيل بأن يكون مجيء مليكهم المنتظر في زمانه، وتأخّر التنفيذ يعني تأخر المجيء، وآخر ما تفتّقت عنه أذهانهم، في حلقات هذا المسلسل الطويل، هو فكرة العولمة، التي لا تعدو أكثر من كونها، وحيا شيطانيا، لنشر المذهب الشيطاني وفرضه على شعوب العالم.

العولمة:

العولمة كلفظ مُجرّد مصطلح مُبهم، ويصبح مفهوما وتضح ماهيته، عندما تُضاف إليه كلمة أخرى، كأن نقول عولمة الثقافة وعولمة الاقتصاد. وبما أننا نعلم أن من يُنادي بالعولمة ويدعو إليها هي أمريكا، فذلك يعني

أولا: تعميم الثقافة الأمريكية، وثانيا: تعميم النِّظّام الاقتصادي الأمريكي الرأسمالي. وبشكل شمولي هو فرض الحضارة الأمريكية الغربية بكافة جوانبها، كأسلوب جديد للحياة على كافة شعوب العالم، ولو قمنا بتقييم بسيط للحضارة الأمريكية، لوجدنا أن من رسم وشكّل معالم وأبعاد هذه الحضارة، منذ بدايات القرن الماضي، هم الأسياد الجدد لأمريكا، أعني أرباب المال اليهود، من خلال سيطرتهم المطلقة، على كافة أدوات الإنتاج الأمريكي الاقتصادي والثقافي.

أما ملامح الحضارة الأمريكية، فهي في الواقع ترجمة حيّة لما يحمله اليهود، من عقائد كفرية إلحادية، لا تؤمن إلا بكل ما هو محسوس، تدعو إلى تأليه رأس المال والاقتصاد وعبادة أصحابه. وتدعو إلى أخلاقيات اجتماعية تلمودية، سِمتها الانحلال والإباحية، والدعوة لممارسة كل رذيلة، والتحلل من كل فضيلة. لنخلص إلى القول إلى أن الغاية من العولمة، هو نشر العقيدة اليهودية المادية الدنيوية، الخاصة بأصحاب البروتوكولات اليهود تمهيدا لضربتهم النهائية.

في أواخر القرن الماضي، تمكن اليهود من نشر هذه العقيدة في أمريكا والدول الغربية، وبعد أن استحكمت قبضتهم على مواقع صنع القرار فيها، من خلال امتلاكهم لرؤوس الأموال المحرّكة لاقتصاديات هذه الدول. ومع انتهاء الحرب الباردة وتفرّد أمريكا بحكم العالم، امتلك هؤلاء القوة العظمى والوحيدة في العالم، التي أصبحت كالمعلّم الشرس بعصاه الطويلة، الذي يسعى كل التلاميذ لنيل رضاه، بالانصياع لأوامره وترك نواهيه، وينفذون ما يفرضه عليهم رغبة ورهبة، حتى لو أوردهم موارد الهلاك. فأصبح لدَى هؤلاء القدرة أكثر من أي وقت مضى – حسب تصورهم – على تنفيذ ما

تبقى من خطوات مخططهم الشيطاني.

في الجانب الآخر من العالم، تقف بشموخ المجتمعات الشرقية، من المؤمنين بالله وحتى الملحدين والوثنيين، ذوي المعتقدات والقيم الراسخة، والتي غرسها وحافظ عليها الأنبياء والمفكّرون ورجال الدين، قديما وحديثا، فشكّلت حواجز منيعة أمام طموحات اليهودية العالمية، وكانت آخر القلاع التي يتطلّعون إلى تحطيمها، وما تبقى من أسوارها في طريقه للانهيار.

ولما أصبحت الرياح مواتية لهم، جلس أسياد العالم وائتمروا فتفتّقت أذهانهم، عن هذه الأفكار الجهنمية الخاصة بمنظمة التجارة العالمية وقوانينها، ومتطلبات الانتساب إليها، لاختراق جميع الحواجز الاقتصادية، التي أقامتها الحكومات لحماية ثرواتها الوطنية، من الإنسياب التلقائي إلى جيوب أرباب المال اليهود. والتي سيكون بمقدورهم من خلالها، إصابة عدة عصافير بحجر واحد.

وسائلها الثقافية: بالترتيب هي، المطبوعات والراديو والسينما والتلفاز والفيديو والأطباق اللاقطة وأخيرا الإنترنت. وكان ابتكار الإنترنت بمُشاركة الأطباق اللاقطة، التي أُجبرت الدول العربية، على السماح بدخولها واقتنائها، منذ سنوات، أكبر ضربة لما أقامه هؤلاء من حواجز، لحماية شعوبهم من الغزو الثقافي الغربي. وجاءت العولمة الاقتصادية لترفع الرسوم الجمركية عنها، لتصبح في متناول من لا يملك ثمن رغيف الخبز، ولتكون بمثابة حصان طروادة ولكن بحلّة جديدة، لتصل إلى البدوي في خيمته، والمشرّد في كهفه، والموظف في مكان عمله، والطالب في جامعته ومدرسته، وحتى الطفل في مهده.

التحذير من خطر العقائد والأخلاقيات اليهودية، والتي يسعون الآن لنشرها تحت مُسميات عولمة الثقافة وعولمة الاقتصاد، جاء في بعض

أقوال رؤساء الغرب:

(لنكولن): «... فقد أصبحت السيادة للهيئات والشركات الكبرى ... إذ أن أصحاب رؤوس الأموال، سيعملون على إبقاء سيطرتهم على الدولة ... وستصبح ثروة البلاد بأكملها، تحت سيطرة فئة قليلة ... الأمر الذي سيؤدي إلى تحطم الجمهورية».

(فرانكلين): « ومع أنهم يعيشون بيننا منذ أجيال ... فإن مُثُلهم العليا ما زالت تختلف كليا، عما يتحلى به الشعب الأمريكي من مُثُل ... فالفهد الأرقط لا يمكنه تغيير لون جلده (عبارة مقتبسة من التوراة)».

(هتلر): « ومن جهة أخرى يحارب، الروح المادية اليهودية، المتغلغلة في نفوسنا وفي نفوس الآخرين».

بعد هذا العرض نستطيع تعريف لفظ العولمة على أنها:

مصطلح مضلّل استعمل كغطاء، للتعبير عن برنامج يهودي أمريكي لتهويد العالم بأسره. أدواته الثقافية هي وسائل الاتصال والإعلام المختلفة، وأدواته الاقتصادية صندوق النقد والبنك الدولي والخصخصة ومنظمة التجارة العالمية. وغايته أولا: خلق ديانة مادية جديدة، تحت عنوان الثقافة والتحضّر، وثانيا: نهب ثروات الشعوب، تحت عنوان تحرير التجارة. وذلك لتهيئة الأجواء، لظهور اليهود كأسياد للعالم بأسره، عندما يحين الوقت المناسب لذلك.

أخطار العولمة على أرض الواقع:

الخطر الاجتماعي؛ يتمثّل في ضرب منظومة العقائد والقيم والأخلاق، لدى الشعوب المختلفة في العالم، والتي بدورها تشكل الضمير الإنساني

للفرد، الذي يُحاول السمو بالإنسان إلى مرتبة الملائكة. وأما الهدف النهائي المرتجَى من بُعدها الاجتماعي، هو تشكيل أجيال جديدة تبحث بشتى الوسائل والسبل، عما يُشبع غرائزها ورغباتها ونزواتها، لتهبط بالإنسان إلى ما دون مرتبة الحيوان، وبذلك يسهل على مخططي المؤامرة اليهود سياسة هذه الأجيال وتذليلها. وبالتالي لن تكون هناك معارضة، لمثل هؤلاء فيما لو حُكموا من قبل سادة العالم الجدد، ملوك الإلحاد والإباحية، وهذا ما تصبو إليه الأجيال التي هي في طور التشكّل الآن.

وقد بدأنا في السنوات الأخيرة، نرى نماذج من المسوخ البشرية، في العديد من بيوت المسلمين. فتيان وفتيات لا يرغبون في التعلم أو العمل، والفشل هو السمة البارزة في أعمالهم وتوجهاتهم ونتائجهم. يجوبون الشوارع ويرتادون الأماكن العامة ويذهبون إلى الجامعات، بحثا عن الحب والمجون والخلاعة، بعد أن أصبحت جامعاتنا وشوارعنا معارض لدور الأزياء العالمية، ولا أحد يريد العفاف والطهر، لذلك تجدهم يعزفون عن الزواج، وكما قال أحد المتعولمين: « ما دام الحليب موجود في السوق، فمّا الداعي لشراء البقرة؟».

وأكبر الأثر في تشكيل هذه النماذج، هي القنوات الفضائية العربية – فضلا عن قنوات الإباحة الأجنبية – وخاصة التي تضم في طاقمها مقدّمي ومقدّمات البرامج اللبنانيون، بعرض الكاسيات العاريات المائلات المميلات، اللواتي يتحدثن بلسان عربي مبين، مما أعطى المبرر لفتياتنا، وكسر الحاجز النفسي لديهن، ليتّخذن منهن قدوة تُحتذى، بمباركة من الأب الذي يُربّت على كتف ابنته، أثناء مشاهدته لتلك الغواني وأولئك المخنّثين، بعين الرضا والقبول والإعجاب والاستحسان والاستمتاع.

ما تراه اليوم أن رجال أمة الإسلام، يتحدّون الله وحدوده وحُرماته، عن

سبق إصرار وترصّد، وهم يدفعون فتياتهم بشكل مباشر لممارسة مهنة عرض الأزياء، في الشوارع والأماكن العامة والجامعات وأماكن العمل. هدفهن دائما وأبدا الإغواء والفتنة بحركات وأصوات، لا تقوم بها إلا إناث القطط في شهر شباط، ولمرة واحدة في السنة، أمّا رجال بلاد العرب أوطاني، شيوخا وشبابا، أصبحوا كذكورها، ولكن على مدار السنة. لينتهي بهن المطاف في أحضان الرذيلة، فلا أحد معصوم، والذباب البشري الجائع يملأ الأجواء، بحثا عن قطة الحلوى أو كيس للقمامة، فلا فرق عنده. وأما الإنترنت فحدّث ولا حرج، والنساء تتهافت عليها أكثر من الرجال ...

أما أطفال أمة الإسلام، فهم بين أيدي أمهات صفتهن قد تقدّمت سابقا، لا يفقهن من الزواج شيئا، ولا يملكن من عاطفة الأمومة واحدًا بالمليون، مما تمتلكه وحوش القفر. وتربية الأطفال لديهن، تقوم على مبادئ تربية الدواجن وتسمين الخراف. أطفال مهملون في زوايا الغرف، يحملقون في برامج المسوخ المتحركة، وأغاني ومسلسلات وأفلام الدعارة العربية والأجنبية. أما في المدرسة فقد عُمِدَ إلى تغيير المناهج المدرسية، لسلخ الطفل عن هويته الإسلامية العربية، فحُذفت أمجاد الأبطال والبطولات الإسلامية، وبدلا منها تم تصميم بطولات وهمية لأبطال من ورق. وربما يضيفون غدا مناهج التربية الجنسية لتثقيف الأجيال الناشئة، فالغرائز تحتاج إلى تعلم. وتم تغيير أساليب التربية والتدريس، بإلغاء عقوبة الضرب، وإلغاء عقوبة الرسوب، وإدخال لغة العولمة، كمبحث أساسي في المناهج الدراسية.

وخلاصة القول بأنهم سيُهوّدون العالم، تحت غطاء أمريكي مدموغ بـ(made in USA)(صنع فى الولايات المتحدة الأمريكية)، لدرجة أنهم ربما، يُجبرونك على الذهاب لصلاة الجمعة، في يوم السبت أو الأحد، بعد

إحدى ندوات حوار الأديان.

أما الخطر الاقتصادي؛ فيتمثّل في ضرب قوانين الحماية، التي وُضعت للمحافظة على الثروة الوطنية. لتسهيل عملية سلب ثروات الشعوب، وتكديسها في المصارف العالمية وإفقارها وتجويعها. إذ لم يكفهم ما يقوم به البنك الدولي وصندوق النقد والخصخصة، من نهب لثروات الشعوب، من خلال تغلغل الاستثمارات اليهودية، في شتى أقطار العالم، بعد كل هزة أو أزمة اقتصادية مفتعلة، بشكل مباشر أو غير مباشر. فموجة الخصخصة التي هي أحد برامج صندوق النقد الدولي، أتاحت لرؤوس الأموال اليهودية، لدخول الدول العربية، تحت مُسميات شركات أجنبية عالمية كبرى، أو عن طريق شركات محلية بأسماء عربية صورية، مقابل حفنة من الدولارات.

بل ابتكروا ما هو أخطر بكثير، الشق الآخر الذي كان (كلينتون) يُروّج للانضمام له، ألا وهو (منظمة التجارة العالمية)، والتي تدعو لتحرير التجارة وتحرير رأس المال. والملاحظ أن كل مبادئهم الهدامّة، عادة ما تحمل صفة التحرير أو التحرر، وانظر إلى هذا القول الأعرج الأعوج، فالشعوب عندما تحمي سلعتها وصنعتها، تصبح مُستعمِرة لتجارتها، لذلك فهي بحاجة إلى التحرير. أما المراد من وراء ذلك في الحقيقة، فهو السطو على مكتسبات الدول الغنية والفقيرة، بطرق شرعية ملتوية، مغطّاة بأوراق التغليف البراقة الملوّنة، لتسحر أعين الشعوب المسحوقة، بما يُشبه عملية التنويم المغناطيسي. ولنوضح ما نقصده بذلك، بأنك تستطيع في البداية على سبيل المثال، الحصول على سيارة جيدة بثمن زهيد، نتيجة تخفيض الجمارك والرسوم، ولكن هذا التخفيض سيترتب عليه، عجز كبير في الموازنة العامة للدولة، فمن أين ستغطي الدولة هذا العجز برأيك، إن لم

تعتمد على فرض رسوم وضرائب بديلة تحت مسميات أخرى، لتصل في النهاية إلى عدم القدرة، على شراء الوقود لتلك السيارة، لعدم قدرة الراتب على تأمين متطلبات الحياة الأساسية.

فبعد أن تمكّنوا من خلق قطعان من المستهلكين، تنظر بعين القداسة لكل ما هو غربي ومستورد، من منتجات ثقافية وتكنولوجية استهلاكية الطابع، جاءوا باتفاقيات هذه المنظمة، لرفع القيود، من قوانين جمركية وضريبية على السلع المستوردة، وذلك بغية فتح الأسواق الوطنية للسلع الأجنبية، وبالتالي تتهافت المجتمعات الاستهلاكية، على تلك السلع، فتتسرّب العملة الوطنية إلى الخارج بلا توقف، ويترتّب على ذلك عجز كبير، في ميزانيات دول العالم الثالث، التي لا تملك صناعات منافسة، تعوّض وتعيد جزءًا من العملة المفقودة. لذلك ستضطر الحكومات، إلى اتخاذ إجراءات علاجية عديدة، لسدّ عجز الموازنة، التي غالبا ما يتكفل بها صندوق النقد الدولي، بزيادة الضرائب بكافة الأشكال والمُسمّيات، بمبررات ومن غير مبررات أحيانا، بالإضافة إلى تراكم ديون جديدة، وزيادة الضرائب تعني رفع الأسعار تلقائيا، وهكذا دواليك ...، وسيظهر التأثير المدمّر على شعوب الدول التي انضمّت لهذه المنظمة، خلال فترة ربما لا تزيد عن سنة أو سنتين. وذلك عندما تبدأ المؤسسات والشركات الوطنية، بالإفلاس والانهيار تباعا، ومن ثم انتشار البطالة والفقر والجوع بين مواطنيها، انتشار النار في الهشيم.

هناك فرق شاسع، بين فلسفة الاقتصاد وفلسفة الدمار والخراب. تقضي فلسفة الاقتصاد بأن تنفق أقل مما تُنتج، وتدّخر الفائض لتقلبات الزمن، وأما فلسفة الدمار والخراب، تقضي بأن تنفق أضعاف ما تنتج، لتنتهي في أحضان صندوق النقد الدولي، ولا أظن من قال: « على قدّ لحافك مدّ

رجليك « كان حاصلا على دكتوراه في الاقتصاد، ليصل إلى هذه النتيجة. وأتساءل كيف عاشت البشرية ما يُقارب الستة آلاف سنة، بدون صندوق النقد الدولي وبرامجه الإصلاحية.

أما الآن ... فأمعن النظر والفكر والوجدان، في كل ما يدور من حولك، في بيتك، في الشارع، في المدرسة، في الجامعة، في وطنك، بل في العالم أجمع ... وأجب عن هذا التساؤل ... على أيّ هدي، يسير هذا الواقع الذي نحن عليه الآن ...؟! على هدي القرآن ... أم على هدي أسياد هذا الزمان !!

نبذة بسيطة عن يهود العالم

من حيث المنشأ، ينقسم الشعب اليهودي إلى ثلاثة أقسام:

اليهود الغربيون: وأغلبهم أثرياء، استطاعوا التغلغل في أوروبا الغربية في نهاية القرون الوسطى، وبدايات عصر النهضة (16-17)، فازدادوا ثراء فوق ثراء، بما لديهم من وسائل وإمكانيات وأخلاقيات، لجمع المال بطرق مشروعة وغالبا غير مشروعة، لم يكن الأوروبيون والأمريكيون يُمارسونها أو يتنبّهوا إليها، رغم كل تحذيرات الرؤساء والساسة والخبراء المخلصين لأممهم، حتى «وقع الفأس في الرأس»، فتربعوا على عرش الاقتصاد العالمي حاليا.

اليهود الشرقيون الإشكناز: وأغلبهم فقراء، وقد بقي حالهم كذلك، في بلدان أوروبا الشرقية وروسيا الفقيرة، وكانوا مضطهدين ومنبوذين، في أغلب الأحيان، ويعيشون فيما يُسمّى بالغيتوهات أو الكيبوتس.

اليهود الشرقيون العرب: وهم الذين عاشوا في البلدان العربية، كأفراد وجماعات، يتمتعون بحق المواطنة مثلهم مثل غيرهم، وكثير منهم أُجبر على الهجرة إلى إسرائيل، من خلال ما دبّره الموساد الإسرائيلي، من أزمات

لإرغامهم على المغادرة، وبقي جزء منهم في البلدان العربية لغاية الآن.

أما من حيث التوجه فينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

المتحرّرون: وأغلبهم من يهود الغرب، ومهمتهم تنفيذ ما جاء في بروتوكولات الحكماء، وحكم العالم اقتصاديا وسياسيا، يكونون فيه شيوخ الأمة، ويضعون الدستور، ويرسمون السياسية، ويُنصّبون مَلِكا من أنفسهم، دكتاتورا مُطلقا على العالم، يؤمر فيُطاع، ويكون بمثابة الإله على الأرض، ولا إله في السماء، فيُصبح اليهود أسيادا وبقية خلق الله، بلا استثناء عبيدا لهم.

العلمانيون: وأغلبهم من يهود الشرق الأوروبي، ومهمتهم هي تنفيذ أهداف الحركة الصهيونية السياسية، التي تلفّعت بالدين اليهودي، من أجل تحقيق أهدافها السياسية، بإيجاد «غيتو» قومي لليهود في فلسطين، لرفع الاضطهاد والذل الذي لازمهم طيلة حياتهم، ولإيجاد موطئ قدم لهم، فنوائب الدهر الغربية غير مضمونة، فربما ينقلبون عليهم يوما ما ويطردونهم، وهم الذين يشكّلون الأحزاب العلمانية في الدولة اليهودية.

المتدينون: وأغلبهم من يهود الشرق بما فيهمّ يهود البلاد العربية، وظهرت منهم حركات دينية متطرفة كثيرة، ومهمتهم هي تنفيذ الوصايا التوراتية، التي خطّها أحبارهم القدماء على شكل نبوءات، وتتلخص في استلاب الأراضي، وتهجير السكان الوثنيين، والاستيطان، وهدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل، تمهيدا للملك اليهودي الداودي القادم، الذي سيأتي من ربوات القدس، ليحكم العالم إلى الأبد، فينتشر الحق والعدل والسلام اليهودي في الأرض، وهم الذين يشكّلون الأحزاب الدينية المتطرّفة.

وكل هذه الأصناف اليهودية، في المحصلة وجوه عديدة لعملة واحدة، هي التوراة والتلمود، أخطر وثيقتين على مستقبل البشرية والعالم، لذلك

احتل التحذير من اليهود واليهودية، مساحة شاسعة من قرآننا العظيم. بينما احتل الفكر اليهودي المادي، مساحة شاسعة، من عقول أمة الإسلام، فنسيت إلهها، وعبدت العجول الذهبية المادية للسامريّين الجدد.

آخر ما نود قوله، إن اليهود قطعوا شوطا كبيرا، في تنفيذ مخططهم الشيطاني للسيطرة على العالم، حتى صاروا (نظريا) قاب قوسين أو أدنى، من الوصول إلى هدفهم النهائي في ظرف سنين قليلة، ونجاحهم اعتمد في الدرجة الأولى، ليس على ذكائهم ومكرهم ودهائهم فحسب، بل في العزف على وتر يطرب له جميع الناس، بلا استثناء إلا من رحم وهدى ربي، ألا وهو سهولة وقوع النفس البشرية أسيرة لأهوائها وأطماعها، ومن ثم إرغامها على الخلود إلى الأرض، لترضى بالحياة الدنيا وتطمئنّ بها، عندما تنعدم لديها القيم الروحية الإيمانية، المُتحصّلة من فهم حقيقة العلاقة ما بين السماء والأرض، والتي توضحها سورة الإسراء بكل فصولها، فاقرأها إن رغبت في الفهم، فهي تحكي واقعنا المعاصر بكل فصوله، ومن أجل أن تفهم فصولها، كان هذا الفصل في هذا الكتاب.

وقد يسأل سائل: ثم ماذا؟ نُجيب بقوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾﴾[الرعد: 42]، وقوله: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾[النحل: 26].

والعلو اليهودي قائم على قاعدتين، هما إسرائيل كموطن بما فيها القدس، كعاصمة مستقبلية للدولة اليهودية العالمية الأبدية، وأمريكا كقوة اقتصادية عسكرية، لتمكين هذا الحلم اليهودي. فلا غرابة ولا عجب، إن أتى الله هذا البنيان من القواعد، فخرّ على رؤوسهم وعلى رؤوس من يشدّ على أيديهم،

سقف أحلامهم وطموحاتهم، فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون.

ونختم هذا الفصل بنص من التوراة، يؤكد لليهود أن عاقبة أفعالهم، ستكون مدمرة لا محالة، وأن الكأس التي جرّعوها للشعوب، لا بد أن يتجرّعوها في النهاية، حتى لو تخندقوا في الحصن الأمريكي البريطاني المنيع، فذلك لن يُجدي نفعا، ومهما كُبرت أمريكا وعظمت وتعالت، فالله أكبر وأعظم وأعلى، وليت عبدة أمريكا من أمتي يفقهون ذلك، لعلهم يرجعون، قبل فوات الأوان.

« ويل لمن يكوّم لنفسه الأسلاب، ويثرى على حساب ما نهب، إنما إلى متى؟ ألا يقوم عليك دائنوك بغتة، أولا يثورون عليك ويُملأونك رُعبا. فتصبح لهم غنيمة لأنك سلبت أمما كثيرة، فإن بقية الشعوب ينهبونك ثأرا، لما سفكت من دماء، وارتكبت من جور في الأرض، فدمّرت مُدنا، وأهلكت الساكنين فيها. ويل لمن يدّخر لبنيه مكسب ظلم، ويُشيد مسكنه في مقام حصين، ليكون في مأمن من الخطر. لقد لطّخْتَ مؤامرتك بيتك بالعار، حين استأصلت أمما عديدة، وجلبت الدمار على نفسك، حتى حجارة الجدران تصرخ من شرّك، فتردّد الدعائم الخشبية أصداءها. ويل لمن يبني مدينة بالدماء، ويُؤسس قرية بالإثم «. (التوراة: سفر حبقوق 2: 6-12).

قال تعالى:

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾

[المائدة:64].

بروتوكولات حكماء صهيون

مقدمة عباس محمود العقاد

لبروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة: محمد خليفة التونسي

ظهرت أخيراً في اللغة العربية نسخة كاملة من هذا الكتاب العجيب: كتاب «برتوكولات حكماء صهيون».

ومن عجائبه أن تتأخر ترجمته الكاملة في اللغة العربية إلى هذه السنة، مع ان البلاد العربية أحق البلاد أن تعرف عنه الشيء الكثير في ثلث القرن الأخير، وهي الفترة التي منيت فيها بجرائر «وعد بلفور» وبالتمهيد لقيام الدولة الصهيونية على أرض فلسطين.

إن هذا الكتاب لا يزال لغزاً من الألغاز في مجال البحث التاريخي وفي مجال النشر والمصادرة، فقلما ظهر في لغة من اللغات إلا أن يعجل إليه النفاد بعد أسابيع أو أيام من ساعة ظهوره، ولا تعرف أن داراً مشهورة من دور النشر والتوزيع أقدمت على طبعه من تكاثر الطلب عليه، وكل ما وصل إلينا من طبعاته فهو صادر من المطابع الخاصة التي تعمل لنشر الدعوة ولا تعمل لأرباح البيع والشراء.

ومن عجائب المصادفات على الأقل أن تصل إلى يدي ثلاث نسخ من هذا الكتاب في السنوات الأخيرة: كل نسخة من طبعة غير طبعة الأخرى، وكل منها قد حصلت عليه من غير طريق الطلب من المكتبات المشهورة التي أعاملها. أما النسخة الأولى فقد أعارني اياها رجل من قادتنا العسكريين

الذين يتتبعون نوادر الكتب في موضوعات الحرب وتدبيرات الغزو والفتح وما إليها، وقد أعدتها إليه بعد قراءتها ونقل فصول متفرقة منها.

وأما النسخة الثانية فقد اشتريتها مرجوعة لا يعلم بائعها ما اسمها وما معناها، وقد ضاعت هذه النسخة وأوراق النسخة المنقولة مع كتب وأوراق أخرى اتهمت باختلاسها بعض الخدم في الدار.

وأما النسخة الثالثة وهي من الطبعة الإنجليزية الرابعة فقد عثرت عليها في مخلفات طبيب كبير وعليها تاريخ أول مايو سنة 1921 وكلمة «هدية» بالفرنسية Souvernir وكدت أعتقد من تعاقب المصادفات التي تتعرض لها هذه النسخ أنها عرضة للضياع.

والترجمة العربية التي بين أيدينا اليوم منقولة من الطبعة الإنجليزية الخامسة، نقلها الأديب المطلع «الأستاذ محمد خليفة التونسي»، وحرص على ترجمتها بغير تصرف يخل بمبناها ومعناها فأخرجها في عبارة دقيقة واضحة وأسلوب فصيح سليم.

صدر المترجم الفاضل لهذا الكتاب الجهنمي بمقدمة مستفيضة قال فيها عن سبب وضعه ان زعماء الصهيونيين «عقدوا ثلاثة وعشرين مؤتمراً منذ سنة 1897 وكان آخرها المؤتمر الذي انعقد في القدس لأول مرة في 14 أغسطس سنة 1951، ليبحث في الظاهر مسألة الهجرة إلى إسرائيل ومسألة حدودها كما جاء بجريدة الزمان وكان الغرض من هذه المؤتمرات جميعاً دراسة الخطط التي تؤدي إلى تأسيس مملكة صهيون العالمية، وكان أول مؤتمراتهم في مدينة بال بسويسرة سنة 1897 برئاسة زعيمهم هرتزل، وقد اجتمع فيه نحو ثلثمائة من أعتى حكماء صهيون كانوا يمثلون خمسين

جمعية يهودية، وقرروا فيه خطتهم السرية لاستعباد العالم كله تحت تاج ملك من نسل داود» ثم أجمل الأستاذ المترجم ما اشتملت عليه فصول الكتاب من شرح الخطط المتفق عليها. وهي تتلخص في تدبير الوسائل للقبض على زمام السياسة العالمية من وراء القبض على زمام الصيرفة، وفيها تفسير للمساعي التي انتهت بقبض الصيارفة الصهيونيين على زمام الدولار في القارة الأمريكية ومن ورائها جميع الأقطار، وتفسير إلى جانب ذلك للمساعي الأخرى التي ترمي إلى السيطرة على المعسكر الآخر من الكتلة الشرقية، وانتهت بتسليم ذلك المعسكر إلى أيدي اناس من الصهيونيين أو الماديين الذين بنوا بزوجات صهيونيات يعملن في ميادين السياسة والاجتماع.

وتتعدد وسائل الفتنة التي تمهد لقلب النُّظَّام العالمي وتهدده في كيانه بإشاعة الفوضى والإباحة بين شعوبه وتسليط المذاهب الفاسدة والدعوات المنكرة على عقول أبنائه، وتقويض كل دعامة من دعائم الدين أو الوطنية أو الخلق القويم.

ذلك هو فحوى الكتاب وجملة مقاصده ومراميه، وقد ظهرت طبعته الأولى منذ خمسين سنة، ونقلت من الفرنسية إلى الروسية والإنجليزية فغيرها من اللغات، وثارت حولها زوابع من النقد والمناقشة ترددت بين الآستانة وجنيف وبروكسل وباريس ولندن وأفريقية الجنوبية، وشغلت الصحافة والقضاء ورجال المتاحف والمراجع، وصدرت من جرائها أحكام شتى تنفي تارة وتثبت تارة أخرى، ثم اختفى الكتاب كما قدمنا ولا يزال يختفي كلما ظهر في إحدى اللغات.

ويتقاضانا إنصاف التاريخ، أن نلخص هنا ما يقال عنه من الوجهة التاريخية نقداً له وتجريحاً لمصادره، أو إثباتاً له، وترجيحاً لصدقه في مدلوله.

فالذين ينقدونه ويشككون في صحة مصادره يبنون النقد على المشابهة بين نصوصه ونصوص بعض الكتب التي سبقت ظهوره بأربعين سنة أو بأقل من ذلك في أحوال أخرى. ومنها حوار بين مكيافيلي ومسكيو يدور حول التشهير بسياسة نابليون الثالث الخارجية، ومنها قصة ألفها كاتب ألماني يدعى هرمان جودشي ضمنها حواراً تخيل أنه سمعه في مقبرة من أحبار اليهود بمدينة براغ دعي إليها مؤتمر الزعماء الذين يتوب كل واحد منهم عن سبط من أسباط إسرائيل.

ويعتمد الناقدون أيضاً على تكذيب صحيفة «التيمس» للوثائق بعد إشارتها إليها عند ظهورها إشارة المصدق المحذر مما ترمي إليه.

أما المرجحون لصحة الوثائق أو لصحة مدلولها فخلاصة حجتهم أنها لم تأت بجديد غير ما ورد في كتب اليهود المعترف بها ومنها التلمود وكتب السنن اليهودية، وغاية ما هنالك أن التلمود قد أجملت حيث عمدت هذه الوثائق إلى التفصيل والتمثيل.

ويقول الصحفي الإنجليزي «شسترتون» A. K. Chesterton في مناقشته للكاتب الإسرائيلي لفتوتش Leftwich أقوالاً مختلفة لتعزيز الواقع المفهوم من تلك البروتوكولات، خلاصتها أن لسان الحال أصدق من لسان المقال، وأن مشيخة صهيون أو حكماء صهيون قد يكون لهم وجود تاريخي صحيح، أو يكونون جميعاً من خلق التصور والخيال، ولكن الحقيقة الموجودة التي لا شك فيها أن النفوذ الذي يحاولونه ويصلون إليه قائم ملموس الوقائع والآثار.

قال في المجموعة التي نشرت باسم «فاجعة العداء للساميين» إن المارشال «هايج» سمع باختياره للقيادة العامة من فم اللورد «ورتشليد» قبل أن يسمع به من المراجع الرسمية وأن بيت روتشيلد خرج بعد معركة واترلو ظافراً

كما خرج زملاؤه وأبناء جلدته جميعاً ظافرين بعد الحرب العالمية الأولى والثانية، وأنه لا يوجد بيت غير بيت روتشيلد له إخوة موزعون بين لندن وباريس وبرلين، وبدأ كلامه قائلاً: «إنني من جهة يبدو لي أن البروتوكولات تستوي روحياً على نفس القاعدة التي استوت عليها فقرات من كتاب التلمود تنزع إلى رسم العلاقات التي يلتزمها اليهود مع عالم الأمم أو الغرباء، وإنني من جهة أخرى لا أعرف أحداً يحاول أن يزعزع عقائد اليهود في دينهم إلا كغرض من إغراض التبشير العامة، ولكني أعرف كثيراً من اليهود الذين يعملون على تحطيم يقين الأمم بالديانة المسيحية».

ونستطيع نحن أن نضيف إلى قول شنسترتون أقوالاً كثيرة من قبيلها وفي مثل معناها واستدلالها، فهذا الدولاب الهائل الذي دار على حين فجأة من الآستانة إلى أمريكا إلى أفريقية الجنوبية لتنفيذ البروتوكولات شاهد من شواهد العصبة العالمية التي تعمل باتفاق في الغاية، إن لم تعمل باتفاق في التدبير، وهذه الثقة التي تسمح لصعلوك من صعاليك العصابات أن يهدد سفير الولايات المتحدة ويكلفه أن ينذر حكومته بما سوف يحل بها إذا خالفت هوى العصابة، شاهد آخر من شواهد تلك السطوة العالمية التي تملي أوامر على الرؤساء والوزراء من وراء ستار، وهذه الشهوة «العالمية» التي يلعب بها الصهيونيون لإغراء ضعاف الكتاب شاهد آخر من شواهد أخرى لا تحصى، فلم يترجم كتاب عربي قط لكاتب تناول الصهيونية بما يغضبها في وقت من الأوقات.

ولست أذهب بعيداً وعندي الشواهد من كتبي التي ترجمت إلى الفرنسية والإنجليزية، ونشرت فصولاً منها في مجلات مصر وأوربا، فقد توقف طبعها بعد التعب في ترجمتها لأنني كتبت وأكتب ما يفضح السياسة الصهيونية..

وقد تحدثت إلى فتاة من دعاتهم في حضرة صديق بقيد الحياة فجعلت تومئ إلى مسألة الترجمة، وتسألني سؤال العليم المتغابي «عجبي لمثلك كيف لا تكون مؤلفاته منقولة إلى جميع اللغات».

سألتني هذا السؤال وهي فيما أظن لا تصدق أن الشهرة العالمية على جلالة قدرها شيء نستطيع أن نحتقره إذا قام على غير اساسه وأصبح ألعوبة في أيدي السماسرة والدعاة، فقلت لها: «انبلوتارك قد سبقني إلى جواب هذا السؤال».

فعادت تسأل: «وماذا قال؟» قلت: «روى على لسان بطل من أبطال الرومان أنه سئل:لماذا لا يقيمون لك تمثالا بين هذه التماثيل؟ فأجاب سائله: لأن تسألني سؤالك هذا خير من أن تسألني: لماذا أقيم لك هذا التمثال؟».

وأغلب الظن بعد هذا كله على ما ترى أن البروتوكولات من الوجهة التاريخية محل بحث كثير، ولكن الأمر الذي لا شك فيه كما قال شسترفيلد: إن السيطرة الخفية قائمة بتلك البروتوكولات أو بغير تلك البروتوكولات.

(نشرت في جريدة «الأساس» في 1951/11/23).

عباس محمود العقاد

تصدير الطبعة الخامسة للترجمة الإنجليزية

إن نفاد طبعة أخرى أيضاً من هذا الكتاب ليدل على أنه لم ينقص تلهف الناس على استقبال أخبار بروتوكولات صهيون Protocols Of Zion، وأنه ليزداد وضوحاً في كل يوم أن سياسة البروتوكولات الآن تطبق بعنف على الأمميين، لأن حكوماتها كما يفاخر المستر إسرائيل زانجفيل Mr. Israel ZangWill مطوقة باليهود ووكلائهم. وأن العالم مدين للأستاذ سرجي نيلوس

professor Sergyei Nilus بنشر هذا الكتاب المفزع. وهكذا بينما روسيا تتخذ ضحية لبغضاء اليهودية الخالدة، ويقع عليها اختيار حكماء صهيون لتكون عبرة الانتقام اليهودي فإن روسيا كذلك تكشف مدى الخطر الذي أيقظ العالم. وإن العالم لمدين لشجاعة هذا الابن الحق لروسيا الحقيقية، ولعزمه ووفائه، بأن كشفت الآن اليد الخفية Hidden Hand حتى جلدها ومخالبها، وإن الفوضى والعماء chaos الذي يطبق على كل مكان هنا ليجد في هذا الكتاب غايته وسببه واضحين.

على كل قارئ أن يدرس المقدمة والتعقيب اللذين قدمهما لنا نيلوس نفسه، ولا سيما التعقيب وصلته بالبروتوكول الثالث الذي يكشف خطوات الأفعى الرمزية sympolic Serpent في التفافها القاتل حول أوروبا. وأن حسرة الكاتب البالغة على مصير بلاده المحبوبة (روسيا) الذي كان يوشك أن يحل بها، والذي حاول هو سدى أن يتفاداه لا يمكن أن تخيب في أن تزلزل عواطف كل قارئ يشعر شعوره، وهي تنفذ إلى أعماق فؤاده.

ويجب وجوباً أن نستحضر في عقولنا أن الأستاذ نيلوس قد نشر البروتوكولات أولاً في سنة 1902 وأن الطبعة التي أخذت ترجمتنا عنها قد نشرت سنة 1905، وأن النسخة ذاتها التي اتخذناها في الترجمة هي الآن في المتحف البريطاني مختوماً عليها تاريخ تسلمها وهو 10 أغسطس سنة 1906، أنه لا يمكن تفنيد هذه التواريخ التي تبرهن على أن الحرب العالمية، وصلب روسيا، والاضرابات، والثورات، والاغتيالات قد حدثت جميعاً «وفق خطة». كما تبرهن على أن تلك الخطة لم تكن خطة ألمانيا ولا خطة إنجلترا ولا أية أمة أخرى إلا أمة اليهودية بلغتها السرية اليد الخفية The hidden Hand التي كشف عنها الآن بعد أمد طويل في البروتوكولات التي لا حاجة

بنا إلى القول بأنها لم يقصد منها أن تراها عيون الأمميين (غير اليهود).

ويزعم اليهود، ضرورة أن البرتوكولات زور، ولكن الحرب العظمى ليست زوراً، ولا مصير روسيا زوراً، وبهذين الأمرين تنبأ حكماء صهيون منذ أمد طويل يرجع إلى سنة 1901.

إن الحرب العظمى لم تكن حرباً ألمانية بل إنها مكيدة دبرتها اليهودية، وقتال بسبب اليهود على تبادل ذخائر العالم، لقد كان اليهود هم الذين سخروا كل قواد الجيش وكل قواد الأساطيل، وأن بيانات معركة جتلاند Jutland Battle ونتيجتها لتقدم مثلاً واحداً صغيراً يبين كيف قاد اليهود الحرب سواء في البر أو البحر، وكيف حازوا «مغانم» الحرب لليهود، وكيف أنهم حصلوا على سلطة القيادة والتوجيه على كل المتحاربين من أجل اليهود.

أيها القارئ: ان نشر هذا الكتاب ليلقي عليك مسئولية كبيرة.

«لندن» أغسطس سنة 1921

البريطان

مقدمة الأستاذ سرجي نيلوس

أول ناشر للبروتوكولات بالروسية

كيف ظهرت البروتوكولات للعالم

لقد تسلمت من صديق شخصي هو الآن ميت مخطوطاً يصف بدقة ووضوح عجيبين خطة وتطوراً لمؤامرة عالمية مشؤومة، موضوعها الذي تشمله هو جر العالم الحائر إلى التفكك والانحلال المحتوم.

هذه الوثيقة وقعت في حوزتي منذ أربع سنوات (1901)، وهي بالتأكيد القطعي صورة حقة في النقل من وثائق أصلية سرقتها سيدة فرنسية من

أحد الأكابر ذوي النفوذ والرياسة السامية من زعماء الماسونية الحرة Freonasoary وقد تمت السرقة في نهاية اجتماع سري بهذا الرئيس في فرنسا حيث وكر «المؤتمر الماسوني اليهودي jewish masonie conspiracy.

وللذين يريدون أن يروا ويسمعوا، أخاطر بنشر هذا المخطوط تحت عنوان «بروتوكولات حكماء صهيون» وبالتفرس المبدئي خلال هذه المذكرات قد تشعرنا «بما نشعر به أمام ما نسميه عادة «الحقائق المسلمة truisms» إنها تظهر في هيئة الحقائق المألوفة كثيراً أو قليلاً، وان عبر عنها بحدة وبغضاء لا تصاحبان عادة الحقائق المألوفة، فبين سطورها تتأجج بغضاء دينية، وعنصرية عميقة الغور متغطرسة قد خبئت بنجاح أمداً طويلاً، وأنها لتجيش وتفيض، كما هو واقع، من أناء طافح بالغضب والنقمة، مدرك تمام الإدراك أن نصره النهائي قريب.

ونحن لا نستطيع أن نغفل الإشارة إلى أن عنوانها لا ينطبق تماماً على محتوياتها، فهي ليست على وجه التحديد مضابط جلسات بل هي تقرير وضعه شخص ذو نفوذ، وقسمه أقساماً ليست مطردة اطراداً منطقية على الدوام. وهي تحملنا على الإحساس بأنها جزء من عمل أخطر وأهم، بدايته مفقودة. وإن كان أصل كل هذه الوثائق السالف ذكرها يعبر هنا عن نفسه بوضوح.

ووفق تنبؤات الآباء القديسين Holy Fathers لابد أن تكون دائماً أعمال أعداء المسيح محاكاة لحياة المسيح، ولا بد أن يكون لهم خائنهم غير أن خائنهم، من وجهة نظر دنيوية، يظفر بغاياته طبعاً، وإذن فمن المؤكد أن ينتصر «الحاكم العالمي» انتصاراً كاملاً، لكن لفترة وجيزة. وهذه الإشارة إلى كلمات وسولوفيف W. Soloviev لا يقصد به أن تتخذ برهاناً على سندهم authority العلمي، فالعلم من وجهة النظر الأخروية eschatological لا

مكان له، والجانب المهم هو القضاء والقدر. ان سولوفيف يعطينا التسيج CAUVAS والمخطوط المعروض امامنا سيقوم بالتطريز embroidery. وقد نكون ملومين حقاً على التشكك في طبيعة هذه الوثيقة، غير أنه لو أمكن البرهان على هذه المؤامرة العالمية الواسعة بخطابات أو تصريحات من شهود عيان، وأمكن أن يكشف قناع زعمائها وهم ممسكون بخيوطها الدموية إذن لكشفنا بهذه الواقعة الحقة «أسرار الظلم» ولكن لكي تحقق المؤامرة نفسها يجب أن تبقى سرّاً حتى يوم تجسدها في «ابن الفناء».

إننا لا نستطيع البحث عن براهين مباشرة في مشكلات الخطط الإجرامية التي أمامنا، ولكن علينا أن نقنع بالبينات العريضة أو القرائن. وإن مثلها ليملأ عقل كل متأمل مسيحي غيور إن المكتوب في هذا الكتاب ينبغي أن يقنع «من لهم آذان للسمع» لما فيه من وضوح، ولأنه مقدم إليهم بقصد حثهم على حماية أنفسهم، إذ الوقت متسع لهذه الحماية، حتى يكونوا على حذر.

إن ضميرنا سيكون راضياً إذا وصلنا بفضل الله إلى هذا الغرض الأهم من تحذير العالم الأممي (غير اليهودي) دون إثارة الحقد في قلبه ضد شعب إسرائيل الأعمى. ونحن نثق بأن الأمميين لن يضمروا مشاعر الكراهية ضد جمهور إسرائيل المؤمن خطأ ببراءة الخطيئة الشيطانية لزعمائه من الكتبة والفريسيين Pharisees الذين برهنوا مرة قبل ذلك على أنهم هم أنفسهم سبب ضلال إسرائيل وإذا نحينا جانباً نقمة الله من الظالمين لم تبق إلا وسيلة واحدة: هي اتحاد المسيحيين جميعاً في سيدنا يسوع المسيح والفناء الشامل فيه مستغفرين لأنفسنا وللآخرين.

ولكن أهذا ممكن مع حالة العالم الضالة الآن؟ إنه مستحيل مع سائر

العالم، ولكنه ممكن مع حالة روسيا المؤمنة فالظروف السياسية الحاضرة للدول الأوروبية الغربية والأقطار التابعة لها في الجهات الأخرى قد تنبأ بها أمير الحواريين Prince Of Apostles.

إن النوع البشري في استرواحه espiration لإكمال حياته الأرضية وبحثه عن مملكة الاكتفاء العام التي تحقق المثل الأعلى للحياة الإنسانية قد غير اتجاه مثله بدعوى أن الإيمان المسيحي كاذب قطعاً، وأنه لا يحقق الآمال المعلقة عليه. وأن العالم الذي حطم معبوداته السابقة وخلق معبودات جديدة، وأقام آلهة جديدة على قواعدها إنما يبني لهذه الآلهة الجديدة هياكل: كل منها أعظم فخفخة، وأكبر فخامة من الآخر، ثم يعود فينكسه ويدمره.

إن النوع البشري قد فقد الفهم الصحيح للسلطة التي منحها الملوك المسحاء من الله، وهو يقترب من حالات الفوضى. وسرعان ما تبلى بلى تامّاً ضوابط الموازين الجمهورية والدستورية، وستنهار هذه الموازين، وستجر معها في انهيارها كل الحكومات إلى أغوار هاوية الفوضى المتلفة.

إن آخر حصن للعالم، وآخر ملجأ من العاصفة المقبلة هو روسيا. فإيمانها لا يزال حيّاً، وإمبراطورها المسيح لا يزال قائماً كحاميها المؤكد.

إن كل جهود الهدم من جانب أعداء المسيح اليساريين Sinistors الظاهرين وعماله الفطناء الأغبياء مركزة على روسيا. والأسباب مفهومة والغايات معلومة، فيجب أن تكون معروفة لروسيا المتدينة المؤمنة.

وإن اللحظة التاريخية المقبلة أعظم وعيداً، وإن الأحداث المقتربة وهي مقنعة بالغيوم الكثيفة أشد هولاً، فيجب أن يضرب الروسيون ذوو القلوب الجريئة الباسلة بشجاعة عظيمة، وتصميم جبار، وينبغي أن يعقدوا أيديهم

بشجاعة حول لواء كنيستهم المقدس، وحول عرش إمبراطورهم. وطالما الروح تحيا، والقلب الجياش يخفق في الصدر فلا مكان لطيف اليأس القاتل. ولكننا نعتمد على أنفسنا وعلى ولائنا وإيماننا، لنظفر برحمة الله القادر Almighty، ولنؤجل ساعة انهيار روسيا (1905).

تعقيب للأستاذ سرجي نيلوس

هذه الوثائق قد انتزعت خلسة من كتاب ضخم فيه محاضر خطب. وقد وجدها صديقي في مكاتب بمركز قيادة جمعية صهيون القائم الآن في فرنسا.

إن فرنسا قد أجبرت تركيا على منح امتيازات لجميع المدارس والمؤسسات الدينية لكل الطوائف: ما دامت هذه المدارس والمؤسسات خاضعة لحماية الدبلوماسية في آسيا الصغرى.

ولا ريب أن هذه الامتيازات لا تتمتع بها المدارس والمؤسسات الكاثولوليكية التي طردتها من فرنسا حكومتها السابقة. هذه الحقيقة تثبت بلا ريب أن دبلوماسية المدارس الدريفوسية Dreyfus لا تهتم إلا بحماية مصالح صهيون. وإنها تعمل على استعمار آسيا الصغرى باليهود الفرنسيين. إن صهيون تعرف دائماً كيف تحرز النفوذ لنفسها عن طريق ما يسميهم التلمود «البهائم العاملة» التي يشير بها إلى جميع الأمميين.

ويستفاد من الصهيونية اليهودية السرية أن سليمان والعلماء من قبل قد فكروا سنة 929 ق.م. في استنباط مكيدة لفتح كل العالم فتحاً سلميّاً لصهيون.

وكانت هذه المكيدة تنفذ خلال تطورات التاريخ بالتفصيل، وتكمل على أيدي رجال دربوا على هذه المسألة. هؤلاء الرجال العلماء صمموا على

فتح العالم بوسائل سلمية مع دهاء الأفعى الرمزية التي كان رأسها يرمز إلى المتفقهين في خطط الإدارة اليهودية، وكان جسم الأفعى يرمز إلى الشعب اليهودي وكانت الإدارة مصونة سرّاً عن الناس جميعاً حتى الأمة اليهودية نفسها. وحالما نفذت هذه الأفعى في قلوب الأمم التي اتصلت بها سريت من تحتها، والتهمت كل قوة غير يهودية في هذه الدول. وقد سبق القول بأن الأفعى لا بد أن عملها معتصمة اعتصاماً صارماً بالخطة الموسوية حتى يغلق الطريق الذي تسعى فيه بعودة رأسها إلى صهيون، وحتى تكون الأفعى بهذه الطريقة قد أكملت التفافها حول أوروبا وتطويقها إيهاها، وتكون لشدة تكبيلها أوروبا قد طوقت العالم أجمع. وهذا ما يتم إنجازه باستعمال كل محاولة لاخضاع البلاد الأخرى بالفتوحات الاقتصادية.

إن عودة رأس الأفعى إلى صهيون لا يمكن أن تتم إلا بعد أن تنحط قوى كل ملوك أوروبا، أي حينما تكون الأزمات الاقتصادية ودمار تجارة الجملة قد أثرا في كل مكان. هناك ستمهد السبيل لإفساد الحماسة والنخوة والانحلال الأخلاقي وخاصة بمساعدة النساء اليهوديات المتنكّرات في صور الفرنسيات والإيطاليات ومن إليهن. إن هؤلاء النساء أضمن ناشرات للخلاعة والتهتك في حيوات Lives المتزعمين على رؤوس الأمم.

والنساء في خدمة صهيون يعملن كأحابيل ومصايد لمن يكونون بفضلهن في حاجة إلى المال على الدوام. فيكونون لذلك دائماً على استعداد لأن يبيعوا ضمائرهم بالمال. وهذا المال ليس إلا مقترضاً من اليهود، لأنه سرعان ما يعود من طريق هؤلاء النسوة أنفسهن إلى أيدي اليهود الراشين، ولكن بعد أن اشترى عبيداً لهدف صهيون من طريق هذه المعاملات المالية.

وضروري لمثل هذا الإجراء أن لا يرتاب الموظفون العموميون ولا الأفراد

الخصوصيون في الدور الذي تعلبه النسوة اللاتي تسخرهن يهود، ولذلك أنشأ الموجهون لهدف صهيون كما قد وقع فعلاً هيئة دينية: قوامها الأتباع المخلصون للشريعة الموسوية وقوانين التلمود، وقد اعتقد العالم كله أن حجاب شريعة موسى هو القانون الحقيقي لحياة اليهود، ولم يفكر أحد في أن يمحص أثر قانون الحياة هذا، ولا سيما أن كل العيون كانت موجهة نحو الذهب الذي يمكن أن تقدمه هذه الطائفة، وهو الذي يمنح هذه الطائفة الحرية المطلقة في مكايدها الاقتصادية والسياسية.

وقد وضح رسم طريق الأفعى الرمزية كما يلي:

كانت مرحلتها الأولى في أوروبا سنة 429 ق. م. في بلاد اليونان حيث شرعت الأفعى أولاً في عهد بركليس Percles تلتهم قوة تلك البلاد.

وكانت المرحلة الثانية في روما في عهد أغسطس Augustus حوالي سنة 69 ق. م.

والثالثة في مدريد في عهد تشارلس الخامس Charles سنة 1552م.

والرابعة في باريس حوالي 1700 في عهد الملك لويس السادس عشر.

والخامس في لندن سنة 1814 وما تلاها (بعد سقوط نابليون).

والسابعة في سان بطرسبرج الذي رسم فوقها رأس الأفعى تحت تاريخ 1881.

كل هذه الدول التي اخترقتها الأفعى قد زلزلت أسس بيانها، وألمانيا مع قوتها الظاهرة لا تستثنى من هذه القاعدة. وقد أبقي على إنجلترا وألمانيا من النواحي الاقتصادية، ولكن ذلك موقوت ليس إلا، إلى أن يتم للأفعى قهر روسيا التي قد ركزت عليها جهودها في الوقت الحاضر والطريق المستقبل للأفعى غير ظاهر على هذه الخريطة، ولكن السهام تشير إلى حركتها التالية

نحو موسكو وكييف وأودسا.

ونحن نعرف الآن جيداً مقدار أهمية المدن الخيرة من حيث هي مراكز للجنس اليهودي المحارب. وتظهر القسطنطينية كأنها المرحلة الأخيرة لطريق الأفعى قبل وصولها إلى أورشليم. ولم تبق أمام الأفعى إلا مسافة قصيرة حتى تستطيع إتمام طريقها بضم رأسها إلى ذيلها.

ولكي تتمكن الأفعى من الزحف بسهولة في طريقها، اتخذت صهيون الإجراءات الآتية لغرض قلب المجتمع وتأليب الطبقات العاملة نظم الجنس اليهودي أولاً إلى حد أنه لن ينفذ إليه أحد، وبذلك لا تفشي أسراره. ومفروض ان الله نفسه قد وعد اليهود بأنهم مقدر لهم أزلاً أن يحكموا الأرض كلها في هيئة مملكة صهيون المتحدة، وقد أخبرهم بأنهم العنصر الوحيد الذي يستحق أن يسمى إنسانيّاً. ولم يقصد من كل من عداهم إلا أن يطلقوا «حيوانات عاملة» وعبيداً لليهود، وغرضهم هو إخضاع العالم، وإقامة عرش صهيون على الدنيا see sanh. 91.21.1051 وقد تعلم اليهود أنهم فوق الناس وأن يحفظوا أنفسهم في عزلة عن الأمم الأخرى جمّيعاً وقد أوصت هذه النظريات إلى اليهودي فكرة المجد اليهود فكرة المجد الذاتي لعتصرهم، بسبب أنهم أبناء الله حقّاً (see jihal J 97:1.sanh J 58، 2)

وقد وطدت الطريقة الاعتزالية لحياة جنس صهيون توطيداً تامّاً نظام «الكاغال Kaghal» الذي يحتم على كل يهودي مساعدة قريبه، غير معتمد على المساعدة التي يتلقاها من الإدارات المحلية التي تحجب حكومة صهيون عن أعين إدارات الدول الأممية التي تدافع دائماً بدورها دفاعاً حماسيّاً عن الحكومة اليهودية الذاتية، ناظرين إلى اليهود خطأ كأنهم طائفة دينية محضة، وهذه الأفكار المشار إليها قبل وهي مقررة بين اليهود قد أثرت

تأثيراً هامّاً في حياتهم المادية. فحينما نقرأ هذه الكتب مثل:

«Gopayon»14، Page1; «Eben _Gaizar، » Page 81;

xxxv1. Ebamot، »98;»xxv. Ketubat، »36.

«xxxvl. Pandrip» 746;»xxx Kadushih، »68 A.

وهذه كلها مكتوبة لتمجيد الجنس اليهودي ترى أنها في الواقع تعامل الأمميين (غير اليهود) كما لو كانوا حيوانات لم تخلق إلا لتخدم اليهود. وهم يعتقدون أن الناس وأملاكهم بل حيواناتهم ملك لليهود، وأن الله رخص لشعبه المختار أن يسخرهم فيما يفيده كما يشاء.

وتقرر شرائع اليهود أن كل المعاملات السيئة للأمميين في رأس سنتهم الجديدة، كما يمنحون في اليوم ذاته أيضاً العفو عن الخطايا التي سيرتكبونها في العام القادم.

وقد عمل زعماء اليهود كأنهم «وكلاء استفزاز» في الحركات المعادية للسامية Anti- Semitism بسماحهم للأمميين أن يكتشفو بعض أسرار التلمود، لكي يثير هؤلاء الزعماء بغضاء الشعب اليهودي ضد الأمميين.

وكانت تصريحات عداوة السامية مفيدة لقادة اليهود، لأنها خلقت الضغينة في قلوب الأمميين نحو الشعب الذي كان يعامل في الظاهر معاملة سيئة، مع أن أهواءهم كانت مسجلة في جانب صهيون.

وعداوة السامية Anti-Semitism والتي جرت الاضطهاد على الطبقات الدنيا من اليهود. قد ساعدت قادتهم على ضبط أقاربهم وإمساكهم إياهم في خضوع. وهذا ما استطاعوا لزاماً أن يفعلوه لأنهم دائماً كانوا يتدخلون في الوقت المناسب لإنقاذ شعبهم الموالي لهم. وليلاحظ أن قادة اليهود لم

يصابوا بنكبة قط من ناحية الحركات المعادية للسامية، لا في ممتلكاتهم الشخصية ولا مناصبهم الرسمية في إدارتهم.

وليس هذا بعجيب ما دام هؤلاء الرؤوس أنفسهم قد وضعوا «كلاب الصيد المسيحية السفاكة» ضد اليهود الأذلاء. فمكنتهم كلاب الصيد السفاكة من المحافظة على قطعانهم، وساعدت بذلك على بقاء تماسك صهيون.

واليهود فيما يرون أنفسهم قد وصلوا فعلاً إلى حكومة عليا تحكم العالم جميعاً، وهم الآن يطرحون أقنعتهم عنهم بعيداً.

ولا ريب في أن القوة الفاتحة الغازية الرئيسية لصهيون تكمن دائماً في ذهبهم، وهم لذلك إنما يعملون ليعطوا هذا الذهب قيمة.

ولا يعلل سعر الذهب المرتفع إلا بتداول الذهب خاصة، ولا يعلل تكدسه في أيدي صهيون إلا بأن اليهود قادرون على الربح من كل الأزمات الدولية الاقتصادية. كي يحتكروا الذهب، وهذا ما يبرهن عليه تاريخ أسرة روتشيلد Rothschild المنشور في باريس في «الليبر بارول Libre Parole».

وقد توطنت سيطرة الرأسمالية عن طريق هذه الأزمات تحت لواء مذهب التحررية Liberalism، كما حميت بنظريات اقتصادية واجتماعية مدروسة دراسة ماهرة، وقد ظفر شيوخ صهيون بنجاح منقطع النظير بإعطائهم هذه النظريات مظهراً علميّاً.

وإن قيام نظام التصويت السري قد أتاح لصهيون فرصة لتقديم قوانين تلائم أغراضها عن طريق الرشوة. وإن الجمهورية هي صورة الحكومة الأممية التي يفضلها اليهود من أعماق قلوبهم، لأنهم يستطيعون مع الجمهورية أن يتمكنوا من شراء أغلبية الأصوات بسهولة عظمى، ولأن النِّظَّام الجمهوري يمنح وكلاءهم وجيش الفوضويين التابعين لهم حرية غير محدودة. ولهذا

السب يعضد اليهود مذهب التحررية على حين كان الأمميون الحمقى الذين أفسد اليهود عقولهم يجهلون هذه الحقيقة الواضحة من قبل، وهي أنه ليست الحرية مع الجمهورية أكثر منها مع الأوتوقراطية والأمر بالعكس، ففي الجمهورية يقوم الضغط على الأقلية عن طريق الرعاع، وهذا ما يحرص عليه دائماً وكلاء صهيون.

وصهيون، حسب إشارة منتفيوري Montefiore لا تدخر مالاً ولا وسيلة أخرى للوصل إلى هذه الغايات. وفي أيامنا هذه تخضع كل الحكومات في العالم عن وعي أو عن غير وعي لأوامر تلك الحكومة العليا العظيمة: حكومة صهيون، لأن كل وثائقها في حوزة حكومة صهيون، وكل البلاد مدينة لليهود إلى حد أنها لا تستطيع إطلاقاً أن تسدد ديونها. إن كل الصناعة والتجارة وكذلك الدبلوماسية في أيدي صهيون. وعن طريق رؤوس أموالها قد استعبدت كل الشعوب الأممية. وقد وضع اليهود بقوة التربية القائمة على أساس مادي سلاسل ثقيلة على كل الأمميين، وربطوهم بها إلى حكومتهم العليا.

. ونهاية الحرية القومية في المتناول، ولذلك ستشير الحرية الفردية أيضاً إلى نهايتها، لأن الحرية الصحيحة لا يمكن أن تقوم حيث قبضة المال تمكن صهيون من حكم الرعاع، والتسلط على الجزء الأعلى قدراً، والأعظم عقلاً في المجتمع.».من لهم آذان للسمع فليسمعوا».

قريباً ستكون قد مضت أربع سنوات منذ وقعت في حوزتي «بروتوكولات حكماء صهيون» ولا يعلم إلا الله وحده كم كانت المحاولات الفاشلة التي بذلتها لإبراز هذه البروتوكولات إلى النور، أو حتى لتحرير أصحاب السلطان، وأن أكشف لهم عن أسباب العاصفة التي تتهدد روسيا البليدة التي يبدو من سوء الحظ فقدت تقديرها لما يدور حولها.

والآن فحسب قد نجحت بينما أخشى أن يكون قد طال تأخري في نشر عملي على أمل أني قد أكون قادراً على إنذار أولئك الذين لا يزالون ذوي آذان تسمع، وأعين ترى.

لم يبق هناك مجال للشك، فإن حكم إسرائيل المنتصر يقترب من عالمنا الضال بكل ما للشيطان من قوة وارهاب، فإن الملك المولود من دم صهيون عدو المسيح قريب من عرش السلطة العالمية.

إن الأحداث في العالم تتدفع بسرعة مخيفة: فالمنازعات، والحروب، والاشعاعات، والأوبئة والزلازل والأشياء التي لم تكن أمس إلا مستحيلة قد صارت اليوم حقيقة ناجزة. إن الأيام تمضي مندفعة كأنها تساعد الشعب المختار ولا وقت هناك للتوغل بدقة خلال تاريخ الإنسانية من وجهة نظر «أسرار الظلم» المكشوفة، ولا للبرهة تاريخاً على السلطان الذي أحرزه «حكماء صهيون» كي يجلبوا نكبات على الإنسانية، ولا وقت كذلك للتنبؤ بمستقبل البشرية المحقق المقترب الآن ولا للكشف عن الفصل الأخير من مأساة العالم.

ان نور المسيح Light Of Christ منفرداً «ونور كنيسته العالمية المقدسة His Holy Universal Church هما اللذان يستطيعان أن ينفذا خلال الأغوار الشيطانية، ويكشفا مدى ضلالها، إني لأشعر في قلبي بأن الساعة قد دقت لدعوة المجمع المسكوني الثامن Eighth Ecumenical Council فيجتمع فيه رعاة الكنائس وممثلو المسيحية عامة، ناسين المنازعات التي مزقتهم طوال قرون كثيرة كي يقابلوا مقدم أعداء المسيح.

النصوص الكاملة لبروتوكولات حكماء صهيون

بروتوكولات حكماء صهيون عن الطبعة الإنجليزية

اعتمد الباحث على ترجمة محمد خليفة التونسي لنصوص البروتوكولات التي توافق نصوص الطبعة الإنجليزية.

البروتوكول الأول:

سنكون صرحاء، ونناقش دلالة كل تأمل، ونصل إلى شروح وافية بالمقارنة والاستنباط، وعلى هذا المنهج سأعرض فكرة سياستنا وسياسة الجوييم Goys (وهذا هو التعريف اليهودي لكل الأمميين Gentiles).

يجب أن يلاحظ أن ذوي الطبائع الفاسدة من الناس أكثر عدداً من ذوي الطبائع النبيلة. وإذن خير النتائج في حكم العالم ما ينتزع بالعنف والإرهاب، لا بالمناقشات الأكاديمية academic. كل إنسان يسعى إلى القوة، وكل واحد يريد أن يصير دكتاتوراً، على أن يكون ذلك في استطاعته. وما أندر من لا ينزعون إلى إهدار مصالح غيرهم توصلاً إلى أغراضهم الشخصية. مذ كبح الوحوش المفترسة التي نسميها الناس عن الافتراس؟ وماذا حكمها حتى الآن؟ لقد خضعوا في الطور الأول من الحياة الاجتماعية للقوة الوحشية العمياء، ثم خضعوا للقانون، وما القانون في الحقيقة إلا هذه القوة ذاتها مقنعة فحسب. وهذا يتبدى بنا إلى تقرير أن قانون الطبيعة هو: الحق يكمن في القوة.

إن الحرية السياسية ليست حقيقة، بل فكرة. ويجب أن يعرف الإنسان كيف يسخر هذه الفكرة عندما تكون ضرورية، فيتخذها طعماً لجذب العامة

إلى صفه، إذا كان قد قرر أن ينتزع سلطة منافس له. وتكون المشكلة يسيرة إذا كان هذا المنافس موبوءاً بأفكار الحرية FREEDOM التي تسمى التحررية Liberalism، ومن أجل هذه الفكرة يتخلى عن بعض سلطته.

وبهذا سيصير انتصار فكرتنا واضحاً، فإن أزمة الحكومة المتروكة خضوعاً لقانون الحياة ستقبض عليها يد جديدة. وما على الحكومة الجديدة إلا أن تحل محلا القديمة التي أضعفتها التحررية، لأن قوة الجمهور العمياء لا تستطيع البقاء يوماً واحداً بلا قائد.

لقد طغت سلطة الذهب على الحكام المتحررين Fiberal ولقد مضى الزمن الذي كانت الديانة فيه هي الحاكمة، وان فكرة الحرية لا يمكن أن تتحقق، إذ ما من أحد يستطيع استعمالها استعمالاً سديداً.

يكفي أن يعطي الشعب الحكم الذاتي فترة وجيزة، لكي يصير هذا الشعب رعايا بلا تمييز، ومنذ تلك اللحظة تبدأ المنازعات والاختلافات التي سرعان ما تتفاقم، فتصير معارك اجتماعية، وتندلع النيران في الدول ويزول أثرها كل الزوال. وسواء أنهكت الدول الهزاهز الداخلية أم أسلمتها الحروب الأهلية إلى عدو خارجي، فانها في كلتا الحالتين تعد قد خربت نهائياً كل الخراب وستقع في قبضتنا. وإن الاستبداد المالي والمال كله في أيدينا سيمد إلى الدولة عوداً لا مفر لها من التعلق به، لأنها إذا لم تفعل ذلك ستغرق في اللجة لا محالة.

ومن يكن متأثراً ببواعث التحررية فتخالجه الإشارة إلى أن بحوثاً من هذا النمط منافية للأخلاق، فسأسأله هذا السؤال: لماذا لا يكون منافياً للأخلاق لدى دولة يتهددها عدوان: أحدهما خارجي، والآخر داخلي إن تستخدم وسائل دفاعية ضد الأول تختلف عن وسائلها الدفاعية ضد الآخر،

وأن تضع خطط دفاع سرية، وأن تهاجمه في الليل أو بقوات أعظم؟.

ولماذا يكون منافياً للأخلاق لدى هذه الدولة أن تستخدم هذه الوسائل ضد من يحطم أسس حياتها وأسس سعادتها؟.

هل يستطيع عقل منطقي سليم أن يأمل في حكم الغوغاء حكماً ناجحاً باستعمال المناقشات والمجالات، مع أنه يمكن مناقضة مثل هذه المناقشات والمجادلات بمناقشات أخرى، وربما تكون المناقشات الأخرى مضحكة غير أنها تعرض في صورة تجعلها أكثر إغراء في الأمة لجمهرتها العاجزة عن التفكير العميق، والهائمة وراء عواطفها التافهة وعاداتها وعرفها ونظرياتها العاطفية.

إن الجمهور الغر الغبي، ومن ارتفعوا من بينه، لينغمسون في خلافات حزبية تعوق كل إمكان للاتفاق ولو على المناقشات الصحيحة، وإن كان كل قرار للجمهور يتوقف على مجرد فرصة، أو أغلبية ملفقة تجيز لجهلها بالأسرار السياسية حلولا سخيفة فتبرز بذور الفوضى في الحكومة.

إن السياسة لا تتفق مع الأخلاق في شيء. والحاكم المقيد بالأخلاق ليس بسياسي بارع، وهو لذلك غير راسخ على عرشه.

لابد لطالب الحكم من الالتجاء إلى المكر والرياء، فإن الشمائل الإنسانية العظيمة من الإخلاص، والأمانة تصير رذائل في السياسة، وأنها تبلغ في زعزعة العرش أعظم مما يبلغه ألد الخصوم. هذه الصفات لابد أن تكون هي خصال البلاد الأممية (غير اليهودية) ولكننا غير مضطرين إلى أن نقتدي بهم على الدوام.

إن حقنا يكمن في القوة. وكلمة «الحق» فكرة مجردة قائمة على غير أساس فهي كلمة لا تدل على أكثر من «أعطني ما أريد لتمكنني من أن أبرهن

لك بهذا على أني أقوى منك».

أين يبدأ الحق وأين ينتهي؟ أية دولة يساء تنظيم قوتها، وتنتكس فيها هيبة القانون وتصير شخصية الحاكم بتراء عقيمة من جراء الاعتداءات التحررية المستعمرة فإني أتخذ لنفسي فيها خطّاً جديداً للهجوم، مستفيداً بحق القوة لتحطيم كيان القواعد والنظم القائمة، والإمساك بالقوانين وإعادة تنظيم الهيئات جميعاً. وبذلك أصير دكتاتوراً على أولئك الذين تخلوا بمحض رغبتهم عن قوتهم، وأنعموا بها علينا.

وفي هذه الأحوال الحاضرة المضطربة لقوى المجتمع ستكون قوتنا أشد من أية قوة أخرى، لأنها ستكون مستورة حتى اللحظة التي تبلغ فيها مبلغاً لا تستطيع معه أن تنسفها أية خطة ماكرة.

ومن خلال الفساد الحالي الذي نلجأ إليه مكرهين ستظهر فائدة حكم حازم يعيد إلى بناء الحياة الطبيعية نظامه الذي حطمته التحررية.

إن الغاية تبرر الوسيلة، وعلينا ونحن نضع خططنا ألا نلتفت إلى ما هو خير وأخلاقي بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضروري ومفيد.

وبين أيدينا خطة عليها خط استراتيجي Strategie موضح. وما كنا لننحرف عن هذا الخط إلا كنا ماضين في تحطيم عمل قرون.

إن من يريد إنفاذ خطة عمل تناسبه يجب أن يستحضر في ذهنه حقارة الجمهور وتقلبه، وحاجته إلى الاستقرار، وعجزه عن أن يفهم ويقدر ظروف عيشته وسعادته. وعليه أن يفهم أن قوة الجمهور عمياء خالية من العقل المميز، وأنه يعير سمعه ذات اليمين وذات الشمال. إذ قاد الأعمى أعمى مثله فيسقطان معاً في الهاوية. وأفراد الجمهور الذين امتازوا من بين الهيئات ولو

كانوا عباقر لا يستطيعون أن يقودوا هيئاتهم كزعماء دون أن يحطموا الأمة.

ما من أحد يستطيع أن يقرأ الكلمات المركبة من الحروف السياسية إلا نشأ تنشئة للملك الأوتوقراطي autocratic وأن الشعب المتروك لنفسه أي للممتازين من الهيئات، لتحطمه الخلافات الحزبية التي تنشأ من التهالك على القوة والأمجاد، وتخلق الهزاهز والفتن والاضطراب.

هل في وسع الجمهور أن يميز بهدوء ودون ما تحاسد، كي يدبر أمور الدولة التي يجب أن لا تقحم معها الأهواء الشخصية؟ وهل يستطيع أن يكون وقاية ضد عدو أجنبي؟ هذا مجال، إن خطة مجزأة أجزاء كثيرة بعدد ما في أفراد الجمهور من عقول لهي خطة ضائعة القيمة، فهي لذلك غير معقولة، ولا قابلة للتنفيذ: إن الأوتوقراطي autoctrat وحده هو الذي يستطيع أن يرسم خططاً واسعة، وإن يعهد بجزء معين لكل عضو في بنية الجهاز الحكومي ومن هنا نستنبط أن ما يحقق سعادة البلاد هو أن تكون حكومتها في قبضة شخص واحد مسئول. وبغير الاستبداد المطلق لا يمكن أن تقوم حضارة، لأن الحضارة لا يمكن أن تروج وتزدهر إلا تحت رعاية الحاكم كائناً من كان، لا بين أيدي الجماهير.

إن الجمهور بربري، وتصرفاته في كل مناسبة على هذا النحو. فما أن يضمن الرعاع الحرية، حتى يمسخوها سريعاً فوضى، والفوضى في ذاتها قمة البربرية.

وحسبكم فانظروا إلى هذه الحيوانات المخمورة alceholised التي أفسدها الشراب، وإن كان لينتظر لها من وراء الحرية منافع لا حصر لها، فهل نسمح لأنفسنا وأبناء جنسنا بمثل ما يفعلون؟.

ومن المسيحيين أناس قد أضلتهم الخمر، وانقلب شبانهم مجانين بالكلاسيكيات Classics والمجون المبكر الذي أغراهم به وكلاؤنا ومعلمونا، وخدمنا، ونساؤنا في أماكن لهوهم وإليهن أضيف من يسمين «نساء المجتمع» والراغبات من زملائهن في الفساد والترف.

يجب أن يكون شعارنا كل «وسائل العنف والخديعة».

إن القوة المحضة هي المنتصرة في السياسية، وبخاصة إذا كانت مقنعة بالألمعية اللازمة لرجال الدولة. يجب أن يكون العنف هو الأساس. ويتحتم أن يكون ماكراً خداعاً حكم تلك الحكومات التي تأبى أن تداس تيجانها تحت أقدام وكلاء agents قوة جديدة. إن هذا الشر هو الوسيلة الوحيدة للوصول إلى هدف الخير. ولذلك يتحتم ألا نتردد لحظة واحدة في أعمال الرشوة والخديعة والخيانة إذا كانت تخدمنا في تحقيق غايتنا.

وفي السياسة يجب أن نعلم كيف نصادر الأملاك بلا أدنى تردد إذا كان هذا العمل يمكننا من السيادة والقوة. إن دولتنا متبعة طريق الفتوح السلمية لها الحق في أن تستبدل بأهوال الحرب أحكام الإعدام، وهي أقل ظهوراً وأكثر تأثيراً، وأنها لضرورة لتعزيز الفرع الذي يولد الطاعة العمياء. إن العنف الحقود وحده هو العامل الرئيسي في قوة العدالة. فيجب أن نتمسك بخطة العنف والخديعة لا من أجل المصلحة فحسب، بل من أجل الواجب والنصر أيضاً.

إن مبادئنا في مثل قوة وسائلنا التي نعدها لتنفيذها، وسوف ننتصر ونستعبد الحكومات جميعاً تحت حكومتنا العليا لا بهذه الوسائل فحسب بل بصرامة عقائدنا أيضاً، وحسبنا أن يعرف عنا أننا صارمون في كبح كل تمرد.

كذلك كنا قديماً أول من صاح في الناس «الحرية والمساواة والأخاء» كلمات ما انفكت ترددها منذ ذلك الحين ببغاوات جاهلة متجمهرة من كل

مكان حول هذه الشعائر، وقد حرمت بترددها العالم من نجاحه، وحرمت الفرد من حريته الشخصية الحقيقية التي كانت من قبل في حمى يحفظها من أن يخنقها السفلة.

إن أدعياء الحكمة والذكاء من الأمميين (غير اليهود) لم يتبينوا كيف كانت عواقب الكلمات التي يلوكونها، ولم يلاحظوا كيف يقل الاتفاق بين بعضها وبعض، وقد يناقض بعضها بعضاً. إنهم لم يروا أنه لا مساواة في الطبيعة، وأن الطبيعة قد خلقت أنماطاً غير متساوية في العقل والشخصية والأخلاق والطاقة. وكذلك في مطاوعة قوانين الطبيعة. إن أدعياء الحكمة هؤلاء لم يتكهنوا ويتنبئوا أن الرعاع قوة عمياء، وأن المتميزين المختارين حكاماً من وسطهم عميان مثلهم في السياسة. فإن المرء المقدور له أن يكون حاكماً ولو كان أحمق يستطيع أن يحكم، ولكن المرء غير المقدور له ذلك ولو كان عبقريّاً أن يفهم شيئاً في السياسة. وكل هذا كان بعيداً عن نظر الأمميين مع أن الحكم الوراثي قائم على هذا الأساس. فقد اعتاد الأب أن يفقه الابن في معنى التطورات السياسية وفي مجراها بأسلوب ليس لأحد غير أعضاء الأسرة المالكة أن يعرفه وما استطاع أحد أن يفشي الأسرار للشعب المحكوم. وفي وقت من الأوقات كان معنى التعليمات السياسية كما تورثت من جيل إلى جيل مفقوداً. وقد أعان هذا الفقد على نجاح أغراضنا.

إن صيحتنا «المساواة والأخاء» قد جلبت إلى صفوفنا فرقاً كاملة من زوايا العالم الأربع عن طريق وكلائنا المغفلين، وقد حملت هذه الفرق ألويتنا في نشوة، بينما كانت هذه الكلمات مثل كثير من الديدان تلتهم سعادة المسيحيين، وتحطم سلامهم واستقرارهم، ووحدتهم، مدمرة بذلك أسس الدول. وقد جلب هذا العمل النصر لنا كما سنرى بعد، فإنه مكننا بين أشياء

أخرى من لعب دور الآس في أوراق اللعب الغالية، أي محق الامتيازات، وبتعبير آخر مكننا من سحق كيان الأرستقراطية الأممية (غير اليهودية) التي كانت الحماية الوحيدة للبلاد ضدنا.

لقد أقمنا على أطلال الارستقراطية الطبيعية والوراثية ارستقراطية من عندنا على أساس بلوقراطي Plutorcatic وعلى العلم الذي يروجه علماؤنا ولقد عاد النصر أيسر في الواقع، فإننا من خلال صلاتنا بالناس الذين لا غنى لنا عنهم ولقد أقمنا الأرستقراطية الجديدة على الثروة التي نتسلط عليها كنا دائماً نحرك أشد أجزاء العقل الإنساني إحساساً، أي نستثير مرض ضحايانا من أجل المنافع، وشرهم ونهمهم، والحاجات المادية للإنسانية وكل واحد من هذه الأمراض يستطيع وحده مستقلاً بنفسه أن يحطم طليعة الشعب وبذلك نضع قوة إرادة الشعب تحت رحمة أولئك الذين سيجردونه من قوة طليعته.

إن تجرد كلمة «الحرية» جعلها قادرة على إقناع الرعاع بأن الحكومة ليست شيئاً آخر غير مدير ينوب عن المالك الذي هو الأمة، وإن في المستطاع خلقعها كقفازين باليين. وإن الثقة بأن ممثلي الأمة يمكن عزلهم قد أسلمت ممثليهم لسلطاننا، وجعلت تعيينهم عملياً في أيدينا.

البروتوكول الثاني:

يلزم لغرضنا أن لا تحدث أي تغييرات أقليمية عقب الحروب، فبدون التعديلات الإقليمية ستتحول الحروب إلى سباق اقتصادي، وعندئذ تتبين الأمم تفوقنا في المساعدة التي سنقدمها، وإن اطراد الأمور هكذا سيضع الجانبين كليهما تحت رحمة وكلائنا الدوليين ذوي ملايين العيون الذين يملكون وسائل غير محدودة على الإطلاق. وعندئذ ستكتسح حقوقنا الدولية كل قوانين العالم، وسنحكم البلاد بالأسلوب ذاته الذي تحكم به الحكومات الفردية رعاياها.

وسنختار من بين العامة رؤساء إداريين ممن لهم ميول العبيد، ولن يكونوا مدربين على فن الحكم، ولذلك سيكون من اليسير أن يمسخوا قطع شطرنج ضمن لعبتنا في أيدي مستشارينا العلماء الحكماء الذين دربوا خصيصاً على حكم العالم منذ الطفولة الباكرة. وهؤلاء الرجال كما علمتهم من قبل قد درسوا علم الحكم من خططنا السياسية، ومن تجربة التاريخ، ومن ملاحظة الأحداث الجارية. والأمميون (غير اليهود) لا ينتفعون بالملاحظات التاريخية المستمرة بل يتبعون نسقاً نظرياً من غير تفكير فيما يمكن أن تكون نتائجه. ومن أجل ذلك لسنا في حاجة إلى أن نقيم للأمميين وزناً.

دعوهم يتمتعوا ويفرحوا بأنفسهم حتى يلاقوا يومهم، أو دعوهم يعيشوا في أحلامهم بملذات وملاهٍ جديدة، أو يعيشوا في ذكرياتهم للأحلام الماضية. دعوهم يعتقدوا أن هذه القوانين النظرية التي أوحينا إليهم بها إنما لها القدر الأسمى من أجلهم. وبتقييد أنظارهم إلى هذا الموضوع، وبمساعدة صحافتنا نزيد ثقتهم العمياء بهذه القوانين زيادة مطردة. إن الطبقات المتعلمة ستختال زهواً أمام أنفسها بعلمها، وستأخذ جزافاً في مزالة المعرفة التي حصلتها من العلم الذي قدمه إليها وكلاؤنا رغبة في تربية عقولنا حسب الاتجاه الذي توخيناه.

لا تتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء. ولاحظوا هنا أن نجاح دارون Darwin وماركسMarx ونيتشه Nietsche وقد رتبناه من قبل. والأمر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الأممي (غير اليهودي) سيكون واضحاً لنا على التأكيد. ولكي نتجنب ارتكاب الأخطاء في سياستنا وعملنا الإداري، يتحتم علينا أن ندرس ونعي في أذهاننا الخط الحالي من الرأي، وهو أخلاق الأمة وميولها. ونجاح نظريتنا هو في موافقتها لأمزجة الأمم التي نتصل بها، وهي لا يمكن أن تكون ناجحة إذا كانت ممارستها العملية

غير مؤسسة على تجربة الماضي مقترنة بملاحظات الحاضر.

إن الصحافة التي في أيدي الحكومة القائمة هي القوة العظيمة التي بها نحصل على توجيه الناس. فالصحافة تبين المطالب الحيوية للجمهور، وتعلن شكاوي الشاكين، وتولد الضجر أحياناً بين الغوغاء. وإن تحقيق حرية الكلام قد ولد في الصحافة، غير أن الحكومات لم تعرف كيف تستعمل هذه القوة بالطريقة الصحيحة، فسقطت في أيدينا، ومن خلال الصحافة أحرزنا نفوذاً، وبقينا نحن وراء الستار، وبفضل الصحافة كدسنا الذهب، ولو أن ذلك كلفنا أنهاراً من الدم. فقد كلفنا التضحية بكثير من جنسنا، ولكن كل تضحية من جانبنا تعادل آلافاً من الأمميين (غير اليهود) أمام الله.

البروتوكول الثالث:

أستطيع اليوم أن أؤكد لكم أننا على مدى خطوات قليلة من هدفنا، ولم تبق إلا مسافة قصيرة كي تتم الأفعى الرمزية Sympolic Serpeni شعار شعبنا دورتها، وحينما تغلق هذه الدائرة ستكون كل دول أوروبا محصورة فيها بأغلال لا تكسر.

إن كل الموازين البنائية القائمة ستنهار سريعاً، لأننا على الدوام نفقدها توازنها كي نبليها بسرعة أكثر، ونمحق كفايتها.

لقد ظن الأمميون أن هذه الموازين، قد صنعت ولها من القوة ما يكفي، وتوقعوا منها أن تزن الأمور بدقة، ولكن القوَّامين عليها أي رؤساء الدول كما يقال مرتبكون بخدمهم الذين لا فائدة لهم منهم، مقودون كما هي عادتهم بقوتهم المطلقة على المكيدة والدس بفضل المخاوف السائدة في القصور.

والملك لم تكن له سبل إلا قلوب رعاياه، ولهذا لم يستطع أن يحصن

نفسه ضد مدبري المكايد والدسائس الطامحين إلى القوة. وقد فصلنا القوة المراقبة عن قوة الجمهور العمياء، فقدت القوتان معاً أهميتهما، لأنهما حين انفصلتا صارتا كأعمى فقد عصاه. ولكي نغري الطامحين إلى القوة بأن يسيئوا استعمال حقوقهم وضعنا القوي: كل واحدة منها ضد غيرها، بأن شجعنا ميولهم التحررية نحو الاستقلال، وقد شجعنا كل مشروع في هذا الاتجاه ووضعنا أسلحة في أيدي كل الأحزاب وجعلنا السلطة هدف كل طموح إلى الرفعة. وقد أقمنا ميادين تشتجر فوقها الحروب الحزبية بلا ضوابط ولا التزامات. وسرعان ما ستنطلق الفوضى، وسيظهر الإفلاس في كل مكان.

لقد مسخ الثرثارون الوقحاء المجالس البرلمانية والإدارية مجالس جدلية. والصحفيون الجريئون، وكتاب النشرات Pamphleteers الجسورون يهاجمون القوى الإدارية هجوماً مستمرّاً. وسوف يهيىء سوء استعمال السلطة تفتت كل الهيئات لا محالة، وسينهار كل شيء صريعاً تحت ضربات الشعب الهائج.

إن الناس مستعبدون في عرق جباههم للفقر بأسلوب أفظع من قوانين رق الأرض. فمن هذا الرق يستطيعون أن يحرروا أنفسهم بطريقة أو بأخرى، على أنه لا شيء يحررهم من طغيان الفقر المطبق. ولقد حرصنا على أن نقحم حقوقاً للهيئات خيالية محضة، فإن كل ما يسمى «حقوق البشر» لا وجود له إلا في المثل التي لا يمكن تطبيقها عمليّاً. ماذا يفيد عاملاً أجيراً قد حنى العمل الشاق ظهره، وضاق بحظه أن نجد ثرثار حق الكلام، أو يجد صحفي حق نشر أي نوع من التفاهات؟ ماذا ينفع الدستور العمال الأجراء اذا هم لم يظفروا منه بفائدة غير الفضلات التي نطرحها إليهم من موائدنا جزاء أصواتهم لانتخاب وكلائنا؟.

إن الحقوق الشعبية سخرية من الفقير، فإن ضرورات العمل اليومي

تقعد به عن الظفر بأية فائدة على شاكلة هذه الحقوق، وكل ما لها هو أن تنأى به عن الأجور المحدودة المستمرة، وتجعله يعتمد على الاضرابات والمخدومين والزملاء.

وتحت حمايتنا أباد الرعاع الأرستقراطية التي عضدت الناس وحميتهم لأجل منفعتهم، وهذه المنفعة لا تنفصل عن سعادة الشعب، والآن يقع الشعب بعد أن حطم امتيازات الأرستقراطية تحت نير الماكرين من المستغلين والأغنياء المحدثين.

إننا نقصد أن نظهر كما لو كنا المحررين للعمال، جئنا لنحررهم من هذا الظلم، حينما ننصحهم بأن يلتحقوا بطبقات جيوشنا من الاشتراكيين والفوضويين والشيوعيين. ونحن على الدوام نتبنى الشيوعية ونحتضنها متظاهرين بأننا نساعد العمال طوعاً لمبدأ الأخوة والمصلحة العامة للإنسانية، وهذا ما تبشر به الماسونية الاجتماعية.

إن الارستقراطية التي تقاسم الطبقات العاملة عملها قد أفادا أن هذه الطبقات العاملة طيبة الغذاء جيدة الصحة قوية الأجسام، غير أن فائدتنا نحن في ذبول الأمميين وضعفهم. وإن قوتنا تكمن في أن يبقى العامل في فقر ومرض دائمين، لأننا بذلك نستبقيه عبداً لإرادتنا، ولن يجد فيمن يحيطون به قوة ولا عزماً للوقوف ضدنا. وإن الجوع سيخول رأس المال حقوقاً على العامل أكثر مما تستطيع سلطة الحاكم الشرعية أن تخول الأرستقراطية من الحقوق.

ونحن نحكم الطوائف باستغلال مشاعر الحسد والبغضاء التي يؤججها الضيق والفقر، وهذه المشاعر هي وسائلنا التي نكتسح بها بعيداً كل من يصدوننا عن سبيلنا.

وحينما يأتي أوان تتويج حاكمنا العالمي سنتمسك بهذه الوسائل نفسها،

أي نستغل الغوغاء كيما نحطم كل شيء قد يثبت أنه عقبة في طريقنا.

لم يعد الأمميون قادرين على التفكير في مسائل العلم دون مساعدتنا. وهذا هو السبب في أنهم لا يحققون الضرورة الحيوية لأشياء معينة سوف نحتفظ بها حين تبلغ ساعتنا أجلها، أعني أن الصواب وحده بين كل العلوم وأعظمها قدراً هو ما يجب أن يعلم في المدارس، وذلك هو علم حياة الإنسان والأحوال الاجتماعية، وكلاهما يستلزم تقسيم العمل، ثم تصنيف الناس فئات وطبقات. وإنه لحتم لازم أن يعرف كل إنسان فيما بعد أن المساواة الحقة لا يمكن أن توجد. ومنشأ ذلك اختلاف طبقات أنواع العمل المتباينة. وأن من يعملون بأسلوب يضر فئة كاملة لا بد أن تقع عليهم مسئولية تختلف أمام القانون عن المسئولية التي تقع على من يرتكبون جريمة لا تؤثر إلا في شرفهم الشخصي فحسب.

إن علم الأحوال الاجتماعية الصحيح الذي لا نسلم أسراره للأمميين سيقنع العالم أن الحرف والأشغال يجب أن تحصر في فئات خاصة كي لا تسبب متاعب إنسانية تنشأ عن تعليم لا يساير العمل الذي يدعي الأفراد إلى القيام به. وإذا ما درس الناس هذا العلم فسيخضعون بمحض إرادتهم للقوى الحاكمة وهيئات الحكومة التي رتبتها. وفي ظل الأحوال الحاضرة للجمهور والمنهج الذي سمحنا له بانتباه يؤمن الجمهور في جهله إيماناً أعمى بالكلمات المطبوعة وبالأوهام الخاطئة التي أوحينا بها إليه كما يجب، وهو يحمل البغضاء لكل الطبقات التي يظن أنها أعلى منه، لأنه لا يفهم أهميه كل فئة. وأن هذه البغضاء ستصير أشد مضاء حيث تكون الأزمات الاقتصادية عالمية بكل الوسائل الممكنة التي في قبضتنا، وبمساعدة الذهب الذي هو كله في أيدينا. وسنقذف دفعة واحدة إلى الشوارع بجموع جرارة من العمال

في أوروبا، ولسوف تقذف هذه الكتل عندئذ بأنفسها إلينا في ابتهاج، وتسفك دماء أولئك الذين تحسدهم لغفلتهما منذ الطفولة، وستكون قادرة يومئذ على انتهاب ما لهم من أملاك. إنها لن تستطيع أن تضرنا، ولأن لحظة الهجوم ستكون معروفة لدينا، وسنتخذ الاحتياطات لحماية مصالحنا.

لقد أقنعنا الأمميين بأن مذهب التحررية سيؤدي بهم إلى مملكة العقل وسيكون استبدادنا من هذه الطبيعة لأنه سيكون في مقام يقمع كل الثورات ويستأصل بالعنف اللازم كل فكرة تحررية من كل الهيئات.

حينما لاحظ الجمهور أنه قد أعطى كل أنواع الحقوق باسم التحرر تصور نفسه أنه السيد، وحاول أن يفرض القوة. وأن الجمهور مثله مثل كل أعمى آخر قد صادف بالضرورة عقبات لا تحصى، ولأنه لم يرغب في الرجوع إلى المنهج السابق وضع عندئذ قوته تحت أقدامنا.

تذكروا الثورة الفرنسية التي نسميها «الكبرى» إن أسرار تنظيمها التمهيدي معروفة لنا جيداً لأنها من صنع أيدينا. ونحن من ذلك الحين نقود الأمم قدماً من خيبة إلى خيبة، حتى إنهم سوف يتبرأون منا، لأجل الملك الطاغية من دم صهيون، وهو المالك الذي نعده لحكم العالم. ونحن الآن كقوة دولية فوق المتناول، لأنه لو هاجمتنا إحدى الحكومات الأممية لقامت بنصرنا أخريات. إن المسيحيين من الناس في خستهم الفاحشة ليساعدوننا على استقلالنا حينما يخرون راكعين أمام القوة، وحينما لا يرثون للضعيف، ولا يرحمون في معالجة الأخطاء، ويتساهلون مع الجرائم، وحينما يرفضون أن يتبينوا متناقضات الحرية، وحينما يكونون صابرين إلى درجة الاستشهاد في تحمل قسوة الاستبداد الفاجر.

إنهم على أيدي دكتاتورييهم الحاليين من رؤساء وزراء ووزراء ليتحملون إسـاءات كانوا يقتلون من أجل أصغرها عشرين ملكاً، فكيف بيان هذه المسائل؟ ولماذا تكون الجماعات غير منطقية على هذا النحو في نظرها إلى الحوادث؟ السبب هو أن المستبدين يقنعون الناس على أيدي وكلائهم بأنهم إذا اساؤوا استعمال سلطتهم ونكبوا الدولة فما اجريت هذه النكبة إلا لحكمة سامية، أي التوصل إلى النجاح من أجل الشعب، ومن أجل الأخاء والوحدة والمساواة الدولية.

ومن المؤكد أنهم لا يقولون لهم: ان هذا الاتحاد لا يمكن بلوغه إلا تحت حكمنا فحسب، ولهذا نرى الشعب يتهم البريء، ويبرئ المجرم، مقتنعاً بأنه يستطيع دائماً أن يفعل ما يشاء. وينشأ عن هذه الحالة العقلية ان الرعاع يحطمون كل تماسك، ويخلقون الفوضى في كل ثنية وكل ركن.

إن كلمة «الحرية» تزج بالمجتمع في نزاع مع كل القوى حتى قوة الطبيعة وقوة الله. وذلك هو السبب في أنه يجب علينا حين نستحوذ على السلطة أن نمحق كلمة الحرية من معجم الإنسانية باعتبار أنها رمز القوة الوحشية الذي يمسخ الشعب حيوانات متعطشة إلى الدماء. ولكن يجب أن نركز في عقولنا أن هذه الحيوانات تستغرق في النوم حينما تشبع من الدم، وفي تلك اللحظة يكون يسيراً علينا أن نسخرها وأن نستعبدها. وهذه الحيوانات إذا لم تعط الدم فلن تنام، بل سيقاتل بعضها بعضاً.

البروتوكول الرابع:

كل جمهورية تمر خلال مراحل متنوعة: أولاها فترة الأيام الأولى لثورة العميان التي تكتسح وتخرب ذات اليمين وذات الشمال. والثانية هي حكم

الغوغاء الذي يؤدي إلى الفوضى، ويسبب الاستبداد. إن هذا الاستبداد من الناحية الرسمية غير شرعي، فهو لذلك غير مسئول. وإنه خفي محجوب عن الأنظار ولكنه مع ذلك يترك نفسه محسوساً به. وهو على العموم تصرف منظمة سرية تعمل خلف بعض الوكلاء، ولذلك سيكون أعظم جبروتاً وجسارة. وهذه القوة السرية لن تفكر في تغير وكلائها الذين تتخذهم ستاراً، وهذه التغييرات قد تساعد المنظمة التي ستكون كذلك قادرة على تخليص نفسها من خدمها القدماء الذين سيكون من الضروري عندئذ متحهم مكافآت أكبر جزاء خدمتهم الطويلة.

من ذا وماذا يستطيع ان يخلع قوة خفية عن عرشها؟ هذا هو بالضبط ما عليه حكومتنا الآن. إن المحفل الماسوني المنتشر في كل أنحاء العالم ليعمل في غفلة كقناع لأغراضنا ولكن الفائدة التي نحن دائبون على تحقيقها من هذه القوة في خطة عملنا وفي مركز قيادتنا ما تزال على الدوام غير معروفة للعالم كثيراً.

يمكن ألا يكون للحرية ضرر، وأن نقوم في الحكومات والبلدان من غير أن تكون ضارة بسعادة الناس، لو أن الحرية كانت مؤسسة على العقيدة وخشية الله، وعلى الأخوة والإنسانية، نقية من أفكار المساواة التي هي مناقضة مناقِضةً مباشرة لقوانين الخلق. والتي فرضت التسليم. إن الناس محكومين بمثل هذا الإيمان سيكونون موضوعين تحت حماية كنائسهم (هيئاتهم الدينية) وسيعيشون في هدوء واطمئنان وثقة تحت إرشاد أئمتهم الروحيين، وسيخضعون لمشية الله على الأرض. وهذا هو السبب الذي يحتم علينا أن ننتزع فكرة الله ذاتها من عقول المسيحيين، أن نضع مكانها عمليات حسابية وضرورية مادية. ثم لكي نحول عقول المسيحيين عن

سياستنا سيكون حتماً علينا أن نبقيهم منهمكين في الصناعة والتجارة، وهكذا ستنصرف كل الأمم إلى مصالحها، ولن تفطن في هذا الصراع العالمي إلى عدوها المشترك. ولكن لكي تزلزل الحرية حياة الأمميين الاجتماعية زلزالاً، وتدمرها تدميراً يجب علينا أن نضع التجارة على أساس المضاربة.

وستكون نتيجة هذا أن خيرات الأرض المستخلصة بالاستثمار لن تستقر في أيدي الأمميين (غير اليهود) بل ستعبر خلال المضاربات إلى خزائننا.

إن الصراع من أجل التفوق، والمضاربة في عالم الأعمال ستخلقان مجتمعاً أنانيّاً غليظ القلب منحل الأخلاق. هذا المجمع سيصير منحلّاً كل الانحلال ومبغضاً أيضاً من الدين والسياسة. وستكون شهوة الذهب رائده الوحيد. وسيكافح هذا المجتمع من أجل الذهب متخذاً اللذات المادية التي يستطيع أن يمده بها الذهب مذهباً أصيلاً. وحينئذ ستنضم إلينا الطبقات الوضعية ضد منافسينا الذين هم الممتازون من الأمميين دون احتجاج بدافع نبيل، ولا رغبة في الثورات أيضاً بل تنفيساً عن كراهيتهم المحضة للطبقات العليا.

البروتوكول الخامس:

ما نوع الحكومة الذي يستطيع المرء أن يعالج بها مجتمعات قد تفشت الرشوة والفساد في كل أنحائها: حيث الغنى لا يتوصل إليه إلا بالمفاجآت الماكرة، ووسائل التدليس، وحيث الخلافات متحكمة على الدوام، والفضائل في حاجة إلى أن تعززها العقوبات والقوانين الصارمة، لا المبادئ المطاعة عن رغبة، وحيث المشاعر الوطنية والدينية مستغفرة في العقائد العلمانية Cosmopolitan.

ليست صورة الحكومة التي يمكن أن تعطاها هذه المجتمعات بحق إلا صورة الاستبداد التي سأصفها لكم.

إننا سننظم حكومة مركزية قوية، لكي نحصل على القوى الاجتماعية لأنفسنا. وسنضبط حياة رعايانا السياسية بقوانين جديدة كما لو كانوا أجزاء كثيرة جدّاً في جهاز. ومثل هذه القوانين ستكبح كل حرية، وكل نزعات تحررية يسمح بها الأمميون (غير اليهود)، وبذلك يعظم سلطاننا فيصير استبداداً يبلغ من القوة أن يستطيع في أي زمان وأي مكان سحق الساخطين المتمردين من غير اليهود.

سيقال إن نوع الاستبداد الذي أقترحه لن يناسب تقدم الحضارة الحالي، غير أني سأبرهن لكم على أن العكس هو الصحيح. إن الناس حينما كانوا ينظرون إلى ملوكهم نظرهم إلى إرادة الله كانوا يخضعون في هدوء لاستبداد ملوكهم. ولكن منذ اليوم الذي أوحينا فيه إلى العامة بفكرة حقوقهم الذاتية أخذوا ينظرون إلى الملوك نظرهم إلى أبناء الفناء العاديين. ولقد سقطت المسحة المقدسة عن رؤوس الملوك في نظر الرعاع، وحينما انتزعنا منهم عقيدتهم هذه انتقلت القوة إلى الشوارع فصارت كالملك المشاع، فاختطفناها. ثم إن من بين مواهبنا الإدارية التي نعدّها لأنفسنا موهبة حكم الجماهير والأفراد بالنظريات المؤلفة بدهاء، وبالعبارات الطنانة، وبسنن الحياة وبكل أنواع الخديعة الأخرى. كل هذه النظريات التي لا يمكن أن يفهمها الأمميون أبداً مبنية على التحليل والملاحظة ممتزجين بفهم يبلغ من براعته ألا يجارينا فيه منافسونا أكثر مما يستطيعون أن يجارونا في وضع خطط للأعمال السياسية والاغتصاب، وأن الجماعة المعروفة لنا لا يمكن أن تنافسنا في هذه الفنون ربما تكون جماعة اليسوعيين Jesuits، ولكنا نجحنا في أن نجعلهم هزواً وسخرية في أعين الرعاع الأغبياء، وهذا مع أنها جماعة ظاهرة بينما نحن أنفسنا باقون في الخفاء محتفظون سرّاً.

ثم ما الفرق بالنسبة للعالم بين أن يصير سيده هو رأس الكنيسة الكاثوليكية، وأن يكون طاغية من دم صهيون؟.

ولكن لا يمكن أن يكون الأمران سواء بالنسبة إلينا نحن «الشعب المختار» قد يتمكن الأمميون فترة من أن يسوسونا ولكنا مع ذلك لسنا في حاجة إلى الخوف من أي خطر ما دمنا في أمان بفضل البذور العميقة لكراهيتهم بعضهم بعضاً، وهي كراهية متأصلة لا يمكن انتزاعها.

لقد بذرنا الخلاف بين كل واحد وغيره في جميع أغراض الأمميين الشخصية والقومية، بنشر التعصبات الدينية والقبلية خلال عشرين قرناً. ومن هذا كله تتقرر حقيقة: هي أن أية حكومة منفردة لن تجد لها سنداً من جاراتها حين تدعوها إلى مساعدتها ضدنا، لأن كل واحدة منها ستظن أن أي عمل ضدنا هو نكبة على كيانها الذاتي.

نحن أقوياء جدّاً، فعلى العالم أن يعتمد علينا وينيب إلينا. وأن الحكومات لا تستطيع أبداً أن تبرم معاهدة ولو صغيرة دون أن نتدخل فيها سرّاً. «بحكمي فليحكم الملوك Per me reges rogunt».

إننا نقرأ في شريعة الأنبياء أننا مختارون من الله لنحكم الأرض، وقد منحنا الله العبقرية، كي نكون قادرين على القيام بهذا العمل. إن كان في معسكر أعدائنا عبقري فقد يحاربنا، ولكن القادم الجديد لن يكن كفؤاً لأيد عريقة كأيدينا.

إن القتال بيننا سيكون ذا طبيعة مقهورة لم ير العالم لها مثيلاً من قبل. والوقت متأخر بالنسبة إلى عباقرتهم. وإن عجلات جهاز الدولة كلها تحركها قوة، وهذه القوة في أيدينا هي التي تسمى الذهب.

وعلم الاقتصاد السياسي الذي محصه علماؤنا الفطاحل قد برهن على

أن قوة رأس المال أعظم من مكانة التاج.

ويجب الحصول على احتكار مطلق للصناعة والتجارة، ليكون لرأس المال مجال حر، وهذا ما تسعى لاستكماله فعلاً يد خفية في جميع أنحاء العالم. ومثل هذه الحرية ستمنح التجارة قوة سياسية، وهؤلاء التجار سيظلمون الجماهير بانتهاز الفرص.

وتجريد الشعب من السلاح في هذه الأيام أعظم أهمية من دفعه إلى الحرب، وأهم من ذلك أن نستعمل العواطف المتأججة في أغراضنا بدلاً من إخمادها وأن نشجع أفكار الآخرين وسنخدمها في أغراضنا بدلاً من إخمادها وأن نشجع أفكار الآخرين ونستخدمها في أغراضنا بدلاً من محوها، إن المشكلة الرئيسية لحكومتنا هي: كيف تضعف عقول الشعب بالانتقاد وكيف تفقدها قوة الإدراك التي تخلق نزعة المعارضة، وكيف تسحر عقول العامة بالكلام الأجوف.

في كل الأزمان كانت الأمم مثلها مثل الأفراد تأخذ الكلمات على أنها أفعال، كأنما هي قانعة بما تسمع، وقلما تلاحظ ما إذا كان الوعد قابلاً للوفاء فعلاً أم غير قابل. ولذلك فإننا رغبة في التظاهر فحسب سننظم هيئات يبرهن أعضاؤها بالخطب البليغة على مساعداتهم في سبيل «التقدم» ويثنون عليها.

وسنزيف مظهراً تحررياً لكل الهيئات وكل الاتجاهات، كما أننا سنضفي هذا المظهر على كل خطبائنا. وهؤلاء سيكونون ثرثارين بلا حد، حتى إنهم سينهكون الشعب بخطبهم، وسيجد الشعب خطابة من كل نوع أكثر مما يكفيه ويقنعه.

ولضمان الرأي العام يجب أولاً أن نحيره كل الحيرة بتغييرات من جميع النواحي لكل أساليب الآراء المتناقضة حتى يضيع الأمميين (غير اليهود) في متاهتهم. وعندئذ سيفهمون أن خير ما يسلكون من طرق هو أن لا يكون

لهم رأي في السياسية: هذه المسائل لا يقصد منها أن يدركها الشعب، بل يجب أن تظل من مسائل القادة الموجهين فحسب. وهذا هو السر الأول.

والسر الثاني وهو ضروري لحكومتنا الناجحة أن تتضاعف وتتضخم الأخطاء والعادات والعواطف والقوانين العرفية في البلاد، حتى لا يستطيع إنسان أن يفكر بوضوح في ظلامها المطبق، وعندئذ يتعطل فهم الناس بعضهم بعضاً.

هذه السياسية ستساعدنا أيضاً في بذر الخلافات بين الهيئات، وفي تفكيك كل القوى المتجمعة، وفي تثبيط كل تفوق فردي ربما يعوق أغراضنا بأي أسلوب من الأساليب.

لا شيء أخطر من الامتياز الشخصي. فإنه إذا كانت وراءه عقول فربما يضرنا أكثر مما تضرنا ملايين الناس الذين وضعنا يد كل منهم على رقبة الآخر ليقتله.

يجب أن نوجه تعليم المجتمعات المسيحية في مثل هذا الطريق: فكلما احتاجوا إلى كفء لعمل من الأعمال في أي حال من الأحوال سقط في أيديهم وضلوا في خيبة بلا أمل.

إن النشاط الناتج عن حرية العمل يستنفد قوته حينما يصدم بحرية الآخرين. ومن هنا تحدث الصدمات الأخلاقية وخيبة الأمل والفشل.

بكل هذه الوسائل سنضغط المسيحيين، حتى يضطروا إلى أن يطلبوا منا أن نحكمهم دوليّاً. وعندما نصل إلى هذا المقام سنستطيع مباشرة أن تستنزف كل قوى الحكم في جميع أنحاء العالم، وأن نشكل حكومة عالمية عليا.

وسنضع موضع الحكومات القائمة مارداMonstorl يسمى إدارة الحكومة العليا Administration of the supergovernment وستمتد أيديه كالمخالب الطويلة المدى، وتحت إمرته سيكون له نظام يستحيل معه أن يفشل في إخضاع كل الأقطار.

البروتوكول السادس:

سنبدأ سريعاً بتنظيم احتكارات عظيمة هي صهاريج للثورة الضخمة لتستغرق خلالها دائماً الثروات الواسعة للأمميين (غير اليهود) إلى حد انها ستهبط جميعها وتهبط معها الثقة بحكومتها يوم تقع الأزمة السياسية وعلى الاقتصاديين الحاضرين بينكم اليوم هنا أن يقدروا أهمية هذه الخطة.

لقد انتهت أرستقراطية الأمميين كقوة سياسية، فلا حاجة لنا بعد ذلك إلى أن ننظر إليها من هذا الجانب. لكن الأرستقراطيين من حيث هم ملاك أرض لا يزالون خطراً علينا لان معيشتهم المستقلة مضمونة لهم بمواردهم. ولذلك يجب علينا وجوباً أن نجرد الأرستقراطيين من أراضيهم بكل الأثمان. وأفضل الطرق لبلوغ هذا الغرض هو فرض الأجور والضرائب. ان هذه الطرق ستبقى منافع الأرض في أحط مستوى ممكن.. وسرعان ما سينهار الأرستقراطيين من الأميين، لأنهم بما لهم من أذواق موروثة غير قادرين على القناعة بالقليل.

وفي الوقت نفسه يجب أن نفرض كل سيطرة ممكنة على الصناعة والتجارة وعلى المضارية بخاصة فإن الدور role الرئيسي لها أن تعمل كمعادن للصناعة.

وبدون المضاربة ستزيد الصناعة رؤوس الأموال الخاصة، وستتجه إلى إنهاض الزراعة بتحرير الأرض من الديون والرهون العقارية التي تقدمها البنوك الزراعية وضروري أن تستنزف الصناعة من الأرض كل خيراتها وأن تحول المضاربات كل ثروة العالم المستفادة على هذا النحو إلى أيدينا.

وبهذه الوسيلة سوف يقذف بجميع الأمميين (غير اليهود) إلى مراتب العمال الصعاليك Proletariat وعندئذ يخر الأمميون أمامنا ساجدين

ليظفروا بحق البقاء.

ولكن نخرب صناعة الأمميين، ونساعد المضاربات سنشجع حب الترف المطلق الذي نشرناه من قبل، وسنزيد الأجور التي لن تساعد العمال، كما اننا في الوقت نفسه سنرفع أثمان الضروريات الأولية متخذين سوء المحصولات الزراعية عذراً عن ذلك كما سننسف بمهارة أيضاً أسس الإنتاج ببذر بذور الفوضى بين العمال، وبتشجيعهم على إدمان المسكرات. وفي الوقت نفسه سنعمل كل وسيلة ممكنة لطرد كل ذكاء أممي (غير يهودي) من الأرض. ولكيلا يتحقق الأمميون من الوضع الحق للأمور قبل الأوان سنستره برغبتنا في مساعدة الطبقات العاملة على حل المشكلات الاقتصادية الكبرى، وأن الدعاية التي لنظرياتنا الاقتصادية تعاون على ذلك بكل وسيلة ممكنة.

البروتوكول السابع

إن ضخامة الجيش، وزيادة القوة البوليسية ضروريتان لإتمام الخطط السابقة الذكر. وإنه لضروري لنا، كي نبلغ ذلك، أن لا يكون إلى جوانبنا في كل الأقطار شيء بعد إلا طبقة صعاليك ضخمة، وكذلك جيش كثير وبوليس مخلص لأغراضنا.

في كل أوروبا، وبمساعدة أوروبا يجب أن ننشر في سائر الأقطار الفتنة والمنازعات والعداوات المتبادلة. فإن في هذا فائدة مزدوجة: فأما أولاً فبهذه الوسائل سنتحكم في أقدار كل الأقطار التي تعرف حق المعرفة أن لنا القدرة على خلق الاضطرابات كما نريد، مع قدرتنا على إعادة النِّظَّام، وكل البلاد معتادة على أن تنظر إلينا مستغيثة عند إلحاح الضرورة متى لزم الأمر. وأما ثانياً فبالمكايد والدسائس، سوف نصطاد بكل أحابيلنا وشباكنا التي نصبناها في وزارات جميع الحكومات، ولم نحبكها بسياستنا فحسب،

بل بالاتفاقات الصناعية والخدمات المالية أيضاً.

ولكي نصل إلى هذه الغايات يجب علينا أن ننطوي على كثير من الدهاء والخبث خلال المفاوضات والاتفاقات، ولكننا فيما يسمى «اللغة الرسمية» سوف نتظاهر بحركات عكس ذلك، كي نظهر بمظهر الأمين المتحمل للمسؤولية. وبهذا ستنظر دائماً إلينا حكومات الأمميين التي علمناها أن تقتصر في النظر على جانب الأمور الظاهرية وحدها كأننا متفضلون ومنقذون للإنسانية.

ويجب علينا أن نكون مستعدين لمقابلة كل معارضة بإعلان الحرب على جانب ما يجاورنا من بلاد تلك الدولة التي تجرؤ على الوقوف في طريقنا. ولكن إذا غدر هؤلاء الجيران فقرروا الاتحاد ضدنا فالواجب علينا أن نجيب على ذلك بخلق حرب عالمية.

إن النجاح الأكبر في السياسة يقوم على درجة السرية المستخدمة في اتباعها، وأعمال الدبلوماسي لا يجب أن تطابق كلماته. ولكي نعزز خطتنا العالمية الواسعة التي تقترب من نهايتها المشتهاة يجب علينا أن نتسلط على حكومات الأمميين.

وبايجاز، من أجل أن نظهر استعبادنا لجميع الحكومات الأممية في أوروبا سوف نبين قوتنا لواحدة منها متوسلين بجرائم العنف وذلك هو ما يقال له حكم الإرهاب وإذا اتفقوا جميعاً ضدنا فعندئذ سنجيبهم بالمدافع الأمريكية أو الصينية أو اليابانية.

البروتوكول الثامن:

يجب أن نأمل كل الآلات التي قد يوجهها أعداؤنا ضدنا. وسوف نلجأ إلى أعظم التعبيرات تعقيداً وإشكالاً في معظم القانون لي نخلص أنفسنا

إذا أكرهنا على إصدار أحكام قد تكون طائشة أو ظالمة. لأنه سيكون هامّاً أن نعبر عن هذه الأحكام بأسلوب محكم، حتى تبدو للعامة أنها من أعلى نمط أخلاقي، وأنها عادلة وطبيعية حقّاً. ويجب أن تكون حكومتنا محوطة بكل قوى المدنية التي سنعمل خلالها. انها ستجذب إلى نفسها الناشرين والمحامين والأطباء ورجال الإدارة والدبلوماسيين، ثم القوم المنشئين في مدارسنا التقدمية الخاصة. هؤلاء القوم سيعرفون أسرار الحياة الاجتماعية، فسيمكنون من كل اللغات مجموعة في حروف وكلمات سياسية، وسيفقهون جيداً في الجانب الباطني للطبيعة الإنسانية بكل أوتارها العظيمة المرهفة اللطيفة التي سيعزفون عليها. إن هذه الأوتار هي التي تشكل عقل الأمميين، وصفاتهم الصالحة والطالحة، وميولهم، وعيوبهم، من عجيب الفئات والطبقات. وضروري أن مستشاري سلطتنا هؤلاء الذين أشير هنا إليهم لن يختاروا من بين الأمميين (غير اليهود) الذين اعتادوا أن يحتملوا أعباء أعمالهم الإدارية دون أن يتدبروا بعقولهم النتائج التي يجب أن ينجزوها، ودون أن يعرفوا الهدف من وراء هذه النتائج. إن الإداريين من الأمميين يؤشرون على الأوراق من غير أن يقرأوها، ويعملون حبّاً في المال أو الرفعة، لا للمصلحة الواجبة.

إننا سنحيط حكومتنا بجيش كامل من الاقتصاديين، وهذا هو السبب في أن علم الاقتصاد هو الموضوع الرئيسي الذي يعلمه اليهود. وسنكون محاطين بألوف من رجال البنوك، وأصحاب الصناعات، وأصحاب الملايين وأمرهم لا يزال أعظم قدراً إذ الواقع أن كل شيء سوف يقرر المال. وما دام ملء المناصب الحكومية بإخواننا اليهود في أثناء ذلك غير مأمون بعد فسوف نعهد بهذه المناصب الخطيرة إلى القوم الذين ساءت صحائفهم وأخلاقهم، كي تقف مخازيهم فاصلاً بين الأمة وبينهم، وكذلك سوف نعد

بهذه المناصب الخطيرة إلى القوم الذين إذا عصوا أوامرنا توقعوا المحاكمة والسجن والغرض من كل هذا أنهم سيدافعون عن مصالحنا حتى النفس الأخير الذي تنفث صدورهم به.

البروتوكول التاسع:

عليكم أن تواجهوا التفاتاً خاصّاً في استعمال مبادئنا إلى الأخلاق الخاصة بالأمة التي أنتم بها محاطون، وفيها تعملون، وعليكم ألا تتوقعوا النجاح خلالها في استعمال مبادئنا بكل مشتملاتها حتى يعاد تعليم الأمة بآرائنا، ولكنكم إذا تصرفتم بسداد في استعمال مبادئنا فستكشفون أنه قبل مضي عشر سنوات سيتغير أشد الأخلاق تماسكاً، وسنضيف كذلك أمة أخرى إلى مراتب تلك الأمم التي خضعت لنا من قبل.

إن الكلمات التحررية لشعارنا الماسوني هي «الحرية والمساواة والاخاء» وسوف لا نبدل كلمات شعارنا، بل نصوغها معبرة ببساطة عن فكرة، وسوف نقول: «حق الحرية، وواجب المساواة، وفكرة الأخاء». وبها سنمسك الثور من قرنيه، وحينئذ نكون قد دمرنا في حقيقة الأمر كل القوى الحاكمة إلا قوتنا، وأن تكن هذه القوى الحاكمة نظرياً ما تزال قائمة، وحين تقف حكومة من الحكومات نفسها موقف المعارضة لنا في الوقت الحاضر فإنما ذلك أمر صوري، متخذ بكامل معرفتنا ورضانا، كما أننا محتاجون إلى إنجازاتهم المعادية للسامية، كيما نتمكن من حفظ إخواننا الصغار في نظام. ولن أتوسع في هذه النقطة، فقد كانت من قبل موضوع مناقشات عديدة.

وحقيقة الأمر أننا نلقى معارضة، فإن حكومتنا من حيث القوة الفائقة جداً ذات مقام في نظر القانون يتأدى بها إلى حد أننا قد نصفها بهذا التعبير الصارم: الدكتاتورية.

وإنني استطيع في ثقة أن أصرح اليوم بأننا أصحاب التشريع، وأننا المتسلطون في الحكم، والمقررون للعقوبات، وأننا نقضي بإعدام من نشاء ونعفو عمن نشاء، ونحن كما هو واقع أولو الأمر الأعلون في كل الجيوش، الراكبون رؤوسها، ونحن نحكم بالقوة القاهرة، لأنه لا تزال في أيدينا الفلول التي كانت الحزب القوي من قبل، وهي الآن خاضعة لسلطاننا، إن لنا طموحاً لا يحد، وشرهاً لا يشبع، ونقمة لا ترحم، وبغضاء لا تحس. إننا مصدر إرهاب بعيد المدى. وإننا نسخر في خدمتنا أناساً من جميع المذاهب والاحزاب، من رجال يرغبون في إعادة الملكيات، واشتراكيين، وشيوعيين، وحالمين بكل أنواع الطوبيات Utopias، ولقد وضعناهم جميعاً تحت السرج، وكل واحد منهم على طريقته الخاصة ينسف ما بقي من السلطة، ويحاول أن يحطم كل القوانين القائمة. وبهذا التدبير تتعذب الحكومات، وتصرخ طلباً للراحة، وتستعد من أجل السلام لتقديم أية تضحية، ولكننا لن نمنحهم أي سلام حتى يعترفوا في ضراعة بحكومتنا الدولية العليا.

لقد ضجت الشعوب بضرورة حل المشكلات الاجتماعية بوسائل دولية، وإن الاختلافات بين الأحزاب قد أوقعتها في أيدينا، فإن المال ضروري لمواصلة النزاع، والمال تحت أيدينا.

إننا نخشى تحالف القوة الحاكمة في الأمميين (غير اليهود) مع قوة الرعاع العمياء، غير أننا قد اتخذنا كل الاحتياطات لنمنع احتمال وقوع هذا الحادث. فقد أقمنا بين القوتين سدّاً قوامه الرعب الذي تحسه القوتان، كل من الأخرى. وهكذا تبقى قوة الشعب سنداً إلى جانبنا، وسنكون وحدنا قادتها، وسنوجهها لبلوغ أغراضنا.

ولكيلا تتحرر أيدي العميان من قبضتنا فيما بعد يجب أن نظل متصلين

بالطوائف أصلاً مستمرّاً، وهو أن لا يكن اتصالاً شخصيّاً فهو على أي حال اتصال من خلال أشد إخواننا إخلاصاً. وعندما تصير قوة معروفة سنخاطب العامة شخصيّاً في المجامع السوقية، وسنثقفها في الأمور السياسية في أي اتجاه يمكن أن يلتئم مع ما يناسبنا.

وكيف نستوثق مما يتعلمه الناس في مدارس الأقاليم؟ من المؤكد أن ما يقوله رسل الحكومة، أو ما يقوله الملك نفسه لا يمكن أن يجيب في الذيوع بين الأمة كلها، لأنه سرعان ما ينتشر بلغط الناس.

ولكيلا تتحطم أنظمة الأمميين قبل الأوان الواجب، أمددناهم بيدنا الخبيرة، وأمنا غايات اللوالب في تركيبهم الآلي. وقد كانت هذه اللوالب ذات نظام عنيف، لكنه مضبوط فاستبدلنا بها ترتيبات تحررية بلا نظام. إن لنا يداً في حق الحكم، وحق الانتخاب، وسياسة الصحافة، وتعزيز حرية الأفراد، وفيما لا يزال أعظم خطراً وهو التعليم الذي يكون الدعامة الكبرى للحياة الحرة.

ولقد خدعنا الجيل الناشئ من الأمميين، وجعلناه فاسداً متعفناً بما علمناه من مبادئ ونظريات معروف لدينا زيفها، ولكننا نحن أنفسنا الملقنون لها، ولقد حصلنا على نتائج مفيدة خارقة من غير تعديل فعلي للقوانين السارية من قبل، بل بتحريفها في بساطة، وبوضع تفسيرات لها لم يقصد إليها مشترعوها.

وقد صارت هذه النتائج أولاً ظاهرة بما تحقق من أن تفسيراتنا قد غطت على المعنى الحقيقي، ثم مسختها تفسيرات غامضة إلى حد أنه استحال على الحكومة أن توضح مثل هذه المجموعة الغامضة من القوانين.

ومن هنا قام مذهب عدم التمسك بحرفية القانون، بل الحكم بالضمير،

ومما يختلف فيه أن تستطيع الأمم النهوض بأسلحتها ضدنا إذا اكتشفت خططنا قبل الأوان، وتلافياً لهذا نستطيع أن نعتمد على القذف في ميدان العمل بقوة رهيبة سوف تملأ أيضاً قلوب أشجع الرجال هولاً ورعباً. وعندئذ ستقام في كل المدن الخطوط الحديدية المختصة بالعواصم، والطرقات الممتدة تحت الأرض. ومن هذه الأنفاق الخفية سنفجر وننسف كل مدن العالم، ومعها أنظمتها وسجلاتها جميعاً.

البروتوكول العاشر:

اليوم سأشرع في تكرار ما ذكر من قبل، وأرجو منكم جميعاً أن تتذكروا أن الحكومات والأمم تقنع في السياسة بالجانب المبهرج الزائف من كل شيء، نعم، فكيف يتاح لهم الوقت لكي يختبروا بواطن الأمور في حين أن نوابهم الممثلين لهم Representatives لا يفكرون إلا في الملذات؟.

من الخطير جدّاً في سياستنا أن تتذكروا التفصيل المذكور آنفاً، فإنه سيكون عوناً كبيراً لنا حينما تناقش مثل هذه المسائل: توزيع السلطة، وحرية الكلام، وحرية الصحافة والعقيدة، وحقوق تكوين الهيئات، والمساواة في نظر القانون، وحرمة الممتلكات والمساكن، ومسألة فرض الضرائب (فكرة سرية فرض الضرائب) والقوة الرجعية للقوانين. كل المسائل المشابهة لذلك ذات طبيعة تجعل من غير المستحسن مناقشتها علناً أمام العامة. فحيثما تستلزم الأحوال ذكرها للرعاع يجب أن لا تحصى، ولكن يجب أن تنشر عنها بعض قرارات بغير مضي في التفصيل. ستعمل قرارات مختصة بمبادئ الحق المستحدث على حسب ما ترى. وأهمية الكتمان تكمن في حقيقة أن المبدأ الذي لا يذاع علناً يترك لنا حرية العمل، مع أن مبدأ كهذا إذا أعلن مرة واحدة يكون كأنه قد تقرر.

إن الأمة لتحفظ لقوة العبقرية السياسية احتراماً خاصّاً وتحمل كل أعمال يدها العليا، وتحييها هكذا: «يا لها من خيبة قذرة، ولكن يا لتنفيها بمهارة!» «يا له من تدليس، ولكن يا لتنفيذه بإتقان وجسارة!».

إننا نعتمد على اجتذاب كل الأمم للعمل على تشييد الصرح الجديد الذي وضعنا نحن تصميمه. ولهذا السبب كان من الضروري لنا أن نحصل على خدمات الوكلاء المغامرين الشجعان الذين سيكون في استطاعتهم أن يتغلبوا على كل العقبات في طريق تقدمنا.

وحينما ننجز انقلابنا السياسيCoup detat سنقول للناس: «لقد كان كل شيء يجري في غاية السوء، وكلكم قد تألمتم، ونحن الآن نمحق آلامكم، وهو ما يقال له: القوميات، والعملات القومية، وأنتم بالتأكيد أحرار في اتهامنا، ولكن هل يمكن أن يكون حكمكم نزيهاً إذا نطقتم به قبل أن تكون لكم خبرة بما نستطيع أن نفعله من أجل خيركم؟». حينئذ سيحملوننا على أكتافهم عالياً. في انتصار وأمل وابتهاج، وإن قوة التصويت التي دربنا عليها الأفراد التافهين من الجنس البشري بالاجتماعات المنظمة وبالاتفاقات المدبرة من قبل، ستلعب عندئذ دورها الأخير، وهذه القوة التي توسلنا بها، كي «نضع أنفسنا فوق العرش»، ستؤدي لنا ديننا الأخير وهي متلهفة، كي ترى نتيجة قضيتنا قبل أن تصدر حكمها.

ولكي نحصل على أغلبية مطلقة يجب أن نقنع كل فرد بلزوم التصويت من غير تمييز بين الطبقات. فإن هذه الأغلبية لن يحصل عليها من الطبقات المتعلمة ولا من مجتمع مقسم إلى فئات.

فإذا أوحينا إلى عقل كل فرد فكرة أهميته الذاتية فسوف ندمر الحياة

الأسرية بين الأميين، تفسد أهميتها التربوية. وسنعوق الرجال ذوي العقول الحصيفة عن الوصول إلى الصدارة، وإن العامة، تحت إرشادنا ستبقى على تأخر أمثال هؤلاء الرجال، ولن تسمح لهم أبداً أن يقرروا لهم خططاً.

لقد اعتاد الرعاع أن يصغوا إلينا نحن الذين نعطيهم المال لقاء سمعهم وطاعتهم. وبهذه الوسائل سنخلق قوة عمياء إلى حد أنها لن تستطيع أبداً أن تتخذ أي قرار دون إرشاد وكلائنا الذين نصبناهم لغرض قيادتها.

وسيخضع الرعاع لهذا النِّظَّام System لأنهم سيعرفون أن هؤلاء القادة مصدر أجورهم وأرباحهم وكل منافعهم الأخرى. إن نظام الحكومة يجب أن يكون عمل رأس واحد، لأنه سيكون من المحال تكتيله إذا كان عملاً مشتركاً بين عقول متعددة، وهذا هو السبب في أنه لا يسمح لنا إلا بمعرفة خطة العمل، بل يجب ألا نناقشها بأي وسيلة، حتى لا نفسد تأثيرها، ولا نعطل وظائف أجزائها المنفصلة، ولا المعنى لكل عنصر فيها، نوقشت مثل هذه الخطط، وغيرت بتوالي الخضوع للتنقيحات إذن لاختلطت بعد ذلك بنتائج كل إساءات الفهم العقلية التي تنشأ من أن المصورين لا يسبرون الأغوار العميقة لمعانيها، ولذلك لا بد أن تكون خططنا نهائية وممحصة تمحيصاً منطقيّاً. وهذا هو السبب في أننا يجب أن لا نرمي العمل الكبير من قائدنا ليتمزق أجزاء على أيدي الرعاع ولا على أيدي عصبة Glique صغيرة أيضاً.

إن هذه الخطط لن تقلب اليوم الدساتير والهيئات القائمة، بل ستغير نظريتها الاقتصادية فحسب، ومن ثم تغير كل طريق تقدمها الذي لابد له حينئذ أن يتبع الطريق الذي تفرضه خططنا.

في كل البلاد تقوم هذه الهيئات ذاتها ولكن تحت أسماء مختلفة فحسب: فمجالس نواب الشعب، والوزارات، والشيوخ، ومجالس العرش من كل نوع،

ومجالس الهيئات التشريعية والإدارية.

ولا حاجة بي إلى أن أوضح لكم التركيب الآلي الذي يربط بين هذه الهيئات المختلفة، فهو معروف لكم من قبل معرفة حسنة. ولتلاحظوا فحسب أن كل هيئة من الهيئات السالفة الذكر توافي وظيفة مهمة في الحكومة. (ان استعمل الكلمة «مهمة» لا إشارة إلى الهيئات بل إشارة إلى وظائفها).

لقد اقتسمت هذه الهيئات فيما بين أنفسها كل وظائف الحكومة التي هي السلطة القضائية والسلطة التشريعية والسلطة التنفيذية. وقد صارت وظائفها مماثلة لوظائف الأعضاء المتميزة المتنوعة من الجسم الإنساني.

فإذا آذينا أي جزء في الجهاز الحكومي فتسقط الدولة مريضة كما يمرض الجسم الإنساني، ثم يموت، وحينما حققنا نظام الدولة باسم الحرية تغيرت سحنتها السياسية وصارت الدولة موبوءة Infected بمرض مميت، وهو مرض تحلل الدم Decomposation of the blood ولم يبق لها إلا ختام سكرات الموت.

لقد ولدت الحرية الحكومات الدستورية التي احتلت مكان الأوتوقراطية Autoreacy وهي وحدها صورة الحكومة النافعة لأجل الأمميين (غير اليهود). فالدستور كما تعلمون ليس أكثر من مدرسة للفتن والاختلافات والمشاحنات والهيجانات الحزبية العميقة، وهو بإيجاز مدرسة كل شيء يضعف نفوذ الحكومة. وأن الخطابة، كالصحافة، قد مالت إلى جعل الملوك كسإلى ضعافاً، فردتهم بذلك عقماء زائدين على الحاجة، ولهذا السبب عزلوا في كثير من البلاد.

وبذلك صار في الإمكان قيام عصر جمهوري، وعندئذ وضعنا في مكان الملك

ضحكة في شخص رئيس يشبهه قد اخترناه من الدهماء بين مخلوقاتنا وعبيدنا.

وهكذا ثبتنا اللغم الذي وضعناه تحت الأميين، أو بالأحرى تحت الشعوب الأمية، وفي المستقبل القريب سنجعل الرئيس شخصاً مسئولاً.

ويومئذ لن نكون حائرين في أن ننفذ بجسارة خططنا التي سيكون «دميتنا» «Dummy» مسؤولاً عنها، فماذا يعنينا إذا صارت رتب طلاب المناصب ضعيفة، وهبت القلاقل من استحالة وجود رئيس حقيقة؟ أليس هذه القلاقل هي التي ستطيح نهائيّاً بالبلاد؟.

ولكي نصل إلى هذه النتائج سندبر انتخاب أمثال هؤلاء الرؤساء ممن تكون صحائفهم السابقة مسودة بفضيحة «بنامية Panama» أو صفقة أخرى سرية مريبة كان رئياً من هنا النوع سيكون منقذاً وافياً لأغراضنا، لأنه سيخشى التشهير، وسيبقى خاضعاً لسلطان الخوف الذي يمتلك دائماً الرجل الذي وصل إلى السلطة، والذي يتلهف على أن يستبقي امتيازاته وامجاده المرتبطة بمركزه الرفيع. إن مجلس ممثلي الشعب The House of Representative سينتخب الرئيس ويحميه ويستره، ولكننا سنحرم هذا المجلس House سلطة تقديم القوانين وتعديلها.

هذه السلطة سنعطيها الرئيس المسئول الذي سيكون ألعوبة خالصة mare Puppet في أيدينا، وفي تلك الحال ستثير سلطة الرئيس هدفاً معرضاً للمهاجمات المختلفة، ولكننا سنعطيه وسيلة الدفاع، وهي حقه في أن يستأنف القرارات محتكماً إلى الشعب الذي هو فوق ممثلي الأمة أي أن يتوجه الرئيس إلى الناس الذين هم عبيدنا العميان، وهم أغلبية الدهماء.

وإلى ذلك سنعطي الرئيس سلطة اعلان الحكم العرفي، وسنوضح هذا الامتياز بأن الحقيقة هي أن الرئيس لكونه رئيس الجيش يجب أن يملك

هذا الحق لحماية الدستور الجمهوري الجديد، فهذه الحماية واجبة لأنه ممثلها المسئول.

وفي مثل هذه الأحوال سيكون مفتاح الموقف الباطني في أيدينا بالضرورة وما من أحدٍ غيرنا سيكون مهيمناً على التشريع. ويضاف إلى ذلك اننا حين نقدم الدستور الجمهوري الجيد سنحرم المجلس بحجة سر الدولة حق السؤال عن القصد من الخطط التي تتخذها الحكومة. وبهذا الدستور الجديد سننقص كذلك عدد ممثلي الأمة إلى أقل عدد، منقصين بذلك عدداً مماثلاً من هذا فإننا سنسمح للممثلين الباقين بالاحتكام إلى الأمة، وسيكون حقّاً لرئيس الجمهورية أن يعين رئيساً ووكيلاً لمجلس النواب ومثلهما لمجلس الشيوخ، ونستبدل بفترات الانعقاد المستمرة للبرلمانات فترات قصيرة مدى شهور قليلة.

وإلى ذلك سيكون لرئيس الجمهورية باعتباره رأس السلطة التنفيذية حق دعوة البرلمان وحله. وسيكون له في حالة الحل إرجاء الدعوة لبرلمان جديد. ولكن لكيلا يتحمل الرئيس المسئولية عن نتائج هذه الأعمال المخالفة للقانون مخالفة صارخة، من قبل أن تبلغ خططنا وتستوي سنغري الوزراء وكبار الموظفين الإداريين الآخرين الذين يحيطون بالرئيس، كي يموهوا أوامره، بأن يصدروا التعليمات من جانبهم، وبذلك نضطرهم إلى تحمل المسئولية بدلاً من الرئيس، وسننصح خاصة بأن تضم هذه الوظيفة إلى مجلس الشيوخ أو إلى مجلس شورى الدولة، أو إلى مجلس الوزراء، وأن لا توكل إلى الأفراد. وبإرشادنا سيفسر الرئيس القوانين التي يمكن فهمها بوجوه عدة.

وهو فوق ذلك سينقض القوانين في الأحوال التي نعد فيها هذا النقض امراً مرغوباً فيه. وسيكون له أيضاً حق اقتراح قوانين وقتية جديدة، بل له

كذلك إجراء تعديلات في العمل الدستوري للحكومة محتجّاً لهذا العمل بأنه أمر تقتضيه سعادة البلاد مثل هذه الإجراءات ستمكننا من أن نسترد شيئاً فشيئاً أي حقوق أو امتيازات كنا قد اضطررنا من قبل إلى منحها حين لم نكن مستحوذين على السلطة أولاً.

ومثل هذه الامتيازات سنقدمها في دستور البلاد لتغطية النقص التدريجي لكل الحقوق الدستورية، وذلك حين يحين الوقت لتغيير كل الحكومات القائمة، من أجل أوتوقراطيتنا أن تعرف ملكنا الأوتوقراطي يمكننا أن نتحقق منه قبل إلغاء الدساتير، أعني بالضبط، أن تعرف حكمنا سيبدأ في اللحظة ذاتها حين يصرخ الناس الذين مزقتهم الخلافات وتعذبوا تحت إفلاس حكامهم (وهذا ما سيكون مدبراً على أيدينا) فيصرخون هاتفين: «اخلعوهم، وأعطونا حاكماً عالميّاً واحداً يستطيع أن يوحدنا، ويمحق كل أسباب الخلاف، وهي الحدود والقوميات والأديان والديون الدولية ونحوها..حاكماً يستطيع أن يمنحنا السلام والراحة اللذين لا يمكن أن يوجدا في ظل حكومة رؤسائنا وملوكنا وممثلينا».

ولكنكم تعلمون علماً دقيقاً وفنّياً أنه، لكي يصرخ الجمهور بمثل هذا الرجاء، لابد أن يستمر في كل البلاد اضطراب العلاقات القائمة بين الشعوب والحكومات، فتستمر العدوات والحروب، والكراهية، والموت استشهاداً أيضاً، هذا مع الجوع والفقر، ومع تفشي الأمراض وكل ذلك سيمتد إلى حد أن لا يرى الأمميون (غير اليهود) أي مخرج لهم من متاعبهم غير أن يلجأوا إلى الاحتماء بأموالنا وسلطتنا الكاملة.

ولكننا إذا أعطينا الأمة وقتاً تأخذ فيه نفسها فإن رجوع مثل هذه الفرصة سيكون من العسير.

البروتوكول الحادي عشر:

إن مجلس الدولة State Council سيفصل ويفسر سلطة الحاكم، وإن هذا المجلس وله مقدرته كهيئة تشريعية رسمية سيكون المجمع الذي يصدر أوامر القائمين بالحكم.

وها هوذا برنامج الدستور الجديد الذي نعده للعالم. إننا سنشرع القوانين، ونحدد الحقوق الدستورية وننفذها بهذه الوسائل:

1 - أوامر المجلس التشريعي المقترحة من الرئيس.

2 - التوسل بأوامر عامة، وأوامر مجلس الشيوخ ومجلس شورى الدولة، والتوسل بقرارات مجلس الوزراء.

3 - والتوسل بانقلاب سياسي Cuop detat حينما تسنح اللحظة الملائمة.

هذا ومع تصميمنا تقريباً على خطة عملنا سنناقش من هذه الأجزاء ما قد يكون ضروريّاً لنا، كي نتم الثورة في مجموعات دواليب جهاز الدولة حسب الاتجاه الذي وضحته من قبل. وأنا أقصد بهذه الإجراء حرية الصحافة، وحقوق تشكيل الهيئات، وحرية العقيدة، وانتخاب ممثلي الشعب، وحقوقاً كثيرة غيرها سوف تختفي من حياة الإنسان اليومية. وإذا هي لم تختف جميعاً فسيكون تغييرها أساسيّاً منذ اليوم التالي لإعلان الدستور الجيد. وسنكون في هذه اللحظة المعينة وحدها آمنين كل الأمان، لكي نعلن كل تغييراتنا. وهناك سبب آخر هو أن التغييرات التي يحسها الشعب في أي وقت قد يثبت أنها خطرة لأنها إذا قدمت بعنف وصرامة وفرضت قهراً بلا تبصر فقد تسخط الناس، إذ هم سيخافون تغييرات جديدة في اتجاهات مشابهة. ومن جهة أخرى إذا كانت التغييرات تمنح الشعب ولو امتيازات أكثر

فسيقول الناس فيها: إننا تعرفنا أخطاءنا. وإن ذلك يغض من جلال عصمة السلطة الجديدة. وربما يقولون إننا قد فزعنا وأكرهنا على الخضوع لما يريدون. وإذا انطبع أي من هذه الآثار على عقول العامة فسيكون خطراً بالغاً على الدستور الجديد.

إنه ليلزمنا منذ اللحظة الأولى لإعلانه بينما الناس لا يزالون يتألمون من آثار التغيير المفاجئ، وهم في حالة فزع وبلبلة أن يعرفوا أننا بلغنا من عظم القوة والصلابة والامتلاء بالعنف أفقاً لن ننظر فيه إلى مصالحهم نظرة احترام. سنريد منهم أن يفهموا أننا نتنكر لآرائهم ورغباتهم فحسب، بل سنكون مستعدين في كل زمان وفي كل مكان لأن نخنق بيد جبارة أي عبارة أو إشارة إلى المعارضة.

سنريد من الناس أن يفهموا أننا استحوذنا على كل شيء اردناه، وأننا لن نسمح لهم في أي حال من الأحوال أن يشركونا في سلطتنا، وعندئذ سيغمضون عيونهم على أي شيء بدافع الخوف، وسينتظرون في صبر تطورات أبعد.

إن الأمميين (غير اليهود) كقطيع من الغنم، وإننا الذئاب، فهل تعلمون ما تفعل الغنم حينما تنفذ الذئاب إلى الحظيرة؟ إنها لتغمض عيونها عن كل شيء.

وإلى هذا المصير سيدفعون، فسنعدهم بأننا سنعيد إليهم حرياتهم بعد التخلص من أعداء العالم، واضطرار كل الطوائف إلى الخضوع. ولست في حاجة ملحة إلى أن أخبركم، إلى متى سيطول بهم الانتظار حتى ترجع اليهم حرياتهم الضائعة.

أي سبب أغرانا بابتداع سياستنا، وبتلقين الأمميين إياها؟ لقد أوحينا إلى الأمميين هذه السياسة دون أن ندعهم يدركون مغزاها الخفي وماذا

حفزنا على هذا الطريق للعمل إلا عجزنا ونحن جنس مشتت عن الوصول إلى غرضنا في تنظيمنا للماسونية التي لا يفهمها أولئك الخنازير Swine من الأمميين، ولذلك لا يرتابون في مقاصدها لقد أوقعناهم في كتلة محافلنا التي لا تبدو شيئاً أكثر من ماسونية كي نذر الرماد في عيون رفقائهم.

من رحمة الله أن شعبه المختار مشتت، وهذا التشتت الذي يبدو ضعفاً فينا أمام العالم قد ثبت أنه كل قوتنا التي وصلت بنا إلى عتبة السلطة العالمية.

ليس لدينا أكثر من أن نبني على هذه الأسس، لكي نصل إلى هدفنا.

البروتوكول الثاني عشر:

إن كلمة الحرية التي يمكن أن تفسر بوجوه شتى سنجدها هكذا «الحرية هي حق عمل ما يسمح به القانون» تعريف الكلمة هكذا سينفعنا على هذا الوجه: إذ سيترك لنا أن نقول أين تكون الحرية، وأين ينبغي أن لا تكون، وذلك لسبب بسيط هو أن القانون لن يسمح إلا بما نرغب نحن فيه.

وسنعامل الصحافة على النهج الآتي: ما الدور الذي تلعبه الصحافة في الوقت الحاضر؟ إنها تقوم بتهييج العواطف الجياشة في الناس، وأحياناً بإثارة المجادلات الحزبية الأنانية التي ربما تكون ضرورية لمقصدنا. وما أكثر ما تكون فارغة ظالمة زائفة، ومعظم الناس لا يدركون أغراضها الدقيقة أقل إدراك. إننا وسنستدرجها وسنقودها بلجم حازمة. وسيكون علينا أيضاً أن نظفر بادارة شركات النشر الأخرى، فلن ينفعنا أن نهيمن على الصحافة الدورية بينما لا نزال عرضة لهجمات النشرات Pamphlets والكتب. وسنحول إنتاج النشر الغالي في الوقت الحاضر مورداً من موارد الثروة يدر الربح لحكومتنا، بتقديم ضريبة دمغة معينة وبإجبار الناشرين على أن يقدموا لنا تأمينا، لكي نؤمن حكومتنا من كل أنواع الحملات من جانب الصحافة وإذا

وقع هجوم فسنفرض عليها الغرامات عن يمين وشمال.

إن هذه الإجراءات كالرسوم والتأمينات والغرامات ستكون مورد دخل كبير للحكومة، ومن المؤكد أن الصحف الحزبية لن يردعها دفع الغرامات الثقيلة ولذلك فإننا عقب هجوم خطير ثان سنعطلها جميعاً.

وما من أحد سيكون قادراً دون عقاب على المساس بكرامة عصمتنا السياسية وسنعتذر عن مصادرة النشرات بالحجة الآتية، سنقول: النشرة التي صودرت تثير الرأي العام على غير قاعدة ولا أساس.

غير أني سأسألكم توجيه عقولكم إلى أنه ستكون بين النشرات الهجومية نشرات نصدرها نحن لهذا الغرض، ولكنها لا تهاجم إلا النقط التي نعتزم تغييرها في سياستنا. ولن يصل طرف من خبر إلى المجتمع من غير أن يمر على إرادتنا. وهذا ما قد وصلنا إليه حتى في الوقت الحاضر كما هو واقع: فالأخبار تتسلمها وكالات Agincies قليلة تتركز فيها الأخبار من كل أنحاء العالم. وحينما نصل إلى السلطة ستنضم هذه الوكالات جميعاً إلينا، ولن تنشر إلا ما نختار نحن التصريح به من الأخبار.

إذا كنا قد توصلنا في الأحوال الحاضرة إلى الظفر بإدارة المجتمع الأممي (غير اليهودي) إلى حد أنه يرى أمور العالم خلال المناظير الملونة التي وضعناها فوق أعينه: وإذا لم يقم حتى الآن عائق يعوق وصولنا إلى أسرار الدولة. كما تسمى لغباء الأمميين، إذن فماذا سيكون موقفنا حين نعرف رسميّاً كحكام للعالم في شخص امبراطورنا الحاكم العالمي؟.

ولنعد إلى مستقبل النشر. كل إنسان يرغب في أن يصير ناشراً أو كاتباً أو طابعاً سيكون مضطرّاً إلى الحصول على شهادة ورخصة ستسحبان منه إذا وقعت منه مخالفة.

والقنوات التي يجد فيها التفكير الإنساني ترجماناً له ستكون بهذه الوسائل خالصة في أيدي حكومتنا التي ستتخذها هي نفسها وسيلة تربوية، وبذلك ستمنع الشعب أن ينقاد للزيغ بخيال «التقدم» والتحرر. ومن هنا لا يعرف أن السعادة الخيالية هي الطريق المستقيم إلى الطوبى Utopia التي انبثقت منها الفوضى وكراهية السلطة؟ وسبب ذلك بسيط، هو أن «التقدم» أو بالأحرى فكرة التقدم التحرري قد أمدت الناس بأفكار مختلطة للعتق Emancipation من غير أن تضع أي حد له. إن كل من يسمون متحررين فوضويون، ان لم يكونوا في عملهم ففي أفكارهم على التأكيد. كل واحد منهم يجري وراء طيف الحرية ظانّاً أنه يستطيع ان يفعل ما يشاء، أي أن كل واحد منهم ساقط في حالة فوضى في المعارضة التي يفضلها لمجرد الرغبة في المعارضة. ولنناقش الآن أمر النشر: إننا سنفرض عليه ضرائب بالأسلوب نفسه الذي فرضنا به الضرائب على الصحافة الدورية، أي من طريق فرض دمغات وتأمينات. ضعفين. وإن الكتب القصيرة سنعتبرها نشرات Pamphlets، لكي نقلل نشر الدوريات التي تكون أعظم سموم النشر فتكاً.

وهذه الإجراءات ستكره الكتاب أيضاً على أن ينشروا كتباً طويلة، ستقرأ قليلاً بين العامة من أجل طولها، ومن أجل أثمانها العالية بنوع خاص. ونحن أنفسنا سننشر كتباً رخيصة الثمن كي نعلم العامة ونوجه عقولها في الاتجاهات التي نرغب فيها. ان فرض الضرائب سيؤدي إلى الإقلال من كتابة أدب الفراغ الذي لا هدف له. وأن كون المؤلفين مسئولين أمام القانون سيضم في أيدينا، ولن يجد أحد يرغب مهاجمتنا بقلمه ناشراً ينشر له.

قبل طبع أي نوع من الأعمال سيكون على الناشر أو الطابع أن يلتمس من السلطات إذناً بنشر العمل المذكور. وبذلك سنعرف سلفاً كل مؤامرة ضدنا،

وسنكون قادرين على سحق رأسها بمعرفة المكيدة سلفاً ونشر بيان عنها.

الأدب والصحافة هما أعظم قوتين تعليميتين خطيرتين. ولهذا السبب ستشتري حكومتنا العدد الأكبر من الدوريات.

وبهذه الوسيلة سنعطل Neutralise التأثير السيء لكل صحيفة مستقلة، ونظفر بسلطان كبير جدّاً على العقل الإنساني. وإذا كنا نرخص بنشر عشر صحف مستقلة فسنشرع حتى يكون لنا ثلاثون، وهكذا دواليك.

ويجب ألا يرتاب الشعب أقل ريبة في هذه الإجراءات. ولذلك فإن الصحف الدورية التي ننشرها ستظهر كأنها معارضة لنظراتنا وآرائنا، فتوحي بذلك الثقة إلى القراء، وتعرض منظراً جذاباً لأعدائنا الذين لا يرتابون فينا، وسيقعون لذلك في شركنا، وسيكونون مجردين من القوة.

وفي الصف الأول سنضع الصحافة الرسمية. وستكون دائماً يقظة للدفاع عن مصالحنا، ولذلك سيكون نفوذها على الشعب ضعيفاً نسبيّاً. وفي الصف الثاني سنضع الصحافة شبه الرسمية Semi Official التي سيكون واجبها استمالة المحايد وفاتر الهمة، وفي الصف الثالث سنضع الصحافة التي تتضمن معارضتنا، والتي ستظهر في إحدى طبعاتها مخاصمة لنا، وسيتخذ أعداؤنا الحقيقيون هذه المعارضة معتمداً لهم، وسيتركون لنا أن نكشف أوراقهم بذلك.

ستكون لنا جرائد شتى تؤيد الطوائف المختلفة: من أرستقراطية وجمهورية، وثورية، بل فوضوية أيضاً وسيكون ذلك طالما أن الدساتير قائمة بالضرورة. وستكون هذه الجرائد مثل الإله الهندي فشنو Vishnu. لها مئات الأيدي، وكل يد ستجس نبض الرأي العام المتقلب.

ومتى ازداد النبض سرعة فإن هذه الأيدي ستجذب هذا الرأي نحو مقصدنا،

لأن المريض المهتاج الأعصاب سهل الانقياد وسهل الوقوع تحت أي نوع من أنواع النفوذ. وحين يمضي الثرثارون في توهمهم أنهم يرددون رأي جريدتهم الحزبية فإنهم في الواقع يرددون رأينا الخاص، أو الرأي الذي نريده. ويظنون أنهم يتبعون جريدة حزبهم على حين أنهم، في الواقع، يتبعون اللواء الذي سنحركه فوق الحزب، ولكي يستطيع جيشنا الصحافي أن ينفذ روح هذا البرنامج للظهور، بتأييد الطوائف المختلفة يجب علينا أن ننظم صحافتنا بعناية كبيرة.

وباسم الهيئة المركزية للصحافة Central Commission Of the Press سننظم اجتماعات أدبية، وسيعطي فيها وكلاؤنا دون أن يفطن إليهم شارة للضمان countersigns وكلمات السرPasswords. وبمناقشة سياستنا ومناقضتها. ومن ناحية سطحية دائمة بالضرورة. ودون مساس في الواقع بأجزائها المهمة سيستمر أعضاؤنا في مجادلات زائفة شكلية feigned مع الجرائد الرسمية. كي تعطينا حجة لتحديد خططنا بدقة أكثر مما نستطيع في إذاعتنا البرلمانية وهذا بالضرورة لا يكون إلا لمصلحتنا فحسب، وهذه المعارضة من جانب الصحافة ستخدم أيضاً غرضنا، إذ تجعل الناس يعتقدون أن حرية الكلام لا تزال قائمة، كما أنها ستعطي وكلاءنا Agents فرصة تظهر أن معارضينا يأتون باتهامات زائفة ضدنا، على حين أنهم عاجزون عن أن يجدوا أساسًا حقيقيّاً يستندون عليه لنقض سياستنا وهدمها.

هذه الإجراءات التي ستختفي ملاحظتها على انتباه الجمهور ستكون أنجح الوسائل في قيادة عقل الجمهور، وفي الإيحاء إليه بالثقة والاطمئنان إلى جانب حكومتنا.

وبفضل هذه الإجراءات سنكون قادرين على إثارة عقل الشعب وتهدئته في المسائل السياسية، حينما يكون ضروريّاً لنا أن نفعل ذلك. وسنكون

قادرين على إقناعهم أو بلبلتهم بطبع أخبار صحيحة أو زائفة، حقائق أو ما يناقضها، حسبما يوافق غرضنا. وأن الأخبار التي سننشرها ستعتمد على الأسلوب الذي يتقبل الشعب به ذلك النوع من الأخبار، وسنحتاط دائماً احتياطاً عظيماً لجس الأرض قبل السير عليها.

إن القيود التي سنفرضها على النشرات الخاصة، كما بينت، ستمكننا من أن نتأكد من الانتصار على أعدائنا. إذ لن تكون لديهم وسائل صحفية تحت تصرفهم يستطيعون حقيقة أن يعبروا بها تعبيراً كاملاً عن آرائهم، ولن نكون مضطرين ولو إلى عمل تنفيذ كامل لقضاياهم.

والمقالات الجوفاء Ballon dessai التي سنلقي بها في الصف الثالث من صحافتنا سنفندها عفواً، بالضرورة تفنيداً، شبه رسمي Semi _ offically. يقوم الآن في الصحافة الفرنسية نهج الفهم الماسوني لإعطاء شارات الضمان Countersigns فكل أعضاء الصحافة مرتبطون بأسرار مهنية متبادلة على أسلوب النبوءات القديمةAncient oreles ولا أحد من الأعضاء سيفشي معرفته بالسر، على حين أن مثل هذا السر غير مأمور بتعميمه. ولن تكون لناشر بمفرده الشجاعة على إفشاء السر الذي عهد به إليه، والسبب هو أنه لا أحد منهم يؤذن له بالدخول في عالم الأدب، ما لم يكن يحمل سمات Marks بعض الأعمال المخزية Shady في حياته الماضية. وليس عليه أن يظهر إلا أدنى علامات العصيان حتى تكشف فوراً سماته المخزية. وبينما تظل هذه السمات معروفة لعدد قليل تقوم كرامة الصحفي بجذب الرأي العام إليه في جميع البلاد، وسينقاد له الناس، ويعجبون به.

ويجب أن تمتد خططنا بخاصة إلى الأقاليم Previnces وضروري لنا كذلك أن نخلق أفكاراً، ونوحي آراء هناك بحيث نستطيع في أي وقت أن

ننزلها إلى العاصمة بتقديمها كأنها آراء محايدة للأقاليم.

وطبعاً لن يتغير منبع الفكرة وأصلها: أعني أنها ستكون عندنا. ويلزمنا، قبل فرض السلطة، أن تكون المدن أحياناً تحت نفوذ رأي الأقاليم وهذا يعني أنها ستعرف رأي الأغلبية الذي سنكون قد دبرناه من قبل ومن الضروري لنا أن لا تجد العواصم في فترة الأزمنة النفسية وقتاً لمناقشة حقيقة واقعة، بل تتقبلها ببساطة، لأنها قد أجازتها الأغلبية في الأقاليم.

وحينما نصل إلى عهد المنهج Regeme الجديد أي خلال مرحلة التحول إلى مملكتنا يجب أن لا نسمح للصحافة بأن تصف الحوادث الإجرامية: إذ سيكون من اللازم ان يعتقد الشعب أن المنهج الجديد مقنع وناجح إلى حد أن الإجرام قد زال. وحيث تقع الحوادث الإجرامية يجب أن تكون معروفة إلا لضحيتها ولمن يتفق له أن يعاينها فحسب..

البروتوكول الثالث عشر:

إن الحاجة يوميّاً إلى الخبز ستكره الأمميين Gentiles على الدوام اكراهاً أن يقبضوا ألسنتهم، ويظلوا خدمنا الأذلاء. وإن أولئك الذين قد نستخدمه في صحافتنا من الأمميين سيناقشون بإيعازات منا حقائق لن يكون من المرغوب فيه أن نشير إليها بخاصة في جريدتنا Gazette الرسمية. وبينما تتخذ كل أساليب المناقشات والمناظرات هكذا سنمضي القوانين التي سنحتاج إليها، وسنضعها أمام الجمهور على أنها حقائق ناجزة.

ولن يجرؤ أحد على طلب استئناف النظر فيما تقرر إمضاؤه، فضلاً عن طلب استئناف النظر فيما يظهر حرصنا على مساعدة التقدم. وحينئذ ستحول الصحافة نظر الجمهور بعيداً بمشكلات جديدة، (وأنتم تعرفون بأنفسكم أننا دائماً نعلم الشعب أن يبحث عن طوائف جديدة). وسيسرع

المغامرون السياسيون الأغبياء إلى مناقشة المشكلات الجديدة. ومثلهم الرعاع الذين لا يفهمون في أيامنا هذه حتى ما يتشدقون به.

وإن المشكلات السياسية لا يعني بها أن تكون مفهومة عند الناس العاديين، ولا يستطيع إدراكها كما قلت من قبل إلا الحكام الذين قد مارسوا تصريف الأمور قروناً كثيرة. ولكم أن تستخلصوا من كل هذا أننا حين نلجأ إلى الرأي العام سنعمل على هذا النحو، كي نسهل عمل جهازنا Machinary كما يمكن أن تلاحظوا أننا نطلب الموافقة على شتى المسائل لا بالأفعال، بل بالأقوال. ونحن دائماً نؤكد في كل إجراءاتنا أننا مقودون بالأمل واليقين لخدمة المصلحة العامة. ولكي نذهل الناس المضعضعين عن مناقشة المسائل السياسية نمدهم بمشكلات جديدة. أي بمشكلات الصناعة والتجارة. ولنتركهم يثوروا على هذه المسائل كما يشتهون.

إنما نوافق الجماهير على التخلي والكف عما تظنه نشاطاً سياسيّاً إذا أعطيناها ملاهي جديدة، أي التجارة التي نحاول فنجعلها تعتقد أنها أيضاً مسألة سياسية. ونحن أنفسنا أغرينا الجماهير بالمشاركة في السياسيات، كي نضمن تأييدها في معركتنا ضد الحكومات الأممية.

ولكي نبعدها عن أن تكشف بأنفسها أي خط عمل جديد سنلهيها أيضاً بأنواع شتى من الملاهي والألعاب ومزجيات للفراغ والمجامع العامة وهلم جرا.

وسرعان ما سنبدأ الإعلان في الصحف داعين الناس إلى الدخول في مباريات شتى في كل أنواع المشروعات: كالفن والرياضة وما إليهما. هذه المتع الجديدة ستلهي ذهن الشعب حتماً عن المسائل التي سنختلف فيها معه، وحالما يفقد الشعب تدريجاً نعمة التفكير المستقل بنفسه سيهتف جميعاً معنا لسبب واحد: هو أننا سنكون أعضاء المجتمع الوحيدين الذين

يكونون أهلاً لتقديم خطوط تفكير جديدة.

وهذه الخطوط سنقدمها متوسلين بتسخير آلاتنا وحدها من أمثال الأشخاص الذين لا يستطاع الشك في تحالفهم معنا، إن دور المثاليين المتحررين سينتهي حالما يعترف بحكومتنا. وسيؤدون لنا خدمة طيبة حتى يحين ذلك الوقت.

ولهذا السبب سنحاول ان نوجه العقل العام نحو كل نوع من النظريات المبهرجة fantastic التي يمكن أن تبدو تقدمية أو تحررية. لقد نجحنا نجاحاً كاملاً بنظرياتنا على التقدم في تحويل رؤوس الأمميين الفارغة من العقل نحو الاشتراكية. ولا يوجد عقل واحد بين الأمميين يستطيع أن يلاحظ أنه في كل حالة وراء كلمة «التقدم» يختفي ضلال وزيغ عن الحق، ما عدا الحالات التي تشير فيها هذه الكلمة إلى كشوف مادية أو علمية. إذ ليس هناك إلا تعليم حق واحد، ولا مجال فيه من أجل «التقدم» إن التقدم كفكرة زائفة يعمل على تغطية الحق، حتى لا يعرف الحق أحد غيرنا نحن شعب الله المختار الذي اصطفاه ليكون قواماً على الحق.

وحين نستحوذ على السلطة سيناقش خطباؤنا المشكلات الكبرى التي كانت تحير الإنسانية، لكي ينطوي النوع البشري في النهاية تحت حكمنا المبارك ومن الذي سيرتاب حينئذ في أننا الذين كنا نثير هذه المشكلات وفق خطة Scheme سياسية لم يفهمها إنسان طوال قرون كثرة.

البروتوكول الرابع عشر:

حينما نمكن لأنفسنا فنكون سادة الأرض لن نبيح قيام أي دين غير ديننا، أي الدين المعترف بوحدانية الله الذي ارتبط حظنا باختياره إيانا كما ارتبط به مصير العالم.

ولهذا السبب يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان، واذ تكون النتيجة المؤقتة لهذا هي أثمار ملحدين فلن يدخل هذا في موضوعنا، ولكنه سيضرب مثلاً للأجيال القادمة التي ستصغي إلى تعاليمنا على دين موسى الذي وكل إلينا بعقيدته الصارمة واجب إخضاع كل الأمم تحت أقدامنا.

واذ نؤدي هذا سنعكف أيضاً على الحقائق الباطنية Mystic truths للتعاليم الموسوية التي تقوم عليها كما سنقول كل قوتها التربوية.

ثم سننشر في كل فرصة ممكنة مقالات نقارن فيها بين حكمنا النافع وذلك الحكم السابق. وإن حالة اليمن والسلام التي ستسود يومئذ ولو أنها وليدة اضطراب قرون طويلة ستفيد أيضاً في تبيين محاسن حكمنا الجديد. وسنصور الأخطاء التي ارتكبها الأمميون (غير اليهود) في إدارتهم بأفضح الألوان. وسنبدأ بإثارة شعور الازدراء نحو منهج الحكم السابق، حتى إن الأمم ستفضل حكومة السلام في جو العبودية على حقوق الحرية التي طالما مجدوها، فقد عذبتهم بأبلغ قسوة، واستنزفت منهم ينبوع الوجود الإنساني نفسه، وما دفعهم إليها على التحقيق إلا جماعة من المغامرين الذين لم يعرفوا ما كانوا يفعلون.

ان التغييرات الحكومة العقيمة التي أغرينا الأمميين بها متوسلين بذلك إلى تقويض صرح دولتهم ستكون في ذلك الوقت قد أضجرت الأمم تماماً، إلى حد أنها ستفضل مقاساة أي شيء منها خوفاً من أن تعود إلى العناء والخيبة اللذين تمضي الأمم خلالهما فيما لو عاد الحكم السابق.

وسنوجه عناية خاصة إلى الأخطاء التاريخية للحكومات الأممية التي عذبت الإنسانية خلال قرون كثيرة جدّاً لنقص في فهمها أي شيء يوافق السعادة الحقة للحياة الإنسانية، ولبحثها عن الخطط المبهرجة للسعادة الاجتماعية، لأن الأمميين لم يلاحظوا أن خططهم، بدلاً من أن تحسن

العلاقات بين الإنسان والإنسان، لم تجعلها إلا أسوأ وأسوأ. وهذه العلاقات هي أساس الوجود الإنساني نفسه، إن كل قوة مبادئنا وإجراءاتنا، ستكون كامنة في حقيقة إيضاحنا لها، مع أنها مناقضة تماماً للمتهج المنحل الضائع للأحوال الاجتماعية السابقة.

وسيفضح فلاسفتنا كل مساوئ الديانات الأممية (غير اليهودية) ولكن لن يحكم أحد أبداً على دياناتنا من وجهة نظرها الحقة، إذ لن يستطاع لأحد أبداً أن يعرفها معرفة شاملة نافذة إلا شعبنا الخاص الذي لن يخاطر بكشف أسرارها.

وقد نشرنا في كل الدول الكبرى ذوات الزعامة أدباً Literature مريضاً قذراً يغثي النفوس. وسنستمر فترة قصيرة بعد الاعتراف بحكمنا على تشجيع سيطرة مثل هذا الأدب، كي يشير بوضوح إلى اختلافه عن التعاليم التي سنصدرها من موقفنا المحمود. وسيقوم علماؤنا الذين ربوا لغرض قيادة الأمميين بإلقاء خطب، ورسم خطط، وتسويد مذكرات، متوسلين بذلك إلى أن تؤثر على عقول الرجال وتجذبها نحو تلك المعرفة وتلح الأفكار التي تلائمنا.

البروتوكول الخامس عشر:

سنعمل كل ما في وسعنا على منع المؤامرات التي تدبر ضدنا حين نحصل نهائيًا على السلطة، متوسلين إليها بعدد من الانقلابات السياسية coups detat المفاجئة التي سننظمها بحيث تحدث في وقت واحد في جميع الأقطار، وسنقبض على السلطة بسرعة عند إعلان حكوماتها رسميًا إنها عاجزة عن حكم الشعوب، وقد تنقضي فترة طويلة من الزمن قبل أن يتحقق هذا، وربما تمتد هذه الفترة قرناً بلا رحمة في كل من يشهر أسلحة ضد استقرار سلطتنا.

إن تأليف أي جماعة سرية جديدة سيكون عقابه الموت أيضاً، وأما الجماعات السرية التي تقوم في الوقت الحاضر ونحن نعرفها، والتي تخدم، وقد خدمت، أغراضنا فإننا سنحلها وننفي أعضاءها إلى جهات نائية من العالم. وبهذا الأسلوب نفسه سنتصرف مع كل واحد من الماسونيين الأحرار الأمميين (غير اليهود) الذين يعرفون أكثر من الحد المناسب لسلامتنا. وكذلك الماسونيون الذين ربما نعفو عنهم لسبب أو لغيره سنبقيهم في خوف دائم من النفي، وسنصدر قانوناً يقضي على الأعضاء السابقين في الجمعيات السرية بالنفي من أوروبا حيث سيقوم مركز حكومتنا.

وستكون قرارات حكومتنا نهائية، ولن يكون لأحد الحق في المعارضة. ولكي نرد كل الجماعات الأممية على أعقابها ونمسخها هذه الجماعات التي غرسنا بعمق في نفوسها الاختلافات ومبادئ نزعة المعارضة Protestant للمعارضة سنتخذ معها إجراءات لا رحمة فيها. مثل هذه الإجراءات ستعرف الأمم أن سلطتنا لا يمكن أن يعتدى عليها، ويجب ألا يعتد بكثرة الضحايا الذين سنضحي بهم للوصول إلى النجاح في المستقبل.

إن الوصول إلى النجاح، ولو توصل إليه بالتضحيات المتعددة، هو واجب كل حكومة تتحقق ان شروط وجودها ليست كامنة في الامتيازات التي تتمتع بها فحسب، بل في تنفيذ واجباتها كذلك.

والشرط الأساسي في استقرارها يمكن في تقوية هيبة سلطاتها، وهذه الهيبة لا يمكن الوصول إليها إلا بقوة عظيمة غير متأرجحة Unshakable، وهي القوة التي ستبدو أنها مقدسة لا تنتهك لها حرمة، ومحاطة بقوة باطنية Mystic لتكون مثلاً من قضاء الله وقدره.

هكذا حتى الوقت الحاضر كانت الأوتوقراطية الروسية Russian

Autoxiacy عدونا الوحيد إذا استثنينا الكنسية البابوية المقدسة Holysee اذكروا أن إيطاليا عندما كانت تتدفق بالدم لم تمس شعرة واحدة من رأس سلا Silla وقد كان هو الرجل الذي جعل دمها يتفجر ونشأ عن جبروت شخصية سلا Silla أن صار لها في أعين الشعب، وقد جعلته عودته بلا خوف إلى إيطاليا مقدساً لا تنتهك له حرمة Ruviolable فالشعب لن يضر الرجل الذي يسحره huphoneses بشجاعة وقوة عقله.

وإلى أن يأتي الوقت الذي نصل فيه إلى السلطة، سنحاول أن ننشئ ونضاعف خلايا الماسونيين الأحرار في جميع أنحاء العالم وسنجذب إليها كل من يصير أو من يكون معروفاً بأنه ذو روح عامة Pubicspirit وهذه الخلايا ستكون الاماكن الرئيسية التي سنحملها على ما نريد من أخبار كما أنها ستكون أفضل مراكز الدعاية.

وسوف نركز كل هذه الخلايا تحت قيادة واحدة معروفة لنا وحدنا وستتألف هذه القيادة من علمائنا، وسيكون لهذه الخلايا أيضاً ممثلوها الخصوصيون، كي نحجب المكان الذي نقيم فيه قيادتنا حقيقة. وسيكون لهذه القيادة وحدها الحق في تعيين من يتكلم عنها وفي رسم نظام اليوم، وسنضع الحبائل والمصايد في هذه الخلايا لكل الاشتراكيين وطبقات المجتمع الثورية. وأن معظم الخطط السياسية السرية معروفة لنا، وسنهديها إلى تنفيذها حالما تشكل.

وكل الوكلاء Agents في البوليس الدولي السري تقريباً سيكونون أعضاء في هذه الخلايا.

ولخدمات البوليس أهمية عظيمة لدينا، لأنهم قادرون على أن يلقوا ستاراً على مشروعاتنا Enterprises، وأن يستنبطوا تفسيرات معقولة للضجر

والسخط بين الطوائف. وأن يعاقبوا أيضاً أولئك الذين يرفضون الخضوع لنا.

ومعظم الناس الذين يدخلون في الجمعيات السرية مغامرون يرغبون أن يشقوا طريقهم في الحياة بأي كيفية، وليسوا ميالين إلى الجد والعناء.

وبمثل هؤلاء الناس سيكون يسيراً علينا أن نتابع أغراضنا، وأن نجعلهم يدفعون جهازنا للحركة.

وحينما يعاني العالم كله القلق فلن يدل هذا إلا على أنه قد كان من الضروري لنا أن نقلقه هكذا، كي نعظم صلابته العظيمة الفائقة. وحينما تبدأ المؤامرات خلاله فإن بدءها يعني أن واحداً من أشد وكلائنا إخلاصاً يقوم على رأس هذه المؤامرة. وليس إلا طبيعياً أننا كنا الشعب الوحيد الذي يوجه المشروعات الماسونية. ونحن الشعب الوحيد الذي يعرف كيف يوجهها. ونحن نعرف الهدف الأخير لكل عمل على حين أن الأمميين (غير اليهود) جاهلون بمعظم الأشياء الخاصة بالماسونية ولا يستطيعون ولو رؤية النتائج العاجلة لما هم فاعلون. وهم بعامة لا يفكرون إلا في المنافع الوقتية العاجية، ويكتفون بتحقيق غرضهم، حين يرضي غرورهم، ولا يفطنون إلى أن الفكرة الأصلية لم تكن فكرتهم بل كنا نحن أنفسنا الذين أوحينا إليهم بها.

والأمميون يكثرون من التردد على الخلايا الماسونية عن فضول محض. أو على أمل في نيل نصيبهم من الأشياء الطيبة التي تجري فيها، وبعضهم يغشاها أيضاً لأنه قادر على الثرثرة بأفكاره الحمقاء أمام المحافل. والأمميون يبحثون عن عواطف النجاح وتهليلات الاستحسان ونحن نوزعها جزافاً بلا تحفظ، ولهذا نتركهم يظفرون بنجاحهم. لكي نوجه لخدمة مصالحها كل من تتملكهم مشاعر الغرور، ومن يتشربون أفكارنا عن غفلة واثقين بصدق عصمتهم الشخصية، وبأنهم وحدهم أصحاب الآراء، وأنهم غير خاضعين

فيما يرون لتأثير الآخرين.

وأنتم لا تتصورون كيف يسهل دفع أمهر الأمميين إلى حالة مضحكة من السذاجة والغفلة Naivite بإثارة غروره وإعجابه بنفسه، كيف يسهل من ناحية أخرى أن تثبط شجاعته وعزيمته بأهون خيبة، ولو بالسكوت ببساطة عن تهليل الاستحسان له، وبذلك تدفعه إلى حالة خضوع ذليل كذل العبد إذ تصده عن الأمل في نجاح جديد، وبمقدار ما يحتقر شعبنا النجاح، ويقصر تطلعه على رؤية خططه متحققة، يحب الامميون النجاح، ويكونون مستعدين للتضحية بكل خططهم من أجله.

إن هذه الظاهرة Feature في اخلاف الأمميين تجعل عملنا ما نشتهي عمله معهم أيسر كثيراً. إن أولئك الذين يظهرون كأنهم النمور هم كالغنم غباوة، ورؤوسهم مملوءة بالفراغ. سنتركهم يركبون في أحلامهم على حصان الآمال العقيمة، لتحطيم الفردية الإنسانية بالأفكار الرمزية لمبدأ الجماعية Collectivism. إنهم لم يفهموا بعد، ولن يفهموا، أن هذا الحلم الوحشي مناقض لقانون الطبيعة الأساسي هو منذ بدء التكوين قد خلق كل كائن مختلفاً عن كل ما عداه. لكي تكون له بعد ذلك فردية مستقلة.

أفليست حقيقة اننا كنا قادرين على دفع الأمميين إلى مثل هذه الفكرة الخاطئة تبرهن بوضوح قوي على تصورهم الضيق للحياة الإنسانية إذا ما قورنوا بنا؟ وهنا يكمن الأمل الأكبر في نجاحنا.

ما كان أبعد نظر حكمائنا القدماء حينما أخبرونا أنه للوصول إلى غاية عظيمة حقّاً يجب ألا نتوقف لحظة أمام الوسائل. وأن لا نعتد بعدد الضحايا الذين تجب التضحية بهم للوصول إلى هذه الغاية.. إننا لم نعتمد

قط بالضحايا من ذرية أولئك البهائم من الأمميين (غير اليهود)، ومع أننا ضحينا كثيراً من شعبنا ذاته فقد بوأناه الآن مقاماً في العالم ما كان ليحلم بالوصول إليه من قبل. إن ضحايانا وهم قليل نسبيّاً قد صانوا شعبنا من الدمار. كل إنسان لا بد أن ينتهي حتماً بالموت. والأفضل أن نعجل بهذه النهاية إلى الناس الذين يعوقون غرضنا، لا الناس الذين يقدمونه.

إننا سنقدم الماسون الأحرار إلى الموت بأسلوب لا يستطيع معه أحد إلا الأخوة أن يرتاب أدنى ريبة في الحقيقة، بل الضحايا أنفسهم أيضاً لا يرتابون فيها سلفاً. إنهم جميعاً يموتون حين يكون ذلك ضروريّاً موتاً طبيعياً في الظاهر. حتى الإخوة وهم عارفون بهذه الحقائق لن يجرأوا على الاحتجاج عليها.

وبمثل هذه الوسائل نستأصل جذور الاحتجاج نفسها ضد أوامرنا في المجال الذي يهتم به الماسون الأحرار. فنحن نبشر بمذهب التحررية لدى الأمميين، وفي الناحية الأخرى نحفظ شعبنا في خضوع كامل.

وبتأثيرنا كانت قوانين الأمميين مطاعة كأقل ما يمكن: ولقد قوضت هيبة قوانينهم بالأفكار التحرريةLiberal التي أذعناها في أوساطهم وان أعظم المسائل خطورة، سواء أكانت سياسية أم أخلاقية، إنما تقرر في دور العدالة بالطريقة التي شرعها. فالأممي القائم بالعدالة ينظر إلى الأمور في أي ضوء نختاره لعرضها.

وهذا ما أنجزناه متوسلين بوكلائنا وبأناس يبدو أن لا صلة لنا بهم كآراء الصحافة ووسائل أخرى، بل إن أعضاء مجلس الشيوخ Senators وغيرهم من أكابر الموظفين يتبعون نصائحنا اتباعاً أعمى.

وعقل الأممي لكونه ذا طبيعة بهيمية محضة غير قادر على تحليل أي شيء وملاحظته، فضلا عن التكهن بما قد يؤدي إليه امتداد حال من الأحوال إذا وضع في ضوء معين.

وهذا الاختلاف التام في العقلية بيننا وبين الأمميين هو الذي يمكن أن يرينا بسهولة آية اختيارنا من عند الله، وأننا ذوو طبيعة ممتازة فوق الطبيعة البشرية Superhumannatury حين تقارن بالعقل الفطري البهيمي عند الأمميين. إنهم يعاينون الحقائق فحسب. ولكن لا يتنبأون بها، وهم عاجزون عن ابتكار أي شيء وربما تستثني من ذلك الأشياء المادية. ومن كل هذا يتضح أن الطبيعة قد قدرتنا تقديراً لقيادة العالم وحكمه. وعندما يأتي الوقت الذي نحكم فيه جهرة ستحين اللحظة التي نبين فيها منفعة حكمنا، وسنقوم كل القوانين.وستكون كل قوانينا قصيرة وواضحة وموجزة غير محتاجة إلى تفسير، حتى يكون كل إنسان قادراً على فهمها باطناً وظاهراً. وستكون السمة Future الرئيسية فيها هي الطاعة اللازمة للسلطة، وان هذا التوفير للسلطة سيرفعه إلى قمة عالية جدّاً. وحينئذ ستوقف كل أنواع اساءة استعمال السلطة لأن كل إنسان سيكون مسئولاً امام السلطة العليا الوحيدة: أي سلطة الحاكم. وإن سوء استعمال السلطة من جانب الناس ما عدا الحاكم سيكون عقابه بالغ الصرامة إلى حد أن الجميع سيفقدون الرغبة في تجربة سلطتهم لهذا الاعتبار.

وسنراقب بدقة خطوة تتخذها هيئتنا الإدارية التي سيعتمد عليها عمل جهاز الدولة، فإنه حين تصير الإدارة بطيئة ستبعث الفوضى في كل مكان. ولن يبقى بمنجاة من العقاب أي عمل غير قانوني، ولا أي سوء استعمال للسلطة.

ستزول كل أعمال الخفاء والتقصير العمد من جانب الموظفين في الإدارة

بعد أن يروا أوائل أمثلة العقاب.

وستستلزم عظمة سلطتنا توقيع عقوبات تناسبها، أو أن تلك العقوبات ستكون صارمة Harsh ولو عند أدنى شروع في الاعتداء على هيبة سلطتنا من أجل مصلحة شخصية للمعتدي أو لغيره. والرجل الذي يعذب جزاء أخطائه ولو بصرامة بالغة إنما هو جندي يموت في معترك Battlefield الإدارة من أجل السلطة والمبدأ والقانون، وكلها لا تسمح بأي انحراف عن الصراط العام Public path من أجل مصالح شخصية، ولو وقع من أولئك الذين هم مركبة الشعب Public chariot وقادته. فمثلاً سيعرف قضاتنا أنهم بالشروع في إظهار تسامحهم يعتدون على قانون العدالة الذي شرع لتوقيع العقوبة على الرجال جزاء جرائمهم التي يقترفونها، ولم يشرع كي يمكن القاضي من إظهار حلمه. وهذه الخصلة الفاضلة لا ينبغي أن تظهر إلا في الحياة الخاصة للإنسان، لا في مقدرة القاضي الرسمية التي تؤثر في أسس التربية للنوع البشري.

ولن يخدم أعضاء القانون في المحاكم بعد سن الخامسة والخمسين للسببين الآتيين:

أولهما: أن الشيوخ أعظم إصراراً وجموداً في تمسكهم بالأفكار التي يدركونها سلفاً، وأقل اقتداراً على طاعة النظم الحديثة.

وثانيهما: أن مثل هذا الإجراء سيمكننا من إحداث تغييرات عدة في الهيئة Staff الذين سيكونون لذلك خاضعين لأي ضغط من جانبنا. فإن أي إنسان يرغب في الاحتفاظ بمنصبه سيكون عليه كي يضمنه أن يطيعنا طاعة عمياء.

وعلى العموم سيختار قضاتنا من بين الرجال الذين يفهمون أن واجبهم هو العقاب وتطبيق القوانين، وليس الاستغراق في أحلام مذهب التحررية Liberalism

الذي قد ينكب النِّظَّام التربوي للحكومة، كما يفعل القضاة الأمميون الآن. وإن نظام تغيير الموظفين سيساعدنا أيضاً في تدمير أي نوع للاتحاد يمكن أن يؤلفوه فيما بين أنفسهم، ولن يعملوا إلا لمصلحة الحكومة التي ستتوقف حظوظهم ومصايرهم عليها. وسيبلغ من تعليم الجيل الناشئ من القضاة أنهم سيمنعون بداهة كل عمل قد يضر بالعلاقات بين رعايانا بعضهم وبعض.

إن قضاة الأمميين في الوقت الحاضر مترخصون مع كل صنوف المجرمين، إذ ليست لديهم الفكرة الصحيحة لواجبهم، ولسبب بسيط أيضاً هو أن الحكام حين يعينون القضاة لا يشددون عليهم في أن يفهموا فكرة ما عليهم من واجب.

ان حكام الأمميين حين يرشحون رعاياهم لمناصب خطيرة لا يتعبون أنفسهم كي يوضحوا لهم خطورة هذه المناصب. والغرض الذي أنشئت من اجله، فهم يعملون كالحيوانات حين ترسل جراءها الساذجة بغية الافتراس. وهكذا تتساقط حكومات الأمميين بدءاً على أيدي القائمين بأمورها. إننا سنتخذ نهجاً أدبيّاً واحداً أعظم، مستنبطاً من نتائج النِّظَّام الذي تعارف عليه الأمميون، ونستخدمه في إصلاح حكومتنا. وسنستأصل كل الميول التحررية من كل هيئة خطيرة في حكومتنا للدعاية التي قد تعتمد عليها تربية من سيكونون رعايانا. وستكون المناصب الخطيرة مقصورة بلا استثناء على من ربيناهم تربية خاصة للإدارة.

وإذا لوحظ أن إخراجنا موظفينا قبل الأوان في قائمة المتقاعدين قد يثبت أنه يكبد حكوماتنا نفقات باهظة إذن فجوابي أننا، قبل كل شيء، سنحاول أن نجد مشاغل خاصة لهؤلاء الموظفين لنعوضهم عن مناصبهم في الخدمة الحكومية. أو جوابي أيضاً ان حكومتنا، على أي حال، ستكون مستحوذة على كل أموال العالم، فلن تأبه من أجل ذلك بالنفقات.

وستكون أوتوقراطيتنامكينة في كل أعمالها، ولذلك فإن كل قرار سيتخذه أمرنا العالي سيقابل بالإجلال والطاعة دون قيد ولا شرط. وسنتنكر لكل نوع من التذمر والسخط، وسنعاقب على كل إشارة تدل على البطر عقاباً بالغاً في صرامته حتى يتخذه الآخرون لأنفسهم عبرة، وسنلغي حق استئناف الأحكام، ونقصره على مصلحتنا فحسب. والسبب في هذا الإلغاء هو أننا يجب علينا ألا نسمح أن تنمو بين الجمهور فكرة أن قضاتنا يحتمل ان يخطئوا فيما يحكمون.

وإذا صدر حكم يستلزم إعادة النظر فسنعزل القاضي الذي أصدره فوراً، ونعاقبه جهراً، حتى لا يتكرر مثل هذا الخطأ فيما بعد.

سأكرر ما قلته من قبل، وهو أن أحد مبادئنا الأساسية هو مراقبة الموظفين الإداريين، وهذا على الخصوص لإرضاء الأمة، فإن لها الحق الكامل في الاصرار على أن يكون للحكومة موظفون إداريون صالحون.

إن حكومتنا ستحيل مظهر الثقة الأبوية Patriarchal في شخص ملكنا، وستعده أمتنا ورعايانا فوق الأب الذي يعني بسد كل حاجاتهم، ويرعى كل حاجاتهم، ويرعى كل أعمالهم، ويرتب جميع معاملات رعاياه بعضهم مع بعض، ومعاملاتهم أيضاً مع الحكومة. وبهذا سينفذ الإحساس بتوقير الملك بعمق بالغ في الأمة حتى لن تستطيع أن تقدم بغير عنايته وتوجيهه. إنهم لا يستطيعون أن يعيشوا في سلام إلا به، وسيعترفون في النهاية به على أنه حاكمهم الأوتوقراطي المطلق.

وسيكون للجمهور هذا الشعور العميق بتوقيره توقيراً يقارب العبادة، وبخاصة حين يقتنعون بأن موظفيه ينفذون أوامره تنفيذاً أعمى، وأنه وحده المسيطر عليهم. إنهم سيفرحون بأن يرونا ننظم حياتناour lives كما لو كنا آباء حريصين

على تربية أطفالهم على الشعور المرهف الدقيق بالواجب والطاعة.

وتعتبر سياستنا السرية أن كل الأمم أطفال، وأن حكوماتها كذلك، ويمكنكم أن تروا بأنفسكم أني أقيم استدلالنا على الحق Right وعلى الواجب Duty. فإن حق الحكومة في الإصرار على أن يؤدي الناس واجبهم هو في ذاته فرض للحاكم الذي هو أبو رعاياه، وحق السلطة منحة له، لأنه سيقود الإنسانية في الاتجاه الذي شرعته حقوق الطبيعة، أي الاتجاه نحو الطاعة.

إن كل مخلوق في هذا العالم خاضع لسلطة. إن لم تكن سلطة إنسان فسلطة ظروف، أو سلطة طبيعته الخاصة فهي مهما تكن الحال سلطة شيء أعظم قوة منه، وإذن فلنكن نحن الشيء الأعظم قوة من أجل القضية العامة.

ويجب ان نضحي دون تردد بمثل هؤلاء الأفراد الذين يعتدون على النِّظَّام القائم جزاء اعتداءاتهم، لأن حل المشكلة التربوية الكبرى هو في العقوبة المثلى.

ويوم يضع ملك إسرائيل على رأسه المقدس التاج الذي أهدته له كل أوروبا سيصير البطريرك Patriarch لكل العالم.

إن عدد الضحايا الذين سيضطر ملكنا إلى التضحية بهم لن يتجاوز عدد أولئك الذين ضحى بهم الملوك الأمميون في طلبهم العظمة، وفي منافسة بعضهم بعضاً.

سيكون ملكنا على اتصال وطيد قوي بالناس، وسيلقي خطباً من فوق المنابر Tribunes. وهذه الخطب جميعاً ستذاع فوراً على العالم.

البروتوكول السادس عشر:

رغبة في تدمير أي نوع من المشروعات الجمعية غير مشروعنا سنبيد العمل الجمعي في مرحلته التمهيدية أي أننا سنغير الجامعات، ونعيد إنشاءها حسب خططنا الخاصة.

وسيكون رؤساء Heads الجامعات وأساتذتها معدين إعداداً خاصّاً وسيلته برنامج عمل سري متقن سيهذبون ويشكلون بحسبه، ولن يستطيعوا الانحراف عنه بغير عقاب. وسيرشحون بعناية بالغة، ويكون معتمدين كل الاعتماد على الحكومة Gouvernment وسنحذف من فهرسنا Syllabus كل تعاليم القانون المدني مثله في ذلك مثل أي موضوع سياسي آخر. ولن يختار لتعلم هذه العلوم إلا رجال قليل من بين المدرسين، لمواهبهم الممتازة. ولن يسمح للجامعات أن تخرج للعالم فتياناً خضر الشباب ذوي أفكار عن الإصلاحات الدستورية الجديدة، كأنما هذه الإصلاحات مهازل comedies أو مآسٍ Tragedies، ولن يسمح للجامعات أيضاً أن تخرج فتياناً ذوي اهتمام من أنفسهم بالمسائل السياسية التي لا يستطيع ولو آباؤهم أن يفهموها.

إن المعرفة الخاطئة للسياسية بين أكداس الناس هي منبع الأفكار الطوباوية Utopian ideas وهي التي تجعلهم رعايا فاسدين. وهذا ما تستطيعون أن تروه بأنفسكم في النِّظَّام التربوي للأمميين (غير اليهود). وعلينا أن نقدم كل هذه المبادئ في نظامهم التربوي، كي نتمكن من تحطيم بنيانهم الاجتماعي بنجاح كما قد فعلنا. وحين نستحوذ على السلطة سنبعد من برامج التربية كل المواد التي يمكن أن تمسخ upset عقول الشباب وسنصنع منهم أطفالاً طيعين يحبون حاكمهم، ويتبينون في شخصه الدعامة الرئيسية للسلام والمصلحة العامة.

وسنتقدم بدراسة مشكلات المستقبل بدلاً من الكلاسيكيات Classics وبدراسة التاريخ القديم الذي يشتمل على مثل Examples سيئة أكثر من اشتماله على مثل حسنة، وسنطمس في ذاكرة الإنسان العصور الماضية التي قد تكون شؤما علينا، ولا نترك إلا الحقائق التي ستظهر أخطاء الحكومات

في ألوان قاتمة فاضحة. وتكون في مقدمة برنامجنا التربوي الموضوعات التي تعني بمشكلات الحياة العملية، والتنظيم الاجتماعي. وتصرفات كل إنسان مع غيره، وكذلك الخطب التي تشن الغارة على النماذج الأنانية السيئة التي تعدي وتسبب الشر، وكل ما يشبهها من المسائل الأخرى ذات الطابع الفطري. هذه البرامج ستكون مرتبة بخاصة للطبقات والطوائف المختلة، وسيبقى تعليمها منفصلاً بعضها عن بعض بدقة.

وانه لأعظم خطورة أن نحرص على هذا النِّظَّام ذاته. وسيفرض على كل طبقة أو فئة أن تتعلم منفصلة حسب مركزها وعملها الخاصين. إن العبقرية العارضة chance قد عرفت دائماً وستعرف دائماً كيف تنفذ إلى طبقة أعلى، ولكن من أجل هذا العرض الاستثنائي تماماً لا يلي أن نخلط بين الطوائف المختلفة، ولا أن نسمح لمثل هؤلاء الرجال بالنفاذ إلى المراتب العليا، لا لسبب إلا أنهم يستطيعون أن يحتلوا مراكز من ولدوا ليملأوها، وأنتم تعرفون بأنفسكم كيف كان هذا الأمر شؤماً على الأمميين إذ رضخوا للفكرة ذات الحماقة المطلقة القاضية بعدم التفرقة بين الطبقات الاجتماعية.

ولكي ينال ملكنا مكانة وطيدة في قلوب رعاياه، يتحتم أثناء حكمه أن تتعلم الأمة، سواء في المدارس والأماكن العامة أهمية نشاطه وفائدة مشروعاته.

إنا سنمحو كل أنواع التعليم الخاص. وفي أيام العطلات سيكون للطلاب وآبائهم الحق في حضور اجتماعات في كلياتهم كما لو كانت هذه الكليات أندية.

وسيلقي الأساتذة في هذه الاجتماعات أحاديث تبدو كأنها خطب حرة في مسائل معاملات الناس بعضهم بعضاً، وفي القوانين وفي أخطاء الفهم التي هي على العموم نتيجة تصور زائف خاطئ لمركز الناس الاجتماعي. وأخيراً سيعطون دروساً في النظريات الفلسفية الجديدة التي لم تنشر بعد

على عالم، هذه النظريات ستجعلها عقائد للإيمان، متخذين منها مستنداً Stepping _Stone على صدق إيماننا وديانتنا.

وحينما أنتهي من رحلتكم خلال برنامجنا كله وبذلك سنكون قد فرغنا من مناقشة كل خططنا في الحاضر والمستقبل عندئذ سأتلو عليكم خطة تلك النظريات الفلسفية الجديدة. ونحن نعرف من تجارب قرون كثيرة أن الرجال يعيشون ويهتدون بأفكار، وأن الشعب إنما يلقن هذه الأفكار عن طريق التربية التي تمد الرجال في كل العصور بالنتيجة ذاتها، ولكن بوسائل مختلفة ضرورية. وأننا بالتربية النِّظَّامية سنراقب ما قد بقي من ذلك الاستقلال الفكري الذي نستغله استغلالاً تامّاً لغايتنا الخاصة منذ زمان مضى. ولقد وضعنا من قبل نظام إخضاع عقول الناس بما يسمى نظام التربية البرهانية Demonstrative education (التعليم بالنظر) الذي فرض فيه أن يجعل الأمميين غير قادرين على التفكير باستقلال وبذلك سينتظرون كالحيوانات الطيعة برهاناً على كل فكرة قبل أن يتمسكوا بها. وإن واحداً من أحسن وكلائنا في فرنسا وهو بورو‌ي Bouroy: واضع النِّظَّام الجديد للتربية البرهانية.

البروتوكول السابع عشر:

إن احتراف القانون تجعل الناس يشبون باردين قساة عنيدين ويجردهم كذلك من كل مبادئهم، ويحملهم على أن ينظروا إلى الحياة نظرة غير إنسانية بل قانونية محضة. إنهم صاروا معتادين أن يروا الوقائع ظاهرة من وجهة النظر إلى ما يمكن كسبه من الدفاع، لا من وجهة النظر إلى الأثر الذي يمكن أن يكون لمثل هذا الدفاع في السعادة العامة.

لا محامي يرفض أبداً الدفاع عن أي قضية، إنه سيحاول الحصول على البراءة بكل الأثمان بالتمسك بالنقط الاحتيالية Tricky الصغيرة في التشريع Jurisprudence وبهذه الوسائل سيفسد ذمة المحكمة.

ولذلك سنجد نطاق عمل هذه المهنة، وستضع المحامين على قدم المساواة on afooting مع الموظفين المنفذين Executive والمحامون مثلهم مثل القضاة لأن يكون لهم الحق في أن يقابلوا عملاءهم clints ولن يتسلموا منهم مذكراتهم إلا حينما يعينون لهم من قبل المحكمة القانونية، وسيدرسون مذكرات عن عملائهم بعد أن تكون النيابة قد حققت معهم، مؤسسين دفاعهم عن عملائهم على نتيجة هذا التحقيق وسيكون أجرهم محدداً دون اعتبار بما إذا كان الدفاع ناجحاً. أم غير ناجح إنهم سيكونون مقررين بسطاء لمصلحة العدالة، معادلين النائب الذي سيكون مقرراً لمصلحة النيابة.

وهكذا سنختصر الإجراءات القانونية اختصاراً يستحق الاعتبار. وبهذه الوسائل سنصل أيضاً إلى دفاع غير متعصب، ولا منقاد للمنافع المادية، بل ناشئ عن اقتناع المحامي الشخصي. كما ستفيد هذه الوسائل أيضاً في وضع حد لأي رشوة أو فساد يمكن أن يقعا اليوم في المحاكم القانونية في بعض البلاد.

وقد عنينا عناية عظيمة بالحط من كرامة رجال الدين clergy من الأمميين (غير اليهود) في أعين الناس، وبذلك نجحنا في الإضرار برسالتهم التي كان يمكن أن تكون عقبة كئوداً في طريقنا. وإن نفوذ رجال الدين على الناس ليتضاءل يوماً فيوماً. اليوم تسود حرية العقيدة في كل مكان، ولن يطول الوقت إلا سنوات قليلة حتى تنهار المسيحية بدداً انهياراً تامّاً. وسيبقى ما هو أيسر علينا للتصرف مع الديانات الأخرى، على أن مناقشة هذه النقطة

أمر سابق جدّاً لأوانه.

سنقصر رجال الدين وتعاليمهم له على جانب صغير جدّاً من الحياة، وسيكون تأثيرهم وبيلاً على الناس حتى إن تعاليمهم سيكون لها أثر مناقض للأثر الذي جرت العادة بأن يكون لها.

حينما يحين لنا الوقت كي نحطم البلاد البابي the papal court تحطيماً تامّاً فإن يداً مجهولة، مشيرة إلى الفاتيكان the vatican ستعطي إشارة الهجوم. وحينما يقذف الناس، أثناء هيجانهم، بأنفسهم على الفاتيكان سنظهر نحن كحماة له لوقف المذابح. وبهذا العمل سننفذ إلى أعماق قلب هذا البلاط، وحينئذ لن يكون لقوة على وجه الأرض أن تخرجنا منه حتى نكون قد دمرنا السلطة البابوية.

إن ملك إسرائيل سيصير البابا pope الحق للعالم، بطريركpatricl الكنسية الدولية.

ولن نهاجم الكنائس القائمة الآن حتى تتم إعادة تعليم الشباب عن طريق عقائد مؤقتة جديدة، ثم عن طريق عقيدتنا الخاصة بل سنحاربها عن النقد Criticisim الذي كان وسيظل ينشر الخلافات بينها. وبالإجمال، ستفضح صحافتنا الحكومات والهيئات الأممية الدينية وغيرها، عن طريق كل أنواع المقالات البذيئة Unscrupulous لنخزيها ونحط من قدرها إلى مدى بعيد لا تستطيعه إلا أمتنا الحكيمة. إن حكومتنا ستشبه الإله الهندي فشنوVishnu وكل يد من أيديها المائة ستقبض على لولب في الجهاز الاجتماعي للدولة.

إننا سنعرف كل شيء بدون مساعدة البوليس الرسمي الذي بلغ من إفسادنا إياه على الأمميين أنه لا الحكومة، إلا في أن يحجبها عن رؤية

الحقائق الواقعية. وسيستميل برنامجنا فريقاً ثالثاً من الشعب مراقبة ينبغي من إحساس خالص الواجب ومن مبدأ الخدمة الحكومية الاختيارية.

ويومئذ لن يعد التجسس عملاً شائناً، بل على العكس من ذلك سينظر إليه كأنه عمل محمود. ومن الجهة الأخرى سيعاقب مقدمو البلاغات Report الكاذبة عقاباً صارماً حتى يكفّ أصحاب البلاغات عن استعمال حصانتهم استعمالاً سيئاً.

وسيختار وكلاؤنا Agints من بين الطبقات العليا والدنيا على السواء، وسيتخذون من بين الإداريين والمحررين الطابعين، وباعة الكتب، والكتبة Clerks والعمال، والحوذية، والخدم وأمثالهم. وهذه القوة البوليسية لن تكون لها سلطة تنفيذية مستقلة، ولن يكون لها حق اتخاذ إجراءات حسب رغباتها الخاصة، وإذن فسينحصر واجب هذا البوليس الذي لا نفوذ له انحصاراً تامّاً في العمل كشهود، وفي تقديم بلاغات Reports وسيعتمد في فحص بلاغاتهم ومضبوطاتهم الفعلية على أيدي «الجندرمة» Gendarmes وبوليس المدينة. وإذا حدث تقصير في تبليغ أي مخالفة Misdemeanour تتعلق بالأمور السياسية فإن الشخص إذا كان ممكناً إثبات أنه مجرم بمثل هذا الاخفاء. وعلى مثل هذه الطريقة يجب أن يتصرف إخواننا الآن، أي أن يشرعوا بأنفسهم لابلاغ السلطة المختصة عن كل المتنكرين للعقيدة Apostates وعن كل الأعمال التي تخالف قانوننا. وهكذا يكون واجب رعايانا في حكومتنا العالمية Universal Gouvernment أن يخدموا حاكمهم باتباع الأسلوب السابق الذكر:

إن تنظيماً كهذا سيستأصل كل استعمال سيء للسلطة، والأنواع المختلفة للرشوة والفساد إنه سيجرف في الواقع كل الأفكار التي لوثنا بها حياة

الأمميين عن طريق نظرياتنا في الحقوق البشرية الراقية Superhuman Right وكيف استطعنا أن نحقق هدفنا لخلق الفوضى في الهيئات الإدارية للأمييين إلا ببعض أمثال هذه الوسائل؟.

ومن الوسائل العظيمة الخطيرة لإفساد هيئاتهم، أن نسخر وكلاء ذوي مراكز عالية يلوثون غيرهم خلال نشاطهم الهدام: بأن يكشفوا وينموا ميولهم الفاسدة الخاصة كالميل إلى إساءة استعمال السلطة والانطلاق في استعمال الرشوة.

البروتوكول الثامن عشر:

حينما يتاح لنا الوقت كي نتخذ إجراءات بوليسية خاصة بأن نفرض قهراً نظام «أكهرانا Okhrana» الروسي الحاضر (أشد السموم خطراً على هيبة الدولة) حينئذ نثير اضطرابات تهكمية بين الشعب، أو نغريه بإظهار السخط المعطل Protracted وهذا يحدث بمساعدة البلغاء. إن هؤلاء الخطباء سيجدون كثيراً من الأشياع Sympathesers، وبذلك يعطوننا حجة لتفتيش بيوت الناس، ووضعهم تحت قيود خاصة، مستغلين خدمنا بين بوليس الأمميين.

وإذ أن المتآمرين مدفوعون بحبهم هذا الفن: فمن التآمر، وحبهم الثرثرة، فلن نمسهم حتى نراهم على أهبة المضي في العمل. وسنقتصر على أن نقدم من بينهم من أجل الكلام عنصراً إخباريّاً Reporting element ويجب أن تذكر أن السلطة تفقد هيبتها في كل مرة تكتشف فيها مؤامرة شعبية ضدها. فمثل هذا الاكتشاف يوحي إلى الأذهان أن يحدث وتؤمن بضعف السلطة، وبما هو أشد خطراً من ذلك. وهو الاعتراف بأخطائها. يجب أن نعرف أننا دمرنا هيبة الأمميين الحاكمين متوسلين بعدد من الاغتيالات الفردية التي أنجزها وكلاؤنا: وهم خرفان قطيعنا العميان الذين يمكن بسهولة إغراؤهم بأي جريمة، ما دامت هذه الجريمة ذات طابع سياسي.

إننا سنكره الحاكمين على الاعتراف بضعفهم بأن يتخذوا علانية إجراءات بوليسية خاصة «أكهرانا Okhrana» وبهذا سنزعزع هيبة سلطتهم الخاصة.

وإن ملكنا سيكون محمياً بحرس سري جداً. إذ لن نسمح لإنسان أن يظن أن تقوم ضد حاكمنا مؤامرة لا يستطيع هو شخصياً أن يدمرها فيضطر خائفاً إلى إخفاء نفسه منها. فإذا سمحنا بقيام هذه الفكرة كما هي سائدة بين الأمميين فإننا بهذا سنوقع صك الموت لملكنا: إن لم يكن موته هو نفسه فموت دولته Dynasty.

وبالملاحظة الدقيقة للمظاهر سيستخدم لملكنا سلطته لمصلحة الأمم فحسب، لا لمصلحته هو ولا لمصلحة دولته Dynasty.

وبالتزامه مثل هذا الأدب سيمجده رعاياه ويفدونه بأنفسهم إنهم سيقدسون سلطة الملك Sovereign مدركين أن سعادة الأمة منوطة بهذه السلطة «لأنها عماد النِّظّام العام».

إن حراسة الملك جهاراً تساوي الاعتراف بضعف قوته.

وإن حاكمنا سيكون دائماً وسط شعبه. وسيظهر محفوفاً بجمهور مستطلع من الرجال والنساء يشغلون بالمصادفة دائماً حسب الظاهر أقرب الصفوف إليه مبعدين بذلك عنه الرعاع، بحجة حفظ النِّظّام من أجل النِّظّام فحسب. وهذا المثل سيعلم الآخرين محاولة ضبط النفس. وإذا وجد صاحب ملتمس بين الناس يحاول أن يسلم الملك ملتمساً، ويندفع خلال الغوغاء، فإن الناس الذين في الصفوف الأولى سيأخذون ملتمسه، وسيعرضونه على الملك في حضور صاحب الملتمس لكي يعرف كل إنسان بعد ذلك أن كل الملتمسات تصل الملك، وأنه هو نفسه يصف كل الأمور. ولكي تبقى هيبة السلطة يجب أن تبلغ منزلتها من الثقة إلى حد أن يستطيع الناس أن يقولوا فيما بين

أنفسهم: «لو أن الملك يعرفه فحسب» أو «حينما يعرفه الملك».

إن الصوفية Myticism التي تحيط بشخص الملك تتلاشى بمجرد أن يرى حرس من البوليس موضوع حوله. فحين يستخدم مثل هذا الحرس فليس على أي مغتال assassin إلا أن يجرب قدراً معيناً من الوقاحة، والطيش كي يتصور نفسه أقوى من الحرس، فيحقق بذلك مقدرته، وليس عليه بعد ذلك إلا أن يترقب اللحظة التي يستطيع فيها القيام بهجوم على القوة المذكورة.

إننا لا ننصح الأمميين (غير اليهود) بهذا المذهب. وأنتم تستطيعون أن تروا بأنفسكم النتائج التي أدى إليها اتخاذ الحرس العلني.

إن حكومتنا ستعتقل الناس الذين يمكن أن تتوهم منهم الجرائم السياسية توهماً عن صواب كثير أو قليل. إذ ليس أمراً مرغوباً فيه أن يعطى رجل فرصة الهرب مع قيام مثل هذه الشبهات خوفاً من الخطأ في الحكم.

ونحن فعلاً لن نظهر عطفاً لهؤلاء المجرمين. وقد يكون ممكناً في حالات معنية أن نعتد بالظروف المخففة Attenuating circumstances عند التصرف في الجنح offences الإجرامية العادية ولكن لا ترخص ولا تساهل مع الجريمة السياسية، أي ترخص مع الرجال حين يصيرون منغمسين في السياسة التي لن يفهمها أحد إلا الملك، وإنه من الحق أنه ليس كل الحاكمين قادرين على فهم السياسة الصحيحة.

البروتوكول التاسع عشر:

إننا سنحرم على الأفراد أن يصيروا منغمسين في السياسة، ولكننا من جهة أخرى، سنشجع كل نوع لتبليغ الاقتراحات أو عرضها ما دامت تعمل على تحسين الحياة الاجتماعية والقومية كي توافق عليها الحكومة وبهذه الوسيلة إذن سنعرف أخطاء حكومتنا والمثل العليا لرعايانا، وسنجيب على

هذه الاقتراحات إما بقبولها، واما بتقديم حجة قوية إذا لم تكن مقنعة للتدليل على أنها مستحيلة التحقيق، ومؤسسة على تصوير قصير النظر للأمور.

ان الثورة Sedition ليس أكثر من نباح كلب على فيل، ففي الحكومة المنظمة تنظيماً حسناً من وجهة النظر الاجتماعية لا من وجهة النظر إلى بوليسها، ينبح الكلب على الفيل من غير أن يحقق قدرته. وليس على الفيل إلا ان يظهر قدرته بمثل واحد متقن حتى تكف الكلاب عن النباح، وتشرع في البصبصة بأذنابها عندما ترى الفيل.

ولكي ننزع عن المجرم السياسي تاج شجاعته سنضعه في مراتب المجرمين الآخرين بحيث يستوي مع اللصوص والقتلة والأنواع الأخرى من الأشرار المنبوذين المكروهين.

وعندئذ سينظر الرأي العام عقليّاً إلى الجرائم السياسية في الضوء ذاته الذي ينظر فيه إلى الجرائم العادية، وسيصمها وصمة العار والخزي التي يصم بها الجرائم العادية بلا تفريق.

وقد بذلنا أقصى جهدنا لصد الأمميين على اختيار هذا المنهج الفريد في معاملة الجرائم السياسية. ولكي نصل إلى هذه الغاية استخدمنا الصحافة، والخطابة العامة، وكتب التاريخ المدرسية الممحصة بمهارة، وأوحينا إليهم بفكرة أن القاتل السياسي شهيد، لأنه مات من أجل فكرة السعادة الإنسانية. وأن مثل هذا الإعلان قد ضاعف عدد المتمردين، وانفتحت طبقات وكلائنا بآلاف من الأمميين.

البروتوكول العشرون:

سأتكلم اليوم في برنامجنا المالي الذي تركته إلى نهاية تقريري. لأنه أشد المسائل عسرّاً، ولأنه يكون المقطع النهائي في خططنا. وقبل أن أناقش

هذه النقطة سأذكركم بما أشرت من قبل اليه، وأعني بذلك أن سياستنا العامة متوقفة على مسألة أرقام.

حين نصل إلى السلطة فإن حكومتنا الأوتوقراطية من أجل مصلحتها الذاتية ستتجنب فرض ضرائب ثقيلة على الجمهور. وستتذكر دائماً ذلك الدور الذي ينبغي أن تلعبه، وأعني به دور الحامي الأبوي.

ولكن ما دام تنظيم الحكومة سيتطلب كميات كبيرة من المال فمن الضروري أن تتهيأ الوسائل اللازمة للحصول عليه، ولذلك يجب أن نحاول بحرص عظيم بحث هذه المسألة، وأن نرى أن عبء الضرائب موزع بالقسط.

وبحيلة وفق القانون سيكون حاكمنا مالكاً لكل أملاك الدولة (وهذا بوضوح موضع التنفيذ بسهولة). وسيكون قادراً على زيادة مقادير المال التي ربما تكون ضرورية لتنظيم تداول العملة في البلاد.

ومن هنا سيكون فرض ضرائب تصاعدية على الأملاك هو خير الوسائل لمواجهة التكاليف الحكومية، وهكذا تدفع الضرائب دون أن ترهق الناس ودون أن يفلسوا، وأن الكمية التي ستفرض عليها الضريبة ستتوقف على كل ملكية فردية.

ويجب أن يفهم الأغنياء أن واجبهم هو التخلي للحكومة عن جانب من ثروتهم الزائدة. لأن الحكومة تضمن لهم تأمين حيازة ما يتبقى من أملاكهم، وتمنحهم حق كسب المال بوسائل نزيهة honest وأنا أقول نزيهة، لأن إدارة الأملاك ستمنع السرقة على أسس قانونية.

هذا الإصلاح الاجتماعي يجب أن يكون في طليعة برنامجنا، كما أنه الضمان الأساسي للسلام. فلن يحتمل التأخير لذلك.

إن فرض الضرائب على الفقراء هو أصل كل الثروات، وهو يعود بخسارة كبيرة على الحكومة، وحين تحاول الحكومة زيادة المال على الفقراء تفقد فرصة الحصول عليه من الأغنياء.

إن فرض الضرائب على رؤوس الأموال يقلل من زيادة الثروة في الأيدي الخاصة التي سمحنا لها بتكديسها مغرضين حتى تعمل كمعادل لحكومة الأمميين وماليا‌تهم.

ان الضرائب التصاعدية المفروضة على نصيب الفرد ستجبى دخلاً أكبر من نظام الضرائب الحاضر (1901) الذي يستوي فيه كل الناس. وهذا النِّظّام في الوقت الحاضر ضروري لنا، لأنه يخلق النقمة والسخط بين الأمميين.

إن قوة ملكنا ستقوم أساسيّاً على حقيقة أنه سيكون ضماناً للتوازن الدولي، والسلام الدائم للعالم، وسيكون على رؤوس الأموال ان تتخلى عن ثروتها لتحفظ الحكومة في نشاطها.

إن النفقات الحكومية يجب أن يدفعها من هم أقدر على دفعها، ومن يمكن ان تزاد عليهم الأموال.

مثل هذا الإجراء سيوقف الحقد من جانب الطبقات الفقيرة على الأغنياء الذين سيعتدون الدعامة المالية الضرورية للحكومة، وسترى هذه الطبقات أن الأغنياء هم حماة السلام والسعادة العامة، لأن الطبقات الفقيرة ستفهم أن الأغنياء ينفقون على وسائل أعدادها للمنافع الاجتماعية.

ولكيلا تبالغ الطبقات الذكية، أي دافعي الضرائب، في الشكوى من نظام الضرائب الجديد سنقدم لهم كشوفاً تفصيلية توضح طريق إنفاق أموالهم، ويستثنى منها بالضرورة الجانب الذي ينفق على حاجات الملك الخاصة ومطالب الإدارة.

ولن يكون للملك ملك شخصي، فإن كل شيء في الدولة سيكون ملكاً

له، إذ لو سمح للملك بحيازة ملك خاص فسيظهر كما لو كانت كل أملاك الدولة غير مملوكة له.

وأقارب الملك إلا وارثه الذي ستتحمل الحكومة نفقاته سيكون عليهم كلهم أن يعملوا موظفين حكوميين، أو يعملوا عملاً آخر لينالوا حق امتلاك الثروة، ولن يؤهلهم امتيازهم بأنهم من الدم الملكي، لأن يعيشوا عالة على نفقة الدولة.

وستكون هناك ضرائب دمغة تصاعدية على المبيعات والمشتريات، مثلها مثل ضرائب التركات death duties وأن أي انتقال للملكية بغير الدمغة المطلوبة سيعد غير قانوني. وسيجبر المالك السابق former على أن يدفع عمالة بنسبة مئوية percentage على الضريبة من تاريخ البيع.

ويجب أن نسلم مستندات التحويل (للملكية) أسبوعيّاً إلى مراقبي الضرائب المحليين local مصحوبة ببلاغ عن الاسم واللقب surname لكل من المالكين الجديد والسابق، والعنوان الثابت لكل منهما أيضاً.

وإن مثل هذا الإجراء سيكون ضرورياً من أجل المعاملات المالية حيت تزيد على مقدار معين، أعني حين تزيد على مقدار يعادل متوسط النفقات اليومية الضرورية الأولية Prime وسيكون بيع الأشياء الضرورية مدموغاًstamed بضريبة دمغة محدودة عادية ويكفي أن تحسبوا أنتم كم ضعفاً سيزيد به مقدار هذه الضرائب على دخل حكومات الأمميين.

إن الدولة لابد لها من أن تحتفظ في الاحتياطي بمقدار معين من رأس المال، وإذا زاد الدخل من الضرائب على هذا المبلغ المحدود فسترد الدخول الفائضة إلى التداول. وهذه المبالغ الفائضة ستنفق على تنظيم أنواع شتى من الأعمال العامة.

وسيوكل توجيه هذه الأعمال إلى هيئة حكومية. وبذلك ستكون مصالح الطبقات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمصالح الحكومة ومصالح ملكهم، وسيرصد كذلك جزء من المال الفائض للمكافآت على الاختراعات والإنتاجات.

ومن ألزم الضروريات عدم السماح للعملة currency بأن توضع دون نشاط في بنك الدولة إذا جاوزت مبلغاً معيناً ربما يكون القصد منه غرضاً خاصّاً. إذ أن العملة وجدت للتداول. وأن أي تكديس للمال ذو أثر حيوي في أمور الدولة على الدوام. لأن المال يعمل عمل الزيت في جهاز الدولة، فلو صار الزيت عائقاً إذن لتوقف عمل الجهاز.

وما وقع من جراء استبدال السندات بجزء كبير من العملة قد خلق الآن تضخماً يشبه ما وصفناه تماماً، ونتائج هذه الواقعة قد صارت واضحة وضوحاً كافياً.

وكذلك سننشئ هيئة للمحاسبة. كي تمكن الملك من أن يتلقى في أي وقت حساباً كاملاً لخرج Expenditure الحكومة ودخلها. وستحفظ كل التقريرات بدقة وحزم إلى هذا التاريخ ما عدا تقريرات الشهر الجاري والمتقدم.

والشخص الوحيد الذي لن تكون له مصلحة في سرقة بنك الدولة، سيكون هو مالكه، وأعني به الملك، ولهذا السبب ستقف سيطرته كل احتمالات للإسراف أو النفقة غير الضرورية. وأن المقابلات يمليها أدب السلوك وهي مضيعة لوقت الملك الثمين ستكون معدومة، لكي تتاح له فرصة عظمى للنظر في شؤون الدولة. ولن يكون الملك في حكومتنا محوطاً بالحاشية الذين يرقصون عادة في خدمة الملك من أجل الأبهة، ولا يهتمون إلا بأمورهم الخاصة مبتعدين جانباً عن العمل لسعادة الدولة.

إن الأزمات الاقتصادية التي دبرناها بنجاح باهر في البلاد الأممية

قد أنجزت عن طريق سحب العملة من التداول، فتراكمت ثروات ضخمة، وسحب المال من الحكومة التي اضطرت بدورها إلى الاستجاد بملاك هذه الثروات لإصدار قروض. ولقد وضعت هذه القروض على الحكومات اعباء ثقيلة اضطرتها إلى دفع فوائد المال المقترض مكبلة بذلك أيديها.

وإن تركز الإنتاج في أيدي الرأسمالية قد امتص قوة الناس الإنتاجية حتى جفت، وامتص معها أيضاً ثروة الدولة.

والعملة المتداولة في الوقت الحاضر لا تستطيع أن تفي بمطالب الطبقات العاملة، إذ ليست كافية للاحاطة بهم وارضائهم جميعاً.

ان إصدار العملة يجب أن يساير نمو السكان، ويجب أن يعد الأطفال مستهلكي عملة منذ أول يوم يولدون إذ إن تنقيح العملة حيناً فحيناً مسألة حيوية للعالم أجمع.

وأظنكم تعرفون أن العملة الذهبية كانت الدمار للدول التي سارت عليها، لأنها لم تستطع أن تفي بمطالب السكان. ولأننا فوق ذلك قد بذلنا أقصى جهدنا لتكديسها وسحبها من التدآول.

إن حكومتنا ستكون لها عملة قائمة على قوة العمل في البلاد، وستكون من الورق أو حتى من الخشب.

وسنصدر عملة كافية لكل فرد من رعايانا، مضيفين إلى هذا المقدار عند ميلاد كل طفل، ومنقصين منه عند وفاة كل شخص.

وستقوم على الحسابات الحكومية حكومات محلية منفصلة ومكاتب إقليمية (ريفية).

ولكيلا تحدث مماطلات في دفع الأموال المستحقة للحكومة، سيصدر الحاكم نفسه أوامر عن مدة هذا المبالغ، وبهذا ستنتهي المحاباة التي تظهرها

أحياناً وزارات المالية نحو هيئات معينة.

ستحفظ حسابات الدخل والخرج معاً، لكي يمكن دائماً مقارنة كل منهما بالأخرى.

والخطط التي سنتخذها لإصلاح المؤسسات المالية للأمميين ستقوم بأسلوب لن يمكن أن يلحظوه. فسنشير إلى ضرورة الإصلاحات التي تتطلبها الحالة الفوضوية التي بلغتها الماليات المميتة. وسنبين أن السبب الأول لهذه الحالات السيئة للمالية يكمن في حقيقة أنهم يبدأون السنة المالية بعمل تقدير تقريبي للميزانية الحكومية، وأن مقدارها يزداد سنة فسنة للسبب التالي: وهو أن الميزانية الحكومية السنوية تستمر متأخرة حتى نهاية نصف السنة، وعندئذ تقدم ميزانية منقحة، ينفق مالها بعامة في ثلاثة أشهر، وبعد ذلك يصوت الميزانية لسنة واحدة تقوم على جملة النفقة المتحصلة في السنة السابقة، وعلى ذلك فهناك عجز في كل سنة نحو خمسين من مائة من المبلغ الإسمي. فتتضاعف الميزانية السنوية بعد عشر سنوات ثلاثة أضعاف. وبفضل هذا الإجراء الذي اتبعته الحكومات الأممية الغافلة استنفدت أموالهم الاحتياطية عندما حلت مواعيد الديون، وفرغت بنوك دولتهم وجذبتهم إلى حافة الإفلاس.

وسوف تفهمون سريعاً أن مثل هذه السياسة للأمور المالية التي أغرينا الأمميين باتباعها، لا يمكن أن تكون ملائمة لحكومتنا.

إن كل فرض ليبرهن على ضعف الحكومة وخيبتها في فهم حقوقها التي لها. وكل دين كأنه سيف داميو كليز Damocles يعلق على رؤوس الحاكمين الذين يأتون إلى أصحاب البنوك Bankers منا، وقبعاتهم في أيديهم، بدلاً من دفع مبالغ معينة مباشرة عن الأمة بطريقة الضرائب الوقتية.

إن القروض الخارجية مثل العَلَق الذي لا يمكن فصله من جسم الحكومة حتى يقع من تلقاء نفسه، أو حتى تتدبر الحكومة كي تطرحه عنها، ولكن حكومات الأمميين لا ترغب في أن تطرح عنها هذا العَلَق، بل هي ذلك. فإنها تزيد عدده، وبعد ذلك كتب على دولتهم أن تموت قصاصاً من نفسها بفقد الدم. فماذا يكون القرض الخارجي إلا أنه علقة؟ القرض هو إصدار أوراق حكومية توجب التزام دفع فائدة تبلغ نسبة مئوية من المبلغ الكلي للمال المقترض. فإذا كان القرض بفائدة قدرها خمسة من مائة، ففي عشرين سنة ستكون الحكومة قد دفعت بلا ضرورة مبلغاً يعادل القرض لكي تغطي النسبة المئوية. وفي أربعين سنة ستكون قد دفعت ضعفين، وفي ستين سنة ثلاثة أضعاف المقدار، ولكن القرض سيبقى ثابتاً كأنه دين لم يسدد.

ثابت من هذه الاحصائية أن هذه القروض تحت نظام الضرائب الحاضرة (1901) تستنفد آخر أصغر عملة من دافع الضرائب الفقير، كي تدفع فوائد للرأسماليين الأجانب الذين اقترضت الدولة منهم المال، بدلاً من جمع الكمية الضرورية من الأمة مجردة من الفوائد في صورة الضرائب.

وقد اكتفى الأغنياء طالما كانت القروض داخلية بأن ينقلوا المال من أكياس الفقراء إلى أكياس الأغنياء، ولكن بعد أن رشونا أناساً لازمين لاستبدال القروض الخارجية بالقروض الداخلية تدفقت كل ثروة الدول إلى خزائننا، وبدأ كل الأمميين يدفعون لنا مالاً يقل عن الخراج المطلوب.

والحكام الأمميون من جراء إهمالهم، أو بسبب فساد وزرائهم أو جهلهم قد جروا بلادهم إلى الاستدانة من بنوكنا، حتى إنهم لا يستطيعون تأدية هذه الديون. ويجب أن تدركوا ما كان يتحتم علينا أن نعانيه من الآلام لكي تتهيأ الأمور على هذه الصورة.

سنحتاط في حكومتنا حيطة كبيرة كي لا يحدث تضخم مالي، وعلى ذلك لن نكون في حاجة إلى قروض للدولة إلا قرضاً واحداً ذا فائدة قدرها واحد من المائة تكون سندات على الخزانة. حتى لا يعرض دفع النسبة المئوية البلاد لأن يمتصها العَلَق.

وستعطي الشركات التجارية حق إصدار السندات استثناء. فإن هذه الشركات لن تجد صعوبة في دفع النسبة المئوية من أرباحها، لأنها تقترض المال للمشروعات التجارية، ولكن الحكومات لا تستطيع أن تجني فوائد من المال المقترض، لأنها إنما تقترض دائماً لتنفق ما أخذت من القروض.

وستشتري الحكومة أيضاً أسهماً تجارية، فتصير بهذا دائنة بدل أن تكون مدينة ومسددة للخراج Tribute كما هي الآن. وإن إجراء كهذا سيضع نهاية للتراخي والكسل اللذين كانا مفيدين لنا طالما كان الأمميين (غير اليهود) مستقلين.

ويكفي للتدليل على فراغ عقول الأمميين المطلقة البهيمية حقّاً، أنهم حينما اقترضوا المال هنا بفائدة خابوا في إدراك أن كل مبلغ مقترض هكذا مضافاً إليه فائدة لا مفر من أن يخرج من موارد البلاد. وكان أيسر لهم لو أنهم اخذوا المال من شعبهم مباشرة دون حاجة إلى دفع فائدة. وهذا يبرهن على عبقريتنا وعلى حقيقة أننا الشعب الذي اختاره الله. إنه من الحنكة والدربة أننا نعرض مسألة القروض على الأمميين في ضوء يظنون معه أنهم وجدوا فيه الربح أيضاً.

إن تقديراتنا Esimates التي سنعدها عندما يأتي الوقت المناسب، والتي ستكون مستمدة من تجربة قرون، والتي كنا نحصها عندما كان الأمميون يحكمون أن تقديراتنا هذه ستكون مختلفة في وضوحها العجيب عن التقديرات التي صنعها الأمميون، وسنبرهن للعالم كيف أن خططنا الجديدة ناجحة

ناجعة. إن هذه الخطط ستقضي على المساوئ التي صرنا بأمثالها سادة الأمميين. والتي لا يمكن أن نسمح بها في حكمنا، وسنرتب نظام ميزانيتنا الحكومية حتى لن يكون الملك نفسه ولا أشد الكتبة Clerks خمولاً في مقام لا يلاحظ فيه اختلاسه لأصغر جزء من المال، ولا استعماله إياه في غرض آخر غير الغرض الموضوع له في التقدير الأول (في الميزانية).

ويستحيل الحكم بنجاح إلا بخطة محكمة إحكاماً تامّاً. حتى الفرسان والأبطال يهلكون إذا هم اتبعوا طريقاً لا يعرفون إلى أين يقودهم، أو إذا بدأوا رحلتهم من غير أن يتأهبوا الأهبة المناسبة لها.

إن ملوك الأمميين الذين ساعدناهم، كي نغريهم بالتخلي عن واجباتهم في الحكومة بوسائل الوكالات (عن الأمة) Entertainments Represention والولائم والأبهة والملاهي الأخرى هؤلاء الملوك لم يكونوا إلا حجباً لإخفاء مكايدنا ودسائسنا.

وإن تقريرات المندوبين الذين اعتيد إرسالهم لتمثيل الملك في واجباته العامة قد صنعت بأيدي وكلائنا. وقد استعلمت هذه التقريزات في كل مناسبة كي تبهج عقول الملوك القصيرة النظر، مصحوبة كما كانت بمشروعات عن الاقتصاد في المستقبل «كيف استطاعوا أن يقتصدوا بضرائب جديدة؟» هذا ما استطاعوا أن يسألوا عنه قراء تقريراتنا التي يكتبونها عن المهام التي يقومون بها .ولكنهم لم يسألوا عنه فعلاً.

وأنتم أنفسكم تعرفون إلى أي مدى من الاختلال المالي قد بلغوا بإهمالهم الذاتي. فلقد انتهوا إلى إفلاس رغم كل المجهودات الشاقة التي يبذلها رعاياهم التعساء.

البروتوكول الحادي والعشرون:

سأزيد الآن على ما أخبرتكم به في اجتماعنا الأخير، وأمدكم بشرح مفصل للقروض الداخلية. غير أني لن أناقش القروض الخارجية بعد الآن. لأنها قد ملأت خزائننا بالأموال الأممية، وكذلك لأن حكومتنا العالمية لن يكون لها جيران أجانب تستطيع ان تقترض منهم مالاً.

لقد استغللنا فساد الإداريين وإهمال الحاكمين الأمميين لكي نجني ضعفي المال الذي قدمناه قرضاً إلى حكوماتهم أو نجني ثلاثة أضعافه، مع أنها لم تكن في الحقيقة بحاجة إليه قط. فمن الذي يستطيع أن يفعل هذا معنا، كما فعلناه معهم؟ ولذلك لن أخوض إلا في مسألة القروض الداخلية فحسب. حين تعلن الحكومة إصدار قرض كهذا تفتح اكتتاباً لسنداتها. وهي تصدرها مخفضة ذات قيم صغيرة جدّاً، كي يكون في استطاعة كل إنسان أن يسهم فيها. والمكتتبون الأوائل يسمح لهم أن يشتروها بأقل من قيمتها الاسمية. وفي اليوم التالي يرفع سعرها، كي يظن أن كل إنسان حريص على شرائها.

وفي خلال أيام قليلة تمتلئ خزائن بيت مال الدولة Exchequer المال الذي اكتتب به زيادة على الحد. (فلم الاستمرار في قبول المال لقرض فوق ما هو مكتتب به زيادة على الحد؟). ان الاكتتاب بلا ريب يزيد زيادة لها اعتبارها على المال المطلوب، وفي هذا يكمن كل الأثر والسر، فالشعب يثق بالحكومة ثقة أكيدة.

ولكن حينما تنتهي المهزلة Comedy تظهر حقيقة الدين الكبير جدّاً، وتضطر الحكومة، من أجل دفع فائدة هذا الدين، إلى الالتجاء إلى قرض جديد هو بدوره لا يلغي دين الدولة. بل إنما يضيف إليه ديناً آخر. وعندما تنفد طاقة

الحكومة على الاقتراض يتحتم عليها أن تدفع الفائدة عن القروض بفرض ضرائب جديدة، وهذه الضرائب ليست إلا ديوناً مقترضة لتغطية ديون أخرى.

ثم تأتي فترة تحويلات الديون، ولكن هذه التحويلات إنما تقلل قيمة الفائدة فحسب، ولا تلغي الدين ولذلك لا يمكن أن تتم إلا بموافقة أصحاب الديون.

وحين تعلن هذه التحويلات يعطى الدائنون الحق في قبولها أو في استرداد أموالهم إذا لم يرغبوا في قبول التحويلات، فإذا طالب كل إنسان برد ماله فستكون الحكومة قد اصطيدت بطعمها الذي أرادت الصيد به، ولن تكون في مقام يمكنها من إرجاع المال كله.

ورعاية الحكومات الأممية لحسن الحظ لا يفهمون كثيراً في الماليات، وكانوا دائماً يفضلون معاناة الهبوط في قيمة ضماناتهم وتأميناتهم وإنقاص الفوائد بالمخاطرة في عملية مالية أخرى لاستثمار المال من جديد، وهكذا طالما منحوا حكوماتهم الفرصة للتخصص من دين ربما ارتفع إلى عدة ملايين.

إن الأمميين لن يجرأوا على فعل شيء كهذا، عالمين حق العلم أننا في مثل هذا الحال سنطلب كل أموالنا.

بمثل هذا العمل ستعترف الحكومة اعترافاً صريحاً بإفلاسها الذاتي، مما سيبين للشعب تبييناً واضحاً أن مصالحه الذاتية لا تتمشى بعامة مع مصالح حكومته. وإن أوجه التفاتكم توجيهاً خاصّاً إلى هذه الحقيقة، كما أوجه كذلك إلى ما يلي: إن كل القروض الداخلية موحدة consolidated بما يسمى القروض الوقتية: وهي تدعى الديون ذات الأجل القصير، وهذه الديون تتكون من المال المودع في بنوك الدولة أو بنوك الادخار.

هذا المال الموضوع تحت تصرف الحكومة لمدة طويلة يستغل في دفع فوائد القروض العرضية، وتضع الحكومة بدل المال مقداراً مساوياً له من

ضماناتها الخاصة في هذه البنوك، وأن هذه الضمانات من الدولة تغطي كل مقادير النقص في خزائن الدولة عند الأمميين (غير اليهود).

وحينما يلي ملكنا العرش على العالم أجمع ستختفي كل هذه العمليات الماكرة، وسندمر سوق سندات الديون الحكومية العامة، لأننا لن نسمح بأن تتأرجح كرامتنا حسب الصعود والهبوط في أرصدتنا التي سيقرر القانون قيمتها بالقيمة الإسمية من غير إمكان تقلب السعر. فالصعود يسبب الهبوط، ونحن قد بدأنا بالصعود لإزالة الثقة بسندات الديون الحكومية العامة للأمميين.

وسنستبدل بمصافق (بورصات) الأوراق المالية Exchanges منظمات حكومية ضخمة سيكون من واجبها فرض ضرائب على المشروعات التجارية بحسب ما تراه الحكومة مناسباً. وإن هذه المؤسسات ستكون في مقام يمكنها من أن تطرح في السوق ما قيمته ملايين من الأسهم التجارية، أو أن تشتريها هي ذاتها في اليوم نفسه. وهكذا ستكون كل المشروعات التجارية معتمدة علينا. وأنتم تستطيعون أن تتصوروا أي قوة هكذا ستصير عند ذلك.

البروتوكول الثاني والعشرون:

حاولت في كل ما أخبرتكم به حتى الآن أن أعطيكم صورة صادقة لسير الأحداث الحاضرة، وكذلك سر الأحداث الماضية التي تتدفق في نهر القدر، وستظهر نتيجتها في المستقبل القريب، وقد بينت لكم خططنا السرية التي نعامل بها الأمميين، وكذلك سياستنا المالية، وليس لي أن أضيف إلا كلمات قليلة فحسب.

في أيدينا تتركز أعظم قوة في الأيام الحاضرة، وأعني بها الذهب. ففي خلال يومين نستطيع أن نسحب أي مقدار منه من حجرات كنزنا السرية.

أفلا يزال ضرورياً لنا بعد ذلك أن نبرهن على أن حكمنا هو إرادة الله؟

هل يمكن ولنا كل هذه الخيرات الضخمة أن نعجز بعد ذلك عن إثبات أن كل الذهب الذي ظللنا نكدسه خلال قرون كثيرة جدّاً لن يساعدنا في غرضنا الصحيح للخير، أي لإعادة النِّظّام تحت حكمنا؟.

إن هذا قد يستلزم مقداراً معيناً من العنف. ولكن هذا النِّظّام سيستقر أخيراً، وسنبرهن على أننا المتفضلون الذين أعادوا السلام المفقود والحرية الضائعة للعالم المكروب، وسوف نمنح العالم الفرصة لهذا السلام وهذه الحرية، ولكن في حالة واحدة ليس غيرها على التأكيد أي حين يعتصم العالم بقوانيننا اعتصاماً صارماً.

وفوق ذلك سنجعل واضحاً لكل إنسان أن الحرية لا تقوم على التحلل والفساد أو على حق الناس في عمل ما يسرهم عمله، وكذلك مقام الإنسان وقوته لا يعطيانه الحق في نشر المبادئ الهدامة Destructive Principles كحرية العقيدة والمساواة ونحوهما من الأفكار. وسنجعل واضحاً أيضاً أن الحرية الفردية لا تؤدي إلى أن لكل رجل الحق في أن يصير ثائراً، أو أن يثير غيره بإلقاء خطب مضحكة على الجماهير القلقة المضطربة. سنعلم العالم أن الحرية الصحيحة لا تقوم إلا على عدم الاعتداء على شخص الإنسان وملكه ما دام يتمسك تمسكاً صادقاً بكل قوانين الحياة الاجتماعية. ونعلم العالم أن مقام الإنسان متوقف على تصوره لحقوق غيره من الناس، وأن شرفه يردعه عن الأفكار المبهرجة في موضوع ذاته.

إن سلطتنا ستكون جليلة مهيبة لأنها ستكون قديرة وستحكم وترشد، ولكن لا عن طريق اتباع قوة الشعب وممثليه، أو أي فئة من الخطباء الذين يصيحون بكلمات عادية يسمونها المبادئ العليا، وليست هي في الحقيقة شيئاً آخر غير أفكار طوباوية خيالية إن سلطتنا ستكون المؤسسة للنظام الذي فيه تكمن سعادة الناس وإن هيبة هذه السلطة ستكسبها غراماً صوفيّاً،

كما ستكسبها خضوع الأمم جمعاء.

إن السلطة الحقة لا تستسلم لأي حق حتى حق الله. ولن يجرؤ أحد على الاقتراب منها كي يسلبها ولو خيطاً من مقدرتها.

البروتوكول الثالث والعشرون:

يجب أن يدرب الناس على الحشمة والحياء كي يعتادوا الطاعة. ولذلك سنقلل مواد الترف. وبهذه الوسائل أيضاً سنفرض الأخلاق التي أفسدها التنافس المستمر على ميادين الشرف. وسنتبنى «الصناعات القروية Peasant industries» كي نخرب المصانع الخاصة.

إن الضروريات من أجل هذه الإصلاحات أيضاً تكمن في حقيقة أن أصحاب المصانع الخاصة الفخمة كثيراً ما يحرضون عمالهم ضد الحكومة، وربما عن غير وعي.

والشعب أثناء اشتغاله في الصناعات المحلية، لا يفهم حالة «خارج العمل» أو «البطالة» وهذا يحمله على الاعتصام بالنِّظَّام القائم. ويغريه بتعضيد الحكومة. إن البطالة هي الخطر الأكبر على الحكومة وستكون هذه البطالة قد أنجزت عملها حالما تبلغنا طريقها السلطة.

إن معاقرة الخمر ستكون محرمة كأنها جريمة ضد الإنسانية، وسيعاقب عليها من هذا الوجه: فالرجل والبهيمة سواء تحت الكحول.

إن الأمم لا يخضعون خضوعاً أعمى إلا للسلطة الجبارة المستقلة عنهم استقلالاً مطلقاً، القادرة على أن تريهم أن سيفاً في يدها يعمل كسلاح دفاع ضد الثورات الاجتماعية. لماذا يريدون بعد ذلك أن يكون لمليكهم روح ملاك؟ إنهم يجب أن يروا فيه القوة والقدرة متجسدتين.

يجب أن يظهر الملك الذي سيحل الحكومات القائمة التي ظلت تعيش على

جمهور قد تمكنا نحن أنفسنا من إفساد أخلاقه خلال نيران الفوضى. وإن هذا الملك يجب أن يبدأ بإطفاء هذه النيران التي تندلع اندلاعاً مطرداً من كل الجهات.

ولكي يصل الملك إلى هذه النتيجة يجب أن يدمر كل الهيئات التي قد تكون أصل هذه النيران، ولو اقتضاه ذلك إلى أن يسفك دمه هو ذاته، ويجب عليه ان يكون جيشاً منظماً تنظيماً حسناً، يحارب بحرص وحزم عدوى أي فوضى قد تسمم جسم الحكومة.

إن ملكنا سيكون مختاراً من عند الله، ومعيناً من أعلى، كي يدمر كل الأفكار التي تغري بها الغريزة لا العقل، والمبادئ البهيمية لا الإنسانية، إن هذه المبادئ تنتشر الآن انتشاراً ناجحاً في سرقاتهم وطغيانهم تحت لواء الحق والحرية.

إن هذه الأفكار قد دمرت كل النظم الاجتماعية مؤدية بذلك إلى حكم ملك إسرائيل Kingdom

of Israel ولكن عملها سيكون قد انتهى حين يبدأ حكم ملكنا. وحينئذ يجب علينا أن نكنسها بعيداً حتى لا يبقى أي قذر في طريق ملكنا.

وحينئذ سنكون قادرين على أن نصرخ في الأمم «صلوا لله، واركعوا أمام ذلك (الملك) الذي يحمل آية التقدير الأزلي للعالم. والذي يقود الله ذاته نجمه، فلن يكون أحد آخر إلا هو نفسه Himself قادراً على أن يجعل الإنسانية حرة من كل خطيئة.

البروتوكول الرابع والعشرون:

والآن سأعالج الأسلوب الذي تقوى به دولة Dynasty الملك داود حتى تستمر إلى اليوم الآخر.

إن أسلوبنا لصيانة الدولة سيشتمل على المبادئ ذاتها التي سلمت حكماءنا مقاليد العالم، أي توجيه الجنس البشري كله وتعليمه.

وأن أعضاء كثيرين من نسل داود David سيعدون ويربون الملوك وخلفاؤهم الذين لن ينتخبوا بحق الوراثة بل بمواهبهم الخاصة. وهؤلاء الخلفاء سيفقهون فيما لنا من مكنونات سياسية، سرية، وخطط للحكم، آخذين أشد الحذر من أن يصل إليها أي إنسان آخر.

وستكون هذه الإجراءات ضرورية، كي يعرف الجميع أن من يستطيعون أن يحكموا إنما هم الذين فقهوا تفقيهاً في أسرار الفن السياسي وحدهم، وهؤلاء الرجال وحدهم سيعلمون كيف يطبقون خططنا تطبيقاً عمليّاً مستغلين تجاربنا خلال قرون كثيرة. إنهم سيفقهون في النتائج المستخلصة من كل ملاحظات نظامنا السياسي والاقتصادي، وكل العلوم الاجتماعية. وهم، بايجاز، سيعرفون الروح الحقة للقوانين التي وضعتها الطبيعة نفسها لحكم النوع البشري.

وسيوضع مكان الخلفاء المباشرين للملك غيرهم إذا حدث ما يدل على أنهم مستهترون بالشهوات، أو ضعاف العزيمة خلال تربيتهم، أو في حال إظهارهم أي ميل آخر قد يكون مضرّاً بسلطتهم، وربما يردهم عاجزين عن الحكم، ولو كان في هذا شيء يعرض كرامة التاج للخطر.

ولن يأتمن شيوخنا Our elders على أزمة الحكم إلا الرجال القادرون على أن يحكموا حكماً حازماً، ولو كان عنيفاً.

وإذا مرض ملكنا أو فقد مقدرته على الحكم فسيكره على تسليم أزمة الحكم إلى من أثبتوا بأنفسهم من أسرته أنهم أقدر على الحكم.

وإن خطط الملك العاجلة وأحق منها خططه للمستقبل لن تكون معروفة حتى لمن سيدعون مستشاريه الأقربين. ولن يعرف خطط المستقبل إلا الحاكم والثلاثة Three الذين دربوه.

وسيرى الناس في شخص الملك الذي سيحكم بإرادة لا تتزعزع وسيضبط نفسه ضبطه للإنسانية، مثلاً للقدر نفسه ولكل طرقه الإنسانية، ولن يعرف أحد أهداف الملك حين يصدر أوامره، ومن أجل ذلك لن يجرؤ أحد على ان يعترض طريقه السري.

ويجب ضرورة أن يكون للملك رأس قادر على تصريف خططنا، ولذلك لن يعتلي العرش قبل ان يتثبت حكماؤنا من قوته العقلية.

ولكي يكون الملك محبوباً ومعظماً من كل رعاياه يجب أن يخاطبهم جهاراً مرات كثيرة. فمثل هذه الإجراءات ستجعل القوتين في انسجام: أعني قوة الشعب وقوة الملك اللتين قد فصلنا بينهما في البلاد الأممية (غير اليهودية) بإبقائنا كلّاً منهما في خوف دائم من الأخرى.

ولقد كان لزاماً علينا أن نبقي كلتا القوتين في خوف من الأخرى، لأنهما حين انفصلتا وقعتا تحت نفوذنا.

وعلى ملك إسرائيل أن لا يخضع لسلطان أهوائه الخاصة لا سيما الشهوانية. وعليه أن لا يسمح للغرائز البهيمية أن تتمكن من عقله. إن الشهوانية أشد من أي هوى آخر تدمر بلا ريب كل قوى الفكر والتنبؤ بالعواقب، وهي تصرف عقول الرجال نحو أسوأ جانب في الطبيعة الإنسانية.

إن قطب column العالم في شخص الحاكم العالي World ruler الخارج من بذرة إسرائيل ليطرح كل الأهواء الشخصية من اجل مصلحة شعبه. إن ملكنا يجب ان يكون مثال العزة والجبروت Erreprochable.

وقّعه ممثلو صهيون من الدرجة الثالثة والثلاثين

بروتوكولات حكماء صهيون عن الطبعة الروسية

اعتمد الباحث على ترجمة المؤرخ عجاج نويهض لنصوص البروتوكولات التي توافق نصوص الطبعة الإنكليزية الحادية والثمانين الصادرة سنة 1958 للسيد فيكتور مارسدن، المبنية على أول طبعة بالروسية ظهرت سنة 1905 للعلاّمة سرجي نيلوس.

البروتوكول الأول

الحق للقوة — الحرية: مجرد فكرة — الليبرالية — الذهب — الإيمان — الحكومة الذاتية — رأس المال وسلطته المطلقة — العدو الداخلي - الدهماء — الفوضى — التضاد بين السياسة والأخلاق — حق القوى — السلطة اليهودية الماسونية لا تُغلب — الغاية تبرر الواسطة — الدهماء كالرجل الأعمى — الأبجدية السياسة — الانشقاق الحزبي — أفضل أنواع الحكم: السلطة المطلقة — المسكرات — التمسك بالقديم — الفساد — المبادئ والقواعد للحكومة اليهودية الماسونية — الإرهاب — الحرية والعدالة والإخاء — مبادئ حكم السلالات الوراثية — نسف الامتيازات التي للطبقة الأرستقراطية من «الغوييم» — الأرستقراطية الجديدة (اليهودية) — الحالات النفسانية — المعنى المجرد لكلمة «حرية» — السلطة الخفية التي تُقصي ممثلي الشعب

إننا نتناول كل فكرة على حدة، ونمحصها تمحيصاً: بالمقارنة والاستنتاج، حتى تتبين ماهيتها بذاتها، ونرى ما يلابسها ويحيط بها من حقائق. وأما أسلوب الكلام فنجري عليه سهلا خاليا من زخارف الصناعة.

وما عليَّ أن أبدأ بشرحه الآن، هو منهجنا في العمل، فأشرح ذلك من ناحيتين: وجهة نظرنا، ووجهة نظر الغوييم (غير اليهود).

وأول ما يجب أن يلاحظ أن الناس على طبيعتين: الذين غرائزهم سقيمة، والذين غرائزهم سليمة، والأولون أكثر عددا. ولهذه العلة، فخير النتائج التي يراد تحقيقها من التسلط على الغوييم بطريق الحكومة، إنما يكون بالعنف والإرهاب، لا بالمجادلات النظرية المجردة، إذ كل امرئ يشتهي الوصول إلى امتلاك زمام السلطة، وكل فرد يود لو يصبح دكتاتورا. وقليلون الذين لا يشتهون تضحية مصالح الجمهور من أجل منافعهم الخاصة.

ولعمري ما هي الروادع التي تكف الحيوانات المفترسة عن الوثوب، وهذه العجماوات ما هي إلا الغوييم؟ وما هو الذي قام فيهم حتى اليوم لضبط أحوالهم؟

أما بدايتهم، بداية تكوين المجتمع، فإنهم كانوا مأخوذين بالقهر من القوة الغاشمة العمياء ولهذه القوة كانوا خانعين، أما بعد ذلك، فسيطر عليهم القانون الموضوع، وهو القوة الغاشمة نفسها، ولكنه جاء بزي مختلف في المظهر لا غير. واستنتج من هذا أنه بموجب ناموس الطبيعة، الحق قوة.

الحرية السياسية إنما هي فكرة مجردة، ولا واقع حقيقي لها. وهذه الفكرة، وهي الطُّعم في الشَّرَك، على الواحد منا أن يعلم كيف يجب أن يطبقها، حيث تدعو الضرورة، لاستغواء الجماعات والجماهير إلى حزبه، ابتغاء أن يقوم هذا الحزب فيسحق الحزب المناوئ له وهو الحزب الذي بيده الحكومة والسلطة.

وهذا العمل إنما يصبح أهون وأيسر، إذا كان الخصم المراد البطش به قد أخذته عدوى فكرة الحرية المسماة باسم ليبرالية، وهذا الحزب مستعد

من أجل إدراك هذه الفكرة المجردة، أن ينزل عن بعض سلطته. وهنا، جزما، يكون مطلع انتصار فكرتنا. وتحصل حينئذ حال أخرى: فما للحكومة من زمام، يكون قد استرخى وأخذ بالانحلال فورا، وهذا من عمل قانون الحياة، فتتسلط اليد الجديدة على الزمام وتجمع بعضه إلى بعض وتقيمه، لأن القوة العمياء في الأمة لا تقوى على البقاء يوما واحدا دون أن يكون لها موئل يهيمن عليها بالضبط والإرشاد، ثم تمضي الحكومة الجديدة بالأمر، وجُل ما تفعله أنها تحل محل الحكومة السابقة التي نهكتها فكرة الليبرالية حتى أودت بها.

هذا الطور كان فيما مضى. أما اليوم فالقوة التي نسخَت قوة الحكام من أنصار الليبرالية هي الذهب. ولكل زمان إيمان يصح بصحته. وفكرة الحرية مستحيلة التحقيق على الناس، لأن ليس فيهم من يعرف كيف يستعملها بحكمة وأناة. وانظروا في هذا، فإنكم إذا سلمتم شعبا الحكم الذاتي لوقت ما، فإنه لا يلبث أن تغشاه الفوضى، وتختل أموره، ومن هذه اللحظة فصاعدا يشتد التناحر بين الجماعات والجماهير حتى تقع المعارك بين الطبقات، وفي وسط هذا الاضطراب تحترق الحكومات، فإذا بها كومة رماد.

وهذه الحكومة مصيرها الاضمحلال، سواء عليها أدَفَنت هي نفسها بالانتفاضات الآكلة بعضها بعضا من داخل، أم جرها هذا بالتالي إلى الوقوع في براثن عدو من خارج، فعلى كلا الحالتين تعتبر أنها أصيبت في مقاتلها، ففدت أعجز من أن تقوى على النهوض لتقيل نفسها من عثرتها، فإذا بها في قبضة يدنا. وحينئذ تأتي سلطة رأس المال، وتكون جاهزة، فتمد هذه السلطة بطرف حبل خفي إلى تلك الحكومة الجديدة لتعلق به، طوعا أم كرها، لحاجتها الماسة إليه، فإن لم تفعل هوت إلى القعر.

فإذا قال قائل من هواة الليبرالية إن هذا النهج المتقدمة صورته، يتنافى

وشرع الأخلاق، سألناه: إذا كان لكل دولة عدوّان، وجاز للدولة في مكافحة العدو الخارجي أن تستعمل كل وسيلة وطريقة وحيلة، دون أن يُعَدّ عليها هذا أو ذاك أنه شيء لا تقرّه الأخلاق، كأن تُعمّي على العدو خطط الهجوم والدفاع، حتى لا يدري منها شيئا، وكأخذه بالمباغتة ليلا، أو بالانقضاض عليه بعدد ضخم من الجند لا قبل له به، أفلا يكون من باب أولى في مكافحة العدو الداخلي الذي هو شر من ذاك، وهو العدو المخرب لكيان المجتمع ومصالح الجمهور، أن تستعمل هذه الوسائل للقضاء عليه؟ وكيف يبقى مساغ للقول أن هذا الأمر إذا جاز هناك فلا يجوز هنا؟ والحق الذي لا ريب فيه أن تلك الوسائل إذا كانت سائغة مطلقة هناك، ومباحة، فلا تكون هنا منهيّا عنها فلا يؤخذ بها.

ولعمري كيف يكون ممكنا لدى أيّ حكيم بصير، أن يأمل في إدراك الفلاح والفوز، في قيادة الجماهير إلى حيث يريد، إذا كانت عدته ما هي إلا الاعتماد على مجرد منطق الرأي والإرشاد، والجدل والمقال، حينما تعترضه مقاومة، أو رماه الخصم بعورة حتى لو كانت من الترهات، وأصغت الجماهير إلى هذا، والجماهير لا تذهب في تحليل الأمور إلى ما هو أبعد من الظاهر السطحي؟

فالرجال الذين نحسبهم من الآحاد وفي الطليعة، إذا ما سبحوا في غمرة الجماهير المؤلفة من الدهماء، فحينئذ لا يستولي على هؤلاء الرجال وجماهيرهم إلا سائق الأهواء، والمعتقدات الرخيصة، وما خفّ وفشا من العادات والتقاليد والنظريات العاطفية، فيقعون في مهوى التطاحن الحزبي، الأمر الذي يمنع اتفاقهم على أي قرار، حتى ولو كان هذا القرار واضح المصلحة ولا خفاء في ذلك ولا مطعن. ثم إن كل قرار يضعه الجمهور العابث، يتوقف مصيره حينئذ إمّا على فرصة مواتية تمضي به إلى غايته، وإمّا على

كثرة كاثرة تؤيده، ولكن الكثرة لجهلها أسرار السياسة وبواطنها، فالقرار الذي يخرج من بين يديها لا يكون إلا سخرية ومهزلة، وإنما في هذا القرار تكمن بذرة الفساد، فتفسد الحكومة بالنتيجة، فتدركها الفوضى ولا مناص.

فالسياسة مدارها غير مدار الأخلاق، ولا شيء مشترك بينهما، والحاكم الذي يخضع لمنهج الأخلاق لا يكون سائسا حاذقا، فيبقى على عرشه مهزوزا متداعيا. وأما الحاكم اللبيب الذي يريد أن يبسط حكمه فيجعله وطيدا، يجب عليه أن يكون ذا خصلتين: الدهاء النافذ، والمكر الخادع. وأما تلك الصفات التي يقال إنها من الشمائل القومية العالية، كالصراحة في إخلاص، والأمانة في شرف، فهذا كله يعدّ في باب السياسة من النقائص لا الفضائل، ويسرع بالحكام إلى أن يتدحرجوا من على عروشهم ولا منقذ لهم، ويكون هذا أكيَد لهم وأنكى، وأفعل في تفكيكهم وتهديمهم من الذي يأتيهم من قِبَل أكبر عدو يتربص بهم. وتلك الصفات منابتها ممالك الغوييم وحكوماتهم، فهي منهم وهم بها أولى. وحذار حذار أن نقبل مثل هذا نحن.

حقنا منبعه القوة. وكلمة حق، وجدانية معنوية مجردة، وليس على صحتها دليل. ومفادها لا شيء أكثر من هذا: أعطني ما أريد فأبرهن بذلك على أني أقوى منك.

فأين يبتدئ الحق وأين ينتهي؟

فإني أجد في كل دولة استولى الفساد على إدارتها، ولا هيبة بقيت لقوانينها ولا سطوة، ولا مقامات مرعيّة لحكّامها، وانطلق الناس إلى مطالب الحقوق، فكل ساعة ينادون بمطلب جديد ويسقطون مطلبا، فاختلطت دعاويهم وتضاربت، وصار لكل حزب من الافتتان والهوى، حق باسم الليبرالية - إني أجد هنا في مثل هذا المواطن أن أهاجم باسم الحق، وهو حق القوة فأذرو

في الهواء جميع هياكل الأنظمة والأجهزة الجوفاء، وآتي بشيء جديد يحل محل الذاهب، وأجعل نفسي حاكما سيدا على هؤلاء الذين تركوا لنا الحقوق التي كانوا يبنون عليها حكمهم، وأما مصيرهم هم فالاستسلام إلى ما كانوا يحملون من عقائد الليبرالية. وتتميز قوتنا في مثل هذه الحالة الرجراجة، عن كل قوة أخرى، بمميزات أمنع وأثبت، وأقوى على ردّ العادية، لأنها تبقى وراء الستار، متخفيّة، حتى يحين وقتها، وقد نضجت واكتملت عدتها، فتضرب ضربتها وهي عزيزة، ولا حيلة لأحد في النيل منها أو الوقوف في وجهها.

ومن هذا الشر الموقت الذي نُكره على إيقاعه، يخرج الخير، هو خير الحكم الجديد الذي لا تهزه ريح، فيردّ الأمور المنحرفة من جهاز الحياة الوطنية إلى نصابها ويجعلها في الطريق القويم. وكل هذا كانت الليبرالية قد مزقته. فالنتائج تبرر الأسباب والوسائل. فعلينا في وضع منهجنا أن نراعي ما هو أفيد وضروري أكثر مما نراعي ما هو أصلح وأخلاقي.

وأمامنا الآن مخطط، وفي هذا المخطط رُسِمَت الطريق التي يجب علينا أن نسلكها نحو غايتنا، وليس أن نحيد عن هذا قيد شعرة، إلا إذا فعلنا ذلك مجازفة ومخاطرة، فنخسر نتائج عملنا لعدة قرون، فيذهب كله سُدى.

ولكي نُوفق إلى بناء الأمور على ما نريد من الصحة والكمال في أفعالنا، لابدّ لنا أن نأخذ بعين الاعتبار ما يكون عليه جمهور من الدهماء من طباع خسّة ونذالة، وتراخ، وقلة استقرار، وفراره من حالة إلى حالة، وفقده القدرة على اكتناه أمور حياته، وافتقاره إلى نظرة الجد وصحة العزم، فهو متعام عن رؤية وجه مصالحه. ويجب أن يكون واضحا أن قوة الدهماء عمياء، تخدّرت منها حاسة الشعور، ولا تجري في الفهم والاستيعاب على نطاق المعقول، وهي أبدا رهن أي مستفز يستفزها من أي ناحية. وأعمى لا يقود إلا إلى هاوية،

وفي النهاية يخرج أفراد من الدهماء ومن سواد الشعب، لا يعدو طورهم أن يكونوا ممن لا خبرة لهم ولا سابق تجربة، وقد يكون لهم من النبوغ مظهر برّاق، ولكن لقصورهم عن النفاذ إلى بواطن المسائل السياسية المحجبة، فإنهم لا يلبثون، إذا استطاعوا أولا بلوغ الزعامة وقيادة الدهماء، أن يهووا، فتهوى معهم الأمة، فينتقض الحبل كله.

وإنما هناك رجل واحد مجرَّب، رُبى منذ الصِغر على فهم الحكم المستقل وتمرَّس به، بوسعه أن يعي ويزن جيدا الكلمات التي تتركب منها أبجدية السياسة.

والشعب الذي يُترك وشأنه ليستسلم إلى أمثال هؤلاء الذين يظهرون على المراسح فجأة من صفوفه، يجني على نفسه إذ تقتله منازعات الأحزاب، المنازعات التي يزيد من شدة أُوارها حب الوصول إلى السلطات، والازدهاء بالمظاهر والألقاب والرئاسات، وكل هذا في فوضى شاملة. أفتستطيع الدهماء، بهدوء وسكينة، وبلا تحاسد وتباغض، أن تتعاطى مهمات المصلحة العامة، وتديرها على الحكمة، دون أن تخلط بين هذا ومصالح خاصة؟ أتستطيع أن تدافع عن نفسها في وجه عدوّ خارجي؟ لا لعمري! لأن المسألة التي تتخطفها الأيدي تتمزق بعدد الأيدي التي تتخطفها، مآلها أن تشوّه، وتفقد الإنسجام بين أجزائها، فتتعقّد، وتُبهم، وتستعصى على أن تقبل التنفيذ.

ولا يتم وضع المخطط وضعا كاملاً محكماً إلى آخر مداه، إلا على يد حاكم مستبد قاهر، يقوم على ذلك حتى النهاية، ثم يوزعه أجزاء على جهاز الدولة، فيتعلق كل جزء بآلته الخاصة به من جهة التنفيذ، ونستنتج من هذا بالضرورة أن الوضع الذي ينبغي أن تكون عليه الدولة مع اللياقة والكفاية، هو الوضع الذي يجتمع كله في يد رجل مسئول. وبلا سلطة مطلقة، لا حياة للحضارة، والحضارة لا تقوم على الدهماء، بل على يد مَن يقود الدهماء،

كائناً من يكون ذلك الرجل القائد. والدهماء قوة همجية، وهٰذه القوة تتجلى في كل مناسبة واقعة. وفي اللحظة التي تتسلم فيها الدهماء الحرية، وتجِدُ نفسها قادرة على التصرف كما تشاء، تقع الفوضى فوراً، وهذا الضرب من الاختباط أسوأ ضروب التردي الإنساني الأعمى.

انظروا إلى الحيوانات المدمنة على المسكر، تدور برؤوسٍ مدوَّخة، ترى من حقها المزيد منه فتتاله إذا نالت الحرية. فهذا لا يليق بنا، ولا نسلك نحن هذه الدروب. فشعوب الغوييم قد رنَّحتها الخمرة، وشبابهم قد استولت عليهم البلادة من نتيجة ذلك، فأخملتهم وألصقتهم بالبقاء على القديم الموروث الذي عرفوه ونشأوا عليه، وقد ازدادوا إغراء بأوضاعهم هذه، على يد المهيأين من جهتنا خاصة للدفع بهم في هذا الاتجاه كالمعلمين المنتدبين للتعليم الخاص، والخدم، والمربيات والحاضنات في بيوت الأغنياء، الكتبة والموظفين في الأعمال المكتبية وسواهم، وكالنساء منا في المقاصف وأماكن الملذات التي يرتادها الغوييم. وفي عداد هذا الطراز الأخير، اذكر ما يسمى عادة «بمجتمع السيدات»، أو «المجتمع النسائي» حيث آلمعاشرة مباحة للفساد والترف. وشعارنا ضد هذا: العنف، وأخذ الناس بالحيلة ليعتقدوا أن الشيء المتعلقة به الحيلة كأنه صحيحٌ لا ريب فيه. وإنما بالعنف وحده يتم لنا الغلب في الأمور السياسي، ولا سيما إذا كانت أدوات العنف مخفية، من المواهب الذهنية مما هو ضروري لرجال السياسة. فالعنف يجب أن يُتخذ قاعدة وكذلك المكر والخداع، وما قلناه مما ينبغي أن يكون شعاراً، كل هذا فائدته العملية أن يتخذ قاعدة في الحكومات التي يراد أن تتخلى عن تيجانها تحت أقدام الممثل الجديد لعهد جديد. وهذا الشر هو الوسيلة الوحيدة لبلوغ الغاية المقصودة من الخير. ولذلك لا ينبغي لنا أن نتردد في

استعمال الرشوة والخديعة والخيانة، متى لاح لنا أن بهذا تحقَّق الغاية. وفي السياسة يجب على الواحد المسئول أن يعرف كيف تقتنص الفرص فوراً، إذا كان من نتيجة ذلك الاستسلام إلى السلطة الجديدة.

ودولتنا الماضية قدما في طريقها، طريق الفتح السلمي، من حقها أن تبدل أهوال الفتن والحروب لما هو أخف وأهون، وأخفى عن العيون، وهو إصدار أحكام بالموت، ضرورية، من وراء ستار، فيبقى الرعب قائما، وقد تبدلت صورته، فيؤدي ذلك إلى الخضوع الأعمى المبتغى.

قل هي الشراسة. ومتى ما كانت في محلها ولا تتراجع إلى الرفق، غدت عامل القوة الأكبر في الدولة. وإن تعلقنا بهذا المنهج، ولا يراد به المكسب المغنم فحسب، بل نريده أيضا من أجل الواجب انتحاء بالقافلة نحو النصر، ونعود فنقرر أنه هو العنف، وأخذ الناس بالحيلة ليعتقدوا أن الشيء المتعلقة به الحيلة كأنه صحيح لا ريب فيه.

في الزمن الماضي، كنا نحن أول من نادى في جماهير الشعب بكلمات الحرية والعدالة والمساواة، وهي كلمات لم تزل تّردد إلى اليوم، ويرددها من هم بالببغاوات أشبه، ينقضُّون على طُعم الشَّرَكِ من كل جو وسماء، فأفسدوا على العالم رفاهيته كما أفسدوا على الفرد حريته الحقيقية، وكانت من قبل في حرز من عبث الدهماء.

والذين يرجى أن يكونوا حكماء عقلاء من الغوييم، وأهل فكر وروية، لم يستطيعوا أن يفهموا شيئا من معاني هذه الألفاظ التي ينادون بها، الفارغة الجوفاء؛ ولا أن يلاحظوا ما بين بعضها بعضا من تناقض وتضارب، ولا أن يتبينوا أن ليس في أصل الطبيعة مساواة، ولا يمكن أن تكون هناك حرية، إذ الطبيعة هي نفسها قد صنعت الفروق في الأذهان والأخلاق والكفاءات،

وجعلت هذه الفروق ثابتة كثبات الخضوع لها في سننها ونواميسها. وعَجَز أولئك أيضا عن أن يدركوا أن الدهماء قوة عمياء، وأن النخبة الجديدة المختارة منهم لتَوَلّي المسئولية، في خلو من التجربة. وهي بالقياس إلى ما تتطلبه السياسة، عمياء كالدهماء، حتى ولا فرق. واللوذعي وإن كان مجنونا فبوسعه أن يصل إلى الحكم، بينما غير اللوذعي، ولو كان عبقريا، فلا يدرك كنه السياسة. وهذه الأشياء كلها لم يفقه الغوييم من بواطنها وأسرارها شيئا، ومع هذا، فقد كانت عهود الحكم، وحكم السلالات في الماضي عند الغوييم، ترسو على هذه الأغاليط، فكان الأب ينقل إلى ابنه معرفة أصول السياسة بطريقة لا يشارك فيها أحد إلا أفراد السلالة، ولا أحد منهم يفتح هذا الباب للرعية. ومع اطراد الزمن صار معنى احتكار هذا الأمر في السلالات يعروه الإبهام والكمود، حتى تلاشى واضمحلّ. وهذا بالنتيجة ساعد في إنجاح قضيتنا.

وفي جميع جنبات الدنيا، كان من شأن كلمات حرية عدالة مساواة أن اجتذبت إلى صفوفنا على يد دعاتنا وعملائنا المسخرين، مَن لا يحصيهم عدّ من الذين رفعوا راياتنا بالهتاف. وكانت هذه الكلمات، دائما هي السوس الذي ينخر في رفاهية الغوييم ويقتلع الأمن والراحة من ربوعهم، ويذهب بالهدوء، ويسلبهم روح التضامن، وينسف بالتالي جميع الأسس التي تقوم عليها دول الغوييم. وهذا ساعدنا أيضاً في إحراز النصر، على ما ترون من البيان بعد قليل: فمما أعطانا المُكْنة التي توصلنا بها إلى الورقة الرابحة، هو سحق الامتيازات، أو بتعبير آخر، نسف أرستقراطية الغوييم نسفاً كليّاً تامّاً، وقد كان أهل هذه الطبقة هم الوِقاء الوحيد للدفاع في وجهنا من وراء الشعوب والبلدان. وعلى أنقاض أرستقراطية الغوييم وارث محتدها القديم، بنينا

أرستقراطية من طبقتنا المتهذبة الراقية، تتوّجها أرستقراطية المال. وجعلنا أوصاف أرستقراطيتنا مستمدة من نبعتين: المال، وهذا أمره يقع على عاتقنا، والمعرفة، وهذه تستقى من حكمائنا الشيوخ، وهذا منهم هو القوة الدافعة.

والظفر الذي بلغناه، قد جاء أيسر وأهون، لأننا في تعاملنا مع الناس الذين احتجنا إليهم، كنا دائما نضرب على أدق الأوتار حساسية في ذهن الإنسان، ومن جملة ذلك الدفع نقداً، واستغلال النهمة نحو المال، والشره إلى الحاجات المادية للإفساد، وكل واحدة من هذه النقائض الإنسانية، إذا عملت وحدها، كانت كافية لِتشلّ نشاط الفرد كله، وتجعل قوة إرادته مطاوعةً ملبيةً، مستجيبةً للذي اشترى منه العمل.

وكان من شأن المعنى المجرد لكلمة «الحرية» أن عضَّدَنا في إقناع الدهماء في جميع البلدان أن حكوماتهم ما هي إلا حارس الشعب والشعب هو صاحب القضية، فالحارس يمكن تغييره وتبديله، كقفاز قديم نبذ وجيء بجديد.

وإنما هي هذه المُكْنة، مكنة تبديل ممثلي الشعب، ما جعل الممثلين طوع امرنا، وأعطانا سلطة تسخيرهم.

البروتوكول الثاني

الحروب الاقتصادية — أسس التفوق اليهودي — الحكومات الصورية و«المستشارون السريون» — نجاح التعاليم المدمِّرة — المرونة في السياسة — الدور الذي تمثله الصحف — ثمن الذهب وقيمة الضحايا اليهودية

إن غرضنا الذي نسعى إليه، يحتّم أن تنتهي الحروب بلا تغيير حدود ولا توسع إقليمي، وينبغي تطبيق هذا ما أمكن. فإذا جرى الأمر على هذا قدر المستطاع، تحولت الحرب إلى صعيد اقتصادي وهنا لا مفرّ إن تدرك

الأمم من خلال ما نقدم من مساعدات، ما لنا من قوة التغليب، تغليب فريق على آخر، ومن التفوق، ونفوذ اليد العليا الخفيّة. وهذا الوضع من شأنه أن يجعل الفريقين تحت رحمة عملائنا الدوليين الذين يملكون ملايين العيون اليقظة التي لا تنام، ولهم مجال مطلق يعملون فيه بلا قيد. وحينئذ تقوى حقوقنا الدولية العامة على محق الحقوق القومية الخاصة، في نطاق المعنى المألوف لكلمة حق، فيتسنى لنا أن نحكم الشعوب بهذه الحقوق تماما كما تَحكم الدول رعاياهم بالقانون المدني داخل حدودها.

والأشخاص الذين نختارهم من صفوف الشعب اختيارا دقيقا ضامنا لنا أن يكونوا كاملي الاستعداد للخدمة الطائعة، لن يكونوا من طراز الرجال الذين سبق لهم التمرس بفنون الحكم والحكومة، حتى يسهل اقتناصهم والوقوع المحكم في قبضة يدنا، فنتخذ منهم مخالب صيد، ويتولاهم منا أشخاص أهل علم مكين وعبقرية، يكونون لهم مستشارين من وراء ستار، واختصاصيين وخبراء، وهؤلاء الرجال المختارون منا، يكونون قد نُشِّئوا منذ الصغر تنشئة خاصة، وأُهِّلوا لتصريف شؤون العالم تأهيلا كاملا، ويكونون، كما تعلمون، قد مضى عليهم زمن، وهم يرتضعون معلوماتهم التي يحتاجون إليها، من مناهجنا السياسية ودروس التاريخ، ومن ملاحظة سير الحوادث وهي تقع على توالي الوقت. أما الغوييم فقد بَعُدَت الشقة بينهم وبين أن يكونوا قادرين على الاهتداء إلى الحكمة، بالملاحظة التاريخية غير المتحيزة، إذ جُلُّ ما تبلغ استنارتهم به هو الطرق النظرية على نمط رتيب، دون أن يتعمقوا في تسليط العين الفاحصة النافذة على مدار النتائج للحوادث. فليس بنا من حاجة، والحالة هذه، أن نقيم لهم أيّ وزن — فلندعهم في حالهم وما يشتهون ويحبّون، حتى تأتي ساعة اقتناصهم، أو يظلوا يعيشون على الآمال تنتقل بهم

من مشروع خيالي إلى آخر، ويتباهون بذكريات ما سبق لهم التمتع به من لُبانات. وليبق هذا كله دورهم الرئيسي الذي يمثّلون. وقد نجحنا في إقناعهم بأن ما لديهم من معلومات نظرية، إنما هو من حُرِّ محصول العلم. وما دام غرضنا هو هذا، فدأبنا بواسطة صحفنا أن نرسّخ فيهم الاعتقاد بصحة ما يحملون من نظريات وآراء. أما أهل الفكر منهم، فينتفخون ازدهاء بما لهم من حظّ المعرفة، وتراهم، وهم غُفل عن الاستعانة بوضع التجربة على محك المنطق، يندفعون إلى وضع نظرياتهم موضع العمل، ولكن ما هو في نظرهم علم ومعرفة، إن هو في الواقع إلا ما عُنِيَ عملاؤنا الاختصاصيون بتصنيفه لهم بحذق ومهارة، وهُيِّئَ هذا كله لتتنور أذهانهم به على الاتجاه الذي نريد.

إياكم أن تعتقدوا، ولو للحظة واحدة، أن ما أقول هو من الكلام القليل الجدوى: فما عليكم إلا أن تتفكروا في ما صنعنا لإنجاح النظريات الدروينية والماركسية والنيتشية. أما نحن اليهود، فما علينا إلا أن نرى بوضوح ما كان لتوجيهاتنا من أثر خطير في التلبيس على إفهام الغوييم في هذا المجال.

ولا بد لنا في منهجنا هذا: أن نأخذ بعين الاعتبار، ما عند الأمم من طراز فكر، وخلق، ونزعة، واتجاه. وإنما نفعل هذا لكي نحترز به من الانزلاق في معالجتنا السياسية والتوجيه الإداري، لا نعثر ولا نكبوا. وإن انتصار منهجنا، الموزعة أجزاؤه على مختلف المناحي توزيعا يصيب كل ناحية لما يؤاتيها منه، حسب أمزجة الشعوب التي تقع في طريقنا – أن انتصارنا المتوخَّى، قد يفشل ويحبط دون إدراك الغاية، إذا كان تطبيقنا للمنهج ليس مبنيا على الأحكام المستمدة من صفوة دروسنا الماضية، نطبقها على ضوء الحاضر.

ولا يخفى أن في أيدي دول اليوم آلة عظيمة تستخدم في خلق الحركات الفكرية، والتيارات الذهنية، ألا وهي الصحف. والمتعين عمله على الصحف

التي في قبضتنا، أن تدأب تصيح مطالبة بالحاجات التي يفترض أنها ضرورية وحيوية للشعب، وأن تبسط شكاوي الشعب، وأن تثير النقمة وتخلق أسبابها، إذ في هذه الصحف يتجسد انتصار حرية الرأي والفكر. غير أن دولة الغوييم لم تعرف بعد كيف تستغل هذه الآلة، فاستولينا عليها نحن، وبواسطة الصحف نلنا القوة التي تحرّك وتؤثّر، وبقينا وراء الستار. فمرحى للصحف، وكفُّنا مليئة بالذهب، مع العلم أن هذا الذهب قد جمعناه مقابل بحار من الدماء والعرق المتصبب. نعم، قد حصدنا ما زرعنا، ولا عبرة إن جلّت وعظمت التضحيات من شعبنا. فكل ضحية منا إنها لتضاهي عند الله ألفا من ضحايا الغوييم.

البروتوكول الثالث

الأفعى الرمزية ومغزاها — الاختلال في الموازين الدستورية — الإرهاب في القصور — وسائل القوة والمطمح — المجالس النيابية و«الثرثارون» من خطباء وكتّاب — سوء استعمال السلطة — العبودية الاقتصادية — أسطورة «حقوق الشعب» — نظام الاحتكار والأرستقراطية — جيش اليهودية الماسونية — تناقص الغوييم — المجاعات وحقوق رأس المال — الدهماء وتتويج الملك السيد على العالم كله — القاعدة الأساسية للتعليم في المدارس الأهلية — الماسونية في المستقبل — السر العلمي في حقيقة هيكل المجتمع وتركيبه — الأزمة الاقتصادية العالمية — ضمان الأمان لشعبنا — السلطة المطلقة في الماسونية وقيام المملكة التي يسودها العقل — لا قائد ولا مرشد — الماسونية والثورة الفرنسية الكبرى — الملك المتسلط المستبد من نسل صهيون — الأسباب التي تولي الماسونية المناعة فلا تُقهر — الدور الذي يمثله عملاء الماسونية السرّيون — الحرية

بوسعي اليوم أن أعلمكم أن هدفنا قد تدانى واقترب، فلم يَبقَ بيننا وبين الوصول إليه إلا بضع خطوات، في مسافة قصيرة. وبنظرة إلى الوراء، ندرك أن الطريق الطويلة التي اجتزناها كادت تنتهي، ثم تقفل الأفعى الرمزية دورتها، وهذه الأفعى هي رمز شعبنا في قيامه بهذه المراحل. وعندما تغلق هذه الحلقة، تمسى الدول الأوروبية جميعا محصورة ضمن دائرتها، والأفعى قد تكورت من حولها كالكُلاَّبة.

وإننا سنرى موازين الدساتير لأيامنا هذه عما قريب تنهار، إذ نحن أقمناها ونصبناها، وجعلناها على شيء من الخلل في تركيبها عَمدا، بحيث تبقى دائمة الحركة على مدارها، بين أن تشيل تارة وترجح طورا، لتذوب وتتلاشى مادتها في النهاية، كما يذوب بالتالي مدارها كله. وأما الغوييم، فهم تحت الاعتقاد الموهوم أنهم أحكموا وأحصفوا إقامة هذه الموازين، وراحوا يعلقون عليها الأهمية، وينتظرون حسن انتظام سيرها، لعلهم يدركون يوما ما يأملون. غير أن مدارات الموازين – الملوك الذين هم على العروش – هم في شغل عن ذلك لأنهم غدوا محوطين بزمر ممثلي الشعب ونوابه، وجعَلَ هؤلاء يرقصون للملوك على كل لحن يلذُّ لهم، وتوزعت السلطة فوضى، ينتاشها كل فريق قدر استطاعته، والسلطة التي بيد هؤلاء الممثلين إنما وصلت إليهم عن طريق الإرهاب الذي بالتالي وصل زفيره إلى داخل القصور. وتقطعت الحبال التي ينبغي أن تكون الصلة بين الملك والشعب، فلا شيء بعد ذلك يصل بينهما. فبقي الملك على عرشه خائفا يترقب، يتوقع مداهمة البغتات من الطامعين في السلطة. ونحن قد أنشأنا برزخا يفصل بين السلطة العليا للدولة، وسلطة الشعب العمياء، فصار كل فريق في حيّز، وفقَدَ معناه وصار أمرهما كالأعمى قد حيل بينه وبين عصاه.

ولكي نحرّض طلاّب الوصول إلى السلطة على أن يَثِبوا إلى ما يشرهون إليه ويسيئوا استعماله، فقد حرّكنا جميع قوى المعارضة في مختلف جبهاتها. ليقوم هذا في وجه ذاك، ونفخنا في كلّ منهم الروح التي تهزّه، فانطلقوا بنزعاتهم الليبرالية نحو طلب الاستقلال. وإيقاعا للإخلال، ولا مهرب، فقد جارينا كل فريق وما يهوى، وسلّحنا جميع الأحزاب، وجعلنا الوصول إلى السلطة الغرض المقدس فوق كل شيء. وأما الدول، فاتخذنا من منازعتها حلبة صراع حيث يشتد التصادم والاقتتال. ولن يمضيَ بعد هذا إلا القليل من الوقت حتى العالم أجمع يأخذ يتخبطِ في الفوضى والإفلاس.

واتخذ طلاب الوصول، وهم أكثر من أن يُحصوا، من قاعات البرلمانات والمجالس الإداريـة العالية، ساحات ومنابر للخطابة الرخيصة. وكثر الصحافيون المحترفون وأصحاب الأقلام الذين يعيشون على حرفة التحرش والوقيعة، ودأبهم أن يطرقوا كل يوم أبواب السلطة التنفيذية للأجر والمكافأة. واتسع شيوع المخازي من سوء استعمال صلاحيات الوظائف اتساعا يدلّ على أن مؤسسات الدولة بأصولها وفروعها، قد تهيأت ونضجت لتعصف بها الرياح المقبلة، فيثور الشعب برعاعه ودهمائه، ويجعل عالي الأمور سافلها.

وترى الشعب الآن قد نهشته أنياب الفقر، فصار في عبوديته أسوأ من عبودية رقّ الرَّقَبة ورق الأرض من قبل، وأمره مغلق. أما العبودية القديمة، فقد كان أمرها أهون، إذ يستطيع الشعب التحرر منها بوسيلة ما، أمّا من هذا الفقر المدقع المحيط به، فلا أمل له في النجاة، وقد جعلنا الدساتير تنص على الحقوق نصا صريحا، وهي ما يسمى بحقوق الشعب. وأما الشعب نفسه، فإنه لا يناله من هذا شيء، وهو لا يجد هذه الحقوق إلا خيالا وسرابا، ويوقن العامل الكادح أن لا جدوى له من تلك النصوص الفارغة والخطب

الجوفاء في القاعات، إذ يدور حول نفسه، فإذا به باقٍ على الطوَى يعاني الشدائد، ولا يصيبه أيٌّ خير من الدستور ونصوصه، إلا ما يتساقط عليه من فُتات الموائد في مواسم الانتخابات العامة، لينتخب المرشح الذي يُملي عليه اسمه من قِبَل عملائنا. والحقوق التي ينالها في بلاد الحكم الجمهوري ليس له منها إلا المرارة، وهي لا تخفف من أعبائه شيئاً، بل تسلبه من الناحية الأخرى جميع الضمانات التي تكفل له بعض الأجور المنتظمة، وتجعله يلجأ إلى الإضرابات مع رفاقه، أو تراه موقوفاً محجوزاً عليه بأمر سادته.

والشعب بإرشادنا قد محا الطبقة الأرستقراطية التي كانت تدافع عنه وتحميه لمنفعتها منه إذ مصالحهما مشتركة. ونرى الشعب اليوم بعد نسفه الطبقة الأرستقراطية، قد أطبَقَت على مخنقه أيدي صغار المرابين يمتصونه امتصاص العَلَق، فاسترقّوه وقيدوه.

فنأتي نحن الآن بدورنا، ونظهر على المسرح مدّعين حبَّ إنقاذ العامل الفقير مما هو فيه من بلاء. فندعوه أن ينتظم في صفوف جندنا المقاتل تحت لواء الاشتراكية الفوضوية والشيوعية، وأما حملة هذه الألوية فمن دأبنا أن نساعدهم اتباعاً لقاعدةٍ أخويةٍ مزعومة وهي تضامن الإنسانية، وتلك من قواعد الماسونية عندنا. أما الطبقة الأرستقراطية التي يوليها القانون الوسيلة لتستثمر تعب العمال البائسين، فإنها أمست الآن مرتاحة قريرة العين، إذ ترى هؤلاء العمال قد اكتسوا، وردَّت إليهم العافية في أبدانهم. هذا، بينما خطتنا نحن، على النقيض من هذا تماماً: أن تسود الفاقة، ويتناقص كيان الغوييم. وآلتنا تكون قوية، إذ استحكمت حلقات المجاعة وأزمنت، وحلَّ الهُزال بالعامل، فيكون معنى هذا كله أن العامل أصبح في الطريق إلى أن يمسي مستعبَداً لإرادتنا، وهو يعلم أنه لن يجد في حكومته المُكنة ولا الطاقة

ولا الهمة ولا العزم، ليقف شيء من ذلك في طريقنا. والجوع يخلق لرأس المال الحق ليتحكم بالعامل تحكماً ما مارست مثله الطبقة الأرستقراطية في أيامها، حتى ولو كان الملوك من ورائها يُمِدُّونها بسلطة القانون.

وبالفاقة، وما تولِّده وتفرّخه من حسد وبغضاء، نستطيع أن نهيج الدهماء ونحوّل أيديهم إلى سلاح يدمّرون به ما يكون في طريقنا من عقبات. ومتى ما دقت الساعة منذرة بمجيء مولانا الملك، ملك العالم كله، ليعلو التاج مفرقيه، ستكون هذه الأيدي العمالية نفسها، هي الأيدي التي تزيل من الطريق كل عقبة.

ونرى الغوييم قد فقدوا صحة التفكير كأنهم في ضلال، إلاّ إذا أيقظتهم مقترحات الاختصاصيين منا، فهم أقصر نظراً من أن يروا ما نرى نحن، من الضرورة التي تقضي بأحداث ما سَنُحدث يوم تقوم مملكتنا، وأول ذلك، وهو بالغ الخطورة، إدارة التعليم في المدارس الوطنية الأهلية، بحيث يقتصر على تعليم عنصر واحد بسيط من عناصر المعرفة، وهو أسّ المعارف كلها: كيف يتركب كيان الحياة الإنسانية، والكيان الاجتماعي. وهذا يقضي بتقسيم العمال إلى فئات، وبالتالي تقسيم الناس إلى طبقات، ولكل طبقة أوضاعها، ويكون من الضروري أن يعلم الجميع أنه بسبب اختلاف الغايات من النشاط الإنساني، لا يمكن أن تكون هناك مساواة. ولا يستوي اثنان في ميزان واحد: فإن الذي يعمل عملاً تتأثر بنتائجه طبقةٌ بكاملها، ليس على استواء أمام القانون مع الذي يعمل عملاً لا يتأثر بنتائجه إلاّ هو نفسه، صانع العمل، وحده، وسيكون من شأن المعرفة الصحيحة لتركيب بنية المجتمع، وعلى أسرار هذا لا نطلع الغوييم، أن تظهر لجميع الناس أن العمل وما يلزمه من وضع، كل ذلك يجب أن يضبط ضبطاً ضمن حدود معينة، حتى لا يبقى بعد

ذلك سبب يجر الإنسانية إلى الشقاء، مما يؤدي إليه التعليم الحالي الذي لا يتفق مع العمل الذي يطلب من الأفراد القيام به. وبعد الإحاطة الوافية بهذه المعرفة، سيبادر الناس من تلقاء أنفسهم إلى طاعة السلطة وقبول الأوضاع التي تعينها لهم الدولة. أما قيمة المعارف في الوقت الحاضر، وما أعطيناه من إرشاد لتوجيهها، فظاهرٌ في أننا نرى الشعب الذي يصدّق كل ما تقع عليه عينه في الصحف والكتب يبطن الكراهة العمياء لأي وضع يراه أعلى من وضعه الحالي، وسبب هذه الكراهة ناشئ عن عدم فهمه شيئاً من معنى الطبقة، ولا من معنى الوضع اللازم لها، وهو مخبول في أمره، بما نلقي إليه من تلقين يضلّله، ويزيد من جهالته.

وهذه الكراهة ستبلغ أمداً أبعد، إذا ما هبَّت عليها رياح أزمة اقتصادية تجمِّد التعامل في البورصات، وتشل دواليب الصناعة، وإننا بالوسائل السرية التي في أيدينا، سنخلق أزمة اقتصادية عالمية لا قِبَل لأحد باحتمالها، فتقذف بالجموع من رعاع العمال إلى الشوارع، ويقع هذا في كل بلد أوروبي بوقت واحد. وهذه الجموع ستنطلق هازجة إلى الدماء تسفكها بنهمة وقَرَم، هي دماء الطبقة التي يكرهها العمال من المهد، وتنطلق الأيدي في نهب الأموال ويبلغ العبث أمده الأقصى.

أما أموالنا نحن، فلن يمسها العمال، لأننا نكون واقفين على مواقيت حركاتهم وسكناتهم، فإذا ما حاولوا أن يتوجهوا نحونا، عرفنا كيف نصدّهم ونحمي جهتنا من عدوانهم.

وقد بيَّنا من ناحيتنا أن التقدم المادي من شأنه أن يجعل الغوييم يثوب إلى حكم العقل ويستظل بظله. وهذا بعينه ما ستفعله سلطتنا المستبدة. فهي تعلم كيف أنها تستطيع بالقسوة الحكيمة العادلة أن تستأصل جذور

الاضطراب وتسكّن هائجه، وأن تتناول الليبرالية بالكيّ لتبرأ من علتها، ولا تتناول بالكي غيرها من المؤسسات.

وإذا ما رأى سواد الشعب، بطبقته العامة، أنَّ جميع الامتيازات التي كانت للطبقات الأخرى قد زالت، كما زال أيضاً ما كانت عليه تلك الطبقات من هوى وانغماس، فإنه يَلِجُ باب الاعتقاد أنه هو صائر سيداً مطاعاً، ولكنه يبقى سرّاً لا يعلم أنه هو، وقد نَسَف بيته بيده، أمسى كالأعمى الذي واجهه ركامٌ من حجارة فعثر، وكلما حاول أن ينهض عاد فعثر ثانية، فراح يستنجد بمن يكشف له الطريق فازداد بلبلة، وغاب عنه أن الأولى به أن يعود إلى الوراء، إلى وضعه السابق. وفي النهاية يستسلم بجميع ما لديه تحت أقدامنا. تذكروا الثورة الفرنسية التي نحن أطلقنا عليها لعب الكبرى، فإن أسرار تدابيرها عندنا لأننا نحن صنعنا ذلك بأيدينا.

ولم نزل منذ الثورة الفرنسية نقود الشعوب ونحررها من طلاسم الشعبذات. وفي النهاية ستتحول الشعوب عنا أيضاً التفاتاً إلى الملك — المتسلط من سلالة صهيون، وهو الذي نُعِدّ ونهيئ للعالم.

ونحن اليوم بصفتنا قوةٌ دوليةٌ فلا نُغلب، لأنه إذا هاجَمَنا فريق انتصر لنا فريقٌ آخر. والمسألة مسألة خسّة في شعوب الغوييم مما لا حدّ له. وهذه الشعوب تزحف على بطونها نحو القوة، ولكنها لا تعرف الرحمة أمام الضعيف، ولا العفو عن المخطئ، وهي شديدة الانغماس في الإجرام، وليس لها طاقة لتحمل المتناقضات في نظام اجتماعي حر، ولكنها صبور على الاستشهاد بين يدي متسلطٍ عاتٍ جريء — وهذه الصفات هي ما يساعدنا نحو إدراك الاستقلال. وإذا نظرنا إلى الغوييم من أول قيام المستبدين المتسلطين في الأرض حتى هذه الساعة، نجدهم قد تحملوا العذاب وطاقوا من الجراحات

ما كان جزء قليل منه يكفي للإطاحة بعشرات من رؤوس الملوك.

فبماذا تُفسِّر هذه الظاهرة، وهذه الأحوال التي يطابق عليها العقل، أعني وقوف هذه الشعوب مواقف متناقضة من الحوادث التي هي من جنس واحد؟

لا يُفسَّر هذا إلا بالمُشَاهَد الواقع، وهو أن المتسلطين على هذه الشعوب يهمسون في آذانها بواسطة العملاء أنهم ما أتوا من كبائر إلا لغاية عظيمة، وهي إنزال الضربة الكبرى بالدولة التي نهكتهم، وهذه هي الخدمة الفضلى لمصالح الشعوب، والذود عن الأخوة الدولية التي هم فيها على صعيد واحد، وإقامة التضامن والمساواة. وطبعاً، لا يقول المتسلطون للشعوب ما هو الحق، وهو أن توحيد الناس على ما يشيرون إليه، لا يمكن أن يحقَّق إلا في عهد ملكنا السيد المستقل.

فالشعوب كما ترون، تجرّم البريء وتطلق المجرم. وتظل على مزيد من الاعتقاد أنها تستطيع أن تفعل ما تشاء. وشكراً لهذه الحال: فالشعب يدمّر كل شيء وطيد ثابت، ويخلق الاضطراب في كل خطوة يخطوها.

فكلمة حرية تجرُّ الجماعات إلى مقاتلة كل قوة وتسلط، حتى إنها لتقاتل الله وتقاوم سننه في الطبيعة. ولهذا السبب نحن متى ما أقمنا ملكنا، سنمحو هذه الكلمة من معجم الحياة، لأنها توحي بمبدأ القوة الغاشمة التي تجعل الدهماء عطاشاً إلى الدماء كالحيوانات.

ومن طبيعة هذه الحيوانات حقّاً أنها تأخذها سِنَةُ النوم إثرَ كل مرةٍ تجرع فيها كأساً دهاقاً من الدم، وبينما هي كذلك مستكنّة، يسهل وضع القيد في أرجلها، ولكن إذا لم يتسنّ لها شراب الدم فلا تنام، وتبقى آخذة بالعراك.

البروتوكول الرابع

الأدوار التي تجتازها الجمهورية – الماسونية الأممية عند (الغوييم) – الحرية والإيمان – المنافسة الدولية الاقتصادية – دور المضاربات -عبادة الذهب.

كل جمهورية لا بد لها أن تجتاز عدة أدوار في حياتها. الأول يتضمن أيامها الأولى بعد قيامها، وهنا تبرز عناصر الهوج والجنون، وتَسُود يد الهمج والرعاع، يتمايلون بالعهد يمنة ويسرة تمايل الثمل. والثاني، تبرز فيه أوشاب الشعب، التي تتبع كل ناعق يقوم فيها داعياً محرضاً، وهنا العشّ الذي تخرج منه الفوضوية وتأخذ بالدبيب. وهذا في مآله ظهور المستبد المتسلط – ولا شرعية يستند إليها ولا يعمل في وضح النهار، ومع هذا فهو متسلط – يحمل تَبِعة، ومسئولٌ أيضاً، لكنه مسئولٌ إلى قوة خفيَّة غير منظورة، أو إلى منظمة سرية، تديره من وراء حجاب، وهذه تخبط على ما يحلو لها بلا وازع ولا رادع، لأنها تعمل في الخفاء، مستترةً وراء العملاء الذين يتبدلون، وتبدّلهم ليس منه أذى، بل يساعد القوة الخفية من باب التوفير المالي فيرفع عنها نفقات جزيلة كانت تؤدَّى مكافآت على خدمات طويلة عريضة، ثم يتبدل هذا بغيره ويجري الأمر دواليك شوطاً بعد شوط.

فمن ذا الذي يكون في وضع مواتٍ، أو ما هي الناحية التي تلابسها أوضاع مؤآتية، لنسف هذه القوة الخفية؟ هذا كله حاصل لنا نحن، ومن يستطيع نسف تلك القوة الخفية؟ هو نحن. والماسونية الأممية، (الغوييم) تخدمنا خدمةً عمياء، بأن تكون ستاراً لنا نحتجب من ورائه نحن وأغراضنا وصور خططنا، لكن مخططنا المعدّ للعمل مع التنفيذ، يبقى هذا كله على طبيعته كما يبقى المكان الذي يوجد فيه، سرّاً عميقاً لا يطلع عليه أحد.

والحرية في الموطن الذي ذكرناه الآن، لا تكون ضارَّة، ويمكن أن تجد لها

محلاً في اقتصاد الدولة، دون أن يسبب ذلك أيّ أذى للناس في رفاهيتهم، وذلك الموطن هو أن تقوم الحرية على أساس الإيمان بالله وأخوة الإنسانية، غير متعلقة بعقيدة المساواة، وهي العقيدة التي تنفيها نواميس الكون، وهذه النواميس أوجبت وقوع التباين في المخلوقات، بالخضوع والاتباع. فإذا ساد الإيمان بالله، فيمكن أن يحكم الشعب، بأن تقسم الأرض إلى أقاليم، وعلى كل إقليم راعيه الوصيّ، فيسير الشعب راضياً قنوعاً تحت إرشاد الراعي الروحي، إلى ما فيه مشيئة الله على الأرض، وهذا هو السبب في أنه من المحتَّم علينا أن ننسف الدين كله، لنمزق من أذهان الغوييم المبدأ القائل بأن هناك آلهاً ربّاً، وروحاً، ونضع موضع ذلك الأرقام الحسابية والحاجات المادية. ولكي لا نعطي الغوييم وقتاً للتفكير والرويَّة، فيجب تحويل أذهانهم إلى الصناعة والتجارة. وبهذا، تُبتَلع جميع الأمم وهي مشغولة بالإنسياق وراء الكسب والغنم، فتلهو بما في أيدينا، ويصرفها ذلك عن الالتفات إلى من هو في نظرها العدو المشترك. ونقول مرة أخرى، إنه من أجل أن نرى الحرية قد سببت ملاشاة الغوييم إلى آخر أثر، يجب أن نضع الصناعة على قواعد التنافس والمزاحمة. ونتيجة ذلك أن ما يسحب من البلاد بالصناعة، ينزلق ويتسرب إلى الأيدي ويمضي إلى المضاربة، ونهايته بعد ذلك إلينا، فيستقرّ في حيز طبقتنا نحن.

والصراع العنيف في طلب التفوق والغلبة، والهزَّات التي تصيب الحياة الاقتصادية، كل ذلك سيَخلق، كلا، بل خلق الآن، جماعات وطوائف من الناس ذاهلة، تعروها البرودة، وكأن أفئدتها قد تهاوت وفرغت. وهذه الجماعات سيطرأ عليها ما ينمّي في نفسها المقت للجو السياسي الذي فوقها، وللدين. فلا يبقى لها من سلوى إلاّ أن تغتبط بجمع المال والكسب، أعني الذهب

الذي ستعبده، وتفنى في سبيله، من أجل أن تنال به ما تبتغيه من حاجات محسومة. ثم تدق الساعة، فإذا بالطبقات السُّفلى من الغوييم تنضوي إلى قيادتنا في الزحف لتحطيم خصومنا المشرئبين إلى السلطة، وهم أهل الفكر في الغوييم، فيرون في هذا الدور النهاية. والدافع لتلك الطبقات السفلى في الاستجابة لنا، لا إحراز الغنائم، ولا جمع المال، بل للثأر من تلك الطبقة الفكرية التي حانت الآن ساعتها لتلقى المصير الذي ينتظرها.

البروتوكول الخامس

إنشاء حكومة مركزية ضخمة – وسائل القبض على أزمّة السلطة بواسطة الماسونية – الأسباب التي من أجلها يستحيل وقوع الاتفاق بين الدول – دولة اليهود التي تقوم عن سابق اختيار من الله – الذهب: هو من الدول كالمحرّك من الأجهزة الآلية – ما للانتقاد والتجريح من بالغ التأثير في التهديم والتقويض – إقامة «المَعَارض» فتنة في مظاهرها – ما لصناعة «غزل الكلام» من تأثير في التفتيت – كيف يُقبض على أعنّة الرأي العام – أهمية نشاط الفرد – الحكومة العليا في العالم

ما هو شكل الحكم الإداري الذي ينبغي أن يُعطى إلى جماعات قد استشرى فيها الفساد، وتغلغل في كل جنباتها؟ جماعات، المال لا يدور فيها إلا بوسائل أشبه بالاحتيال، وهو أقرب إلى الاختلاس، مجتمعها مسترخي الزمام، منحلّ الضابط، الآداب العامة فيه لا تُحفظ إلا بأن يكون قانون العقوبات متسلطاً فوق الرؤوس، والتدابير الصارمة على طرف الثمام، ولا رعاية للأخلاق طوعاً من وازع النفوس، إذ هنا الشعور نحو الدين ومسقط الرأس قد محته معتقدات مستبضعة من أسواق عالمية. وأيُّ شكل من الحكم ينبغي أن يطبَّق على هذه الجماعات سوى الحكم المطلق

الذي سأصفه لكم؟ فإننا سننشئ نظاماً ضخماً لحكومة مركزية واسعة، حتى يتسنى لنا القبض بأيدينا على جميع الأعنَّة. وسنضبط ضبطاً محكّاً مسارب نشاط الحياة السياسة لرعايانا بقوانين جديدة لم يعرف مثلها من قبل. ومن شأن هذه القوانين أن تزيل كل الإباحيات والحريات المطلقة مما أجازه الغوييم لنفوسهم، وبهذا ستتميز مملكتنا بسلطة مطلقة فريدة، رائعة الأوضاع والتقاسيم، وعلى استعداد في أي زمان ومكان لأن تجرف أيّاً كان من جنس الغوييم ممن يعارضنا لفعل أو قول.

وسيقال لنا إن هذه السلطة المطلقة لا تتمشى وتقدم هذا العصر الذي نعيش فيه، ولكني أبرهن لكم على أنها تتمشى ولا غبار عليها.

ففي الزمن الغابر، لمَّا كانت الشعوب تنظر إلى الملوك المتبوئة العروش، كأنها تنظر إلى من تجلت فيه إرادة الله، كانت تلك الشعوب وقتئذٍ خاضعة للسلطة المطلقة التي للملوك، بلا مناقشة ولا حراك. لكن منذ أخذنا نحن نُشرِب عقول الشعوب عقيدة أنَّ لهم حقوقاً، شرعوا يعتبرون الجالسين على الأرائك بشراً وقوماً عاديين يأتي عليهم الفناء كسائر الناس. والزيت المقدس الذي مُسِحَ به رأس الملك الذي هو ظل الله على الأرض، زيتٌ عادي غير مقدس في عيون الشعب، ولما سلبناهم إيمانهم بالله، فإذا بجبروت السلطة يُرمي به إلى الشوارع حيث حق التملك هو حق الجمهور، فاقتنصناه نحن.

وفوق ذلك، فإن فن توجيه الجماهير والأفراد بوسائل تُتقِن إلقاءَ النظريات وإشباعها بكثرة الكلام حولها، مما يرمي إلى ضبط مدار الحياة المشتركة بهذا وغيره من الحيل التي لا يعرف الغوييم من اكتناه أسرارها شيئاً - إن هذا الفن، عندنا نحن أربابه الاختصاصيون الذين تلقّوا أصوله من ينابيع أدمغتنا الإدارية، فهؤلاء الاختصاصيون قد نشأوا على التمرس بالتحليل

والملاحظة، ومعاناة حصر الدقائق في القضايا الحساسة الرفيعة، وفي هذا المضمار ليس لنا ندّ ولا نظير في رسم المخططات للنشاط السياسي ومعالجة المسؤوليات. وفي هذا المجال لا يضاهينا أحدٌ إلا الجزويت، لكننا نحن قد ابتدعنا من الطرق ما يصلح لإسقاط هيبتهم عند الدهماء وسواد الناس الذين لا يفكرون إلا سطحيّاً، وإنما تمكنا من الجزويت لأن مؤسستهم مكشوفة، بينما نحن استطعنا أن نبقي أجهزتنا السرية مغطاة محجوبة كل الوقت. وعلى كلٍّ، فالعالم قد لا يبالي شيئاً بمن يتبوأ عرشه، أهو رأس الكثلكة أم المتسلط الذي يَظهر منا متحدّراً بدمه من صهيون! هذا من جهة العالم، أما من جهتنا نحن فهذا الأمر يهمنا جدّاً، فإننا الشعب المختار، والمسألة تقتضي منا كل المبالاة.

وإذا قام في وجهنا غوييم العالم جميعاً، متألبين علينا، فيجوز أن تكون لهم الغلبة، لكن مؤقتاً. ولا خطر علينا من هذا، لأنهم هم في نزاع فيما بينهم، وجذور النزاع عميقة جدّاً إلى حد يمنع اجتماعهم علينا يداً واحدة، أضف إلى هذا أننا قد فتنّا بعضهم ببعض بالأمور الشخصية والشؤون القومية لكل منهم. وهذا ما عنينا بديمومته عليهم وتنميته مع الأيام خلال العشرين قرناً الأخيرة، وهذا السبب الذي من أجله لا ترى دولةً واحدة تستطيع أن بجدَ عوناً لها إذا قامت في وجهنا بالسلاح، إذ كل واحدة من هذه الدول لا تنسى أن تعلم أن الاصطفاف ضدنا يجرّها إلى الخسارة. إننا جد أقوياء، ولا يتجاهلنا أحد، ولا تستطيع الأمم أن تبرم أي اتفاق مهما يكن غير ذي بال، إلا إذا كان لنا فيه يد خفية. مني يستمد الملوك سلطتهم (It is through me that kings reign).

وجاء على لسان الأنبياء أننا نحن اختارنا لله لنحكم الأرض كلها. والله

منحنا العبقرية لنضطلع بهذا العبء. ولو كانت العبقرية في المعسكر الآخر لبقيت حتى اليوم تناهضنا. وإذا جاءنا قادمٌ فلن يكون لنا نِدّاً، ونحن من قبلُ أثبت قدماً، والمعركة إذا وقعت فستكون ضارية بيننا وبينه على ما لم يرَ العالم له مثيلاً في عهد مضى. وإذا افترضنا أن فيهم موهبة العبقرية (الغوييم) فقد جاءتهم متأخرة جدّاً. وكل دواليب الأجهزة للحكومات تحتاج إلى محرّك، وهذا المحرك بأيدينا وهو «الذهب»، وقد كان من شأن علم الاقتصاد السياسي أن رفع من شأن رأس المال، ومعلوم أن وَضع هذا العلم وتقريره يعود الفضل في ذلك إلينا.

ورأس المال، إذا كان يراد به أن يساهم بالتعاون وهو غير مقيد، فيجب أن يكون حرّاً طليقاً، ليتمكن من إنشاء الاحتكار في الصناعة والتجارة، وهذا ما قد صنعته يد خفيّة في جميع العالم. ومن شأن هذه الحرية لرأس المال أن تُمِدّ الذين يعملون في الصناعة بالطاقة السياسية، وهذا يؤول إلى التمكن من أخذ الشعوب بالضبط والمقادة. وفي أيامنا هذه، يكون الأمر أهم وأوزن لدينا، إذا عملنا على أن ننزع سَلاح الشعوب لا أن نسوقها إلى الحرب، بل وأعظم من ذلك لنا، أن نستغلَّ لمصالحنا انفعالَها العاطفي المشتعل، بدلاً من إطفائه، وأن نستولي على تيار الأفكار والآراء، ونترجمه على ما يناسبنا بدلاً من مكافحته ومحاولة استئصاله. فالغرض الرئيسي لقيادتنا هذه قاعدته: أن نُخمِل الذهن العام ونُضنيه بالنقد والتجريح، وأن نَحيد به عن طريق التفكير الجدّي الرصين، التفكير الذي يؤدي بالنهاية إلى مقاومتنا، وأن نصرف نشاط الأذهان عن تلك الوجهة ونأخذ بها حيث تقام معارك صورية، سلاحها الخطابة ومصطنع البيان.

وفي جميع العصور نرى شعوب العالم، من جماعات وأفراد، تنام على

الكلمة التي تسمعها ثم لا يهمها بعد ذلك من التنفيذ شيء. وعلة هذا في تلك الشعوب أنها تقنع من الشيء بمظهره، وتأخذها صورة العَرَض، وقلما تتوقف لتتأمل، وتلاحظ في مجرى الحلبة العامة، هل تقرن الوعود بالتنفيذ. لذلك تروننا أننا سنعني بإقامة مؤسسات المعارض التي تفيدنا في هذا الباب فوائد كبيرة.

وسننتحل لأنفسنا الصفة الليبرالية التي تجمع سمات جميع الأحزاب والجهات، ثم نجعل معاني ذلك كله تجري على ألسنة خطباء إذا تكلموا راحوا يُشبِعون الموضوع ويدورون من حوله حتى يملَّ السامعون ويضجروا، ويأخذوا بالضجيج.

ولكي يتسنى لنا الاستيلاء على الرأي العام يجب علينا أن نرميه بما يحيّره ويخرجه عن طوقه، وذلك عن طريق جَعل إبداء الرأي العام حقّاً شائعاً مفتوح الباب للجميع، ليلقي كلٌّ بدلوه في الدلاء. فتتناقض الآراء ويشتدّ التشاحن، ويطول الحال والمقال، والناس في كل ذلك متضاربو النزعة، ثم يُنادي منادٍ: إنَّ أولى ما يُصنع للخروج من هذا المأزق الحرج، أن يترك النقاش ويقلع عنه، ولا خوض في القضايا السياسية لأن جمهور العامة لا يفقه من لباب هذا شيئاً ولا يحسن وعيه، فمن الصواب أن مثل هذه الشؤون تُردُّ إلى المسئولين العارفين بها، يتدبرونها على ما يرون. هذا هو السر الأول.

والسر الثاني المشترط لنجاح حكومتنا المقبلة هو هذا: نكثر من مصنوعات الأشياء، شتى متنوعة، ونجعلها تَرِدُ موارد غزيرةً فياضةً من كل جنس: الفشل في المشروعات الوطنية، إفشاء العادات الجديدة، إيقاد العواطف، الاستثارة والاستفزاز، التبرم من شؤون الحياة، وذلك كله حتى يغدو من المستحيل على أيّ شخصٍ أن يعلم أين هو من هذا المعترك الذي خاض

فيه كل حابلٍ ونابل، وعَمِيَ الاختلاط. وإذا بالناس قد استغرقتهم البلبلة، ولا يفهم بعضهم بعضاً. وهذه الطريقة تفيدنا أيضاً من ناحية أخرى: الإفساد بين الأحزاب، وتفريق القوى المجتمعة على غرض ولا تزال تأبى الانصياع لنا، وأخيراً عرقلة نشاط أي شخصٍ يقف في طريقنا. وليس هناك ما هو أضرّ من نشاط الأفراد بصفتهم المستقلة الشخصية، فهؤلاء، إذا كان وراءهم مادة العبقرية، فيبلغ نشاطهم من الضرر بنا مبلغاً تقصر عنه الملايين من الناس الذين مزقنا كلمتهم. وعلينا أن نعني بتوجيه التعليم في مدارس جماعات الغوييم توجيهاً دقيقاً، فيُلقَى في الأذهان أنه متى ما جيء على مسألة عويصة تحتاج إلى كدّ الذهن تنقيباً واجتهاداً، فالأولى تركها واجتيازها إلى ما هو أهون منها وأيسر، فيتولاها من هو أهلٌ لها. والضنَى الفكري الذي يحصل للفرد من كثرة حرية العمل، ينسف ما فيه من القوى الذهنية عندما تصادم حريته حرية شخص آخر. وينشأ عن هذا الاصطدام رجّاتٌ خلقيةٌ نفسيةٌ عنيفة، وذهول، وشعور بالفشل. وبهذه الذرائع كلها، سنفتّت وجود الغوييم، حتى يُكرَهوا على أن يسلّموا لنا ما به تقوم القوة الدولية في العالم على أوضاع تمكننا بلا عنف، ورويداً رويداً من أن نبتلع طاقات الدول، ثم نخطو بعد ذلك إلى الأمام فننشئ الحكومة العالمية العليا، وسيكون لهذه الإدارة عون واسع من الأيادي التي تمتدُّ إلى البلدان كلها وتعلق بها كالكماشة. وأما أجهزة هذه الإدارة فستكون بالغة العظمة حتى تلقي ظلها على جميع أمم الأرض.

البروتوكول السادس

الاحتكارات: وعليها ثروات الغوييم – انتزاع الثروة العقارية من أيدي الطبقة الأرستقراطية – التجارة والصناعة والمضاربات – الترف والبذخ – رفع مستوى الأجور العمالية وزيادة مستوى أسعار الحاجيات الضرورية – نشر

أسباب الفوضوية وإدمان الخمرة — المعنى السري للدعاية تبثها نظرياتنا الاقتصادية سنشرع دون تأخر في إنشاء أجهزة احتكارية ضخمة، وحشد الثروات وتجميع الأموال، ليكون كل ذلك محصوراً بأيدينا، وقد أمسى قوةً مرهوبة، وفي الوقت نفسه تكون هذه القوة هي المسيطرة على الكبير الوافر من ثروات الغوييم، وهذه موقوفةٌ حياتها على قوتنا إلى حد أن تلك الثروات ستهبط إلى القاع جارّةً وراءها أرصدة الغوييم، في اليوم الذي يكون مضروباً لإنزال ضربتنا السياسية القاصمة.

وأنتم أيها السادة الحضور هنا، وكلكم رجال اقتصاد، بوسعكم أن تتصوروا بعين العقل ما يكون لهذه القوة الاحتكارية، التي مضاؤها كمضاء السيف، من خطورة حاسمة.

ويجب علينا أن نبذل جهدنا بكل طريقة ممكنة لتوسيع نطاق هيبة الحكومة العالمية العليا، والإعلاء من شأنها، وذلك بتصويرها أنها ما قامت إلاّ لحماية الدول التي تنضوي إليها وتستظلّ بظلها، وهي منبع الخير والعون لتلك الدول.

أما أرستقراطية الغوييم من جهة كونها قوةً سياسية، فتكون قد أُدرجت في أكفانها – فلا ينبغي لنا أن نأخذها بحساب. ولكن يبقى من أمرها خطرٌ واحدٌ علينا، من ناحية كونها تمثّل طبقة أرباب الثروات العقارية من أرض وبناء، ووجه هذا الخطر، إن تلك الطبقة تبقى في تدبير معايشها معتمدةً على الدخل الذي تجنيه من ريع أملاكها هذه، وهذا الريع يكفيها مؤونة حياتها. فعلينا بكل حال أن نحرمها هذه الأملاك. وإنما يتمُّ تحقيق هذه الغاية بأفضل وجه، بزيادة الضرائب والتكاليف المرتبة على العقار والأرض زيادةً تجرُّها إلى الديون المُغرقة المُبهظة، ثم يكون من شأن هذه التدابير أنها تحدّ من

نشاط التملك وتجعله مُعَرقلاً فينصاع الغوييم لنا مستخذين لتوجيهنا وآرائنا.

ولما كانت أرستقراطية الغوييم غير معتادة بحكم أساليبها القديمة الموروثة، أن تقنع بالقليل من الخير، ودأبها الطمع فيه والاستكثار منه، فسيضطرب أمرها أيَّ اضطراب يُخرجها عن طورها لعدم قدرتها على تحمل العوز والقلة، فتنادي بالويل والثبور. فيجب علينا في هذا الوقت نفسه أن نكون أصحاب الهيمنة على أوسع نطاق ممكن، على التجارة والصناعة، وبصورة خاصة على أسواق المضاربات، إذ المضاربات هي الإدارة التي تهبُّ في وجه الصناعة فتشلّها، وعدم وجود الصناعات بلا مضاربات، من شأنه أن يجعل رؤوس الأموال التي في الأيدي الخاصة تنمو وتزدهر، فيفضي ذلك بالزراعة إلى الانتعاش عن طريق تحرر الأرض والأملاك من ربقة الديون للمصارف العقارية. وما تحتاج إليه حقّاً في هذا الموطن، هو أن تكون الصناعة سبب تجفيف الأرض من العمال ورأس المال. فإذا جرى الأمر على ما نخطط، وانتهى إلى غايته، انساقت إلى أيدينا أموال العالم فخزنّاها نحن وحدنا، ثم نحوّل الغوييم جميعاً إلى وضع الصعاليك الكادحيّن (البروليتارية). وإذا بالغوييم يجثون أمامنا صاغرين، وإذا لم يكن من سبب لذلك إلاّ حق البقاء المجرد، لكفى.

ولكي يتم مخطط نسف الصناعات، فإننا سنأتي بما يعزز هذا الأمر ثم ندعه ينطلق في سبيله يعمل عمله، فنُعنى بنشر الوسائل المغرية بالترف وعبادة الأناقة بين الغوييم، ونشوّقهم إلى هذا الطور، ونزين لهم ملذاته وأطاييه، إذ نهمة هذا الاتجاه إذا استحكمت حلقاتها، فلا تبقى ولا تذر. وستعلى مستوى الأجور العمالية، ولكن لا خير من هذا يصيبه العمال، لأننا في الوقت نفسه سنعلي أيضاً مستوى الأسعار للحاجات الضرورية التي تعمّ

بها البلوى، مُدَّعين وزاعمين أن هذا كله ناشئ عن جمود الزراعة والتراخي في تربية الماشية. ثم بالإضافة إلى هذا كله، سنشلّ مصادر الإنتاج، ونعطلها بأساليب هي غاية الفن والبراعة، وذلك يجعل العامل يعتاد المشاكسة والحُرُون، وأساليب الفوضوية، وركوب الرأس، فيمسي يتخبط في حاله كيفما اتفق له، وسنشيع وسائل الإدمان على الخمرة، وهذه التدابير مجتمعة تسير قافلة واحدة متساندة، موالية السير قُدُماً نحو غاية كبيرة، وهي ملاشاة العناصر المتعلمة من الغوييم، من على وجه الأرض.

وخشية أن يدري الغوييم بهذا فيجفل قبل نفاذ الخطة بتمامها، وقبل حلول اليوم الموقوت، فإننا سنفرغ هذا كله في قالب المصلحة، الخادعة في المظهر، بدعوى الرغبة الحارة في خدمة الطبقات العاملة، والمبادئ الصحيحة للاقتصاد السياسي، مما تكون نظرياتنا الاقتصادية قد قامت بالتمهيد له على يد أجهزة دعايتنا، على نطاق أخّاذ، واسع.

البروتوكول السابع

الغاية من توسيع باب التسلح – الهزّات العنيفة، والانشقاق، والأحقاد في جميع أنحاء العالم – كبح جماح الغوييم في المعارضة التي يقوم بها – الحرب تُشن عليه حربا محصورةً أو عالميةً شاملة – الكتمان سبب نجاح السياسة – الصحف والرأي العام – مدافع أمريكا والصين واليابان

التسابق في التسلح تسابقاً ضخماً، وزيادة القوات الدفاعية في العالم، كل هذا ضروريّ فإنه يساعد في تنجيز خططنا هذه. ولكن هدفاً كبيراً من أهدافنا يجب أن نعنى بتحقيقه بصورة خاصة، وهو محو جميع الطبقات في جميع دول العالم دون استثناء، إلا طبقة الصعاليك لا غير، مع بضعة مليونيرية موجَّهين إلى خدمة مصالحنا وشرطتنا وجندنا.

وفي أوروبا كلها، لما في غير بلاد أيضاً، علينا أن نخلق الهزات العنيفة، والانشقاقات، وإثارة الضغائن الأحقاد، عن طريق شبكة الصلات المحبوكة في أوروبا. فنغنم مغنمَين، الأول: إبقاء البلدان مكبلة مقيدة، لا تقوى على شيء تأتيه كما تريد، إذ كل دولة تعلم حق العلم أننا نحن الذين بيدهم تصريف الأمور، قبضاً وبسطاً، وبيدنا أسباب تأريث نار الحرب أو إخمادها. ولا يغيب عن أي من الدول أن ترى بحكم العادة أن لنا القوة المبسوطة اليد في إيقاع الإكراه الذي نريد، وأنف الجميع راغم. والمغنم الآخر، أننا سنمدُّ بسنانير المكايد الخفية إلى المجالس الوزارية في كل بلد، فتعلق بها الخيوط متضاربةً متعقدة، وما تلك السنانير إلا المعاهدات الاقتصادية وقيود القروض المالية. ولكي نضمن لنا النجاح في هذا، ففي أثناء المفاوضات التي يجب أن نكون جدَّ حاذقين، وأهلَ دهاء وحيلة، حتى ننفذ إلى صميم الأغراض المتوخاة، وأما فيما يتألف منه المظهر الخارجي الرسمي، فموقفنا ينبغي أن يكون على العكس من ذلك: كلاماً معسولاً، متقنعاً بقناع الأمانة، وشرف المعاملة، مع حسن المسايرة، والملاطفة والاستجابة. وبهذه الأساليب ستظل شعوب الغوييم وحكوماتهم، وقد عودناهم الاكتفاء من الأشياء بمظاهرها الخارجية، راضيةً بنا ومسلِّمةً بأننا نحن ما جئنا إلا لخير الجنس البشري وخلاصه.

وعلينا أن نكون في موضع يمكننا من تناول أيّ عملٍ من أعمال المعارضة وذلك بإبقاء الحرب بين البلاد المعارضة لنا وجاراتها. وفي حال قيامهن جميعاً في وجهنا يداً واحدة، فحينئذ لا سبيل إلا أن نستوقد حرباً عالمية كاسحة.

والعامل الرئيسي في نجاح خططنا السياسية، هو كتمان المساعي والمشروعات، والقاعدة: أن السياسي ليس شرطاً فيه أن تتفق أقواله مع أفعاله. ويجب إرغام حكومات الغوييم على انتهاج الخطة التي نشير بها

نحن، في برامجنا المدروسة على أوسع نطاق وأبعده، وهي البرامج التي أخذت الآن تقترب من الخاتمة. وطريقة حمل تلك الحكومات على ما نريد، هو التيار الذي يقال له الرأي العام وفي يدنا الخفية زمامه ومقادته، نحرّكه بالقوة الكبرى - الصحف. والصحف، ما عدا قليلاً منها، مطواعةٌ لنا مستجيبةٌ لما نشير به.

وموجز الكلام، من ناحية صفوة خططنا لإبقاء حكومات غوييم أوروبا تحت كابحٍ منا يأخذ على أيديهن، أننا نظهر مجالي قوتنا لفريق منهم، بوسائل الإرهاب الذي يتناولهن جميعاً، إذ رأينا احتمال وثبتهن علينا متفقات، فنجيبهن يومئذٍ بمدافع أمريكا والصين واليابان.

البروتوكول الثامن

استعمال الحقوق القانونية استعمالاً غامضاً للتضليل — الأعوان الذين يُختارون من المركز الصهيوني — المدارس والتخرج العلمي الفائق المستوى — رجال الاقتصاد والمليونيرية — إلى من سيعهد بالمناصب الكبيرة الحساسة في حكومتنا؟ — مجازاة عملائنا من الغوييم بالقتل إذا خالفوا تعليماتنا

السلاح الذي يحتمل أن يستعمله أعداؤنا في وجهنا يجب أن نستعمله نحن، وعلينا أن نحاول بألطف مقال، وأنعم كلام، وأرفع طراز في تلفيق الفتاوي القانونية، تسويغ أحكام القضايا التي تبدو خارقة العادة، جريئة، ظالمة، إذ من الخطورة بمكان أن نجعل هذه الأحكام تتشح أروع صور العدالة، ونطرحها أمام الناس نماذج من المثل الأخلاقية، كأنها أفضل ما يستطاع استمداده من مادة القضاء. وعلى جهازنا الإداري الموجّه، أن يحيط خبرةً، بجميع القوى التي تدخل في نسيج المدنية، القوى التي يعمل هذا الجهاز في وسطها: قوى حملة الأقلام، والفقهاء المتمرسين، والإداريين من الرتبة

العليا، والساسة، وأخيراً الأشخاص الذين كَمَل تخرّجهم تخرجاً خاصّاً، ودربوا تدريباً علميّاً فائق المستوى في مدارسنا المعدة لهذه الغاية. هؤلاء الأشخاص لن يفوتهم بحالٍ أن يلاحظوا الأسرار في تركيب المجتمع، وفقه لغة السياسة على اختلاف أساليبها، وكل ما يندرج تحت الأبجدية السياسية ويجري من ألفاظها. وهم بعد، قد ازدادوا اطلاعاً على الخفايا والغوامض من الطبيعة البشرية، ومواطن الأنسجة للحس المرهف المستتر، وهذه الأنسجة إنما هي القالب الذي أفرغ فيه ذهن الغوييم، وهي مجلس نزعاته، ونواقصه، ورذائله وفضائله، وما تجد هنا مختزناً من صور مفصلة للطبقات والأوضاع. وإني بغنى عن القول، أن الأعوان من ذوي المواهب الذين يختارون ليقوموا بمناصب مساعدين في الإدارة، لن يؤخذوا من عناصر الغوييم، الذين أتناولهم هنا، واعتادوا أنهم إذا قاموا بعمل إداري وأنفذوه، فإنما يقومون به دون أن يكلفوا أنفسهم عناء التفكير فيما يراد به، أو ما عسى أن تكون الحاجة التي اقتضته. فالمختارون من الغوييم للإدارة، يكفيهم أن يرقّعوا الأوراق ولا حاجة بهم إلى التمعن فيها، وهم في الخدمة لأحد غرضين: إمّا ابتغاء الأجرة أو المرتب، وإما اشتهاءً لقضاء المطمح القاصر في نفوسهم.

ثم إننا سنمد أجهزة حكومتنا بعالم فيّاض من رجال الاقتصاد، ولنتذكر أنه من أجل هذه الغاية، جُعِل تدريس العلوم الاقتصادية في مدارسنا أهم مطلب يتعين على اليهود تحصيله بتمامه وكماله. وسنحيط دولتنا برهطٍ إثر رهط من رجال المصارف، والصناعيين، والمتمولين، وواسطة عقد هؤلاء هم أصحاب الملايين، إذ في الواقع سيكون مردُّ كل شيء إلى صعيد الأرقام، وهذه في جميع الأحوال والقضايا هي الفيصل الأخير، فلا حكم بعد حكمها.

والذين يُختارون للمناصب ذات المسئولية في حكومتنا من إخواننا اليهود،

ويحتاج أمرهم في البداية إلى فترة اطلاع على مجاري العمل قبل أن يعهد إليهم في ذلك، فإنهم سيوضعون في خلال هذه الفترة في عهدة أشخاص (من الغوييم) مؤقتاً، غير أن هؤلاء الأشخاص هم من الذين اشتدت شبهات الناس (الغوييم) بهم، حتى قام بينهم وبين جماعتهم برزخ من الريب، فإذا ما تقاعسوا عن تنفيذ التعليمات التي تصدر إليهم، فهم إمَّا سيلقون الجزاء والعقاب متَّهمين، وإما سيغيبون عن الوجود بالمرة. وإنما نضعهم هذا الوضع لكي نحملهم على خدمة مصالحنا، حتى النفس الأخير من حياتهم.

البروتوكول التاسع

تطبيق المبادئ الماسونية في مادة التعليم الذي نعلمه للشعوب — الشعارات الماسونية — معنى «اللاسامية» — الدكتاتورية الماسونية — الإرهاب والرعب — من هم خدَّام الماسونية — معنى القوة المبصرة والقوة العمياء في دول الغوييم — الاتصال المباشر بين السلطة والدهماء — إباحات الليبرالية — القبض على زمام التعليم والتدريب — النظريات الكاذبة — تفسير القوانين — الحركات السرية والأوكار الخفية

في تطبيق مبادئنا، علينا أن ننتبه إلى الشعب الذي تقيمون بين ظهرانيه وتعملون في بلاده، وهذا الانتباه يتعلق بأخلاق ذلك الشعب، فإننا إذا أخذنا بتطبيق مبادئنا عليه تطبيقاً ظاهريّاً عامّاً، وعلى نسق متماثل دون تمييز، وجرينا على هذه الوتيرة إلى أن نكون قد عدَّلنا وأصلحنا مادة التعليم لذلك الشعب تعليماً ينطبق على أهدافنا ومنوالنا، فعلى هذا الوجه لا مطمع لنا في إدراك النجاح. لكن إذا أخذنا نرعى التطبيق بيقظة واحتراس، فلن يمضي على ذلك أكثر من عقد من السنين حتى يكون طور ذلك الشعب قد تغير حتى في أصلب ما يعرف عنه من خلق العناد والمشاكسة، وبذلك نضيف

شعباً جديداً إلى صفوف الذين قد تمّ لنا اقتيادهم وإخضاعهم لنا.

وإن كلمات ليبرالية وما يشتق من معانيها، الكلمات التي هي في الواقع من شعاراتنا الماسونية، كالحرية والعدالة والمساواة، سنبدلها عندما نقيم مملكتنا، إلى كلمات لا تحمل هذا المعنى الشعاري بعد ذلك، وإنما يغدو معناها الوحيد مجرد الدلالة على صور مثالية، فالأولى تصبح حق الحرية والثانية واجب العدالة، والثالثة جمال المساواة، ويقاس على هذا سائر التعديل وبهذا نمسك الثور من قرنيه.

ومن الوجهة الواقعية، فإننا قد وُفقنا إلى الآن في محو كل نوع من أنواع العهود الحاكمة، إلا عهدنا، مع أن من الوجهة القانونية لا يزال هناك عهود حكم قائمة بالصورة والشكل فقط، وهذا أمره بيدنا نتصرف به على ما نرى، ونصدر فيه تعليماتنا، وذلك لأن اللاساميّة لا نراها إلا ضرورية لنا للاستفادة منها في رعاية إخواننا المستضعفين. ولا حاجة بي أن أتوسع في هذه القضية أكثر من هذا الحد، لأن موضوعها قد أُشبع بحثاً وكرر ذلك فيما بيننا على ما فيه الكفاية.

وأما نشاطنا، فلا شيء يحدُّ من اتساع نطاقه. وأما حكومتنا العليا، فكائنة في أوضاع فوق الأوضاع القانونية الراهنة، وأوضاعنا هذه هي الموصوفة في المصطلحات الجارية بمعنى الطاقة المنبعثة والقوة الماضية -- أعني الدكتاتورية. وبوسعي أن أعلمكم بكل نقاوة ضمير أننا، ونحن الذين يوحون بالتشريع ومنا مصادره، سنتولى بأيدينا، حينما يحين الوقت، تنفيذ الأقضية والأحكام، فنذبح من نذبح، ونعفو عمن نعفو، ونحن ذوو القيادة على أصهوة جواد الأمير القائد. إننا سنحكم بالقوة. لأن بيدنا بقايا حزب من الأحزاب، كانت له الصولة والسطوة فيما مضى، فأبدناه فاندرج في الماضين. وأما

الأسلحة التي في أيدينا فهي مطامح لا حدود لها، وجشعٌ آكلٌ، كاوٍ، وحبُّ انتقامٍ لا يعرف الرحمة، وضغائن وأحقاد.

ومنا قد انطلقت تيارات الرعب الذي دارت دوائره بالناس. وفي خدمتنا أشخاص شتى ينتمون إلى جميع المذاهب الفكرية، ومختلف التعاليم؛ منهم المطالبون بالعروش، واسترداد الملكيات، وزعماء السواد والعامة، والاشتراكيون، والشيوعيون، وحَمَلة الأحلام الطوباوية من كل حزب. وقد قرنّا هؤلاء جميعاً إلى نير العمل في سبيلنا. وجعلنا كلّاً منهم، وحبله على الغارب، يثقب ما بقي من جدران السلطات، ويجهد طاقته ليدكّ قوائم الأنظمة القائمة على اختلاف صورها. فأمست جميع الدول بسبب هذا في عذاب ووبال. تبذل النصيحة من أعماق نفسها طلباً للسلامة، وهي مستعدة لتضحي بكل عزيزٍ من أجل الحصول على الأمان والسكينة. وإننا لن نعطيَها ما تطلب من سلامة وأمان، قبل أن تعترف جهاراً، وفي وضح النهار، بحكومتنا العالمية العليا، وأن تفعل هذا مستسلمةً صاغرة.

ولقد اشتد صياح الشعب بالولولة والإعوال، طالباً بحكم الضرورة تسوية المسألة الاشتراكية بطريق التفاهم والاتفاق الدولي. والعامل والمهماز في هذا هو الانقسام والانشقاق إلى أحزاب صغيرة مؤلفة من فئات ضئيلة، فَدفَعت هذه الحالة بالشعوب إلينا، فغدا المُضِيّ بالعراك بعد ذلك، وكلٌّ يشدُّ الحبل إلى جهته، في ميدان المكافحة، أمراً صعباً شاقّاً بسبب الحاجة إلى المال، والمال كله قد استقر في أيدينا.

وقد يكون هناك من السبب، ما يحملنا على التخوف من اتحاد يقع بين القوة المبصرة التي لملوك الغوييم، الجالسين على العروش، وبين القوة العمياء التي للدهماء، ولكننا قد اتخذنا من لازم التدابير ما يكفي لمواجهة

مثل هذا الاحتمال إذا لاح: فإننا قد نصبنا بين هاتين القوتين متراساً حاجزاً يرى فيه كل فريق الرعب والهول يأتيانه من قِبَلِه. وبهذه الطريقة، تبقى القوة العمياء في جانبنا، نمدّها، ونحن وحدنا القادرون على هذا، بزعيم يتولّى أمرها؛ وهذا أمره بيدنا، فنرشده إلى الطريق التي يجب أن يسلك نحو هدفنا.

ولكي لا تستطيع يد القوة العمياء التفلت من سلطاننا عليها، فيجب من جهتنا بين وقت وآخر، أن نتصل بها اتصالاً مباشراً، وهذا إذا لم يكن على يد أشخاص (من الغوييم) فيكون على يد أحد إخواننا الذي هو عندنا ثقة خالصة. ومتى ما تم وانتهى الاعتراف بكوننا نحن السلطة الوحيدة، فحينئذ نتفاوض مع الشعب وجهاً لوجه، وباللسان علناً، وفي الساحة العامة، فنرشدهم في المسائل السياسية بطريقة تجعل اتجاههم هو هذا الاتجاه المراد.

ولعمري ما هي السبل التي نتمكن بها من مراقبة التعليم في مدارس القرى والأرياف ومعرفة ما يجري هناك؟ لا يصعب علينا ذلك إذ لا يمكن أن تخفى خافية، أو ليس أيُّ قولٍ ينطق به لسان الحكومة، أو حتى الملك نفسه جالساً على العرش، سرعان ما يذاع ويشاع في جميع الدولة ثم في الخارج لكثرة ما يلهج به الناس ويتناقلونه من مكان إلى مكان؟

وحتى لا تتلاشى مؤسسات الغوييم قبل حلول الوقت المضروب، فإننا قد أفرغنا عليها مسحةً من الأخوة الماسونية، ومظهراً يعطي الهيبة والكياسة وقبضنا على نوابض الأجهزة كما يقبض على جهاز آلي متحرك، وهذه النوابض نُعنى بضبطها، ووضعها الموضع المحكم، العناية كلها، وهي الآن تحل محلها الفوضى من الإباحات المنطلقة من الحرية اللبرالية. وإننا قد تدخّلنا أوغل تدخل فيما يتعلق بإجراء القوانين وتطبيقها، كما تدخّلنا في إدارة الانتخابات العامة، وفي توجيه الصحف، وحرية الفرد، على أن تدخلنا

الرئيسي وهو أصل من أصول خططنا، وهو في التعليم والتدريب، إذ هما حجر الزاوية في الوجود الحرّ.

وأما شباب الغوييم فقد فتنّاهم في عقولهم، ودوخنا رؤوسهم، وأفسدناهم بتربيتنا إياهم على المبادئ والنظريات التي نعلم أنها فاسدة، مع أننا نحن الذين لقّنّاهم ما تربوا عليه.

وفوق أجهزة القوانين الجارية، ودون حاجة إلى أن نغير مادتها من حيث الأساس، قد استطعنا أن نقيم شيئاً تنبعث منه مجالي العظمة والجلال، وذلك بأننا لوينا القوانين فالتوت، وعقّدناها فتعقدت، فأمست ركاماً من تفاسير متناقضة، فأدركنا المراد بالنتيجة: فنشأ عن ذلك أولاً أن تلك التفاسير والشروح لتناقضها قد ألبسَت معاني القوانين الغموض والإبهام، فانسدّت الطرق على الطالبين، ثم بعد ذلك زاد شيء آخر، وهو أن القوانين نفسها قد عُمّى لبابها عن إفهام الحكومات لاستحالة التوفيق بين مختلف المقاصد، واستحكام حلقة المعضلات، حتى أمست القوانين مشتبكاً كبيت العنكبوت.

وإنما هنا يكمن أصل نظرية التحكيم.

قد تقولون: إن الغوييم سيهبُّ في وجهنا وبيده السلاح، إذا ما اشتم رائحة ما يجري في الخفاء إلى نهايته التي لم يحن وقتها بعد. وأجيب على هذا بأننا قد أعددنا في الغرب (أوروبا) مناورة مذهلة تتزلزل منها أقوى الأفئدة وتصطكّ الركب: الحركات السرية المدمرة، والأوكار والأعشاش الخفية، والدهاليز السوداء، وكل هذا سيكون مهيئا لينفجر معاً في العواصم والحواضر فيذرو في الريح كل شيء من مؤسسات وسجلات.

البروتوكول العاشر

المظهر الخارجي للمسرح السياسي - عبقرية «أولاد الحرام» - ما هي وعود الانقلاب الماسوني - حق الانتخاب العام - الاعتداد بالنفس - زعماء الماسونية - العباقرة الذين هم قادة الماسونية - المؤسسات في الدولة ووظائفها - سموم الليبرالية - الدستور مدرسة الانشقاقات الحزبية - عصر الجمهوريات الدستورية - رؤساء الجمهوريات مطايا الماسونية - مسئوليات الرؤساء - استغلال الفضائح كفضيحة بناما - الدور الذي يمثله على المسرح كل من النواب والرئيس - الماسونية هي القوة الاشتراعية - دستور الجمهورية الجديد - دور الانتقال إلى الماسونية في سلطتها المستبدة - حول اليوم الذي يعلن فيه «ملك العالم» - نشر جراثيم الأمراض وغير ذلك من قبائح الماسونية

ابتدئ كلامي اليوم بتكرار خلاصة ما قلته سابقاً، وأرجو منكم أن تعوا في أذهانكم أن الحكومات والشعوب إنما تقفان في تحليل المسائل السياسية عند الظواهر لا تتعداها. وكيف يقوى الغوييم على النفاذ إلى بواطن الأمور، ولا هَمّ لمثليهم إلا التسكع وراء المُتَع والملذات؟ وهذا الإيضاح الذي أبينه الآن، تقتضي مصلحتنا الانتباه له، لما في ذلك من الفائدة لنا عندما نضع في الميزان ما يتعلق بتوزيع السلطة، وحرية الرأي، وحرية الصحافة، والمعتقد الديني، وقانون الجمعيات، والمساواة أمام القانون، وحرمة المال والمقتنيات، والمساكن، وما يتعلق بالضرائب (غير المباشرة)، وما تحدثه القوانين من قوة رد فعل في المجتمع. فهذه المسائل هي من الخطورة والدقة بحيث لا تطرح على بساط البحث علناً، وعلى مسمع ومرأى من الشعب. فإذا استدعت الضرورة شيئاً من هذا، ولا مناص، فيقتصر على ذلك الشيء مجملاً، ولا يسمى بالصراحة أو يعين تعييناً، ويجتنب التفصيل،

ويكتفى بالقول المقتضب أننا نعترف بهذه القوانين الجارية. والسبب في ما ينبغي أن نتخذه من مجانبة وصمت، هو أننا بعدم تسميتنا المبدأ أو القاعدة على وجه التحديد الذي ينفي كل شبهة، تبقى لنا حرية التصرف والعمل، فنسقط هذا الأمر أو نعيده، نقرّه أو نثبته، تبعاً لما يتراءى لنا، دون أن يكون من وراء ذلك ما يوقظ الانتباه. وعلى العكس من هذا، إذا ذهبنا إلى التعيين والتحديد، فكأننا قد طرحنا المسألة للنقاش، وهذا ما نحاذر.

ومن عادة الدهماء، أن يستهويهم العباقرة الممثلون للقوة السياسية، وما يأتيه هؤلاء من أفعال البأس والإقدام والجرأة، فيقول الدهماء في الثناء على تلك الأفعال والإعجاب بها: هذا عمل لا يعمله إلا الوغد ابن الحرام ولكنه حقّاً عمل رائع مدهش! أجل، إنه حيلة وخديعة، ولكنه بغاية البراعة والدهاء!

ومما نعتمد عليه، أن نجتذب انتباه الأمم إلى العمل الذي نقوم به من بنائنا الهيكل الأساسي للنظام الجديد، وهو ما وضعنا نحن خططه. وهذا هو السبب في أنه من الضروري لنا قبل كل شيء، أن نسلح نفوسنا وندّخر في قلوبنا تلك الروح البطاشة التي لا تعرف الخوف ولا تهاب العواقب، وتكتسح في طريقها كل عقبة - روح الفاتك الغشوم، الروح التي تعتلج في صدور العاملين الفعالين من رجالنا. ومتى ما أنجزنا الانقلاب. قلنا للشعوب المختلفة: «إن الزمان قد ساء بكم، فاختلت أموركم وانهارت، وعمَّ الشقاء أحوالكم وملأ آفاقكم، ففسد الذي بين أيديكم، وما نحن هنا إلا من أجل خيركم وملاشاة الأسباب التي جرَّت عليكم كل هذا العذاب - التمسك بزهو القوميات، وقضايا الحدود الإقليمية، وما لكل دولة من نقدٍ مضروب لا يعدو حيزها، وأنتم في الخيار، والحالة هذه، أن تحكموا حكماً مؤيِّداً لنا، أو خارجًا لما أتينا من انقلاب، لكن أيكون الحكم عادلاً منصفاً، إذا أجريتموه علينا

قبل أن تفحصوا، وتَصدقكم التجربة لما نحن مقدّمون إليكم؟ فإذا ما فعلنا هذا وقلناه على هذه الصفة، فالدهماء يأخذهم الاغترار بنا، فتثني علينا وترفعنا على الأكتاف بالإجماع رفع المنتصر الظافر، وكلهم أمل ورجاء. وبهذا تتجلى الفوائد المتوخاة من الحيلة التي أدخلناها عليهم وهي الاقتراع، التصويت، أو حق الانتخاب، إذ نكون قد جعلنا من هذه الوسيلة الفاتنة ما يكفل لنا الوصول إلى صولجان العالم، بعد أن تغلغلت فتنة التصويت في كل مكان، وأصابت كل فئة من البشر، مهما تكن هذه الفئة ضئيلة الشأن، وسادت في الاجتماعات والهيئات عند كل فريق، وأعطت الآن ثمراتها للمرة الأخيرة، إذ يجمع الناس على أن يعرفونا قبل أن يحكموا علينا: ولكي تَسلم هذه الثمرات كما نشتهي، علينا أن نعمِّم حق التصويت ونجعله شاملاً بلا فارق في الطبقة أو الأهلية، ليكون لنا من ذلك الكثرة الكاسحة المطلقة، مما لا نناله من الطبقة المتعلمة من أرباب الأملاك. وإننا بإشرابنا الجمهور كله نزعة الاعتداد بالنفس، وتلقيحه بهذا اللقاح، نكون قد فككنا رابطة الأسرة، وأذبنا ما لها من قِيَمٍ ثقافية، وأزحنا من الطريق الأفراد الذين يُحتمل لِما لهم من عقل أن ينشقُّوا عن الجماعة المذعنة ويذهبوا طريقاً مخالفاً لنا، وإذا ما عنّ لهم أن يفعلوا مثل هذا، فالدهماء الذين أصبحوا في جهتنا يقومون على الأفراد المنشقّين ويخرسونهم. فالدهماء حقّاً اعتادوا أن يصغوا لنا وحدنا، لأننا نكافئهم على الطاعة والإصغاء. بهذه الطريقة نخلق قوةً طائشةً عمياء عنيفة، وهي على وضع لا تتمكن معه من إتيان أية حركة في أي اتجاه دون إرشاد عملائنا الذين أقعدناهم مقعد الرياسة، وهم من الدهماء، وأمسى أمرهم بيدنا، ثم إن الشعب لن يتوانى في الاستكانة إلى هذا العهد، لأنه يعلم أن تحصيل قوته والوصول إلى مطالبه ومنافعه، كل ذلك يكون موقوفاً

على اتّباع قادته هؤلاء المنصوبين عليه.

وأما مشروع إنشاء الحكومة، فينبغي أن ينفرد بوضعه دماغ واحد منا، لأن هذا الأمر إذا تولاه عدة نفر، اختلف الرأي ووقع التنابذ، وجاءت الحكومة ولا نصيب لها من التماسك. فعلينا أن ندقق في هذا المشروع من ناحيته العملية، لكن لا يجوز بحال علاجه بالمناقشة العلنية، كي لا يفسد ما فيه من مزايا الضبط والإحكام، وتُسلب منه خاصية التماسك والترابط وما تضمنته كل فقرة من المقاصد التي أرسلناها غامضة. فإذا أبحنا للدهماء نقاش المشروع، واقترحوا التغيير والتبديل، بطريق التصويت، فكأننا أبحنا لهم أن يذهبوا في ذلك مذاهب متضاربةً لا تقف عند حدّ، وتتصادم أقوالهم وآراؤهم إلى ما فيهم من سوء فهم، وهم بعد ذلك أقصر مدًى فكريّاً من أن يكتنهوا خفاياه فيجب علينا ألاّ يطرح بنتاج عبقرية رجالنا إلى أنياب من ينهشها، حتى ولا إلى النفر المتزعم من الدهماء. وهذه المشروعات الانقلابية لا تكون حتى الآن قادرة على قلب الأنظمة القائمة، رأساً على عقب. قصارى ما تستطيع أن تبلغه أنها تُحدث تغييراً في المجال الاقتصادي، وبحكم النتائج كلها جملة واحدة، يقعَ تبديلٌ كذلك في مجرى حركة التقدم والتطور، ينسجم واتجاهنا المخطط.

وفي جميع البلدان نرى شيئاً واحداً، اختلفت أسماؤه واتحد معناه: التمثيل النيابي، مجلس النواب، والوزارة، مجلس الشيوخ، مجلس الشورى الأعلى، السلطة الاشتراعية، السلطة التنفيذية وأمثال ذلك. ولا حاجة بي أن أوضح لكم ما بين هذه المؤسسات من الصلة الآلية الرابطة، إذ تعلمون ذلك جيداً. وإنما أُلْفِتُ نظركم إلى أن كلّاً من هذه المؤسسات، تقابله وظيفة مهمة من الوظائف التي تقع على عاتق الدولة. وأرجو منكم الملاحظة أن نعني الوظيفة بالمهمة في العبارة السابقة هنا، لا أعني به أن الأهمية المقصورة، عائدة

إلى المؤسسة نفسها من حيث هي. كلا. بل أعني أن الأهمية هي أهمية الوظيفة التي تقوم بها المؤسسة. وهذه المؤسسات قد اقتسمت فيما بينها وظائف الدولة، من إدارية واشتراعية وتنفيذية، وهي تقوم بها قيام أعضاء الجسم الإنساني بوظائفه نحو مركب الجسم كله، فهي أهمية الوظيفة التي تقوم بها المؤسسة. وهذه المؤسسات قد اقتسمت فيما بينها وظائف الدولة، من إدارية واشتراعية وتنفيذية، وهي تقوم بها قيام أعضاء الجسم الإنساني بوظائفه نحو مركب الجسم كله، فإذا اعتلَّ عضو واحد من هذا المجموع اعتل سائره بفعل تعدي الأثر، ثم يفسد الجسم كله..فيدركه الفناء.

ولَمّا أدخلنا اسم الليبرالية على جهاز الدولة، تسممت الشرايين كلها، وياله من مرض قاتل، فما علينا بعد ذلك إلاّ انتظار الحشرجة وسكرات الموت..

إن الليبرالية أنتجت الدول الدستورية التي حَلت محل الشيء الوحيد الذي كان يقي الغوييم - السلطة المستبدة. والدستور، كما تعلمون جيداً، ما هو إلا مدرسة لتعليم فنون الانشقاق، والشغب، وسوء الفهم، والمنابذة، وتنازع الرأي بالرد والمخالفة، والمشاكسة الحزبية العقيمة، والتباهي بإظهار النزوات. وبكلمة واحدة: مدرسة لإعداد العناصر التي تفتك بشخصية الدولة وتقتل نشاطها. ومنبر الثرثارين وهو ليس أقل من الصحف إفساداً في هذا الباب، راح ينعي على الحكام خمولهم وانحلال قواهم، فَجَعَلهم كمن لا يرجَى منه خيرٌ أو نفع. وهذا السبب كان حقّاً، العامل الأول في القيام على كثيرين من الحكام فأُسقطوا من على كراسيهم. فأطل عهد الحكم الجمهوري، وتحقق، فجئنا نحن نبدل الحكم بمطية من قِبَلِنا ونجعله على رأس الحكومة - وهو ما يعرف بالرئيس، نأتي به من عداد مطايانا أو عبيدنا، وهذا ما كان منه المادة الأساسية المتفجرة من الألغام التي وضعناها تحت مقاعد

شعب الغوييم، بل على الأصح شعوب الغوييم.

وفي المستقبل القريب، سننشئ نظام مسئولية رؤساء الجمهوريات.

وحينئذ نكون قد أصبحنا في وضعٍ يمكننا من إغفال القيمة الشكلية في إجراء الأمور التي يكون الرئيس المطواع هو المسئول عنها. ثم وماذا يهمنا إذا رأينا الذين يتهافتون على الكراسي والوصول إلى الحكم، يَفني بعضهم بعضاً، في حال ظهور أزمةٍ مغلقة ناشئة عن استحالة العثور على رئيس جديد، ومثل هذه الأزمة يوقع البلاد في الداهية الدهياء.

وحتى نقتطف الثمرات من خططنا، سنشير بإجراء انتخابات لاختيار هذا الرئيس، ويكون اختياره من بين أولئك النفر الذين سبق لهم فتلطخ ماضيهم بما يشين ويعيب، ولم يكتشف بعد، كالذي كان من فضيحة بناما، أو غيرها، والذي نختاره رئيساً من هذا الطراز، لا بد أن يكون عميلاً لنا موثوقاً به، قادراً على اتباع ما توحيه خططنا. وما يدفعه إلى هذا، خشيته أن يُفضَح أمره، ويُكشف الستر عنه. يضاف إلى هذا ما في نفسه من الرغبة الطبيعية، كما في غيره، للاحتفاظ بما انساق إليه من جاه وامتياز ومقام ومكانة ظاهرة، عن طريق السياسة. أما مجلس النواب فشأنه أن يكون بمثابة الوقاء للتغطية على الرؤساء، وحمايتهم وانتخابهم، ولكننا سننزع من المجلس حق الاقتراع فيمن هو الرئيس الجديد، وحق تغيير القوانين القائمة، لأن هذا الحق نمنحه الرئيس المسئول، المطية الذلول، ثم من الطبيعي أن ما يتمتع به الرئيس من صلاحيات يجعله هدفاً يرمى بالنبال، من الحسد أو الضغينة، فيُمطَر بالنقد والتجريح من كل جهة، لكننا نمدّه بما يدافع به عن نفسه، وهو حق الاحتكام إلى الشعب، من فوق رؤوس النواب، والشعب أعمى، (أو كثرة الدهماء) اعتاد الانقياد والطاعة. وما عدا هذا، فإننا سنسلّح الرئيس

بحق آخر: هو إعلان الحرب. ونبرر هذا ونسوّغه من ناحية أن الرئيس بصفة كونه القائد الأعلى للجيش وسيد البلاد، ينبغي أن يكون في متناوله هذا الحق لحاجته الضرورية إليه من أجل الدفاع عن سلامة البلاد وحماية الدستور الجمهوري الجديد، فهو المسئول عن الدستور وهو يمثل الدستور.

وبمعزل عن هذا، فإننا سننزع من مجلس النواب حق توجيه السؤال إلى الحكومة، أو استجوابها، فيما تتخذه من تدابير في نطاق صلاحيتها، ونتخذ حجّة في هذا، الحفاظ على الأسرار السياسية للدولة. وأكثر من ذلك، فإننا سنخفض عدد النواب إلى الحد الأدنى، فيخف بذلك الشغب السياسي، ويتوارى من في نفسه الشره للاشتغال بالسياسة. فإذا هو مع هذا، اندفع إلى الشغب وهذا لا يتوقع، فالمندفعون لا يكونون إلا قلة، فنجرفهم ونمسحهم مسحاً، وذلك بأن يطلب رد الأمر إلى الأمة لاستفتائها .ويتوقف على الرئيس تعيين الرئيسين لمجلس النواب ومجلس الشيوخ وتعيين وكيليهما أيضاً. وبدلاً من أن تعقد المجالس النيابية جلسات عديدة، فيختصر ذلك إلى أقل عدد ممكن ولبضعة أشهر وكفى. والرئيس، بصفته رئيس السلّطة التنفيذية، يكون من صلاحيته أيضاً دعوة مجلس النواب إلى الانعقاد، وله تعطيله أو حلّه، وفي هذه الحالة الأخيرة تطول فترة الحلّ قبل العودة إلى انعقاد آخر. وحتى لا تقع نتائج هذه الأعمال كلها، وهي في مادتها غير قانونية، على كاهل الرئيس فتهيض جناحه، قبل أن يكمل استواء مخططنا، ونحن جعلناه مسئولاً تحمَّل أعباءه، فإننا سنحرض الوزراء وكبار الموظفين الإداريين على ألا يأخذوا إخذَه، ولا يجاروه في أهوائه، ليروا في المسألة رأيهم مستقلين عنه، وبهذا يصبحون هم كبش النطاح بدلاً منه. وإننا نوصي الوصية المُلِحَّة، بأن هذا الأسلوب من أساليب عملنا، لا يُسمَح بتطبيقه إلا

فيما يتعلق بمجلس الشيوخ ومجلس الشورى الأعلى أو مجلس الوزراء، لكن من المؤكد لن يسمح بذلك لموظفين بمفردهم.

ثم ينبري الرئيس، بإيعازٍ منا، يبيّن أن منشأ هذه العقدة إنما هو تضارب التفاسير القانونية المتعددة، ثم يُلغِي كل ذلك عندما نشير إليه بالإلغاء. ويكون له الحق بعد ذلك أن يقترح ويضع قوانين مؤقتة، بل أكثر من هذا، أن يتخطى أحكام الدستور، وحجته في هذين الأمرين ما تقتضيه مصلحة الدولة العليا.

بهذه التدابير نتمكن من القبض على السلطة التي ندمّر بها شيئاً فشيئاً، وخطوةً خطوةً، ما نريد إزالته من دساتير العالم تمهيداً للانتقال الكبير، ثم يعقب ذلك قلب كل حكومة وجعلها مقطورة إلى سلطتنا تابعة طائعة.

والاعتراف بصاحبنا، صاحب السلطة المستبدة المطلقة، قد يقع حتى قَبل تدمير الدساتير. وإنما تقع هذه الحالة عندما تهبُّ الشعوب، وقد سَئِمَت من عجز الحكام ومخالفاتهم للقوانين - (وهذا ما سنعنى بتدبيره) صائحة: «اذهبوا بهؤلاء عنا، وأعطونا مَلِكاً واحداً يحكم الدنيا كلها، ويوحّد أمرنا، ويجمع شملنا، ويلاشي أسباب فرقتنا - ويخلّصنا من مسائل الخلافات على الحدود الإقليمية، والتباهي بالقومية والعنصرية، والتزمت الديني، والديون التي ترزح تحتها الدولة - ويوردنا موارد الأمان والسلامة، ويحقق لنا ما فشل فيه حكامنا وممثلونا السابقون».

وإنكم تعلمون تمام العلم، إننا من أجل أن نهيئ لجميع الأمم إطلاق هذه الصيحة، لا بد من وسيلة إلى ذلك، وهي رمي البلدان المختلفة بما يشغل بالها، ويقيمها ويقعدها، فتسوء العلاقات بين الحكومات ورعاياها، ويظل هذا الانهيار في طريقه حتى تستنزف قوى الإنسانية، وتهلكها الانقسامات، وتفشو بينها الكراهات، والمكائد والحسد، والاستغاثات طلباً للنجاة من تعذيب

الأجساد، كما تفشو المجاعات ونشر جراثيم الأمراض عمداً، فيستسلم الغوييم فيرون أن لا مخرج لهم ولا سلامة إلا بأن يلوذوا بسلطتنا الكاملة المجهزة بالمال وكل شيء آخر.

لكننا إذا أعطينا الأمم فترة تنفس واستراحة، فاليوم الذي نرتقبه، يقلُّ الأمل كثيراً في الوصول إليه.

البروتوكول الحادي عشر

برامج الدستور الجديد – بعض التفاصيل المتعلقة بالثورة الجديدة – الغوييم قطيع من الغنم – الماسونية السرية ومحافلها التي هي «معرض» خارجي.

مجلس الدولة الأعلى أو مجلس الشورى الأعلى، كان ولا يزال أقوى تعبير عن سلطة الحكم، وسيبقى الواجهة الخارجية للسلطة الاشتراعية. أو بالأحرى ما يسمى بلجنة تحرير القوانين والأنظمة التابعة للحاكم.

وهذا هو برنامج الدستور الجديد. سننشئ الأوضاع اللازمة للقانون والحق والعدالة، حتى يبدو أن هذه العناصر الثلاثة قد تبوأت مكانها المعد لها. ونفعل ذلك بثلاث طرق:

(1) في قالب مشروعات قوانين تحال على السلطة الاشتراعية.

(2) في قالب مراسيم مجلس الوزراء.

(3) وفي حالة سنوح الفرصة المؤاتية في شكل ثورة تهبّ رياحها داخل الدولة.

وبعد أن نكون قد فرغنا من ترتيب هذه الأمور على مواقيت، فإننا نتحول إلى جهة أخرى، فنُعنى بتفصيل ما يتعلق بالمناحي التي بها تتم مجاري الثورة عي طريق أجهزة الدولة في الاتجاه المقرر. وأعني بهذه المناحي حرية الصحافة، حق تأليف الجمعيات والأحزاب والهيئات، حرية

الرأي والضمير، حق التصويت في الانتخاب، وغير ذلك مما يجب أن يمحَى ويغيب إلى الأبد من ذهن الإنسان، أو أن يُعدَّل تعديلاً ينسف حتى الأساس، شرط أن يقع هذا كله غداة إعلان الدستور الجديد بلا تراخٍ. وهذا مستطاع الآن في هذه الفترة، فنصدر أوامرنا كلها دفعة واحدة، ولا نؤخر منها شيئاً، إذ لو أخرناها أقل تأخير وأُلحق بالدستور تعديل تالٍ، فكل تعديل ذو بال يقع على هذا الوجه، لا بد أن يكون فيه خطر، للسبب التالي: إذا كانت مادة التعديل خشنة فظة، وكانت طريقة الاقتراح خشنة فظة كذلك، مع قصر نظر المقترح في موضوعه، فقد يشمخ المقترح بأنفه ويعتقد أن هذا التعديل يفتح الباب لأمثاله ينسجون في الاقتراح على منواله، وحينئذ يقال بأننا قد اعترفنا بأخطائنا، وهذا ينال من الهيبة المحيطة بسلطتنا المعصومة، أو يقال إنه قد دخلت علينا مخاوف فاضطررنا إلى المسايرة والمجاراة، و على هذا الموقف لا يشكرنا أحد، بل يظنون أننا نزلنا على الإكراه، وغُلِبنا على أمرنا. وكل وجه من هذه الوجوه ضارٌّ بسمعتنا بين يدي الدستور الجديد. وأما ما نريد، فهو أن تعترف الشعوب فورا، وحرارة الانقلاب لم تبرد بعد، بأننا أقوياء، ولا سبيل لأحد إلى زحزحتنا قيد شعرة، وكلنا بأس رهيب من قرننا إلى قدمنا، فلا نحسب حساب أحد، ولا نخاف الخوف الذي يضطرنا إلى الأخذ برأي أحد، ونحن على استعداد في كل وقت ومكان أن نسحق كل من ينبس بكلمة اعتراض، ونثبت أننا قد مَلكْنا الأمر كله على الغوييم، وليس بودنا أن نتقاسم وإياهم ما ملَكنا، وإننا نفعل هذا والرؤوس لا تزال دائخة من هول ما وقع والناس مأخوذون، والخوف يتملكهم. حينئذ تراهم مما اعتراهم من الفزع قد أغمضوا عيونهم على ما رأوا وسكنت حالهم، وراحوا ينتظرون ما تكون العاقبة.

الغوييم قطيع من الغنم، ونحن ذئابهم. وتعلمون ماذا يحلّ بالغنم إذا جاءتها الذئاب.

وهناك سبب آخر يحملهم على إغماض العين: فإننا سنوالي إزجاء الوعود بأننا ساعة نفرغ من تحطيم أعداء السلام وترويض جميع الأحزاب، سنعيد إليهم الحريات التي أخذناها منهم، لكن سيطول بهم الزمن وهم ينتظرون.

فلأي غاية، نسأل الآن، قمنا باختراع هذه السياسة، وتلقيح أذهان الغوييم بها دون أن نعطيهم الفرصة للتفكير فيما وراءها؟ هل الغاية إلا أن نبلغ من هذا كله، بطريق المراوغة والدوران، ما لا نستطيع بلوغه بسلوكنا الطريق المستقيم؟ هذا لعمري هو الأساس الذي قامت عليه مؤسستنا الماسونية السرية التي لا تعرف حيوانات الغوييم من أمرها شيئاً يذكر، ولا من أغراضها الخفية إلا ما يؤخذ بالظن والتقدير. فاجتذبنا الغوييم إلى القافلة الجرارة من معارض الأندية والمحافل الماسونية فقامت هذه المحافل بذرّ الرماد في عيون أعضائها. والله قد أنعم علينا، نحن الشعب المختار، بنعمة السبي والجلاء، والتفرق والشتات في الأرض، وهذا الأمر الذي كان فيما مضى مَجلى ضعفنا، انقلب فيما بعد سبب قوتنا التي أفضت بنا الآن إلى أن نلج الباب الذي منه نبسط سيادتنا وسلطاننا على العالم كله. هذا ما بلغناه. وأما ما بقي علينا أن نبنيه و نرفعه فوق الأساس فليس علينا بعسير.

البروتوكول الثاني عشر

نوع الترجمة الماسونية لكلمة «حرية» — مستقبل الصحافة في المملكة الماسونية — التسلط على الصحافة — شركات الأنباء — ما هو التقدم في رأي الماسونية؟ — الصحافة أيضاً من ناحية أخرى — التضامن الماسوني في صحف العصر — إثارة مطالب الرأي العام في الأرياف — العهد الجديد معصوم.

كلمة الحرية التي تفسر تفسيرات مختلفة، إنما لها عندنا هذا التحديد: الحرية هي حقك أن تفعل ما يبيحه لك القانون. وهذا التحديد يكون مفيداً لنا في الوقت المناسب، لأن زمام الحريات كلها سيكون بيدنا، بعد أن تصبح القوانين هي صاحبة القول الفصل تأخذ ما تأخذ، وتعطي ما تعطي، على ما تتطلبه مصلحتنا، وعلى النهج الذي نريد.

وسنعامل الصحافة على هذا المنوال:

فما هو الدور الذي تمثّله الصحافة اليوم؟ أهي دائبة العمل على الإثارة والتحريض، وإشعال العواطف التي تخدم غايتنا، أم هي في خدمة أغراض الأنانية للأحزاب؟ ومن هنا هي على الغالب تافهة، تأخذ جانب الشطط، كاذبةً مختلقة، وجمهور الشعب يجهل الأغراض التي تتخبط وراءها الصحافة. أما نحن فسنسرجها ونلجمها ونأخذها بعنانٍ شديد، ومثل هذا نصنع إزاء جميع ما تخرجه دور الطباعة والنشر من إنتاج مختلف الألوان، إذ لا يكون هناك من معنى لتخصنا من حملات الصحف علينا، مع بقائنا هدفاً للنشرات والكتب. وسنعنى العناية الخاصة بما يتعلق بمادة النشر والطبع، مما تخرجه المطابع على اختلافه. فإخراج المطبوعات اليوم كثير التكاليف والنفقات بسبب الرقيب. وهذا الأمر الدائر كله حول المطبوعات، سنحوّله إلى مورد يدرّ على خزينة الدولة دخلاً غزيراً. وسَنُخْضع الصحف لنوع من الضريبة البريدية، ودفع الوديعة المالية الاحتياطية مسبقاً قبل إصدار الرخصة، ويتناول هذا التدبير أيَّ نوعٍ من النشرات والصحف والمجلات. وهذا التدبير يكفل لحكومتنا الوقاية من أية حملة كتابية علينا من جانب الصحف. وحينئذٍ، فأية محاولة للحملة علينا، هذا إذا كانت محتملة الوقوع، بوسعنا أن نخمدها في أي وقت عن طريق فرض الغرامة المالية بلا رحمة، وباقتطاع هذه الغرامة

واستيفائها من الوديعة، وهذا كله يأتي منه دخل كبير. صحيحٌ أن صحف الأحزاب قد لا يكون لديها مال مرصد لينفق على النشر، فهذه الصحف إذا هاجمتنا فسنغلقها إذا كرَّرت عملها. ولن يكون بوسع أحد، مهما ظن أنه في حصانةٍ من نفسه، أن يلوِّح بالنَّقْد ولو بطرف إصبعه، قاصداً أن ينال من هالة التقديس المحيطة بحكومتنا. وستكون حجتنا في وقف أي نشرة، أنها أساءت إلى الرأي العام بما كتبت ونشرت دون مناسبة أو مبرر. وأرجو منكم أن تلاحظوا أن بين الصحف المهاجمة لنا، تكون هناك صحف أخرى حقيقتها مستترة، وكلهم في الحلبة شيء واحد، غير أن المستترة بقناع هي الصحف التي نحن أنشأناها سرّاً، فإذا حملتْ علينا ونَقَدتْنا، فإنما هي تفعل ذلك في الموضوعات التي نكون نحن قد قرَّرنا من قَبْل، أن يجري تعديلها، ولا ضرر من إثارة النقد في مثل هذا الظرف.

ولن تصل إذاعة أيٍّ نبأٍ إلى الجمهور عن طريق الصحف، قبل أن تكون مادة الخبر قد مرت علينا. وكاد هذا الأمر يكون واقعاً اليوم على هذا الوجه، وزمامه بأيدينا، على ما نراه في شركات الأنباء والأخبار قليلة العدد، حيث تتوافد عليها الأنباء من مختلف أنحاء العالم، وفي اليوم القادم سيكون أمر هذه الشركات لنا نصرّفه كيف نشاء، ولن يُطْلَق نبأ واحد إلى العالم إلا ما نمليه نحن. فإذا كنا قد توصلنا حتى اليوم إلى ما فيه رضانا، فلننظر فلا نرى دولة واحدة تقف بيننا وبينها حواجز تؤخرنا عن الوقوف على ما يسميه الغوييم الأغبياء بأسرار الدولة، فكيف تكون الحال من جهتنا من وسع حيلة، ونفوذ كلمة، وتوغل من كل ناحية، بعد أن يُعتَرف بنا أننا سادة العالم في شخص ملكنا الذي سيطبق سلطانه الأرض كلها؟

وَلْنَعُدْ إلى أمر المطبوعات النشر في المستقبل. فكل واحد من العاملين

في هذا الحقل، يرغب في أن يكون ناشراً، أو صاحب مكتبة، أو متعاطياً فن الطباعة، عليه أن يكون حاصلاً على دبلوم أحد المعاهد، فإذا عثر أو كبا، ضبطنا منه الدبلوم وسحبناه منه بلا تردد. وبهذه الوسيلة والتدابير، تغدو أداة النشر الفكري في آفاق الرأي العام، أداةً تعليمية في يد حكومتنا، فلا تبقى الجماهير بعد ذلك عرضة للتضليل بالطرق الملتوية والنزوات، والتغني الباطل ببركات مزعومة جاء بها عصر التقدم والنور. ومن منا لا يعلم أن هذه البركات الخيالية الموهومة، ما هي إلا الطريق التي تؤدي توّاً إلى متاهات التفكير الجنوني، وهذا التفكير الجنوني يفضي بصاحبه إلى حيث تتولد بذور الفوضوية، تنتشر بين الناس أنفسهم ثم بينهم وبين السلطة، لأن التقدم، أو بالأحرى فكرة التقدم كان السبب في الانطلاق إلى التحرر من كل نوع بلا ضابط، وكل ذلك جمد بالتالي وتوقف عن عجز. وجميع من يسمون بالأحرار هم دعاة فوضوية، وإذا لم يكونوا هكذا في الواقع فعلى الأقل هم هكذا في الفكرة. وكل واحد من هؤلاء راح يتخبط وراء خيالاته، ويزداد إفراطاً وجنوناً حتى يقع في حفرة الفوضى، فيصيح ويحتج، لا من أجل شيء بل لمجرد شقشقة الألسنة بالاحتجاج.

ونتناول الآن الصحف الدورية من مجلات ونشرات وأمثالها. وهذه أيضاً سنخضعها كغيرها من سائر المطبوعات للضريبة البريدية، على أن يكون مدار الاستيفاء موقوفاً على عدد صفحات النشرة، ونلزمها باسم القانون دفع الوديعة المالية الاحتياطية، وأما الكتب التي تتألف من أقل من 30 ملزمة، فإننا نرتب عليها دفع الضريبة مضاعفة، وسنعتبر المجلات الدورية من نوع الكتب الصغيرة أو النشرات، والقصد من هذا على نوعين، أولاً: أن يتناقص عدد هذه المجلات، وهي في الوقع أردأ أنواع المطبوعات وأسأَمُها مادة، وثانياً: أن يُكْرَه الكتّاب على الإكثار من هذه المادة، إكثاراً مملّاً يحمل القراء

على أن يُعرضِوا عن المطالعة، وهذا بالإضافة إلى غلاء الثمن. أما نحن ففي الوقت نفسه سنتولى إصدار مجلات من قِبَلِنا لتنشيط الحركة الذهنية في اتجهنا، وأثمان مجلاتنا هذه رخيصة، ومادتها يشغف القارئ بمطالعتها. والضريبة البريدية ستحدّ كثيرا من مطامع المنتمين إلى صناعة الكتابة، فيجدون أنفسهم محصورين في نطاق ضيق، ولا مجال لهم للعبث، ثم تدركهم حين الاقتضاء الغرامات المالية، فينوءون تحتها فيجمدون ثم ينتهون إلينا. ومع هذا، فإذا اغترّ واحد منهم بعد ذلك بالحملة علينا، فلن يجد المطبعة التي تقبل أن تطبع له ما يريد قبل أن تراجعنا للإذن بالطبع. وبهذه الطريقة نتمكن من الوقوف على المادة المراد نشرها قبل طبعها، وتتكشف لنا الحيلة، فنضرب بالمادة عُرض الحائط، لكننا ننظر في محتواها، فإذا وجدنا فيه شيئاً يقتضي الإيضاح للرأي العام، فعلنا ذلك من تلقاء أنفسنا.

صناعة الأدب و الصحافة في مضمارهما، هما أشد عوامل التهذيب، ولهذا السبب ستكون حكومتنا مالكة مقود معظم الصحف، وهذا من شأنه أن يعقّم العوامل الضارَّة في هذا الباب، مما يملكه أرباب الصحف. وبهذا التدبير نكون قد امتلكنا القوة الأولى الموجهة للرأي العام. وإذا أعطينا، مثلاً، عشر رخص لإصدار صحف إلى مطلق الناس، فينبغي أن نعطي إلى جماعتنا ثلاثين رخصة، و يجري الأمر في أي صعيد آخر على هذه النسبة. ولا يشك الرأي العام في ما نصنع، إذ كل الصحف التي تنتمي إلينا ستكون من حيث المظهر جامعة لمختلف النزعات والآراء المعارضة، وهذا ما يوهم الجمهور، دون أن يدري ما وراءه، ويستدني إلينا الخصوم الذين لم يمعنوا في إساءة الظنون بنا، فنتلقاهم، ونستلَّ منهم الأشواك، فيغدون ولا ضرر منهم.

ففي الصف الأول تأتى الصحف ذات الصبغة الرسمية، الناطقة بلساننا.

وهذه الصحف هي الحارس على مصالحنا دائماً، ولذلك لا يكون لها تأثير كبير في مجرى حركة الرأي العام.

وفي الصف الثاني تأتي الصحف التي صبغتها شبه رسمية، وهذه هدفها استمالة الفاترين الباردين، والذين هم على مفترق الطرق، وقليلاً ما يبالون.

وفي الصف الثالث الصحف التي نعهد إليها في معارضتنا في الظاهر، وفي واحدة منهن على الأقل ينبغي أن تكون المعارضة على أشدّ ما يمكن من المرارة. أما خصومنا الحقيقيون فإنهم في سرهم سيرتضون هذه الحال بصمت، فلا يفطنون أن المسألة تمثيل خادع على المسرح، فتجوز عليهم الحيلة. وبهذه الحيلة التي انطلت عليهم، يكشفون لنا عن أوراقهم.

وجميع صحفنا التي تشرب من مائنا ستحمل شتى الوجوه والسحنات والنزعات: من أرستقراطية، إلى جمهورية، إلى ثورية، إلى فوضوية، إلى آخر ما تحتمله قائمة الأسماء. وستكون هذه الصحف كصنم فشنو في الهند لها مئة ذراع وذراع، وكل عين من عيونها مفتوحة على ناحية من نواحي الرأي العام. فإذا ما اشتد نبض صحفيّ ما، وظهرت حُمَّى من الحميات، فتلك الأيدي ترشد الرأي العام إلى ما نريد، لأن المريض، الثائر النفس، يفقد توازن الفكر ويميل إلى قبول نصيحة تعمل على تسكينه والتخفيف عنه. وأولئك المجانين الذين يظنون أنهم على حق في ترديد ما قالته جريدتهم الناطقة بلسان معسكرهم، يكونون في الواقع يرددون مقالتنا نحن من حيث أصل الفكرة، أو ما يجري مجراها من أمثالها. ويكون عبثاً ظنهم أنهم يتعلقون بما هو من بضاعتهم، بينما الراية التي يدافعون عنها، وتحتها يقفون، هي رايتنا مرفوعة فوق رؤوسهم.

وحتى ينتظم أمر الصحف المتجندة لنا، على هذا الغرار المتقدم، فعلينا

العناية الدقيقة بكل ما يتعلق بها ويؤول إليها. وتحت ستار دائرة مركزية للمطبوعات، سننشئ خلايا أدبية الصبغة يتلقن منها عملاؤنا ما يلقى إليهم من تعليمات وأوامر، وكلمات سر، كل يوم بيومه، دون أن يكون شيء من أمر هذا يلفت النظر. وتجري في هذه الخلايا مناقشات على وجهيّ النفي والإثبات، والمناقضة والتأييد، وكل هذا إنما هو من التمثيل والمظهر المصنوع لا أكثر، دون تعمق إلى الجوهر الحساس. وستتولى الصحف السائرة في ركابنا شنّ حملةٍ عنيفة صارمة على الصحف الرسمية الناطقة باسم الدولة، وما الغرض من هذا سوى إعطائنا الفرصة لندلي في هذه المناسبة بتصريحات حول الموضوع أوسع وأشمل مما لو جئنا نعالجه ببيانات رسمية في أوقات أخرى. وظاهرٌ جليٌّ وجه النفع لنا من هذا.

وهذه المهاجمة التي وُجِّهَتْ إلينا، يكون لنا منها فائدة أخرى، وهي أن تقتنع رعايانا بأن الحريات التامة متوفرة لها، ومن هذه تلوح الفرصة لعملائنا فيثبتوا أن جميع المعارضة ما هي إلا ثرثرة فارغة، تخبط خبط عشواء، فالمجال أمامها فسيح لتقول وتثبت حجة ما تقول، فلم تفعل شيئاً من ذلك، وعجزت عن إقامة الدليل الواقعي على دعواها. والأمر من طرفيه يكون محكماً على ما أصدرنا من تعليمات بشأنه إلى عملائنا.

إن الأسباب الإدارية التي من هذا الطراز، وهي جدّ دقيقة، وتخفي عن عيون الرأي العام، تغدو خير الوسائل لجعل الرأي العام يلتفت إلى حكومتنا بالثقة والاطمئنان. ومرحى لهذه الأسباب البارعة تمكننا من وقتٍ إلى آخر، حسب الاقتضاء، من تهييج الرأي العام أو تسكينه، حول موضوع سياسي، أو من إقناعه به أو حمله على التشكيك، والتشويش عليه، فننشر اليوم ما هو الصدق والحق، وغداً ما هو الكذب والباطل والافتراء، وتارةً المسلَّم به،

وطوراً ما هو نقيضه، وهكذا دواليك، ودائماً نتحسس الأرض التي تمشي عليها قبل نَقل الخطى، كي لا نعثر. والنصر مضمونٌ لنا على أعدائنا، إذ ليس بيدهم صحف رهن أمرهم كما لنا نحن، تنشر آراءهم على ما نفعل نحن. وعندما تعالج مسألة من مسائلهم ويؤول الأمر إلى إسكاتهم، نكتفي بعد ذلك بالتنفيذ السطحي، ولا نزيد.

وصغائر هذه العبارات النارية نطلقها عند الحاجة صحف الصف الثالث، ونظهر السخط عليها وندعي عدم الرضا عنها، بل تفندها صحفنا شبه الرسمية.

وحتى في أيامنا هذه، لنا مثال على اتجاهنا، وهذا المثال نأخذه مما هو مشاهد في صحف فرنسا، حيث تقع حالات وصور يظهر منها التساند الماسوني على يد الشعار أو كلمة السر: فإن رجال الصحف في فرنسا مقيدون برعاية سر المهنة الصحفية، وشأنهم إذا سألتهم عن مصدر خبر ما، شأن العرافين في الزمن القديم. يجيبون بإبهام ثم يصمتون، وهؤلاء الصحافيون لا يبوحون باسم المصدر الذي استقوا منه الخبر، إلا إذا أجمعوا على البوح به، فذلك شيء آخر. ولا تجد صحفيّاً واحداً يجترئ على فشو السر، كما لا تجد صحافيّاً آخر يمكن أن ينتمي إلى الأسرة القلمية الكتابية ما لم يكن في ماضيه قد ناله ما يُلطِّخ ويَصِم ...... وهذه اللطخات والوصمات، لا تلبث أن ينكشف عنها الغطاء. وانكشافها ما دام محصوراً في فئة قليلة، فيبقى ذلك الصحافي على حسن السمعة في نظر الجمهور، يجتذبهم إليه وهم الدهماء يسيرون وراءه بنخوة وحماسة.

وحساباتنا هذه تتناول الآن أهل الأرياف والقرى، فلابد من أن نستثيرهم ونستفزهم في ما له مساس بمسائل راحتهم وسلامتهم، ومطالبهم، واتجاهاتهم حتى إذا تحركوا وهاجوا، حَمَلْنا قصتهم ونقلناها إلى العاصمة وقلنا لأهلها:

هذا ما تتعلق به آمالهم. وطبعاً يكون مصدر ما يطلبه هؤلاء وأولئك، نحن. ثم إن ما نحتاجه من الآن إلى أن يحين وقت تسلمنا ذروة السلطة العليا، أن نجعل العواصم والحواضر تصيبها الضربة في عراقيبها، وهذه الضربة هي الآتية من الأرياف. ثم يقال لأهل العواصم: هذا هو رأي الأمة، أي رأي الأكثرية التي نظمها عملاؤنا ورتبوها ثم يجب علينا عند سنوح الفرصة النفسانية المؤاتية، أن نمنع أهل العواصم من مناقشة أي موضوع، تَمَّ وانتهى، بحجة أنه أصبح في حكم الأمر الواقع، وأهل الأرياف، وهم الكثرة، قد قبلوا هذا وأقروه، وأقفل الباب.

وفي دور العهد الجديد، وهو انتقالي إلى الدور الأعلى حيث نتقلد زمام العالم كله يجب منع الصحف من نشر الفضائح على الرأي العام، من أي نوع كان، و الضرورة القصوى لهذا الوجه، أن يعتقد الجمهور أن العهد الذي طلع عليه قد جاء بالخير والبركة إلى كل إنسان، فراقت الأحوال، وسكنت الطباع بعد القلق، وغابت الجرائم، وصَفَتْ الهيئة الاجتماعية من هذا الوباء؛ وأما حوادث الجرائم من حيث وقائعها المادية، فتطوى طيّاً لا يعلم بها إلا ضحاياها، وقد ذهبوا، وشهودها، إن وجدوا غرضاً، ذهبوا كذلك.

البروتوكول الثالث عشر

الحاجة اليومية إلى الرغيف – مسائل السياسة - المسائل الصناعية – فتن - الملهيات المسليات – قصور الشعب – «الصحيح صحيح بذاته» - القضايا الكبرى.

الحاجة إلى رغيف الخبز كل يوم، تُكْرِهِ الغوييم على أن يخلدوا إلى السكينة، ويكونوا خدَّاماً لنا طائعين. والعملاء الذين نختارهم منهم لخدمتنا في الصحف، سيقومون، بإيعازٍ منا، بمناقشة أي موضوع لا يناسبنا أن نعالجه

نحن في بيانات رسمية نصدرها إلى الجمهور توّاً، لكننا، والنقاش دائر، حامي الوطيس في أخذ ورد، ما علينا سوى أن نقوم، بهدوء تام، بالإجراءات التي نراها ضرورية حسب رغبتنا، وهي ما يتعلق بموضوع النقاش الدائر، ثم نعرض المسألة على الرأي العام، كأنها أمر واقع قد فرغ منه. حينئذ لن يجرؤ أحد على أن يتقدم فيطلب إلغاء هذا الرأي الواقع، وتضيق الحلقة به وبأمثاله، عندما نكون قدَّمنا ما قدَّمنا بمثابة إصلاح وتحسين. وفوراً تقوم الصحف بدعوة الرأي العام واجتذابه إلى ما هو أشياء جديدة فاتنة، فتنصرف إليها الأذهان (ألم نكن قد عودناها اشتهاء الجديد المستحب الصالح؟) ثم ينبري لبحث الأمور الجديدة أشخاص ما وُهِبوا من مقسِّم الحظوظ إلا فراغ العقول، وهم الذين يغيب عنهم أن يفهموا أنهم ليسوا على شيء، وأعجز من أن يدركوا اللباب. فأمور السياسة إنما نحن وحدنا نحذقها، وقد هيأنا الله لها بفعل الأجيال الجديدة، فمن مبدعها غيرنا؟

تعلمون من كل هذا، أننا في طلبنا موافقة الرأي العام على ما نكون بسبيله، إنما نطلبه في الواقع لنسهل به عمل أجهزتنا، وقد تلاحظون أن ما نرغب في نيل الموافقة عليه، ليس عملاً من أعمالنا التي انتهى أمرها وفرغنا منها، بل ذلك هو مجرد كلمات رمينا بها وقولٍ قلناه، يتعلق بهذا أو ذاك من الأمور التجارية. ومن دأبنا دائماً أن نصرح ونعلن، أننا في مسارنا نعتصم بالأمل، ووراءه اليقين، إننا خير متوخين إلاّ خدمة المصلحة العامة.

ولكي نصرف أذهان الجمهور المزعج الشكس، عن مناقشة الأمور السياسية فإننا نجيء إليه بما ندعيه بأنه الجديد المختار، في باب الصناعات وما إليها. وندعه يخوض في هذا ويسبح ما شاء. واعتادت الجماهير ألا تستسلم إلى الاسترخاء، وتنفض يدها مما تعده من متاعب السياسة (مما

عودناها معاناته من قبل، لنستغل ذلك في مكافحة حكومات الغوييم) إلا إذا توافر لها من الأعمال المناسبة الأخرى ما تعتاض به عما تتخلى عنه من شواغل السياسة، ولكي تبقى الجماهير في ضلال، لا تدري ما وراءها وما أمامها، ولا ما يراد بها، فإننا سنعمل على زيادة صرف أذهانها بإنشاء وسائل المباهج، والمسليات والألعاب الفكهة، وضروب أشكال الرياضة، واللهو، وما به الغذاء لملذاتها وشهواتها... والإكثار من القصور المزوقة والمباني المزركشة، ثم نجعل الصحف تدعو إلى مباريات فنية رياضية و من كل جنس. فتتوجه أذهانها إلى هذه الأمور وتتصرف عما هيأناه، فنمضي به إلى حيث نريد، فَيَسْلم موقفنا، وهو الموقف الذي لو أعلناه بارزاً مكشوفاً، توّاً، بغير اصطناع هذه الوسائل الملهية، لوقعنا في التناقض أمام الجماهير. ثم إن الجماهير بحكم ما ألفته واعتادته من قلة التفكير داخل آفاقها النفسية، ولا قدرة لها على الاستنباط، تراها شرعت تقلدنا وتتسج على منوالنا في التفكير إذ نحن وحدنا من يقدم إليها المناحي الفكرية... وطبعاً لا يكون هذا إلا على يد أشخاص لا شك في إخلاصهم لنا.

والدور الذي يلعبه الليبراليون والطوباويون، حملة الأحلام الخيالية، يكون قد استنفد غرضه عندما تقوم حكومتنا، وقد تمَّ لها الأمر. وريثما تظهر حكومتنا ويبرز كيانها، فإعمال هؤلاء تبقى مفيدةً لنا، ونحن نمدهم بما يوجه عقولهم إلى انتحال كل تافهٍ من العقائد يرونه جديداً، مطلوباً ومقبولاً، ألسنا نحن الذين نجحوا في توجيههم بعقولهم الرخيصة، توجيه التضليل والتعمية، حتى باتوا، ولا ترى فيهم واحداً قادراً على التمييز ومعرفة أن معنى كلمة التقدم يتضمن المفارقة والمناقضة في جميع الأحوال، حيث لا يكون الشيء كناية عن اختراع مادي، لأن الصحيح بذاته هو على وجه واحد ثابت، وليس

فيه مكان لمعنى التقدم. والتقدم كفكرة، شيء فاسد، ومن شأنه أن يجعل الصحيح مبهماً غامضاً محجوب الرؤية، ورؤية الصحيح بجلاء ما خلقت إلا لنا، شعب الله المختار، حراس هذا كله.

وعندما ندخل مملكتنا، سيتولى خطباؤنا شرح هذه المسائل التي قلبت الإنسانية رأساً على عقب، وبالتالي جَرَّتها إلينا. أهناك من يشك مقدار ذرة، أن جميع هذه الشعوب، نحن قد اقتدناها هذا الاقتياد المسرحي حسب مرادنا السياسي، ولم يُرَ فيها أحدٌ خطر بباله أو استطاع أن يدرك كيف سارت به قافلته هذه القرون العديدة.

البروتوكول الرابع عشر

دين المستقبل — العبودية في أحوالها المستقبلة — دين المستقبل مكتوم لا تصل إليه المعرفة — الأدب الإباحي والأدب النثري العام في المستقبل

• متى ما وَلَجنا أبواب مملكتنا، لا يليق بنا أن يكون فيها دينٌ آخر غير ديننا، وهو دين الله الواحد المرتبط به مصيرنا، من حيث كوننا الشعب المختار، وبواسطته ارتبط مصير العالم بمصيرنا. فيجب علينا أن نكنس جميع الأديان الأخرى على اختلاف صورها. فإذا أدّى هذا إلى ظهور الملحدين والإلحاد، على ما نرى اليوم، فذلك لن ينال من آرائنا شيئاً، والدور دور انتقال، بل يكون الإلحاد بمثابة إنذار للأقوام التي تُقْبِل على استماع تبشيرنا بدين موسى، وهو الدين الذي بوضعه الوطيد وكمال نظامه، قد استمال جميع أمم العالم تخضع لنا وحينئذ نعلن أن ديننا هو الدين الذي يتوجه به الإنسان إلى الملأ الأعلى بلا واسطة. وفي هذه المرحلة من هذا الدور الانتقالي، سننشر على الناس من الفصول والمقالات والأبحاث ما يتبينون به الفوارق بين حكمنا الخيّر وأحكام العصور الغابرة، بالمقارنة. وبركات الاستقرار

الذي هو حصيلة أخطاء حكومات الغوييم، فسنحصيها عليها ونحاسبها بأشد ما يمكن من العنت. وسنذيع على الملأ بشاعة تلك الأخطاء إلى حد يجعل الناس يؤثرون السكينة في دولة هم فيها عبيدٌ مستخدمون، على ما رأوا من فارغ حقوق الحرية التي عذّبت الإنسانية واستنفدت قوة الوجود الإنسانيّ، وهي القوى التي استغلتها عصابات دهماوية ضالة، مغامرة، لم تعرف من حقيقة أمرها شيئاً. وتغيير أشكال الحكومات فيما مضى، وهو أمرٌ طالما دفعنا الغوييم إليه وأغريناهم بإتيانه، لمَّا كنا نعمل على دكّ كيان الدول، كان من نتيجته حتى الآن انه نَهَك طاقة الشعوب واستنزف عافيتها حتى أمست مذعنة لتحمل أي مشقة في ظل حكمنا، وهي ترى هذا خيراً لها من العودة إلى معاناة العهود السابقة في ظل حكوماتها التي قد انطوت.

وفي الوقت نفسه، لن ننسى أن نندّد بالأخطاء التاريخية التي ارتكبتها حكومات الغوييم، الأخطاء التي تعذبت بها الإنسانية دهراً طويلاً لعجز تلك الحكومات عن أن تفهم وتعي معنى أيّ شيءٍ من الخير المحض للإنسانية، فظلت (تلك الحكومات) راكبةً رأسها وراء مطالبها القائمة على الشهوات والمكاره، آملة أملاً فارغاً أنها ستحصل على البركات الاجتماعية، ولم تلاحظ قط أن تلك المطالب كان من شأنها أن تزيد الشر وبالاً وسوءاً، دون أن تحقق شيئاً من تحسين وضع العلاقات العامة بين البشر وهذه العلاقات هي أساس حياة الإنسان.

وما تنطوي عليه مبادئنا من طاقة كامنة، وما في قواعد عملنا من قوة، كل هذا ستتجلي محاسنه بطريقة واحدة، وهي أن نعرض ذلك ونبيّنه للناس ونشرحه لهم، فيظهر خيره للعيان بالمقابلة والمقارنة، مع الأنظمة السابقة التي فَنِيَت واضمحلت.

وسيتولى فلاسفتنا بالشرح والتوضيح، الكشف عما تنطوي عليه معتقدات الغوييم الدينية من عوار. غير أنه لن يسمح بأن يطرح ديننا للبحث ابتغاء الوقوف على مقاصده وغاياته الصحيحة، إذ هذا علمه محصور بنا، مقصور علينا وحدنا، ونحن دائماً حريصون على ألاَّ نبوح بأسراره لغيرنا.

وفي خلال القرون التي تنعت بقرون النور والتقدم، وَضَعْنا في أيدي الناس ضروباً من مادة الآداب المنشورة بالطباعة، هي غايةٌ في التفاهة والقذارة والغثاثة. وبعد أن نقيم مملكتنا فهذه الأنماط من مادة الأدب ستظل على حالها ساريةً مسراها، نروّجها ونحثّ عليها، والغاية من ذلك أنه عندما نأتي نحن بأنفس طراز من محاضراتنا وخطبنا وأبحاثنا وبرامج أحزابنا، وكل ذلك رائع، يوزع من قبل مقاماتنا العالية، حينئذ يدرك الغوييم إدراكاً مذهلاً مدى الفرق العظيم بين ما أعطيناهم، وما كانوا عليه. وسيقوم حكماؤنا، المهيأوون لقيادة الغوييم، بوضع المحاضرات ورسم الخطط والمشروعات، وكتب المذكرات وصنوف المقالات، مما نستعمله نحن لفائدتنا، فيسري أثره إلى عقول الغوييم تتلقح به وتستضيء بنوره بالاقتباس منه، استدراراً للمعارف، على ما قررت مناهجنا.

البروتوكول الخامس عشر

الانقلاب أو (الثورة) يعمّ العالم في وقت واحد - الإعدام - حظ ماسون الغوييم في المستقبل - أسرار السلطة - الإكثار من المحافل الماسونية - الهيئة المركزية الحاكمة من حكماء الماسونية - الأساليب المتحايلة - الماسونية وقيادتها جميع الجمعيات السرية - استحسان ما يقوله المغرورون - الجماعة المتضامنة - الضحايا - إعدام حتى من هم ماسون - سقوط هيبة القوانين والسلطة - مكاننا بصفتنا الشعب المختار - ميزة القوانين

في الإيجاز والوضوح في حكومة المستقبل – طاعة الأوامر – العقوبة لمن يسيء استعمال القانون – صرامة العقوبة – تحديد سن صرف القضاة من الخدمة – الليبرالية عند القضاة والسلطة – احتشاد أموال العالم – السلطة المستبدة الماسونية – حق الاستئناف في المستقبل – مظهر الأبوة في حكم المستقبل – حق القويّ هو الحق الوحيد ولا غيره – ملك إسرائيل هو الأبوّة للعالم بأسره

متى ما أنجزنا إقامة جولتنا بالانقلابات والثورات المعدة في كل مكان، لتقع في يوم واحد موقوت، بعد أن يكون أمر الحكومة قد بلغ غاية التدلي والتفاهة، واتضح ذلك ولا سبيل إلى إنكاره (وما ينقضي من الوقت من يومنا الحاضر حتى يوم تحقيق أهدافنا المقبل قد يمتدُّ إلى قرن) فإننا سنُعنى بعد ذلك بمكافحة أي شيء من حياكة المؤامرات علينا، وسنذبح بلا رحمة جميع الذين يتناولون السلاح (بأيديهم) ليقاوموا الانضواء إلى مملكتنا. وكل نوع من المنظمات الجديدة يؤلف بعد ذلك ويكون من الجمعيات السرية، يعاقب القائمون به بالموت. وأما الجمعيات القائمة اليوم، وهي معروفة لدينا، وتعمل في خدمتنا كشأنها في الأمس، سنجرّدها من سلاحها، ونطرح رجالها في المنافي في القارات البعيدة من أوروبا. ثم بعد ذلك نمضي، ومعنا ماسون الغوييم الذين تحنكوا بالعمل، فنالوا الخبرة والمعرفة، كما يكون معنا أيضاً أمثالهم، ممن نعفو عنهم، لسبب ما، عفواً يبقيهم دائماً خائفين، مترقبين المفاجآت، يتوقعون النفي. وسنسنُّ قانوناً يجعل جميع الأعضاء في الجمعيات السرية السابقة معرّضين للنفي في أوروبا، وأوروبا حينئذ مقرّ حكمنا وستكون مقررات حكومتنا باتة، لا استئناف لها.

وأما جمعيات الغوييم السابقة التي زرعنا فيها بذور التفرقة، والمخاصمة،

والتنابذ، والانشقاق، فَنَمَتْ تلك البذور وامتدت جذورها، فالطريقة الوحيدة لإقامة النِّظَّام في هذه الجمعيات هو اتخاذ تدابير صارمة تتجلى فيها سطوة السلطة بكل وضوح. ولا نبالي بالضحايا في هذا السبيل، فإن تضحيتنا هنا بهؤلاء إنما هي لخير المستقبل، وتحقيق هذا الخير للمستقبل، ولو شُرِيَ بالضحايا، ينبغي أن يكون الواجب المطلوب من كل حكومة تعترف بأن تبرير وجودها، لا يتمّ بأن يكون لها حقوق وكفى، بل لا يتم إلا بأن يكون عليها أيضاً واجبات والتزامات. وأكبر ضمان لوثاقة الحكم الجديد في أوضاعه، هو إظهار عزة الدولة وهيبتها، كأنها تعتصب هالةً من نور، وهذه الهالة مجلاها ومظهرها جبروت القوة، ويدلُّ على ذلك الشعار الذي في جبينها، وهو رمز عصمتها المستمدة من أسباب علوية - يوم اختارنا الله. والأوتوقراطية الروسية إنما كانت على هذه الصفة حتى وقتٍ قريب، وهي العدو الوحيد الرهيب رأيناه في العالم، ولا ندخل في هذا الحساب الآن، البابوية. واحفظوا في بالكم على سبيل المثال ما وقع في إيطاليا، فإنها، وهي سابحة في الدم، لم تستطع أن تمسَّ ولو شعرةً من رأس صبولاّ وهو الذي أسال تلك الدماء. وتمتع صولاّ بصولة عارمة فعلاً وتأله، لمّا ملأ عيون الناس روعة السطوة، مع أن الشعب كان قد رأى منه الويل والعذاب، وانتثر من بين يديه مقطعاً إرباً إرباً. لكن لمّا عاد صولاّ إلى إيطاليا عودة المقحام الجريء، أفرغت عليه عودته هذه بهاءَ العظمة، ووشاح القدرة التي لا تُغْلَب. فأمسى الشعب أخوف من أن يومئ إليه إيماءً، وأصل ذلك عند صولاّ الإقدام وقوةُ العقل.

وفي خلال الوقت الذي ينقضي من الآن إلى أن نقيم مملكتنا، سنسلك الطريقة المخالفة لهذا: فإننا سنخلق ونكثر من المحافل الماسونية الحرة في جميع بلدان العالم، لتمتصَّ إلى جوفها الذين يمكن أن يغدوا من ذوي

النباهة والشأن، أو هم هكذا في حاضر حالهم، في تعاطي الشؤون العامة. وفي هذه المحافل نجد طِلبتنا من مكامن التجسس الرئيسية وأسباب نشر نفوذها. وهذه المحافل سنضعها تحت إدارة مركزية معروفة لنا وحدنا، وأما غيرنا فلا يدري من ذلك شيئاً مطلقاً. وهذه الإدارة المركزية إنما تؤلَّف من حكمائنا. ويكون لها ممثلون ينطقون باسمها، وهم بمثابة ستار يغطّي الإدارة المركزية الماسونية التي منها تصدر التعليمات، والشارة وكلمة السر. وفي هذه المحافل، نُحكم رَبْط العُقدة التي تضم أُنشوطتها جميع العناصر الثورية والليبرالية. وهذه العناصر آتية من مختلف طبقات المجتمع. وعلى هذا الوجه، فإن أوغل المؤامرات السياسية في دهاليز السرية وأوكارها، يكون عندنا خبره، ونحن المحركون لذلك بأيدينا المشيرة من وراء ستار من أول يوم تولد. وينضوي إلى عضوية المحافل، جميع العملاء للبوليس الدولي العام، والبوليس المحلي في كل دولة، إذ خدمة هؤلاء لا يعتاض عنها بسواها، لأنهم يستطيعون استعمال تدابيرهم الخاصة إزاء المتمردين، وليس هذا وكفى، بل أيضاً بوسعهم أن يكونوا ستراً على نشاطنا بما يضعون من تأويل وتفسير ومزاعم ومدعيات، في حالات انتشار القلق والتذمر وما أشبه.

وأما أولئك الأفراد من طبقة الشعب، الذين يسارعون طوعاً من تلقاء أنفسهم للانتماء إلى الجمعيات السرية، فهم القوم الذين يعيشون بمقاييس ضئيلة على قدر أفهامهم، مستندين على القليل الذي عرفوه واكتسبوه من تعاطيهم أعمالهم المختلفة، وكل واحد منهم هو ابن صنعته، فهؤلاء على الجملة والغالب خفاف العقول، ولا نجد صعوبة في معاملتهم واستعمالهم عند الاقتضاء كأدوات تصلح لتعطيل سير الأجهزة التي هي من صنعنا. فإذا طرأ اضطراب على هذا العالم، فمعنى ذلك أننا نحن الذين رأوا إيقاع هذا الاضطراب لتقوم

الأمم على بعضها بعضاً، وتهدم كيانها المتضامن المنيع. ولكن إذا ظهرت في وسط العالم مؤامرة، فعلى رأس تلك المؤامرة لا يكون أحد سوى من هو في خدمتنا وأشدهم إخلاصاً لنا. فطبيعيٌّ، إذن، أن نكون متولين توجيه النشاط الماسوني، لأننا نعلم أين هي الغاية من التوجيه، والهدف المقصود من كل نشاط، بينما الغوييم يجهلون من هذا كل شيء، ولا يتصورون النتائج حتى في أبسط أشكالها، وشأنهم المعتاد أن يبادروا إلى إظهار الاعتداد بالنفس والتباهي والازدهاء بآرائهم الخاصة، إلى انغماسهم في مصالحهم الفردية، دون أن يلاحظوا على الأقل أن محض الفكرة التي يدورون حولها ليست من بضاعتهم في الأصل، وإنما وَرَدَتْ عليهم منا، ألقينا بها وهم لا يَدْرُون.

والحافز لأفراد الغوييم في انتمائهم إلى المحافل، عادة حب الاستطلاع ودافع الفضول، أو أملاً أن ينتاشوا من المجتمع لقيمات من حب الظهور. وفصيل ثالث منهم، أمنيته أن يقف فيتكلم في الجمهور ليستمعوا إليه، وهذا ليس عنده إلا ترهات. فهؤلاء جميعاً متعطشون إلى أن يستمتعوا بلذة القول أنهم نجحوا، واستحسن الناس ما قالوا. ونحن في هذا على غاية الجود والكرم. والسبب الذي من أجله أننا نمنُّ عليهم بهذا النجاح والاستحسان، هو أن نسخّرهم ونستغلّهم من ناحية غرورهم المطبق، وهذا كله مما يحملهم على أن يهضموا بلا شعور، آراءنا وأفكارنا، ويتبنوها دون أن ينتبهوا إلى أن ذلك هو منا. ومن شدة هذا الغرور فهم عديمو الاحتراز، وليس لهم صحة تقدير، فيتظاهرون عن ثقة تلابسهم، بأن هذا النجاح كله هو من بنات أفكارهم ومبتكراتهم، وهم أكبر من أن يقتبسوا، أو يقترضوا مثله من سواهم. ومن السهل جدّاً، من هذه الناحية، أن تجرَّ، حتى أعقلهم، إلى موقف السذاجة، دون أن يشعر بأنه منساق مجرور، وهو متجاوب مع غروره. وسَهْل كذلك أن

تميل بهم الميل الذي تريد، منتزعا قلوبهم من بين حنايا صدورهم، وذلك لأقل فشلٍ يلاقونه، حتى ولو كان هذا الفشل لا يزيد خيبتهم في أنهم لم يلاقوا مقدار الاستحسان الذي كانوا يتوقعون، فيستذلّون ذلَّ العبيد من أجل أن يعود إليهم ما يأملون.....وجماعتنا ينبغي ألا يهمهم شيء من مقدار هذا النجاح الذي يشغل بال الفرد من الغوييم، إلا إذا رأت جماعتنا أن من المصلحة لها، المسايرة في تنفيذ المسألة المطروحة، مع العلم أن الغوييم في سبيل التلذذ بالنجاح الذي إليه يتوقون، يضحّون بكل مرتخصٍ وغال. وهذه الحالة عن الغوييم تساعدنا كل المساعدة، ونحن نعالج تعيين مكانهم من الاتجاه المطلوب. فهم نَمِرَةٌ وأسودٌ في الظاهر، أما نفوسهم فنفوس خرفان، والرياح تلعب برؤوسهم دائماً تندفع بهم هذه الناحية أو تلك. وقد أشربناهم، عن طريق إركابهم حصاناً من قصب كحصان الصبية اللاعبين في الساحة، فكرةَ اندماج الفرد في المجموع لتحصل من ذلك الوحدة الرمزية للجماعة. ولم يفطنوا، ولن يفطنوا، إلى أن هذا الحصان الذي أركبوه فامتطوه بازدهاء وخيلاء، ما هو إلا ابتعادٌ واضح من مجرى النواميس الطبيعية، إذ الطبيعة قد أوجدت من أول يوم الكون، كل وحدة من وحداتها تختلف عن الأخرى، والغاية من ذلك إنشاء الفردية.

فإذا كنا قد استطعنا أن نورد الغوييم كل هذه الموارد من التضليل لبلاهتهم وانغلاق عقولهم، أفليس هذا برهاناً ساطعاً على ما انتهت إليه أذهانهم من ركود وتخلّف، إذا قابلتم الحال بيننا وبينهم؟ وهذا ما يضمن لنا النجاح.

ولعمري، ما كان أحكم سلفنا في الأزمنة الغابرة لما قالوا أن في طلب كبار الغايات لا يقام وزن للوسائل والضحايا. وما بنا من حاجة لنحسب ما

تحمله الغوييم من ضحايا لحفظ بذرة حيوانه والاحتفاظ بسلالته، مع أن ضحايانا نحن لم تكن بالقليلة. ولكن من أجل ما تحملوا هم، فنعطيهم اليوم من المكان والفسحة على وجه الأرض ما لم يتخيلوه حتى في أحلامهم. وأما عدد ضحايانا القليل من مجموعنا، فقد حَفِظَ لنا قوميتنا وحماها من الاندثار.

الموت حق على كل حيٍّ. فيكون خيراً وأفضل أن نقرّب الآجال على الذين يعترضون سبيلنا، من أن نقرّب آجالنا، نحن الواضعين لهذه الخطة. وإننا مستعدون أن نعدم الماسوني إعداماً يخفى خبره عن الناس جميعاً، ما عدا الإخوة الماسونية، ولا يدري بهذا أحد حتى المحكوم عليه نفسه، فيظل على جهل من مصيره المدبَّر له حتى يلقاه، فيموت بالوقت الذي عين له كأنه مات ميتة طبيعية من مرض عادي...والإخوة الماسون أنفسهم، إذا ما علموا بذلك فلن يقووا على الاحتجاج. وبهذه الطريقة نكون قد اقتلعنا من وسط الماسونية الجذور التي قامت تشغَب علينا. وبينما نُعنى بنشر الليبرالية في آفاق الغوييم، لينطلقوا يفعلون ما يريدون، ترانا جِدّ حريصين على جعل شعبنا وعملائنا في حالة الخضوع لنا دون أي اعتراض.

ولا يغيب عنا إننا بفعل هيمنتنا على الغوييم، استطعنا أن نجعل تنفيذ القوانين عندهم يلزم الحد الأدنى، ذلك لأن هيبة القوانين قد نسفتها نسفاً التفسيرات الليبرالية، فعقّدتها، وتركتها كومة من الإبهام. وأهم القضايا وأعلاها شأناً، يتولى القضاة الفصل فيها على ما نوحي به إليهم، وينظرون في المسائل على هذا النحو أيضاً، في إدارة شؤون الغوييم، وهذا طبعاً على يد أشخاص هم أدواتنا باطناً، لكنهم في الخارج وعلى عيون الناس - لا صلة بيننا وبينهم، ويتم تبليغ ما يراد تبليغه بمقالات الصحف وما أشبه. وحتى أعضاء مجلس الشيوخ، وكبار رجال الإدارة، فإنهم يتقبلون نصائحنا بالرضا؛

وعقل الغوييم لخشونته المطلقة، تراه عاجزاً عن التحليل والملاحظة، وهو بعد ذلك أعجز عن رؤية أقرب النتائج للحلول التي يضعها ولا يتصور ما تؤدي إليه.

ومن هذا الفرق في الخصب العقلي بيننا وبين الغوييم، يتضح ما اختصنا الله به من مزايا منذ شاء اتخاذنا الشعب المختار، ويتجلى أيضا ما اختصنا به من درجة عالية في سجية الإنسانية وأما الغوييم فلهم العقل الراكد. ولهم عيون ولكنهم لا يبصرون شيئاً مما أمامهم، وهم لا يخترعون، ولا يبدعون (إلا ما عسى أن يكون في باب الاختراعات المادية) ومن هذا يعلم أن الطبيعة نفسها هي التي خطت مصيرنا لقيادة العالم والسيادة عليه.

ومتى ما جاء الوقت لنمارس الحكم العالمي علناً، ونقبض على زمامه في وضح النهار، باسطين للناس بركاته، فإننا سنفرغ كل القوانين في قوالب جديدة، موجزة، واضحة، متينة التركيب، لا تحتاج إلى تفسير أو تأويل، بحيث يكون بوسع أي فرد أن يفهمها بسهولة، والخصيصة الأولى الملازمة للنصوص، هي بيان وجوب الطاعة للقانون. وهذه القاعدة الأساسية تنزل المنزلة الكبرى من الخطورة، فتتلاشى النقائص والقباحات، ويمحى سوء الاستعمال، لما هناك من مسئولية يحاسب عليها، وعين السلطان العليا رقيبة على كل شيء. والخارجون على القانون ينالهم العقاب الصارم، ولا مجال لأحد لكي يفرض تجربته الشخصية عن طريق القانون، وسنحيط سير الإدارة برقابة فاحصة يقظة، إذ على هذا يتوقف سير أجهزة الدولة كلها في مطلق شُعَبِها ودوائرها، لأن الخلل إذا وقع هنا في الإدارة، تفشَّى في جسم الدولة بلا استثناء. لذلك لن تمر حادثة واحدة من حوادث المخالفات إلا ويتناول العقاب مرتكبها.

أما إخفاء الجريمة والذنب، والتواطؤ بين القائمين بالإدارة الحكومية، كل

هذا الشر لن يكون له وجود، بعد أن تُنزِل العقوبات الصارمة بمن يستحقها في البداية، فتكون في ذلك عبرة كافية. وهالة سلطتنا المشعة بالنور، تقتضي هذا، أي العقوبات العنيفة على أقل الذنوب، لتظلَّ الهيبة القانونية على جلاها، لا تعلق بها شائبة. ومرتكب الذنب قد يلقى من الجزاء فوق ما يستحق، ومَثَلُه في ذلك مَثَلُ الجندي، لكن ميدانه العمل في الخدمة الإدارية لمصلحة الدولة، مبدأً وقانوناً، وقد يُوَلَّج أن يمسك بعنان المركبة العامة ويكون سائقها، فلا يجوز له أن ينحرف بها عن جادة الطريق، فتنزلق وتهوى بمن فيها، وما السبب في ذلك إلا ما في نفس السائق من غاية خاصة، ومثل ذلك يقال في القضاة: فقضاتنا سيعلمون أنهم إذا انحازوا بعامل الرحمة والشفقة، فيكونون بهذا قد خالفوا قانون العدالة، القانون الذي وضع لتقديس شخصية الفرد، عن طريق عقاب المجرم على ما ارتكبه من جرم، وليس موقف القاضي هنا أن يظهر ما في صدره من عاطفة حنان ورأفة، إذ هو هنا لإجراء الحكم فحسب، لا للميل إلى ما في نفسه. فإذا كان للقاضي عواطف وميول خاصة، فليمارس ذلك في شؤون حياته الخاصة، لا في ساحة القضاء، حيث القضية هنا هي تعليم وإرشاد لخير الحياة الإنسانية.

والقائمون بأعمال الجهاز القضائي يُصرَفون من الخدمة عند بلوغهم سن الخامسة والخمسين. وأسباب ذلك أولاً لأن الذين تقدموا في السن، يجمدون على آراء يخالطها تحيز ومحاباة، فيصعب عليهم التخلي عن طبعهم إلى ما هو أصلح. ثانياً، أن هذا الصرف من الخدمة يعطينا الفرصة لتحقيق المرونة في تغيير الموظفين وانتقاء عناصر جديدة أطوع، فالذي يودّ أن يشغل عملاً ما، عليه أن يستحقه بالطاعة. وعلى الجملة، فإننا سنختار قضاتنا من الذين آمنوا كل الإيمان بأن الواجبات المطلوب منهم القيام بها هي العقاب على الجريمة،

وتطبيق القانون، لا مجاراة الأهواء الليبرالية، على حساب الآلة التهذيبية في الدولة، على نحو ما يفعل الغوييم اليوم. ثم إن صرف الموظفين أو تغييرهم، من شأنه أن يذهب برابطة تكتل الموظفين الذين يجمعهم التضامن المسلكي وهم رفقةُ صعيدٍ واحد. وفائدة أخرى أيضاً من الصرف: وهي رَبْط عمال الدولة جميعاً بوثاق مصالحها، وعلى هذه المصالح يتوقف مصير الموظفين. وأما عنصر الشباب من قضاتنا فيكمل استعدادهم لتولي القضاء بإخضاعهم لدورات تدريب يفهمون منها استحالة الميل مع المذنب، إذ يتجلى لهم ما يكون وراء هذا من إفساد لأوضاع الرعية فيما بين بعضها بعضاً.

وفي أيامنا هذه، نرى قضاة الغوييم ينحرفون عند النظر في كل نوع من أنواع الجرائم، فلا يفهمون فهماً سليماً معنى ما عهد إليهم فيه، ذلك لأن حكامهم عند اختيار القضاة لا يهمهم أن يكون القاضي متشبعة نفسه بحب التجرد ليستطيع موازنة الأمور بحكمة وإصابة. وكما تُطلِقُ الحيوانات صغارها لترعى حيث تريد، كذلك يفعل الغوييم بتسليط الموظفين على المصالح والأعمال، ليعتصروا منها ما يشاءون لأنفسهم، وهذا هو السبب في ما يحل بحكوماتهم من خراب، فهم في الواقع يخربونها بأيديهم، عن طريق عمالهم.

ولا بأس أن نقتبس درساً آخر من نتائج هذه الأعمال لخير حكومتنا.

إننا سنطارد الليبرالية من جميع المناصب الحسّاسة الخطيرة، وعلى هذه المناصب يتوقف تدريب العمال الثانويين اللازمين لهيكل الدولة. وهذه الوظائف لا يشغلها إلا من كَمَلَ تدريبهم ليعملوا في الإدارة، وإذا قيل من باب الاعتراض على هذا، أن صرف الموظفين من الخدمة على هذا الوجه، يحمّل خزانة الدولة عبئاً ماليّاً، أجبت، أولاً بأن المصروفين من الخدمة سيهيّأ لهم من الأعمال في المصالح الخاصة خارج الحكومة ما يعتاضون

به عما فقدوه من مرتب. وثانياً، عليّ أن ألفت النظر إلى أن جميع أموال الدنيا ستكون محتشدة في أيدينا، فلا تكون حكومتنا في النهاية هي التي تخشى أن تتحمل هذه النفقات.

وسلطتنا المطلقة تكون في مجرى هذه الأمور كلها على منطقٍ آخذٍ بعضه برقاب بعض، اطرادا وانسجاماً. فيتلقى الشعب أوامرنا الباتّة الصفة في كل قضية، بغاية الرضا والقبول، وينفذ إرادتنا إلى غايتها دون اعتراض، ولن نقيم وزناً لأي شكوى أو تململ، فإذا ظهر شيء من هذا فنسحقه توّاً، ونستأصله بالمجازاة الصارمة.

وسنلغي حق الاستئناف لصاحبه. وإنما نجعله في خيارنا – تحت نظر الحاكم، إذ لا ينبغي أن ندع الاعتقاد يسري في الأذهان أن لا طريق لتصحيح الخطأ الذي يقع فيه القاضي، والقاضي هو من قِبَلِنا، ونحن أقمناه ليقضي في الناس. فإذا ما وقع في هفوة، فنحن برفع القضية من تلقاء أنفسنا إلى مراجعها العالية، ولكننا نأخذ القاضي بعقاب عنيف، ليكون أمثولةً وعبرة، وحتى لا يقع في الخطأ مرةً أخرى..وعليّ أن أكرّر أننا سنكون محيطين علماً بكل ما يجري في الجهاز الإداري إحاطة تامة، لنأمن العثرات، فيطمئن الشعب إلى حكمنا ويسكن، ومن حقه أن يطلب من الحكومة الفاضلة موظفاً فاضلاً.

وستكون حكومتنا متشحة بمظهر الوصاية الأبوية على الشعب، ويتمثل هذا في شخص الحاكم الأعلى، وسيدرك شعبنا ورعيتنا هذا الحنان الأبوي في كل مصالحهم وأعمالهم، وفي مجرى كل العلاقات الشعبية المتبادلة بين واحد وآخر، ومجرى العلاقات التي بين الشعب والحاكم. وهذا ما سيشربهم العقيدة أنهم لا غنى لهم عن استظلال ظل هذه الوصاية الأبوية، إذا شاءوا أن يعيشوا بسلام وهدوء، وسيعترفون بفضائل الأوتوقراطية في حاكمنا،

بإجلال كاد يكون تأليهاً، ولا سيما عندما يقتنعون بأن الذين نصبناهم عمّالاً عليهم من عمّال الدولة، لن يتبعوا الهوى أو آراءهم الخاصة، بل دأبهم أن ينفّذوا إرادة صاحب السلطة العليا كما تملى عليهم. وكذلك سيسر الشعب ما أحدثناه له من تنظيم أمور حياته ورعاية مصالحه، فصنعنا له ما يصنع الأب الحكيم نحو أولاده من تربيتهم على حب الواجب والطاعة. فإن شعوب العالم من جهة وقوفها على أسرار دولتنا، كانت عبر التاريخ كله بمثابة القاصر الذي لم يبلغ الرشد، وكذلك كانت حكوماتها.

وكما تعلمون، فإني أبني سلطتنا الفردية المطلقة على قاعدتي الحق والواجب والحق هو الإجبار على تنفيذ الواجب كما رسمته الحكومة باعتبار الأبوّة التي لها على الشعب. فلها حق القوي تستعمله في توجيه الإنسانية نحو هذا النِّظّام الذي حدّدته الطبيعة وعرفته بأنه الخضوع. وكل شيء في العالم معناه الخضوع، وإذا لم يكن هذا الخضوع للإنسان فهو للأحوال والظروف، أو للقوة الذاتية في الشيء نفسه، وعلى كل اعتبار يكون الخضوع للقوة التي تسيطر عليه. ولذلك نقول إننا سنكون نحن هذه القوة المسيطرة من أجل الخير.

ولا نتردّد في تضحية الأفراد الذين يخالفون النِّظّام القائم، ففي العقاب الصارم ينزل بالمخالف ما يعطي درس التعليم.

ومتى ما وضع مَلك إسرائيل على رأسه المقدس التاج الذي تقدمه إليه أوروبا، فإنه يصبح أباً للعالم، والضحايا الذين تقضي المصلحة بتضحيتهم، ولا مهرب من هذا، لن يماثل عددهم عدد الضحايا الذين سقطوا في خلال القرون الماضية بسبب تهالك حكومات الغوييم على الأباطيل والتباري من أجل الأبهة الفارغة، وسيكون ملكنا على اتصال دائم بشعوبه، ملقياً عليهم من على منبره الخطب التي في ساعة إلقائها يتردد صداها في العالم كله.

البروتوكول السادس عشر

تعقيم برامج التعليم في الجامعات – ماذا يحلّ محل الكلاسيكيات – التدريب والمهن – التبشير بسلطة الحكم الجديد في المدارس – إلغاء حرية التعليم – النظريات الجديدة – استقلال الفكر – التعليم على أسلوب «دروس الأشياء»

إنه لكي يتم لنا تخريب جميع القوى التي تعمل على تحقيق الإنسجام الفكري، والتضامن الاجتماعي، ما عدا قوانا نحن، علينا أن نبدأ بتفكيك حلقات المرحلة الأولى من هذا وهي الجامعات. والطريقة، أن ننقض وننفض أساليب التعليم من أساسها، ونُفْرِغَها في أساليب جديدة وتوجيه حديث. والأساتذة والقائمون بالوظائف التعليمية، يُهيّأون تهيئةً خاصة وفق برامج سرية عملية، ويُقيدون بها بشدة، حتى لا يسوغ لأحد منهم أن يحيد عنها قيد شعرة. ويدقق في اختيارهم وانتقائهم بكل عناية، فإذا ما شرعوا في أعمالهم باتوا ومستندهم الحكومة، ولا انفكاك لهم بعد.

وسَنخْرج من مادة التعليم الجامعي دستور-الدولة وكل ما يمت إليه وإلى المسائل السياسية بصلة. غير أن هذه الموضوعات يقصر تعليمها على بضع عشرات من الذين يُختارون من الطلاب اختياراً لتفوقهم في الذكاء، وبهذا تقف الجامعات عن أن تقذف إلى العالم كل سنة بطائفة بعد طائفة من المخنثين الذين ينطلقون بخفةٍ لتلفيق المخططات الدستورية ورسم المشروعات الهوائية، راقصين حول هذا كأنهم على مسرح في رواية مضحكة أو مأساة، يتلهون بمناقشة موضوعات هي فوق مداركهم، ولم يسبق لآبائهم أن حذقوا شيئاً من دقة الفكر.

وتعريف الجمهرة من الناس تعريفاً سيئاً ملتوياً، بشؤون الدولة ومسائلها،

وهم يأخذون هذا بعقول فَجَّة، أمرٌ لا ينتج عنه سوى العنصر الذي يركبه الهوس والخيال، يرافقه المواطن الرديء السيرة، ويسهل عليكم ملاحظة المثال على هذا، في ما يرونه من نتائج التعليم الشائع اليوم في العالم بين الغوييم. فالواجب الذي علينا هو أن ننقلهم إلى حيّز تعليمٍ آخر، يتعلمون فيه جميع المبادئ والقواعد والأصول، مما كان رائعاً في نسف نظامهم. ولكن متى ما تسلمنا نحن زمام الحكم والسلطة، سنزيل من المناهج كل موضوع شائك مقلق، ونجعل من الشباب شباباً طائعين للسلطة، محبين للحاكم، يرون في حكمه العون والأمل في بيئة السلام والطمأنينة.

وأمَّا تدريس الآداب والفنون الكلاسيكية (منذ عهد اليونان والرومان) وكذلك تدريس التاريخ القديم، مما أمثلته تدلُّ على أن ضرره أكثر من نفعه، فهذا كله سنذهب به، ونضع محله تدريس برامج المستقبل. وسنمحو من أذهان الناس جميع ما وعته من وقائع القرون الخالية، مما لا نرى فيه الخير لنا، ولا نبقي إلا على ما يسجل المزالق على حكومات الغوييم. وما يحتل المكان الأول في برامج التعليم الجديدة، تدريس أصول الحياة العملية، والواجب نحو النِّظَّام، ونحو علاقات الناس بين بعضهم بعضاً، وفي التدريس المقبل نجتنب الأمثلة التي فيها صور الأنانية والانحراف، إذ في هذا تَكْمُن بذور الشر وعدواه، ثم يُعْتنى بكل عنصر من عناصر التهذيب والتقويم. والمناهج التعليمية تتوزع على مناحٍ مختلفة، بحيث يتعلق كل منهج بمنحى من مناحي الحياة على مراحل العمر كله، وأن نجعل التعليم يجري على نمط متماثل وله طابع متَّسق. وهذه المسألة هي غاية الخطورة ولها عندنا المقام الأول.

وكل مرحلة من مراحل العمر، تُضْبَط قواعدها على التحديد، ويُجعَل مقابلها ما يناسبها من العلم في الحياة. وأما النبغاء الذين يظهرون متفردين

في الذكاء، والآن وفي كل زمان، فلهم من ألمعيتهم ما يمكنهم من تخطي حدود المراحل في حلبة الحياة، ولكن من البلية على هؤلاء المشرقين اللامعين أن يزاملهم من رفقائهم مَنْ حظه البلادة وفقر الموهبة، فيحاول هؤلاء المناكيد مزاحمة من هو أفضل منهم وامتاز عليهم بحكم الفطرة أو الجدارة في إتقان العمل. ولا يخفى عليكم ما أصاب الغوييم من نكبة بسبب ضلالهم في هذا الأمر.

ومن تصدى للحكم، وابتغى أن يكون له في قلوب الرعية مكانةٌ وطيدة، وفي أذهانها صورةٌ جميلة، وجب عليه بالضرورة، ما دام يمارس واجباته، أن يطلق الأمة جمعاء بكل وسيلة، في المدارس والساحات العامة، على ما هو بسبيله من مقاصد وأعمال، وما يهدف إليه من خير شامل في نشاطاته.

وسنلغي حرية التعليم في جميع الوجوه. فالمتعلمون، وكل فريق منهم يتبع مرحلة من المراحل، يكون لهم الحق أن يجتمعوا مع آبائهم وأهليهم في أماكن عامة كاجتماعهم في منتدى. وفي هذه الاجتماعات أيام الاستراحة، يقوم الأساتذة الموكول إليهم الأمر، بقراءة موادٍ تجري مجرى الخطب والمحاضرات، مجانية، تتناول العلاقات الإنسانية والقوانين مع الشواهد والأمثلة، كما تتناول شرح القيود والنواهي المتولدة من الصلات اللاشعورية بين الناس، وأخيراً فلسفة النظريات الجديدة التي لم تعلن بعد إلى العالم. وهذه النظريات سنعلي من شأن قيمتها إلى حدّ أن ينيلها من جدّ الاعتبار ما للعقائد في الأديان، وهذا يقع في دور الانتقال نحو الوصول إلى ديننا في النهاية.

وإذ قد فرغت من عرض برامجنا العملية للحاضر والمستقبل، فإني أتلو عليكم الآن مجمل القواعد لتلك النظريات.

وبكلمة موجزة، إننا نعلم بالتجربة لعدة قرون، أن الشعب إنما يعيش على الآراء ويهتدي بها، ويرتضع هذه الآراء عن طريق التعليم الذي يدارج مراحل الحياة. وهنا يختلف معنا الأمر من جهة أساليب التعليم وطرقه. فنحن بهذا الاختلاف في الأساليب، سنلاشي القديم إلى آخر أثرٍ من آثاره، ونحصر زمام التعليم بأيدينا، فلا يبقى خيط من خيوط الفكر المستقل إلا وطرفه بيدنا، وهو ما كنا نستعمله سابقاً لاستمالة الشعوب واجتذاب أفكارها.

وأسلوب التعليم المُلْجِم للعقول، والطامس على الأذهان، مُطَبَّقٌ اليوم في المنهج المعروف بدروس الأشياء Object Lessons وهذه الطريقة غايتها إخمال أذهان الغوييم ودفعها نحو البلادة والاسترخاء، تنتظر أن يؤتَى إليها بالأمثلة من الأشياء المحسوسة، جاهزة الشكل لتعرف ماهيتها بالصورة المشاهدة (بدلاً من أعمال الفكرة)..وفي فرنسا نرى أن هذه الطريقة قد نجحت كل النجاح حيث نرى أفضل عملائنا من البورجوازية قد وضعوا لها المناهج العامة ومشوا عليها.

البروتوكول السَّابِع عَشر

المحاماة القضائية — نفوذ رجال الدين عند الغوييم — حرية الضمير — البلاط البابوي — ملك اليهود محل «الأب البابوي» — كيف نكافح الكنيسة الحالية — واجبات الصحف في هذا العصر — منظمة البوليس — البوليس المتطوع — التجسس على منوال التجسس عند منظمة «القبالا» — سوء استعمال السلطة

إن ممارسة المحاماة تنتج رجالاً بردَت طباعهم وقست قلوبهم، اعتادوا الإلحاح واللجاجة، ونزل اللؤم من أخلاقهم منزلةً ملحة، ولا يهمهم في كل

القضايا والدعاوي إلا أن يتعلقوا بنقطة من نقاط القانون مطاطة غامضة، يدورون حولها دوراناً طويلاً. يحللون كل شيء من حق وباطل، ليسوّغوا وجهة نظرهم في الدفاع عن موكلهم، لا ليخدموا المصلحة العامة التي تهم المجتمع. لا يترددون أبداً في اقتحام أي موقف منحرف من أجل غايتهم هذه، ويطلبون إخلاء سبيل المتهم والبراءة له، متهالكين متماحكين، حول كل جزء قليل من نص، عابثين بهيبة العدالة. وهذا ما يدعونا إلى أن نجعل مهنتهم في نطاق ضيق، ضابطاً لها، يحفظ كرامتها، ويدخلها في حيّز السلطة الإجرائية التنفيذية، حرصاً على المصلحة العامة. فالمحامون (على سوىّ القضاة)، سيمنعون من حق التعاطي مع فريقَيّ الدعوى، وعليهم أن يقوموا بالعمل الذي تعيّنه لهم المحكمة، فيدرسون ذلك ويضعون عليه التقارير مسنودة بالوثائق المثبتة، ثم يدافعون عن موكلهم بعد أن يكون قد استجوبته المحكمة في الوقائع المادية في الدعوى، وتقدر المكافأة للمحامي على «أتعابه» دون نظر إلى قيمة الدفاع الذي أدلى به، وهذه الطريقة تجعله مجرد واضع بيانات موضحة، تتعلق بالأعمال القضائية والمحاكم، لمصلحة العدالة، فيكون في هذه الكفة من الميزان كمساعد للنائب العام في الكفة الأخرى، وهذا كله من شأنه أيضاً أن تختصر به المعاملات لدى المحكمة، وتقام قواعد شريفة لمهنة الدفاع على غير جَنَف ولا محاباة، والهادي في هذا ليس ما في نفس المحامي من مطمح لجرّ المغنم إلى جيبه، بل وحي الضمير النقي. وهذه الطريقة ستقضي على ما نرى اليوم من فساد مداره المساومة بين المحامين متواطئين تواطئاً مؤدّاه الذهاب مع الفريق الذي ينالون منه مغنماً أوفر لجيوبهم.

وقد سبق لنا فيما مضى من الوقت أن بذلنا جهداً لإسقاط هيبة رجال

الدين عند الغوييم، وقصَدْنا بذلك أن نفسد عليهم رسالتهم في الأرض، وهي الرسالة التي يُحْتَمَل أنها لا تزال بنفوذها عقبةً كؤوداً في طريقنا. ولا نرى هذا النفوذ في الوقت الحاضر إلا في تناقض يوماً بعد يوم. أما حرية الضمير فقد انتشرت وعمّت في كل مكان، وبتنا الآن لا يفصلنا عن رؤية الدين المسيحي قد انهار انهياراً تامّاً، سوى بضع سنين.

أما ما يتعلق بالأديان الأخرى، فالصعوبة التي سنلاقيها في تعاملنا معها، تكون أقل، ولكن من السابق لأوانه أن نتكلم عن هذا الآن. وسنضيق الحلقة على الكهنوتية ورجال الكهنوت، لنجعل نفوذهم ينكمش ويرجع القهقرى بالقياس إلى ما كان لهم من فلاح في الماضي.

ومتى حان الوقت لهدم البلاط البابوي، ستظهر إصبع يدٍ خفية تشير إلى الأمام نحو ذلك البلاط. فإذا ما انقضَّت الأمم عليه، سنخفُّ ونسارع إليه تحت ستار الدفاع عنه، رغبة في حجب الدماء. وبهذه اللعبة، سنوغل أيدينا في أحشائه ولن نخرجها بعد، حتى تتبدد قواه ولا حراك به.

ثم يكون ملك اليهود هو البابا الحقيقي للمسكونة كلها، وبطريرك كنيسة دولية عالمية.

وفي خلال هذا الوقت، ونحن نعلّم الشباب وننهج بهم على تقاليد دينية جديدة، تمهيداً للوصول بعد ذلك إلى ديننا، لن نحرك ساكناً تحريكاً مكشوفاً، معكراً على الكنائس الحالية، بل نكتفي من قتالنا لها بشنّ حملات الانتقاد الهدَّام، مما يؤدي إلى الانشقاق والفرقة.

وعلى الجملة، وما يصحُّ قوله الآن، ينبغي أن تستمر صحافتنا المعاصرة في شن حملات النقد اللاذع على الدول في أعمالها، وعلى الأديان، وعلى

ما يتردّى فيه الغوييم من عجز وضعف، وينبغي أن تكون لهجة الحملات بالغة حد العنف، خارجة عن آداب الخطاب، حتى تتواطأ الوسائل كلها في إضعاف الهيبة وتهميشها، وهذا الأسلوب لا يتقنه إلا النابغون من رجال قبيلنا المخصوص بالمواهب.

وستكون مملكتنا دفاعاً عن ألوهية «فيشنو» الذي فيه قد تجسمت صورة الألوهية - وسنقبض بالمئة يد ويد أيدينا على كل زمام من أزمة جهاز الحياة الاجتماعية، وسننفذ بأبصارنا إلى أن نرى كل الخفايا، بلا استعانة بالبوليس الرسمي، إذ لا حاجة بنا إليه، لأنه مع ما له من حق التدخل، وهذا ما أحكمنا نحن تهيئته له، وتجهيزه به من أجل العمل بين الغوييم، بات عمله لا يناسبنا لصيرورته عائقاً في طريق الحكومات. وتقضي برامجنا، بأن يعمل ثلث الشعب في التجسس على الثلثين الآخرين، ويكون التجسس منبعثاً عن الشعور بالواجب وعلى قاعدة التطوع بالخدمة في سبيل الدولة، ووقتئذٍ لا يكون من العار أن تكون جاسوساً ومخبراً، بل يكون ذلك مزية وفضلاً، فإذا انطلقت ألسنةٌ بالتعبير والقذف، نالت جزاءها، وحُفِظَتْ للتجسس كرامته.

وسننتقي جواسيسنا من مختلف الطبقات، العليا والسفلى، ومن رجال الإدارة العاكفين على اللهو والأطايب، ومن محرري الصحف والكتّاب، والناشرين، وباعة الكتب، وموظفي الدوائر والدواوين، ومن الذين كثر اختلاطهم بالجمهور عي طريق الأخذ والعطاء، والبيع والشراء، ومن العمّال والسوّاقين والخدّام والأتباع، وقس على هذا. وهؤلاء الأشخاص، وليس لهم حق اتخاذ أي إجراء يتعلق بموضوعات تقاريرهم، ولا صلاحية لهم في هذا على الإطلاق، كأنهم بوليس بلا سلطة، فإن المطلوب منهم هو أن يشاهدوا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم، وينظموا التقارير بما شاهدوا وسمعوا. أما التأكد من صحة ذلك،

وإلقاء القبض، فكل هذا معهود فيه إلى نفر مسئول حاذق من ضباط البوليس. وأما تنفيذ أوامر إلقاء القبض فيقوم به رجال الدرك والشرطة البلدية.

وكل شخص رأى أو سمع مساساً بقضايا الحكومة ولا يبلغ الحكومة ذلك، يتهم بإخفاء المعلومات التي يجب عليه نقلها إلى الحكومة ويحكم عليه بالجزاء إذا ثبتت التهمة.

وكما تجري الأمور من هذه الناحية الإخبارية في بيئتنا اليوم، كذلك تجري في المستقبل وتبقى على صفتها هذه. فإخواننا اليوم مكلفون تحت طائلة أخذهم بالمسئولية والحساب العسير في حالة الإهمال والتقصير، بأن يبلغوا هيئة القبالا عما يقع لهم أن يطلعوا عليه من حوادث الارتداد عن الدين اليهودي من أبناء أقربائهم، أو ما يرونه من شغب على هيئة القبالا أو قذفها بتهمة! كذلك سيكون الأمر في مملكتنا علناً في أرجاء العالم كله، ويمسي من الواجب على رعايانا، بلا استثناء، ملاحظة هذه الخدمة للدولة.

وإن إرادة من هذا النوع والصفة، بوسعها أن تكافح أعمال العبث بالسلطة، ومخالفة القانون، والرشوة، وكل شيء أدخلناه بموجب نصائح حكمائنا على عادات الغوييم من مفاسد، عن طريق نظريات حقوق الإنسان العليا. وعلينا الآن أن نسأل: بأي وسيلة استطعنا أن نُكَثّر من خلق الأسباب المؤدية إلى الاختلال والانتقاض في حكومات الغوييم؟ من تلك الوسائل واحدة كانت الفعالة، وهي اتخاذ العملاء والجواسيس، فنأتي بهم بدعوى أن مهمتهم العمل على إعادة النِّظّام، والحق إلى نصابه، وبفضل ما اخترنا لهم من مناصب مناسبة، يغتنمون الفرصة في بث أسباب الانتقاض وقدح الزناد، ويمارسون في هذا أسوأ ما ركّز فيهم من خلق مخرب، وعناد، وغرور، واستعمال السلطة بغير مسئولية، وأشنع من هذا كله — استقتالهم في حب المال.

البروتوكول الثامن عَشر

تدابير الدفاع السرية – مراقبة المؤامرات من الداخل – تدابير الدفاع العلنية المؤدية إلى الاستيلاء على السلطة – الحرس السري المحيط بملك اليهود – زوال الصبغة الدينية عن السلطة – إلقاء القبض والاعتقال على أقلّ شبهة

عندما نرى ضرورياً لمصلحتنا أن نقوّي دفاعنا السري بالتدابير الصارمة (هذا أفتك سمّ بهيبة السلطة) فإننا سنصطنع ما يوهم بوقوع الاختلال، أو ما يكون منه مظاهر النقمة العامة والتململ، وذلك بالاستعانة بنفر من الخطباء اللسنين، فيلتفُّ من حولهم كل من يخلبه القول فينساق إلى غايتهم. فنستمد من حالة الهياج العام العلة والسبب، فتُدَاهم المنازل والمساكن وتقتحم بالتفتيش والمصادرة، وأخْذ الناس بالاستجواب ووضعهم تحت المراقبة وتقييد حرياتهم، فتنتشر المخاوف وَيعُمّ القلق، وإنما يقوم بهذا عملاؤنا الذين هم طوع أمرنا، يعملون في شرطة حكومات الغوييم.

ولما كان معظم من يقوم بحبك المؤامرات هم الذين لهم استعداد بالفطرة لهذا العمل، وفي نفوسهم هوى لإتقانه، ويتولعون به، لمجرد أن يمارسوه ويخوضوا فيه، فيكون لهم شأن، فنحن ندعهم وما هم بسبيله، لا نتعرض لهم بشيء، كأن لا صلة بيننا وبينهم، إلا أن ندسّ فيهم من العيون الخفية من قِبَلِنا، إلى أن تقع على أيديهم حوادث مكشوفة، وعلينا أن نتذكر أن هيبة السلطة لا بد لها أن تتناقص وتهزل، إذا كثر اكتشاف المؤامرات عليها: فيأخذ الناس من هذا أن قد عراها الوهن، ويرون مصداق هذا في مواقفها وضعف الوسيلة فيما تصنع، بل يعتقدون ما هو أسوأ: وهو أنها أوغلت في إيقاع الناس في المظالم، وهذا أفعل الأسباب في خرابها. وتعلمون أننا

قد همَّشنا هيبة الملوك، ملوك الغوييم، بما أوقعناه من محاولات اغتيالهم مرات متعددة، على يد عملائنا، وهم كالأغنام في سهولة الانقياد، يتحركون بكل طواعية واستجابة، وشرطهم الوحيد أن يُومأ إليهم بالثناء عليهم، ويشاد بذكرهم على مسمع من الجمهور أنهم أصحاب بطولة سياسية. بهذا نكون قد أكرهنا الحكام على الاعتراف بضعفهم لمَّا امتدحناهم على ما اتخذوه علناً من تدابير الدفاع وهو من أسرار الدولة وهنا المفتاح لانهيار السلطة.

أما حكامنا فتتولى حراستهم فئةٌ ضئيلة جدّاً من رجال الحرس، إذ لا نقرّ بحال، ونرفض حتى نظريّاً، أن من الممكن أن يقع على أحد منهم مؤامرة خبيثة لا يستطيع هو كشفها والتغلب عليها وتداركها.

ولا نسلّم بفكرة احتمال أن يُغْلَب الحاكم على أمره في مثل هذه الحال، إذ لو سلّمنا بها، كما من عادة الغوييم أن يسلموا به، لكان معناه بحدّ ذاته، وفي نظرنا، الحكم بالإعدام إن لم يتناول حاكمنًا عاجلاً تناول عائلته في يوم قريب، ولا مناص.

وتقضي الأوضاع المصطنعة من المظاهر والصور الخارجية، بألاّ يستعمل حاكمنا شيئاً من سلطته، إلا في سبيل نفع الأمة وخيرها. ولا يجوز له بحال، أن يجرَّ مغنماً ما لنفسه أو لأسرته. ومستواه السليم هذا، يعلي من مقامه ومكانته في عيون الناس، وقد بلغ درجة التقديس، فيتضح لهم أن رفاهيتهم الجماعية ورفاهية كل فرد في الدولة، كل ذلك موقوف على دقة هذا النِّظَّام المتناهي وإحكام تنفيذه.

وهذا النوع من التدابير العلنية للدفاع، مؤذن بالضعف الذي أخذ يسري في داخل جهازه.

وعندما يخرج حاكمنا إلى الناس، يكون دائماً محوطاً بجم غفير من مختلط رجالٍ ونساء، كأنهم في ظاهر حالهم وما يبدو عليهم، من عامة الشعب وسواده ودهمائه، تسارعوا بالمجيء ليروا الحاكم عن كثب (ولكنهم في الحقيقة هم حرس) فيأخذون صفوفهم حلقاتٍ حلقات مترابطة تحيط بهم، ثم بعدها إلى الوراء حلقات أخرى على غرار الأولى، وكل هذا يوهم أنه عمل يأتيه الجمهور من تلقاء نفسه. ثم يكون الناس بعامتهم وجملتهم وراء هذه الحلقات، فإذا تدافعت الجماهير ردتها الحلقات إلى مكانها، رعايةً للهيبة والنِّظَّام. وإذا برز واحد من الجمهور يحاول شق طريقه من خلال الصفوف يريد الوصول إلى الحاكم وبيده رقعة، فيتناول هذه الرقعة منه مَنْ هم في صف الحلقة القريبة من الحاكم، وتُقَدَّم الرقعة إليه، على مرأى منه وملأ من الناس كافة، فيتأكدوا أن رقاعهم تصل إلى مرجعها الأعلى، ويتولى الملك النظر فيها بنفسه، ولا يَكِلُ هذا إلى غيره، وهو حريص على هذا كل الحرص. ثم إن من مقتضى شعار القوة، ولكي تكون صورتها في أذهان الناس جليةً بارزةً دائماً، أن يتمكن الناس من قضاء لبانات مثل هذه عندما يقولون: «يا ليت الملك علم بهذا الأمر، أو يا ليته يسمع به!!».

ثم أنه عند إقامة نظام الدفاع السري على صورته الرسمية، الظاهرة، تزول الهيبة الغامضة للسلطة، وعندما تجيش الصدور بالحماسة، وكل واحد يعد نفسه بطل الموقف، يكون القابض على زمام الشبكة للفتنة عالماً بما هو عليه من أهبة وسبب كاف، فإذا ما حانت الساعة انقضَّ على فريسته واستولى على ما يريد...هذا، وأما الغوييم، فكنا نأخذهم من قبل بدعوة أخرى، ولكننا بتلك الدعوة نفسها قد تمكنّا من أن نرى ما كان لاتخاذ تدابير الدفاع العلنية من نهاية وصلوا إليها الآن.

وأما الجناة والمجرمون في عهدنا، فلا هوادة في أمرهم، فإنهم يُعتقلون ساعة تقوم عليهم الشبهة المؤكدة، ولا يجوز بحال عند مخافة الوقوع في تفسير قانوني غامض، أن يستفيد المتهم بجرم سياسي أو جريرة صغيرة، من ذلك، فائدة إخلاء سبيل. فهنا لا هوادة ولا رحمة. ولكن مع هذا فإذا اقتضى الحال مرةً ما بسبب تأويل نقطةٍ ما تأويلاً مطَّاطاً، أن يسمح بإعادة النظر في دوافع الجرم، وهذا أقصى ما يكون، فلا يمكن أبداً أن يقع مثل هذا في قضايا الأشخاص الذين تورطوا في مسائل لا أحد يكتنه أسرارها إلا الحكومة. وليست كل حكومة تتقن فهم أسرار السياسة الصحيحة.

البروتوكول التَّاسِع عشر

حق الشعب في رفع العرائض والمقترحات – الشغب السياسي – التجريم في المسائل السياسية – الإعلان عن الجرائم السياسية.

إنَّا وإن كنا لا نسمح بأيّ عبثٍ بالأمور السياسية يقوم به من يركب رأسه، غير أننا من الجهة الأخرى نشجع كل صنفٍ من المذكرات والرقاع والمقترحات ترفع إلى الحكومة، فتدرسها جمعاء وما تتضمنه من مختلف المشروعات الرامية إلى تحسين حالة الشعب. وبهذا لنا فائدة: فينكشف لنا ما يدور في ذهن الشعب من أفكار، ويظهر لنا ما عنده من نقائص ونزوات. وعلى كلٍّ، فإننا نتجاوب مع المطالب المقترَحة، إمّا بتنفيذ ما هو صالح وفي محله، وإما بردّ المسألة، ردّاً بارعاً، يبدو معه خطل صاحب الاقتراح وقصر نظره في وزن الأمور.

أمّا تعاطي الشغب، فما هو إلا كنباح الكلب الصغير في وجه الفيل. فالحكومة الوطيدة النِّظَّام، لا يكون هذا النباح عليها، مع سهر الشرطة، وهو آتٍ من جهة الرأي العام، إلا دليلاً على أن النابح أعجز من أن يدري

نصيبه من المُكنة والقوة، أو ما هو الفيل المنبوح عليه. وبإشارتنا إلى مَثَل واحد من الأمثلة الصحيحة، يظهر لكم وزن كل فريق منهما، فتدركوا كيف تكفُّ الكلاب عن نباحها لتنقلب إلى التبصبص بأذيالها، حول الفيل ساعة تقع عليها عينه.

ولكي تتم لنا ملاشاة الشهوة إلى البطولة من وراء الجناية السياسية، سنحيل الشخص إلى المحاكمة، مُتّهماً على مستوى اللصوص والمجرمين والقتلة ومرتكبي أقذر الجنايات وأبشعها، فيبهم الأمر على الرأي العام، وتلتبس عليه حقيقة الرجل الذي كان بالأمس مسموعاً عنه طِيبُ الأحدوثة وحُسن السيرة. فإذا به اليوم يرونه متهماً فيزدرونه ويتخلون عنه.

وإننا إلى الآن قد بذلنا غاية جهدنا، واعتقدنا أننا أفلحنا، حتى رأينا الغوييم لا مكنة لهم لتعاطي الشغب. وإنما من أجل هذه الغاية، رحنا نشيد بمزية الاستشهاد، في الصحف، ومن على المنابر العامة، بأساليب ضمنية، لا مباشرةً ولا مكشوفة، ولا سيما في الكتب المدرسية، ككتب التاريخ الموضوعة وضعاً دقيقاً، وكل ذلك مما يرفع في الظاهر من شأن الاستشهاد المزعوم أنه في سبيل مصلحة الشعب. فنتج عن عملنا هذا بهذه الوسائل، أن ازداد عدد أحرار الغوييم فانضووا إلينا، وهم آلاف، وانضموا إلى صفوف الحيوانات من ماشيتنا.

البروتوكول العِشرون

البرنامج المالي — الضريبة التصاعدية — الخزانة العامة وسندات الدين بفائدة — طريقة المحاسبات — إلغاء مراسيم الاحتفالات و(التشريفات) — ركود رأس المال — إصدار أوراق النقد — قاعدة الذهب - مستوى الأجور لليد العاملة — قروض الدولة — إصدار سندات بفائدة نسبة مئوية — أسهم الشركات الصناعية — حكّام الغوييم؛ البطانة والمحسوبية والعملاء الماسون

نتناول في نوبة اليوم البرنامج المالي الذي أرجأت بحثه إلى القسم الأخير من هذا التقرير، لأنه أعسر الأمور علاجاً، وهو الغاية والنهاية، وهو القول الفصل، الشامل تأثيره جميع ما لدينا من مخططات. وأول ما أذكّركم به أنه سبق لي في موضع تقدم أن أشرت إشارةً عابرة إلى أن حاصل أعمالنا كلها تقرّره الأرقام.

متى ما أقمنا مملكتنا، ستجتنب حكومتنا الأوتوقراطية، تمشياً مع مبدأ المحافظة على النفس، إبهاظ جماهير الشعب بالضرائب إبهاظاً غبيّاً. وستبتعد من هذا إذ لا يغيب عنها أنها هي للشعب بمقام الأب والوصي. لكن لما كان نظام الإدارة في الدولة يقتضي وافر التكاليف، فمن الضرورة، والحالة هذه، أن تحصل الدولة على المال اللازم لها. فتطلب هذا بأفضل الطرق وأيسرها، واضعة نصب عينيها صحة التوازن في هذه المسألة.

وفي حكمنا المقبل، يكون الملك متمتعاً بالصفة المعنوية الشرعية التي بموجبها يعتبر هو مالك كل شيء في الدولة من كليٍّ وجزئي (ويجوز أن يتحول هذا من الحيّز النظري المعنوي إلى الحيز الفعلي الحقيقي) وله أن يضع يده على جميع مقادير الأموال والأملاك من جميع الأبواب كلها، حتى يستطيع تنظيم دورة المال في الدولة ويُبْنى على هذا أن نظام الضرائب العامة يمكن أن يعتاض عنه بنظام الضريبة التصاعدية على العروض والأملاك، وبموجب هذا تُدفع الضريبة التصاعدية دون أن تسبب لدافعها إرهاقاً، أو إغراقاً، إذ هي على نسبة مئوية من قيمة العروض والأموال. وعلى الأغنياء أن يعلموا أن واجبهم أن يضعوا جزءاً من فضلة أموالهم تحت تصرف الدولة وحق الكسب الشريف، وأقول الشريف لأن نظام مراقبة الأموال سيقضي على التهريب المقنع عن طريق القانون قضاءً تامّاً.

والإصلاح الاجتماعي يجب أن يبتدئ من فوق، وأعلى السلم، والوقت اليوم مؤاتٍ ناضجةٌ وسائلة – وهذا الإصلاح عربون عهد الأمان.

والضريبة على الفقير هي بذرة الثورة وسوس الخراب في جسم الدولة التي تلهث وراء القليل من الفقير فلا يغنيها، وتدع الكثير في يد الموسر وهو في متناولها. وفضلاً عن ذلك، فإن الضريبة على أصحاب رؤوس المال من شأنها أن تخفض من احتشاد الثروة في أيدٍ قليلة محدودة، وهذا هو ما عنيناه وجرينا عليه في حكومات الغوييم لنجعله في كفة الأغنياء قوةً تناهض القوة التي في الكفة الأخرى – مالية الدولة.

والضريبة المتزايدة على نسبة مئوية من رأس المال، تأتي بدخل أكثر بكثير مما تأتي به الضريبة الحالية على المكلف والسلع والعروض، وهذه الأخيرة إنما فائدتها مطلوبةٌ في أمم الغوييم، لأنها معوانٌ لنا في خلق القلق وتسبيب الانتقاض.

والقوة التي يستند إليها ملكنا في حكمه المقبل، قائمة على شيئين: التوازن المالي، والأمن المستقرّ. ولكيّ تستقيم الأمور على هذا الوجه، لا بد أن يتخلى أصحاب رؤوس المال عن جزءٍ من دخلهم من أجل أن يضمن حسن سير جهاز الدولة كما ينبغي. وحاجات الدولة يجب أن يقوم بتسديد تكاليفها أولئك الذين لا تنزل عليهم الضريبة التصاعدية منزلة العبء، ولديهم من فضلة المال ما يسوغ الأخذ منه.

واستيفاء الضرائب لحاجات الدولة على هذه الطريقة، ينتزع من قلب الفقير علّة على الموسر، إذ يراه أصبح عوناً ماليّاً للدولة، وعاملاً من عوامل الهدوء والرفاهية، يؤدي هذا كله بطيبة خاطر.

وأما الطبقات المتعلمة، فلكي لا تستثقل أمر التكاليف المترتبة عليها،

بموجب النِّظَّام التصاعدي، ولكي تستبين الحقائق على علاّتها، فيُشْرح لها هذا كله بموارده ومصادره، وأصله وفصله، وأرقامه، لكي يكون على بيّنة منه، ولا يستثنى إلا مخصصات العرش وأجهزة الإدارة.

ومن يجلس على كرسي الحكم، لا ينبغي أن يكون كالأفراد مالكاً لشيء من المقتنيات لنفسه خاصةً، بعد أن يغدو رئيس الدولة، لأن كل شيء في الدولة يمسي وقفاً وهو القيّم عليه، فإذا خرج عن هذه الصفة، تنافت شخصيته الحاكمية مع شخصية الفرد الحائز للمال الخاص. والإحراز الفردي للحاكم معناه أن يهدم حقه في الحكم.

أما أقرباء الحاكم وذووه، ما عدا ورثته، الأقرباء الذين تعولهم الدولة، فيجب أن ينتظموا في سلك خدمة الدولة، أو أن يَخْرُجوا لطلب الرزق بالعمل المستقل، لكي يحصلوا على حق التملك الفردي كسائر الناس، فإن امتيازات الدم الملكي لا يجوز أن تكون سبباً في استنزاف الخزانة.

وصفقات البيع والشراء، وقبض المال نقداً، وانتقال الإرث، كل هذا يخضع لضريبة تصاعدية. وكذلك بيع العقار والمنقول، بصيغةِ نقدٍ، أو غيره، إذا كان خالياً من شهادة دفع الضريبة حيث ينبغي بيان الأسماء كاملة، يُعَرِّض المالك السابق لدفع فائدة على الضريبة من ساعة إتمام المعاملة، إلى يوم اكتشافها، إذ تعتبر مهرِّبة، لم تُعلَن حسب الأصول. وتُقَدَّم جداول الانتقالات إلى دوائر المالية المحلية أسبوعاً فأسبوعاً مع كشف بأسماء المالكين وعناوينهم، سابقاً وحاضراً. وهناك حدود معينة لابتداء الضريبة؛ وهذا أيضاً يُتَقَاضى عنه ضريبة مكس خفيفة على نسبة مئوية للوحدة.

ولكم أن تتصوروا أن مجموع هذه الضرائب لمرة واحدة كم يضاهي من مجموع الدخل لدول الغوييم من مرات.

وتحتفظ الخزانة بمبالغ كاملة من الاحتياطي المقطوع، وما يزيد عليه ينبغي وضعه في التداول، وينفق هذا الاحتياطي على الأشغال العامة. فيكون زمام العمل في الأشغال العامة بيد الحكومة، ومنها المورد والمستقى، فيغدو العمال مرتبطين بها، مخلصين لها ولمن بيدهم الحكم إذ في هذا مصلحتهم. ويُجَنَّب قسم من الاحتياطي المقطوع لتخصيصه مكافآتٍ على الاختراعات وتجويد الإنتاج وتحسينه.

ولا ينبغي أن يبقى شيءٌ مهما قلّ، من الاحتياطي ولا من المقادير المخصصة لأبواب الموازنة، في دوائر الخزانة، لأن المال إنما وجد لتتداوله الأيدي، وكل ركود يطرأ عليه يخرب سير أجهزة الدولة التي هو لها بمثابة الزيت للآلات، وإذا لحق الركود هذا الزيت، فتقف آلات الدولة ودواليبها عن الدوران.

وإن وضع سند الفائدة، موضع سندات الخزانة، ولو بمقدار قليل، يسبّب هذا الركود تماماً، وتكون نتيجته الرديئة واضحة.

ويُنْشَأ ديوان المحاسبة، وبموجبه يستطيع الحاكمَ أن يطّلع على واردات الدولة ونفقاتها في أية ساعة، ما عدا الحسابات الشهرية الجارية التي لم تُقْطع بعد، وحسابات الشهر السابق الذي لم تصل جداوله بعد إلى مراجعها.

والشخص الوحيد بمفرده الذي لا مصلحة له في نهب خزانة الدولة هو صاحبها أو حاكمها. وهذا هو السبب الذي يجعل مراقبته لها كافلةً لسلامتها فلا يُنفَق شيءٌ من أموالها جزافاً.

وناحية المراسم و(التشريفات) في البلاط، من مقابلات وحفلات وما إلى ذلك، مما يستغرق كثيراً من وقت الحاكم، كل هذا يلغى، ليتوفر له من الوقت ما يكفي لمراقبة سير الشؤون والأعمال، والنظر في القضايا والمهمات

والمصالح. وعلى هذا، لا تكون سلطة الحاكم نهباً مقسماً بين رجال المحاسبة والبطانة المقربين والمحيطين بالعرش للأبهة والفخفخة، وهؤلاء هم وراء منافعهم الخاصة ولا يهمهم من مصالح الدولة شيء.

والأزمات الاقتصادية التي خلقناها نحن الغوييم، ما خلقناها إلا بواسطة سحب المال من التداول. فإن مقادير عظيمة من رؤوس المال قد ركدت لدى سحب الأموال من الدولة. وهي الأموال التي كانت دائماً تستخدم لمنفعة المال المسحوب باتخاذها قروضاً: وهذه القروض أثقلت العبء المالي على الدولة من جهة الفائدة، فصارت مالية الدولة مستعبدة لتلك القروض أو رؤوس الأموال... ثم إن انحصار الصناعة بأيدي أصحاب رؤوس المال الكِبَار، بدلاً من أن تكون موزعةً بين عدد من المتوسطين، قد امتص عصير الشعب والحكومة معاً.

وإصدار النقد في الوقت الحاضر، يجري على نمط لا يتناسب على الجملة مع حاجات الناس على حساب حاجة كل فرد منهم، فيعجز عن سدّ حاجات جميع العمال. فمقدار الإصدار ينبغي أن يضاهي عدد السكان في نموّه، ويدخل في هذا الاعتبار إحصاء المواليد، إذ هؤلاء يُعَدُّون من المستهلكين من ساعة ميلادهم. فتنقيح نظام إصدار النقد مسألة تهم العالم كله.

وتعلمون أن العمل بقاعدة الذهب قد خرَّب الدول التي سارت عليه لأنها لم تكن قادرة على تلبية المطالب للنقد، فازدادت الحالة حرجاً، فاضطررنا إلى إخراج الذهب من التداول إلى الحد الممكن.

ويحلّ محل قاعدة الذهب عندنا، قيمة تكاليف اليد العاملة، سواء حُسِبَتْ بالورق أم بغيره. وسنجعل إصدار النقد على قدر الحاجات العادية في كل باب، مع إضافة المواليد بين وقت وآخر وطرح الوفيات.

وحسابات الدولة، كل دائرة تكون مسئولة عما تقوم به من أعمال، على

منهج استقلال الدوائر (كما هو الأمر في فرنسا – الدائرة الإدارية الفرنسية).

ولكي لا يقع تأخر في مدفوعات الدولة، اللازمة لسير أجهزتها، فكل هذا يُنَظَّم وتصدر به المراسيم بمبالغه وشروطه من قبل الحاكم. وهذه الطريقة تقضي على ما أعادته الوزارات من المحاباة بحماية مؤسسةٍ ما، تحت كنفها، ضد مؤسسة أخرى، وبهذه الطريقة نأمن الخلل.

وأما موازنة الدخل وموازنة الخرج، فتتمشيان معاً متوازيتين غير متباعدتين، حفظاً للانسجام بينهما.

وأما مشروعات الإصلاح والتحسين المخططة بموجب الأنظمة والقواعد عند الغوييم، فنفرغها في قوالب لا يخشى منها أحد. وسنبين وجه الضرورة في تلك المشروعات، وهي إنما جيء بها لتلافي الاختلال الذي انغمست فيه أمم الغوييم، لِمَا طرأ على ماليتها من فسادٍ وعوج. وأول عناصر الفساد، كما سنعلم، يبتدئ هكذا: توضع الموازنة السنوية كالعادة، ثم لا تلبث أن تعتلّ أوضاعها بالتنقيح المتزايد المتكرر سنة بعد أخرى، فتتضخَّم، وتتهالك على نفسها وذلك للسبب التالي: يأخذون بتجاذب أطرافها وجرّها إلى منتصف الطريق، ثم تختلّ دواليبها، فتضطرب وتتسكع في السير، فيطلبون موازنةً إضافيةً رتقاً للخلل، فإذا وضعوا هذا أنفقوه في ثلاثة أشهر، ثم عادوا يطلبون ملحقاً ماليّاً آخر للترقيع، وبالتالي ينتهي كل هذا إلى موازنة تصفية. فتأتي السنة الجديدة، ولا بد أن تبني على إرث السابقة ومنها موازنة التصفية، ناقلةً جملة أرقامها، وذلك كله خبطٌ وعوارٌ وفساد. فالانحراف الذي يقع في مدار السنة الجديدة يبلغ إلى الخمسين بالمئة؛ وعلى هذا ترى أن الموازنة قد بلغت ثلاثة أضعاف في عشر سنوات. والعلة في خراب خزانات دول الغوييم حتى أمست فارغة، تعود إلى تلك الأساليب والطرق، مما صنعناه نحن لها.

ثم يأتي دور القروض، فيمتص ويلتقم ما بقى، وما بعد ذلك إلا الإفلاس.

ولا يخفى عليكم أن الأنظمة الاقتصادية التي من هذا النوع، ونحن اقترحناها وقدّمناها إلى الغوييم – للتخريب – لا يمكننا أن نجري عليها ونطبقها عندنا.

فإن كل ضرب من القروض يدل على الاعتلال في الدولة، وعلى النقص في فهم حقوق الدولة. فالقروض تُعَلَّق فوق رؤوس الحكَّام كسيف ديموقليس. وبدلاً من أن يأخذوا المال من رعاياهم عن طريق فرض ضريبة مؤقتة، فإنهم يَمُدُّون أيديهم يستجدون مصارفنا. والقروض الأجنبية ما هي إلا عَلَقٌ لا ينفك يمتص حتى يشبع فيتساقط من نفسه، أو تنزعه الدولة نزعاً وترمي به. ولكن دول الغوييم أعجز من أن تنتزع العلق، فتلجأ إلى ما هو أيسر وأهون، فتداوي أمرها باستخدام المزيد من العلق أكثر فأكثر، حتى تجفّ عروقها بطبيعة الحال، وينتهي انسياب دمها كأنه من فصاد اختياري (كلاحس المبرد).

وما هو القرض الداخلي الحقيقي؟ القرض هو إصدار الحكومات سندات على الخزانة تحتوي على التزام نسبة استهلاكية لمجموع رأس مال القرض. فإذا كان القرض مرتباً له فائدة 5 بالمئة ففي عشرين سنة تظل الدولة تدفع من هذه الفائدة ما حكمه حكم العبث، حتى يوازي مجموعُ ما يدفع أصلَ القرض، وفي أربعين سنة تكون الدولة قد دفعت هذا مضاعفاً، وفي ستين سنة، يضاعف ثلاثاً، ومع هذا يبقى أصل القرض على حاله، ديناً على الخزانة.

يتضح من هذا، أن فرض الدولة ضريبةً على رعاياها تصيب كل فرد، مهما يكن أسلوب الضريبة، معناه امتصاص آخر درهم من جيوب دافعي الضرائب الفقراء لتسديد ديون الأثرياء الأجانب الذين منهم أتت القروض،

بينما بوسع الدولة أن تجمع من المكلفين من رعاياها ما يلزم لحاجاتها دون أن يكون له فائدة إضافية.

وما دامت القروض قروضاً داخلية تتعاطاها أمم الغوييم، فغاية ما يحصل من المال أنه ينتقل من جيوب الفقراء إلى الأغنياء. ولكن عندما يُشتَرَى الرجلُ الذي يُعْهد إليه في تدبير القروض من الخارج، تسيل أموال الأمم إلى صناديقنا وخزائننا، وتسرع أمم الغوييم فتؤدي إلينا ضريبة الرعية.

وإذا اعتبرنا نوع الحياة التي يحياها ملوك الغوييم وهم على عروشهم، حياة الفجور والعبث، وما هناك من إهمال لشؤون الدولة، واستقتال الوزراء في جمع المال لجيوبهم، وجهلهم المسائل المالية، وحذو باقي الحكام هذا الحذو بحيث أدَّى الأمر كله إلى جعل بلدان الغوييم مدينةً لخزائننا بمقادير من الديون هي أعجز من أن تقوى على تسديدها، ألا فلنَعْلم أن هذا لم يتمّ دون أن تكبدنا في سبيله تكاليف ثقيلة من اضطراب ومال.

وركود المال لن يكون له محل في عهدنا، ولذلك لن يكون أيضاً شيءٌ من سندات بالفائدة على الدولة، ما عدا الإصدار الذي بفائدة واحد بالمئة، ولن يكون هناك دفع فوائد للعلق الناهش لعصب الحياة في دولتنا. وحق إصدار سندات بالفائدة سيحصر بالشركات الصناعية التي لا تجد صعوبة في دفع الفائدة على السندات من أرباحها، بينما الدولة في هذا الأمر لا تعطي فائدة على القروض التي هي كقروض الشركات، لأن الدولة تقترض لتنفق لا لكي تستثمر المال في المشروعات المربحة.

وسندات الشركات بوسع الحكومة أن تشتريها كما يشتريها جميع الناس، بعد أن كانت الحكومة مقترضةً تدفع جزية القرض، صارت مقرضةً (للشركات) بفائدة تجنيها. وهذا التدبير يمنع الركود والأرباح الطفيلية

والاسترخاء، مما كان كله مفيداً لنا لما كانت دول الغوييم مستقلةً ولنا مأرب من سوقها ذاك المساق، أما في حكمنا فهذا بعيد.

وما أوضح ما نرى من تخلف عقل الغوييم وغباوته الكثيفة وتخبّطه، فإنهم يقترضون منا بالفائدة دون أن يفكروا في أن كل هذا المال مع فائدته كان يجب أن يأخذوه من جيوب دولهم ليسددوا لنا الدين. وأي شيء أسهل من أن يأخذوا المال من جيوب شعوبهم.

ولكن هذا كله برهان على إشراق نبوغنا العقلي وإشعاعه، ونحن الشعب المختار. فإننا قد اخترعنا لهم هذه الحيلة بشكل تقديم القروض، مزينة منمقة، فصدقوها واعتقدوا أن فيها الخير لهم.

أما طريقتنا في حساباتنا فستكون واضحةً جليةً في بيان المصادر والموارد، والدخل والخرج، لا أثر للإبهام في ذلك، مُنَقاةً على ضوء خبرتنا المستفادة من القرون الماضية في دول الغوييم، وستتميز بالدقة والبت والقطع. وبإلقاء نظرةٍ عليها، يستطيع كل واحد أن يرى جوهر محتواها وهذا ثمرة ما ابتكرناه. وبذلك تنتهي مخازي الغوييم التي استعنا بعل في التسلط عليهم، وهذا كله منبوذ عندنا.

وسنضرب بسياج من الرقابة حول نظام الحسابات عندنا بحيث لا يكون من المستطاع بحال للحاكم أو لأيّ موظفٍ في الدولة، مهما علا مقامه، أن يحوّل درهماً واحداً عن بابه، دون أن يكشف أمره، أو أن يجري نقل مرصد مالي من باب إلى آخر، إلا ضمن ما نصَّت عليه التعليمات ورُبِطَ بضابطه.

وبغير هذه الطريقة الجازمة لا سبيل للحكم والسير في طريق تحتها ألغام، وبغير موارد على الصفة التي ذكرنا، مصيرنا إلى البوار، حتى ولو كان

القائمون بالحكم أبطالاً أو شبه آلهة، وكل ما صنعناه لحكام الغوييم الذين طالما أمددناهم بالنصائح (المضلة) فصرفناهم عن العناية بشؤون الدولة وحراسة مهماتها ومصالحها، وألهيناهم بمراسم الظهور بأبهة المحافل والمهرجانات والانتفاخ بآداب السلوك الاجتماعي، والمآدب والولائم، كل هذا ما كان إلا حجاباً لستر خططنا المؤدية إلى قيام حكمنا. وقد حشونا كل بلاط بالمحبوبين لديهم من عملائنا (وعميلاتنا) فوضعناهم في مناصب كلها مفاتيح، فعملوا، وأحسنوا القيام بما عملوا، وكانوا يستغلون قصر النظر، فيمنّونهم بمواعيد عرقوبية أن الفرج وتحسن الحالة الاقتصادية، كل ذلك قادم في الطريق. ومما يأتي الفرج؟ أتأتي بركات اقتصادية من ضرائب جديدة؟ كان ذلك ممكناً بنفسه ولكنهم لم يفهموه ليطلبوه. وكيف يفهمونه ويطلبونه وقد قرءوا ما كتبنا لهم ووضعنا أمامهم فاتبعوه؟

وواضحٌ ما كان لهم من نهاية، هي نتيجة الدرب الذي سلكوه، وما ارتطموا فيه من بلاء العسر المالي، وخمول الصناعات في بلادهم.

البروتوكول الواحد والعشرون

القروض الداخلية — الديون الضرائب — تحويل الديون إلى أن تصبح ما يقال له الديون الموحدة — الإفلاس — بنوك التوفير والدخل — إلغاء الأسواق المالية — تنظيم القيم الصناعية

إتماماً للموضوع الذي شرحته في الاجتماع الأخير، وهو القروض الأجنبية، أقدّم الآن إيضاحاً وافياً حول القروض الداخلية. ولا حاجة بي أن أزيد الكلام على القروض الخارجية، فهي التي ساقت إلينا ثروات الغوييم. وأما في دولتنا فلا وجود للأجانب، أي لا شيء خارجي.

إننا قد اغتنمنا فرصة ما عليه رجال الإدارة الكبار من التكالب على جمع المال، وما أصيب به الحكّام من آفة الخمول، فاستعدنا أموالنا منهم ضعفين وثلاثة أضعاف، بل أكثر من هذا، فكنا نقرض حكومات الغوييم من المال ما يفوق حاجتها. أفيستطيع أحد أن يدور بنا مثل هذا المدار؟ لذلك أقصر كلامي على تفصيل القروض الداخلية. والقصة هكذا:

تعلن الحكومة أنها ترغب في عقد قرض مالي صفته كذا وكذا. وتطرح سنداتها للاكتتاب، وهي من نوع سندات دين بفائدة، ولكي تبقى الحكومة، وفي متناولها الأمر كله من جهة متراوح الأسعار، فإنها تجعل سعر السند بين مئة وألف، ويُحسم شيءٌ من هذا للسابقين في الشراء. وفي اليوم التالي، فإذا بالأسعار في صعودٍ نتيجة التحايل والتلاعب، والسبب المنتحل أن الإقبال على الشراء كان غزيراً جدّاً، وفي بضعة أيام تمتلئ صناديق الخزانة ويفيض المال عندها، حسب زعمهم، إذ تدفق عليها وزاد في فيضه على ما تحتاج إليه بكثير (إذا كان هذا صحيحاً فلماذا تقبل الخزانة هذا الفائض الزائد؟) ثم يذاع ويشاع أن الاكتتابات فاقت مطلوب القرض أضعافاً، وهنا يكمن سر الرواية — فتسمع الناس يقولون: انظروا! ما أشد الثقة بسندات الحكومة!

وعلى إثر تمثيل هذه المسرحية المضحكة، يُطِلُّ رأس الحقيقة سافراً، وهو أن الحكومة واقعة في دين، لكنه دين يقصم الظهر. فتتخبط في أمرها. ثم يعسر عليها دفع الفائدة، فتلجأ إلى قروض جديدة، وهذه لا يستفاد منها في وفاء الدين بل تضيف إليه عبئاً جديداً. ومتى ما نفد مال القروض الجديدة، صار من الضروري فرض ضرائب جديدة لا لوفاء أصل القروض الأولى، بل لدفع فائدتها. فتغدو هذه الضرائب ديناً لتغطية دين.

ثم يأتي دور تحويل سندات الديون. فيخفضون من الفائدة، ويبقون

الدين على حاله، غير أن هذا العمل لا يستطيعونه إلا بموافقة المقرضين حملة السهام، فتعضل المسألة. وعند إعلان التحويل، يُسمع اقتراح من زاويةٍ ما، أن الذين لا يوافقون على تحويل سنداتهم تعاد إليهم قيمتها. فإذا طلب حملة السهام جميعاً استعادة أموالهم، وقعت الحكومة في الورطة، وعَلِقَتْ بها الكلاليب، وتكون كمن طلب الزيادة فوقع في النقص، وتعجز عن الدفع. ومن حسن الحظ أن الغوييم، ولا فهم لهم في الأمور المالية، يؤثرون دائماً أن يخسروا من قيمة السندات ويقبلوا فائدة مخفضة، على أن يجرءوا فيحاولوا استثمار أموالهم في مشروع آخر. وفي خلال هذا كله، تتولد الفرصة للحكومة فتنفض عن كاهلها ديناً عليها قد يبلغ عدة ملايين.

وفي الوقت الحاضر، لا يبقى بوسع الغوييم أن يلعبوا هذا اللعبة في القروض الخارجية، إذ هم يعلمون أننا إزاء هذه نطلب أن تعاد إلينا أموالنا كلها كاملة.

وبهذه الطريقة التي شرحتها لكم، يكفي أن تؤخذ العبرة من حادث إفلاس واحد لا ريب فيه، ليعلم ما هناك من مسافة بعيدة بين مصالح الشعب ومصالح الحكام.

وأرجو منكم أن تحصروا انتباهكم الخاص بما تقدم من الكلام، وبما أعقب عليه الآن توّاً: إن جميع القروض الداخلية أصبحت في وقتنا هذا ديوناً موحَّدةً، أي ما يسمى بالديون السائرة، وخاصية شروطها تسديدها في آجال قصيرة. وهذه الديون هي أموال مدفوعة إلى بنوك التوفير وإلى الحساب الاحتياطي، فإذا بقيت تحت تصرف الحكومة مدةً طويلة، تتبخّر إذ تستعمل في دفع فوائد القروض الأجنبية، ويعتاض عنها بمبالغ تعادلها تؤخذ من أموال الدخل والإيراد، وهذه الأموال هي آخر ما في جعبة الخزانة

من أدوات الترقيع ورتق الفتوق.

ومتى ما اعتلينا عرش العالم، فجميع هذه الألاعيب المالية وأمثالها المنافية لمصالحنا، يُقْضَى عليها بالمرة، ويُعَفَى أثرها، وكذلك نمحو الأسواق المالية من الوجود، لأن وجودها ضار بمكانتنا وهيبة سلطاننا المالي، لِمَا تسببه من التقلب في الأسعار، فيؤثِّر ذلك في قِيَم أموالنا تأثيراً سيئاً. ووجه عملنا، احتفاظاً بمستوى قِيَم أموالنا وأسعارها، سنسن قانوناً بمنع التلاعب بين صعود وهبوط (فالصعود ينقلب سبب الهبوط، وهذا ما كان يقع في دور ابتداء تدخلنا في أسواق الغوييم).

وسنعتاض عن أسواق الأوراق المالية (البورصات) بمؤسسات حكومية للإقراض، بالغة العظمة، والغاية من هذه المؤسسات أن تحدد أسعار القيم الصناعية على حساب ما ترى الحكومة، ويكون بوسع هذه المؤسسات أن تغرق السوق بخمسمائة مليون من سنداتها الصناعية، وأن تشتري من السوق سندات ما يعادل هذه القيمة، كله في يوم واحد، وبهذه الطريقة تصبح المشروعات الصناعية متوقفة علينا. ويمكنكم أن تتصوروا ما يكون لنا من وراء هذا من نفوذ وسطوة.

البروتوكول الثَّانِي والعِشرون

أسرار ما سيأتي به الغد — شرور القرون العديدة الماضية — أساس المستقبل الخيّر — شعار القدرة والخشوع لها خشوع العبادة

في جميع ما أوردته عليكم حتى الآن، كان هدفي أن أصور لكم بعناية، ما سيأتي به الغد، وما هو جارٍ اليوم مندفعاً إلى سيل الحوادث الجسام الطالعة علينا عما قريب، وسر العلاقات بيننا وبين الغوييم.، والأعمال المالية. ولم يَبْقَ لي ما أقوله إتماماً للموضوع إلا القليل وهو هذا:

إن في يدنا أرهب قوة في هذا العصر: الذهب، ففي مقدورنا أن نخرج من خزائننا منه أي مقادير نريد في بحر يومين.

ومن المسلَّم، أن لا حاجة بنا إلى مزيد برهان على أن حكمنا المقبل هو من إرادة الله. ومن المسلَّم أيضاً أننا لن نفشل، وبيدنا ما بيدنا من كنوز المال، في إقامة الحجة على أن الشر الذي عكفنا على ارتكابه عدة قرون، كان عوناً في خاتمة المطاف لقضية الرفاهية والخير – بجعل الأمور كلها تحت أجنحة النِّظَّام، ولا ننكر أننا في غضون هذا السير قد لجأنا إلى بعض العنف والجور، على أن النتيجة كانت تكون واحدة على كل حال في النهاية. وما بقي علينا هو أن ندبِّج الفصول والمقالات برهاناً على أننا نحن الخيّرون المحسنون، أعدنا إلى العالم الممزّق المتناثر، نعمة الخَيْر الفعلي، وحرَّرنا الإنسان الفرد، وبهذا تمكّن العالم من أن يحيا متمتعاً بهاتين النعمتين (الخير والحرية) في ظل السلام والطمأنينة، مع حسن العلاقات المرعية بين الناس، وذلك طبعاً شرط المحافظة الدقيقة على القوانين القائمة. وسنبين للناس جميعاً أن الحرية ليست في الاستباحة والهوى، وحق الانغماس في المحظورات بلا قيد، بأكثر مما هي كرامة، وقوة إرادة في الإنسان، وهذان ليس معناهما إيلاء الفرد نفسه الحق أن يأخذ بالقواعد الهدَّامة تحت اسم حرية الضمير والمساواة وما أشبه. وحرية الإنسان ليس محتواها أن يهيِّج المرء نفسه ويهيج غيره إلى الشر بالخطب الرعناء في الرعاع العابثين، وإنما المحتوى الصحيح هو الصمود والمناعة في الشخص الذي يراعي جميع قوانين الحياة بأمانة ودقة، والكرامة الإنسانية عن طريق وعي الوحدات للحقوق، في مشهد كل حق ومغيبة. وليس من معنى المحتوى أنه مطلق الاستسلام إلى الخيال والنزوات الجامحة، مما يدور حول موضوع الذاتية

والأنانية الإنسانية.

وستكون سلطتنا رائعة، لتحلّيها بصفة القدرة الكاملة الشاملة، وتبسط كل حكمها وترشد الناس. ولا تشايع زعماء وخطباء يتراقصون على العبارات الفارغة وما به يتشدقون، مما كله في نظرهم المبادئ السامية، وما هو بالحقيقة الراهنة إلا الطوباوية الخيالية. سلطتنا ستكون تاج النِّظَّام، وفي هذا تندرج معادة الإنسان كلها. والشعار الوهاج لهذه السلطة، تتبعث منه عوامل السجود الروحي له، وخشية الإجلال بين يديه، من الخلق أجمعين. إن القدرة الحقيقية لا تسالم حقّاً من الحقوق حتى ولو كان حق الله. ولا يستطيع أحد أن يدنو منها بسوء ولو بمقدار شعرة.

البروتوكول الثَّالِث وَالعِشرون

التقليل من الأدوات الكمالية — الصناعيون المتوسطون — التعطل عن العمل — منع الخمرة — محو المجتمعات السابقة وبعثها في شكل جديد — المختار من الله

إن الشعب، حتى يعتاد الطاعة، من الضروري أن تتشرب أذهانه دروس الاتّضاع والقناعة. وطريقة ذلك، الإقلال من إنتاج الكماليات وأدوات الزينة الفارغة، والترف. فتترقى الأخلاق العامة التي ما جاءها الفساد إلا من شدة انغماسها في مباءة الترف المهلك. وسَنُعنى بإعادة إنشاء صناعات إنتاج متوسطة، وهذا معناه وضع الألغام في طريق رؤوس الأموال الصناعية الخاصة. ومن فضائل هذا أيضاً، أن الصناعيين الكبار على النطاق الواسع، غالباً هم المحركون، ولو عن غير علم منهم دائماً، لأفكار الجماهير في اتجاه معاكس لا يعرف شيئاً من التعطل عن العمل (البطالة)، وهذا ما يدعو لشدّه إلى النِّظَّام القائم شدّاً وثيقاً، وبالتالي يقوده إلى احترام هيبة السلطة.

ثم إن التعطل عن العمل يعتبر أشد ما يفتك بالحكومة من آفات، أما نحن، فسنداويه يوم ينتقل الزمام إلى أيدينا. والخمرة ستمنع بالقانون، وشاربها معرض للعقاب لارتكابه جرماً ضد إنسانية الإنسان، ولصيرورته بالشراب في صف العجماوات.

والرعايا، وأكرر هذا القول، إنما تنقاد لليد القوية التي تَحْكُم، وهي بمعزل عن الرعايا جميعاً، ومن هذه اليد تستشعر الشعوب رهبة السيف الذي ينتضى لمكافحة الأوبئة الاجتماعية واستئصالها، وما عساهم يريدون في ظلّ ملكٍ ملائكي الروح، يرون فيه هذه القدرة والقوة مجسَّدتينِ!

واجب السيد الأعلى الذي يحل محل جميع الحكام الحاليين، المتسكعين في طريقهم على حاشية الحياة، في مجتمعات نَخِرة، أوردناها موارد التدلي والفساد، مجتمعات جحدت كل شيء حتى سلطة الله، ومن وسطها تنجم قرون الشر بنار الفوضى من كل جهة — واجب السيد الأعلى قبل كل شيء أن يخمد تلك النار الفاغرة فاها، إخماداً تامّاً. وهو في هذا الصدد يكون مضطراً إلى أن يمحو جميع تلك المجتمعات ولو صبغها بدمه، حتى يبعثها بعثاً جديداً على صورة جنود منتظمة الصفوف، تقاتل بوعي كل الآفات التي تعتري جسم الدولة وتزرع فيه البثور.

وهذا الحاكم المختار من الله، إنما اختاره الله ليقضي على قوى الشر، القوى التي تنبعث من الغريزة لا من العقل، ومن الوحشية لا من الإنسانية. وهذه القوى هي الآن في نشوة انتصارها، متمثلة باللصوصيات وكل ضرب من الاغتصاب، تحت قناع مبادئ الحرية والحقوق. وقد عبثت بالنِّظَّام الاجتماعي ونقضته من كل جهة لتقيم على أنقاضه عرش ملك اليهود، ولكن دور محاسبة هذه القوى الشريرة يكون في يوم ظهور مملكتنا، فتُجرَف من طريق ملكنا

جرفاً حتى لا يبقى منها أثر، عالقة به بقايا عثرات، أو كسرات محطومة.

حينئذ نستطيع أن نقول لأمم العالم: اشكروا الله واسجدوا للذي في جبينه خاتم مصير الإنسان، الإنسان الذي قاد الله نجمته إليه، مظهراً بذلك أنه هو وحده القادر على تحريرنا من جميع القوى والشرور التي ذكرنا.

البروتوكول الرّابع والعِشرون

تثبيت نسل الملك داود – تخريج الملك وإعداده للعرش – تنحية الوارث ولو كان من النسل الداودي إذا كان لا يصلح للملك – الملك وأعوانه الثلاثة لا غير – الملك هو المصير – ملك اليهود في أخلاقه نحو الناس - هو فوق العيب

في الاختتام، أتناول من الكلام ما يتعلق بإثبات النسل الداودي في أصوله وجذوره إلى آخر الدهر.

سر هذا البقاء، في المقام الأول، كامنٌ في ما يتضمنه ذلك الشيء الذي تمكَّن به حكماؤنا حتى اليوم، من جعل إدارة شؤون العالم مُشَرَبةً روح المحافظة على القديم، وذلك عن طريق توجيه التثقيف الفكري للإنسانية جمعاء.

يأخذ بعض الأشخاص من نسل داود على عاتقهم إعداد من يصلح للملك ومن يصلح ليكون وارثاً للعرش، غير جاعلين الاختيار تابعاً لحقّ من حقوق الإرث، بل كل ما يراعى من مميزات هو الكفاية بصفاتها من الجدارة والمؤهلات. فيُطلِعون المرشحين على أعمق الأسرار المتعلقة بالتدابير السياسية، وأساليب الحكومات وأطوارها، مع الحذر الشديد ألا يتسرب شيء من ذلك إلى الخارج. والغاية من هذه الطريقة أن يعلم الناس جميعاً أن زمام الحكومة لا يمكن أن يلقى به إلى من لم يتخرج بالمعرفة والاطلاع على مواطن الأسرار في فن الحكومات.

وهؤلاء المرشّحون هم بوجه الحصر الذين قد تمّ تخرجهم وإطلاعهم

على كيفية تطبيق المخططات وتنفيذها، وإمعانهم النظر وتدقيق الاعتبار، والمقابلات بين صنوف التجارب الماضية لعدة قرون، والملاحظات المستفادة من السير السياسي الاقتصادي والعلوم الاجتماعية. وبكلمة موجزة: يلقّن هؤلاء روح الشرائع التي هي من عمل الطبيعة نفسها، الهادية في إدارة العلاقات الإنسانية بين البشر.

وإذا وجد أن المرشحين للعرش على الخط العمودي الداودي قد بدا منهم في أثناء دراستهم وتخرجهم، طيش أو رخاوة أو ما يشبه هذا، مما يكون عاملاً في فساد الحكم والسلطة، ويجعل الحاكم غير قادر على الوفاء بحق واجباته، وخطراً بنفسه على المنصب الذي يتولاه، فأمثال هؤلاء، إذا بدا منهم هذا النقص، يُنَحَّوْن عن تسنم العرش.

وإنما يتسلم زمام السلطة من أيدي حكمائنا، من لا ريب في مقدرتهم التامة، ليحكموا حكماً بلا هوادة، لا يني ولا ينثني، ولو تضمّن القوة والصرامة.

وإذا مرض الملك الشرعي الجالس على العرش، مرضاً يورثه ضعف الإرادة والرأي، أو ما يثلم أي صفة من صفات الأهلية، فتكفّ يده ويسلّم زمام الحكم إلى من يأتي بعده من ملكٍ قدير جديد.

وما لدى الملك من مخطط عملٍ للحاضر والمستقبل، لا ينبغي أن يدري به أحد إطلاقاً، حتى ولا الذين هم بمثابة مستشاري الملك المقرَّبين.

والذين يحصر فيهم علم هذا كله دون سواهم، هم الملك نفسه وثلاثة أعوان معه لا غير.

وفي شخص الملك الذي هو بإرادته الصامدة الصلبة سيد نفسه وسيد الإنسانية كلها، تُستَشَفُّ صورة القدر وخفاياه. ولن يكون بوسع أحدٍ أن يعلم شيئاً من رأي الملك، ولا إلى ما يتوجه برغباته وميوله. ولذلك يكون من

المستحيل أن يقف أحدٌ عاثوراً في طريقه وهي طريق غامضة مجهولة.

ومعلومٌ أن القوة المستوعبة الخازنة من عقل الملك ومداركه، ينبغي أن تتكافأ بسعة الأهلية والقدرة مع ما ينبغي أن يكون لدى الحكومة من خطط للعمل. وإنما من أجل هذه العلة في التوازن بين الاثنين، وجب ألا يتسنم ملكٌ العرشَ إلا بعد فحص قواه العقلية على يد الحكماء الثلاثة الأعوان.

وقد يتسنى للشعب أن يعرف الملك عن كثب، فيحبه، فلا بد له (الملك) أن يخرج إلى الساحات والمشاهد العامة فيحدثونه ويحدثهم، وهذا ما يجعل القوة في الجانبين، الملك، والشعب، قوة متماسكة، وهي الآن غير موصولة، وهذا الانقطاع سببه نحن وما رأينا من أهوال.

وهذه الأهوال لم يكن منها مهرب، وكان حتماً احتمالها، إلى أن يحين الوقت للقوة المذكورة فتلتقي من طرفيها، وتمسي حلقةً مفرغة تحت أجنحتها.

وملك اليهود لا يجوز له أن يكون منقاداً لشهواته ولا سيما البدنية، ولا أن يسمح لجانب الغريزة الجامحة أن تتسلط على جانب العقل. فإن الشهوات مهلكة، تعطِّل القوى المدركة العاقلة، وتطفئ البصيرة المبصرة، وتُسِفُّ بالأفكار إلى الحضيض الذي ما بعده شيء.

والقائم بعبء الإنسانية، المتمثل بشخص السيد الأعلى، الباسط حكمه على جميع العالم من نسل داود المقدس، عليه أن يضحِّي في سبيل شعبه بكل شهواته الشخصية، وسيدنا الأعلى حريٌّ به أن يكون فوق العيب ويكون المثل الأعلى.

(الموقعون): ممثلو صهيون من الدرجة 33

انتهت البروتوكولات

فهرس المحتويات

